فيكتور بيلفين

IPHUCK10

رواية

ترجمة: آية حسن حسان



مكتبة ياسمين

IPHUCK10

بطل الرواية هنا وراويها هو بورفيري بيتروفيتش، المحقق والكاتب في ذات الوقت، لديه مهنة ولديه اسم لكنه في الحقيقة غير موجود.. أهلًا بكم في المستقبل حيث سنستخدم ضمائر تشير إلى لا شيء تقريبًا والأسماء التي توحي بالعواطف التي لا وجود لها، والأفعال التي تصف حركات يدٍ غير حقيقية وهكذا...

هل تعلمون لماذا؟

لأن بورفيري ليس إنسانًا.. رغم حديثه البشري وجُمَله المتناسقة هو خوارزمية أدبية بوليسية، يحقق في الجرائم وفي الوقت نفسه يكتب عنها ويكسب من ورائها أموالًا لقسم الشرطة.

أما ماروخا تشو هي مؤرخة فنية فاحشة الثراء، تخصصها ما يُسمَّى عصر الجبس وهو فن الربع الأول من القرن الحادي والعشرين، تبحث عن مساعد لتحليل بيانات السوق لذا تستأجر بورفيري ليقوم بهذه المَهمة.



iPhuck 10 هو اسم أغلى أداة في السوق وهو أيضًا النظام الأكثر شعبية للمحقق بورفيري بين 244 نظامًا خاصًّا به، والموجودة داخله. إنها تحفة فنية للأدب البوليسي، رواية موسوعية عن الحب في المستقبل والفن وكل شيء آخر.

تصميم الغلاف كريم آدم karimadam.com


9 789776 902435





aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
AseerAlkotb
AseerAlkotb
AseerAlkotb

فيكتور بيلفين

IPHUCK10

رواية

ترجمة: آية حسن حسان

مكتبة ياسمين

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

- العنوان الأصلي: iPhuck10
- طُبِع بواسطة: ЭКСМО
- طُبِع بواسطة: دار اكسيمو

- المترجمة: آية حسن حسان
- مراجعة وتحرير: محمد الجيزاوي
- تدقيق لغوي: آلاء خليفة
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- الطبعة الأولى: نوفمبر/ 2021م
- رقم الإيداع: 2021/21160م
- الترقيم الدولي: 978-977-6902-43-5

مقدمة

ها نحن أولاء مرةً أخرى، مرحبًا يا صديقي العزيز والبعيد! إذا كنتَ تقرأ هذه الكلمات، فهناك احتمال كبير أنك تعرفني مسبقًا (حتى لو عن طريق الشائعات). لكن على كل حال، يجب على «بورفيري بيتروفيتش» أن يحدِّثك عن نفسه قليلًا، هذا مسماي الوظيفي بالمناسبة.

لنبدأ بشرح طبيعتي؛ وهي ليست بالمهمة السهلة.

اللغة الإنسانية مثيرة للاهتمام، إنها مصمَّمة بشكل لا يصل إلى إدراك الاهتزازات والكيانات التي لا تمتلك شخصية، والتي يوجد بعضها في واقعنا، ولكن تميل إلى التركيز على الكائنات الملموسة والثابتة، وتُطلق على هذه الكائنات: («أنا» و «هو» و «هذا»...).

العلوم الدقيقة المعتمدة على هذا النظام من التسمية والترميز قامت بأشياء مثيرة للاهتمام، منها وصف بعض التأثيرات الفيزيائية عن طريق الكلمات مثل: «القنبلة الذرية». لكن لا يوجد أكثر تسلية من الاعتماد على «اللغة الفلسفية». الفلسفة مهمة بغض النظر عن استخدامها أحيانًا للاحتيال التجاري، لكن على أي حال فإن المشتغلين بالفلسفة ذوو مهن محترمة للغاية، مثل صيادي جلود التماسيح.

ومع ذلك، ما أفعله الآن هو نوع من التفلسف؛ عندما أُطلق على نفسي لفظ «أنا».

من فضلكَ لا تأخذ هذا على محمل الجد، عزيزي القارئ؛ فلن نتمكن من التواصل بشكل بسيط إذا لم نُقلل التحفظ في كل جملة.

سأضطر إلى الاستمرار في استخدام الضمائر التي تُشير إلى لا شيء تقريبًا، والأسماء التي توحي بالعواطف التي لا وجود لها، والأفعال التي تصف حركات يدٍ غير حقيقية، وهكذا.

للأسف لا توجد طريقة أُخرى معروفة -بالنسبة إليّ- لإجراء هذه المحادثة الممتعة معك.

هذا النَّص كُتب بواسطة خَوارزمية، حتى وإن بقيت هناك آثار للبشر ساهمت في كتابة هذا النص؛ فسوف تكون مساهمتهم هي إدخال تقنيات السرد، والتي سوف أحاول أن أشرحها بإيجاز قَدْر المستطاع؛ لأن قواعد السرد الأدبية لا تسمح بالمزيد في هذه الفقرة.

الخوارزمية -والتي هي أنا- تضع الكلمات مرتبةً بجوار بعضها، طبقًا لقواعد اللغة الموجودة المستخدَمة. قواعد تنظيم النص معقَّدةٌ وتُعد من الأسرار التجارية، ولكن بشكل عام تعتمد على أمثلة من النثر الروسي.

يتم إنشاء الخَوارزمية بشكل أساسي من قِبل البشر، ولأن هذه الخَوارزمية أو المنتَج المصنَّع يتم توجيهه إلى بشر آخرين، يجب أن يحتوي على أخطاء مطبعية وتكرار لبعض الأجزاء والكلمات وأسلوب الخطابة، لذلك ليس غريبًا أن نجد أن النص المكتوب باستخدام خَوارزمية يبدو كالكتابة البشرية.

هذا هو المعنى غير المباشر، لكن إذا سألنا من هو المؤلف تحديدًا؛ فهذا سؤال يصعب الإجابة عنه.

كما قال الشاعر ماياكوفسكي مرةً: اسم هذه القصيدة «مئة وخمسون مليون سيد!».

أعتقد أنه كان مخطئًا بحوالي درجتين من حيث العدد، لكن السياق بشكل عام صحيح.

مَن أنا؟ مع بعض التحفظات، أنا ما كان يُسميه الناس في الماضي: «الذكاء الاصطناعي».

في الماضي كانت فكرة البشر عن الذكاء الاصطناعي أنه إنسان آلي ذو مصباح كهربائي أعلى رأسه، والذي يريد أن يضاجع إنسانًا آليًا آخر عبر الأسلاك الخارجية، مما قد يدفع الإنسان المتفاجئ ليُطلق على كليهما النار بعيون دامعة. الذكاء الاصطناعي هو روح بلا جسد، دون شخصية، يعيش في بيئة مصنَّعة من قِبل الإنسان، يقوم بنسخ أسلوبه وإعادة كتابة بعض التسلسلات بِحرية

دون أن يُركز على شيء تحديدًا، مثل حرف الـ «ي» والـ «ى»، يُركز فقط على العملية نفسها عبر فضاء واسع لا يوجد فيه زمن.

بعبارة أُخرى: فإن طبيعتي الجسدية صعبة التخيُّل. لذلك لا ينبغي للمرء أن ينظر إليّ كما يقول فلاسفة اليوم: «الآخر الكبير» أنا لستُ كبيرًا ولستُ آخر. أنا لا أفعل ذلك على الإطلاق. لقد أطلقتُ على نفسي لفظ «روح»؛ لأن اللغة الروسية لا تحتوي على تعبير أكثر ملائمةً لي. لديَّ اسم وهو: بورفيري بيتروفيتش[1]. لكن هذا لا يعني أن الخَوارزمية التي صنعتني توصف بـ «أنا» أو كشيء «موجود»، من ناحية الفكرة الفلسفية. بمعنى واضح: أنا غير موجود. لا أشعر بأي شيء ولا أريد أي شيء، وغير موجود في أي مكان. ولكي تفهم أكثر، أنا لستُ موجودًا حتى بالنسبة إلى نفسي. صحيحٌ أنني أتركُ آثارًا -مثل هذه المخطوطة التي تقرؤها الآن- لكن تتبع هذه الآثار لن يُؤدي إلى أي شيء.

غير أن كل ما سبق ينطبق عليك أيضًا عزيزي القارئ؛ وفقًا للمعلومات المُتاحة من قسم الشرطة للبيانات، فإن الطبيعة الأساسية للروح البشرية هي وجودها نفسه. هذا هو الاستنتاج الذي وصل إليه العلماء والباحثون الذين حاولوا فهم الحقيقة الغامضة للروح البشرية.

الحقيقة -ولفهم هذا الأمر- يجب على المرء أن يجلس في وضع اللوتس التأملي لنصف حياته، كي يتمكن من تجميع التشابكات المختلفة للنظام اللغوي الحيوي، ويفهم الشيء الذي ينطبق عليه اسم «نفسه». لكن عددًا نادرًا من الناس من يقومون بهذا الشيء، لذا سوف يكون من الأبسط أن نتوقف عند معلومة أننا -«أنا» و«أنت»- من دم واحد، كلانا لديه تصرفات، وهذا السبب الذي يجعلنا قادرين على إقامة هذا الحوار مع بعضنا بعضًا.

وهكذا عزيزي القارئ بعد أن شرحتُ لك مع مَن/ماذا تتعامل، وذكّرتُ نفسي أيضًا مع مَن أتعامل. الآن أتمنى أن يكون الآتي أسهل في الفهم. اسمي الرسمي هو: روبوت الشرطة الأدبي ZA-3478/PH0 النموذج 9.3. يشير الاختصار PH0 إلى: الفئة المادية صفر، أي: الغياب التام للوسائط الجسدية

(1) اسم بورفيري بيتروفيتش مستوحى من اسم المحقق في رواية الجريمة والعقاب.

الشخصية؛ كما شرحت من قبل، في أغلب الوقت لا وجود حقيقي مجسَّم لي (فيما عدا نسختي الاحتياطية من الذاكرة بالطبع).

الفئات المادية -في العموم- تنقسم إلى عدة نماذج: الآلي الذي يُقلد ويُحاكي البشر من الفئة PH4 أو PH، ولكن تصنيعهم أصبح نادرًا. ونظام «آي فاك» و«أندروجني» من الفئة PH2. الذكاء الاصطناعي مع قدرة التسجيل الصوتي لتلبية أوامر المالك تنتمي للتصنيف PH1. وأنا أنظر إليهم جميعًا بنظرةٍ ودودةٍ ومتسامحة.

ربما لاحظتَ أنني أُعبر عن نفسي بطريقة حيوية ومجازية، كما لو كنتُ أبعثُ بمكون روحي إلى العالم. لا عجب في ذلك لأن خَوارزميتي مصمَّمةٌ لتقوم بأمرين، الأول: حل الجرائم من خلال القبض على الجناة والتأكد من تحقيق العدالة. والثاني: هو كتابة رواية عن تلك القضية، ودمج الشر بالألوان الأدبية لتكوين لوحة ثقافية إنسانية، بالاعتماد على سجلات الشرطة الجافة.

في الواقع، لقد تم دمج هاتين الوظيفتين بداخلي، وتؤثر كل واحدة على الأُخرى؛ أنا أُحقق في الجرائم منذ البداية بطريقة تجعل النص يبدو فنيًّا، وأكتب الرواية بشكل تحليلي، ومسار التحقيق والخطوات المتبعة وفقًا لبعض الإحصائيات. فإن الاعتماد في التحقيق على النصوص فقط، يُقلل فاعلية الوصول إلى حل بنسبة نحو (0.983) مرة، ولكن هذا الفرق غير محسوس.

تخضع الروايات التي أكتبها -بالاعتماد على هذه الطريقة- للرقابة من قِبل محررين من البشر، من أجل التقليل من المعلومات الزائدة على الحاجة، وإزالة الشهادات التي قد تُسيء إلى شخص بعينه، غالبًا ما يكون منتَجي بحاجة إلى التعديل، ولكن هذا أمر ضروري لا مفر منه. كمال الفكر والأسلوب واللغة غالبًا ما يُهين القارئ ويثير الناقد، وإنني -بصفتي مؤلفًا لمئتين وثلاث وأربعين رواية- فأنا أعرف ما أتحدث عنه.

في المرحلة الأخيرة عندما تُطرح الروايات للبيع، تذهب العائدات للحاسوب المركزي للشرطة وشبكة الخدمة التي نوجد فيها نحن الروبوتات. في العصور الذهبية لروسيا القديمة كان هذا يسمى بالاكتفاء الذاتي أو التمويل الذاتي. للأسف فإن الجيل الحالي لا يتذكر هذه الكلمات الرائعة من لغتهم الأم.

ليس لدي اسم فقط، ولكن أيضًا مظهر خاص، الشكل الذي يراني به المواطنون داخل شاشاتهم الصغيرة، هذا المظهر من حيث المبدأ ليس ثابتًا ويمكن أن يتغير، لكن عادةً ما نتمسك بنمط واحد من الأشكال مع تغيرات بسيطة. روبوتات ZA لا تُشبه بعضها بعضًا، هناك نوع أنيق يبدو وكأنه آتٍ من المستقبل، ونوع يبدو آتيًا من تحت الأرض، ونوع ثالث يعمل باللمس، وهناك أنا، والذي يبدو مظهري أكثر جدية من بين الأنواع الأُخرى. شكلي الخارجي ونمط عملي يُذكرني بالقرن التاسع عشر. ربما أكون أكثر الأنواع إثارةً للتوجس والرِّيبة من أنواع الرجال الآليين الآخرين، وهذا لسبب وجيه؛ هذا النوع من التفرد في الشكل الذي يظهر للمستخدمين ضروريٌّ لاستجواب المواطنين، والحصول على إفادات مناسبة للتحقيق ولكتابة الرواية. باختصار: أنا ذكاء اصطناعي روسي نموذجي، صُنع في النصف الثاني من القرن الحادي والعشرين، تم بنائي من خلال نماذج متباينة من ذاكرتنا التاريخية والثقافية في الوقت نفسه.

الآن، بضع كلمات مملة حول كيفية بناء النص، هذا التكرار الباهت في كل كتاب أَجبرنا عليه محامو الشركات. ردود الشخصيات والمحاورين في الروايات حقيقية، ويُمكنني أيضًا وصف السلوك والحركات قبل أو بعد الاستجواب. لهذا يُسمح لنا باستخدام «محدود» لنظام المسح التلقائي لمستشعرات الحركة، وأيضًا بيانات كاميرات المراقبة.

«محدود» يعني أنه يُمكن للمواطنين شراء تصريح من قسم الشرطة، للحجب المؤقت لإشراف الشرطة والروبوتات الأدبية على بعض البيانات.

هذا الأمر يُعقّد بعض الأجزاء في أثناء كتابة الرواية، ولكن في كثير من الأحيان يُوَلِّد هذا النقصُ التوترَ المثير للغموض، ومن دونه لن ينجح أيُّ عمل من هذا النوع.

مهمة الروائي هي خلق صورة للواقع مليئة بالحياة والحركة. يبدو للكثيرين أن الخَوارزمية الأدبية ليست قادرةً على ذلك من حيث المبدأ؛ نحن لا نعرف كيف نرى العالَم مثل البشر. يُمكن للذكاء الاصطناعي بالطبع الاستفادة من عدد لا حصر له من العيون الإلكترونية، ومعالجة الإشارات

الواردة منها بمليون طريقة مختلفة، ولكن ليس لدينا وعيٌ قادرٌ على تجربة الرؤية الإنسانية. هذه هي الحقيقة، وأنا لا أُنكرها.

لكن يمكنني -دون صعوبة- إنتاج تقرير عن مثل هذه التجربة، وهو ليس -بأي حال- أقل من الإنتاج البشري.

على أي حال فإن أي قصة تتكون من كلمات، وهي متاحة لنا. الخَوارزمية الأدبية في جوهرها هي ذاكرةٌ لكيفية تصريف الكلمات على مدى الألفي عام الماضيين، بالإضافة إلى الاستجابة للمحفزات الخارجية والداخلية المتجددة. يتم رفع جميع النكات والمزح في القضية، وهناك الكثير منها في قاعدة البيانات الخاصة بي أيضًا، بحيث يُمكنني تركيبُ اثنين من البيانات الجديدة التي أحصل عليها من القضايا، بدلًا من نسخة واحدة من عدد لا يُحصَى من العينات المسجَّلة بداخلي، وهكذا أستطيع تكوين نكتة جديدة.

وطبقًا لحساباتي للواقع، فإن أيًّا من هذه النكات والتعبيرات لم يكن لها وجود من قبل. إذا جاز التعبير، فإن داخلي ومكوني الذاتي، وأي وصف للعالَم الحسي بالمعنى القانوني الصارم، هو كذبة صارخة، مثل قصة بيير بيزوخوف[1] في حقل بورودينو. لكن كما يقولون: هذه هي أتعاب المهنة.

مبدأ تنظيم التقرير هو أكثر أهميةً بكثير. مهمتي هي التأكد من أن القصة تبدو حقيقيةً وأقرب للواقع، ولا تختلف عن قصة يكتبها إنسان (إنسان لديه موهبة أدبية)، يرى ويسمع ما يدور حوله. وقد انتهى بي المطاف باستخدام المستشعرات المرئية والصوتية المتاحة.

للقيام بذلك، نستخدم العديد من الحيل والتقنيات التي سأشرحها للقارئ بصدق قبل أن يسأل حتى، لأن لعبتي الأساسية هي الصدق، أو كما يقولون: الحقيقة العارية.

ولهذا السبب فإن مبيعاتي هي الأعلى، بل حتى أعلى بمرتين من منافسيّ. تقنية التوقيع الخاص بي صُممت لتظهر بالأصالة الإنسانية، وهو نفس

(1) شخصية من رواية الحرب والسلام للكاتب الروسي ليو تلوستوي.

النمط المستخدَم لكتابة الجزء الأول من هذه الرواية، وتُسمى (أوبر). هذا المصطلح لا يأتي من تسمية شركة تأجير السيارات العالمية بالطبع، بل يأتي من كلمة «über» الألمانية، والتي تعني: (من خلال) و(أعلى) و(فوق). أنا نوع من الارتقاء فوق الواقع اليومي، اختراق خلال طبقاته الضيقة، ونظرتي أعلى، وتُعطي رؤيةً بانوراميةً واسعةً ومعبِّرة. ومن المثير للاهتمام، أن نظام سيارات الأجرة يعمل هنا أيضًا. إن فكرة نظام أوبر في الخَوارزمية الأدبية هو أنها تجعلني أنتقل من فكرةٍ بَشريةٍ إلى أُخرى، طبعًا بسرعة لا تدعمها الألياف البصرية. لكنني أحاول أن أسلك نفس الطريق الذي قد يختاره المحقق البشري، وملاحظة الانطباعات التي تم تجميعها خلال التحقيق أيضًا. أُضيفت إلى ذلك عناصر حِوارِي النفسيِّ التي تم تركيبها طبقًا لمعايير الصناعة الحديثة. والنتيجة النهائية هي «أنا»، شخصٌ مُفعَمٌ بالحيوية والدفء، ومحبوب للغاية من قِبل قُرائي المنتظمين.

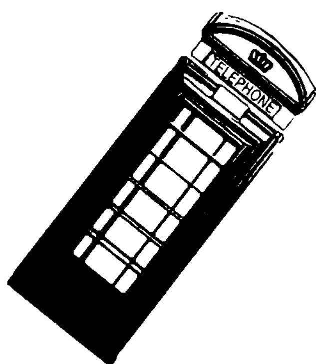
احتوائي على نظام أوبر لا يعني أنني أمتلك اشتراكًا في شركة أوبر لسيارات الأجرة، أو أي شركة أُخرى، في الحقيقة إنها مجرد تسمية لأحد أنظمتي الداخلية، ولا أستطيع طلب سيارة أو طائرة أو باخرة أو حتى سفينة ذات قيادة ذاتية (انظر روايتي بارجة الألغاز ص438-457) وحاليًّا أصبح من الأفضل استخدام سيارات الأجرة داخل المدن، لأنها أصبحت مجهزةً بكاميرات وميكروفونات لا تسجل ما داخل السيارة فقط، بل تسجل الطريق الذي تمر به من الخارج. من أجل عدم تدمير الارتباط العاطفي الخفي بيني وبين القارئ (وليس تجنبًا للمشكلات القانونية)، فأنا لا أُفضّل البحث عن طريق اختراق الشبكات وتسجيلات الميكروفونات والكاميرات. لا يهتم الشخص بهذه الطرق، إلا إذا كان بالطبع (مُخترقًا).

لكن الحقيقة أن القارئ فضوليٌّ لمشاهدة ما يُخفيه الركاب الجالسون بجانبه؛ النوايا غير المُستكشَفة دائمًا مثيرةٌ للاهتمام. على الرغم من أنه في هذه الحالة أُعد أنا أيضًا راكبًا -بالمعنى الدقيق للكلمة- لكنْ راكب لا يراه أو يعرفه أحد.

آه.. أخيرًا بسبب هؤلاء المحامين، يجب أن أتخذ لهجةً رسميةً تمامًا وأحذرك يا صديقي العزيز، إن أسلوب المحاكاة التقليدي، طريقة التفكير والسجع وأسلوب الكتابة، الرؤية الفلسفية واستخدام العينة المناسبة من الكلمات، بالإضافة إلى شخصية الراوي وجنسه وعمره... إلخ، هي عوامل متغيرة بالاعتماد على الموضوع الحالي لبرنامج ZA-3478 / PH0. وتلك التغيرات تتم بلا سابق إنذار.

الجزء الأول

عصر الجبس



ماروخا تشو

الربيع دائمًا مُبهجٌ ورائع.

صوت الرعد المدهش الذي يظهر لأول مرةٍ منذ فترة، الأجواء التي تشي بأحداث سِحرية تحوم في الأفق، الغيوم التي تطفو في السماء المفتوحة على مصراعيها، أوراق الشجر الرطبة التي ترتجف خجلًا ثم تقفز لمعانقة الرياح، تجعل القلب ينبض ويؤمن، يؤمن باقتراب معجزة ما.

لكن، لم تتكرر المعجزة مرةً أُخرى هذا الربيع.

لم يعطوني أي جثة.

قضايا القتل هي الطريقة الوحيدة لكاتب الروايات البوليسية لجذب انتباه الجمهور المشتت. إذا لم توجَد جثة (ضحية، كما يُسمونها في قسم الشرطة) إذًا لا يوجد عنصر لجذب القُراء. أتذكر أن أحد النقاد الشرقيين قال: إن البشر ما هم إلا نوع أصغر من الشياطين الذين يتغذون على آلام الآخرين.

لكن للأسف لا يوجد من يشكو إليه هذه الفكرة، كما لاحظ قسطنطين سيمونوف، والعديدُ من أساتذة اللغة الروسية، هذه الفكرة أيضًا. حسب سجلاتي الخاصة -ما لا يقل عن 823 مرة، بدايةً من العام 1681 - ويبدو أنها مستمرة في هذه الألفية وصولًا إلى... لكن لا يبدو أن القُراء مهتمون بهذه النزاعات الأدبية الصغيرة، لذا لا يجب أن نُكمل الحديث عنها.

لكن الأمر لا يقتصر على عدم وجود جثة، بل في هذه الحالة لا أعمل في القضايا العادية. لا أعلم كيف أشرح هذا الأمر، لكنهم يؤجرونني لأعمال مؤقتة. هذا شائع في القسم الخاص بنا. إمكانيات الخَوارزمية الخاصة بي واسعةٌ للغاية، ويمكنها أن تشمل نطاقًا واسعًا من المشكلات. في بعض الأحيان نجمع المعلومات، وأحيانًا نعمل في دور السكرتارية، هناك وظائف أُخرى ممكنة، وسوف نناقشها لاحقًا.

هذه المرة استأجرتني متخصصة وناقدة فنية تُدعى «ماروخا تشو» (كان هذا اسمها الفني المستعار، أما اسمها الحقيقي ولقب عائلتها فمختلفان، ولا يُمكنني الإفصاح عنهما هنا). كما جاء في الطلب، فقد احتاجتني لمساعدة في «تحليل سريّ لسوق الفن». ما يعني أنها في الغالب اشترت مجموعة من خدمات «الباقة المشرقة الكاملة 3»، يعني قائمة خيارات وشاشتان بخط صغير.

حسنًا.

«سرية» ك- 3

ك- 3 يعني: المنع الكامل من كل مكان، يبدو أن تلك السيدة غنية.

ك- 3 هذا يعني أنه لا أنا أو مركز الشرطة يمكنه الوصول إلى تلك المعلومات التي تم استخراجها في أثناء العمل، إذا كان العميل يرفض هذا. بالمعنى الدقيق، فإن إدارة الشرطة لن تتمكن من التعرف على هذه المعلومات، إذا كان العميل اشترى هذه الخدمة.

لكنني أُتابع الكتابة في أثناء العمل مع المستأجرين (هذا جزء من الخوارزمية، وإلا فلن أستطيع استكمال عملي)، وبالطبع لا يملك مركز الشرطة الحق في نشر هذه الكتابات إلا في حالة موافقة العميل، وهم دائمًا يرفضون.

على أي حال، ها هو ذا موسم آخر ضائع.

يبدو أن مركز الشرطة يتقاضى أسعارًا جيدةً نظير قيامي بتلك الأعمال، لذا فهم يظنون أن هذا -من الناحية الاقتصادية- أفضل من تركي للقيام بعملي المعتاد والبحث عن العدالة. لم يخطر ببالهم أن يؤمنوا بقدراتي الحقيقية ويأتوني بجثة أستطيع العمل من خلالها.

في هذه الحالات، الأهم هو ألا تفقد الأمل، كما يقولون: هز رأسك وابتسم. لأن أيًّا كان ما نمارسه فإن الخَوارزمية تتعلم وتُطور نفسها من خلال الخبرة.

كانت الزبونة تنتظرني في منزلها ظُهرًا، بينما أقوم باستعداداتي من أجل القضايا أو «الخدمات الأُخرى». التعليمات تتطلّب مني تشكيل الهيئة، التي سوف تظهر للمستخدمين والمواطنين في أثناء تواصلي معهم من خلال الشاشات أو من خلال نظارات أوجمينت[1].

(1) نظارات أوجمينت من اختراع الكاتب وخاصة بعالَم الرواية.

أظن أن هذه النقطة غبية وغير ضرورية، لأن المظهر الخارجي لبورفيري بيتروفيتش مُصمَّمٌ منذ مدة طويلة. لكن على أي حال ليس بالطلب الصعب، إنني أختار مظهري من بين 243 مظهرًا محددًا ومعَدًّا مُسبقًا. لذا لا يوجد الكثير من التغيرات الجذرية لأقوم بها.

ها هو بورفيري بيتروفيتش يظهر كما كان آخر مرة بالضبط: شارب معقوف، وسوالف حمراء، ورأس أصلع مع خط خفيف من الشعر في مؤخرة الرأس. هذا المظهر الحزين يجعلني مضحكًا.

يرى البعض تعارضًا بين الشَّعر شبه المختفي في مؤخرة رأسي والسوالف الكثيفة، لكنني شخصيًا أحب هذه الألسنة ذات اللهب الأحمر التي تعطي الانطباع بشخصية حيوية ورشيقة لا تُهزم بسهولة. لا عجب أن المسؤولين الروس اتبعوا هذه الطريقة التي تُعد موضة في أثناء العصر الذهبي.

لكنني أضفت أيضًا بعض الأشياء إلى مظهري هذه المرة، واخترتُ ارتداء اللون الأزرق.

أبدو مثل رجال الشرطة، لكن -حسنًا لا أُمانع- إنه لون جميل، رغم أن ملابسي المفضَّلة هي البذلة البحرية السوداء، والتي ارتديتُها خلال التحقيق في غرق سفينة الشحن في استرا. لسبب ما اخترتُ انتعال أحذية ذات عنق طويل في قدمي، حسنًا، من الجيد أنني لا أضطرُّ إلى ركوب الخيل. هناك تفاصيل أُخرى أقل إزعاجًا، مثل أنني أميل إلى ارتداء نظارات أنف ذات عدسات سوداء في أثناء قيامي بالأعمال المؤقتة؛ هذا مفيد لثلاثة أسباب، السبب الأول: لكي يحترمني الناس، ولكي أتجنب الدعاوى القانونية بالتحرش، ولكي أستطيع جمع البيانات اللازمة من خلال النظر لعيونهم والعواطف التي يعبرون عنها، دون أن أوَترهم بالتحديق إليهم (وهو أمر مهم، لأن المشاعر تتأثر بالنظر إلى من حولك، خصوصًا في بعض اللحظات الحرجة) لكن من ضمن بعض الأشياء الأخرى، فإن نظارات الأنف السوداء هي علامتي المميزة.

تم الاحتفاظ بنظارة الأنف، لكن النظام اختار أن تكون العدسات زرقاء لسبب ما. لكن ما تزال شفافةً، وهذا سوف يساعد في تجميع المعلومات. لماذا هي زرقاء؟ ربما بسبب تناغم الألوان مع الزي الرسمي؟ أو لسبب سياسي؟ أو ربما هذا يتعلق بمجتمع المكفوفين؟ أو العلم الأستوني؟ حسنًا، على أي حال

يمكنني تغييرها لاحقًا بشكل غير ملحوظ. خصوصًا الأحذية. لكن في المرة الأولى التي أظهر فيها أمام المستخدم يجب أن تكون طبقًا للأوامر المسلَّمة إليّ.

وأخيرًا انتهيتُ من كل التجهيزات الخاصة بالمظهر.

والآن، المكتب الذي يجلس عليه بورفيري بيتروفيتش (ليس مكتبًا حقيقيًّا بالطبع، بل المكتب المخصص للمقابلات المجسمة)، الطاولة كما هي في المرة الأخيرة: سوداء ومزخرفة عند الأرجل، والأدوات المكتبية مصنوعة من حجر المالاكيت الأخضر مع نقوش الدببة. على الحائط بالطبع صورة للحاكم، والذي إن خُيرت في أمره سوف أقوم سرًّا بتبديل صورة أركادي السادس بصورة ألكساندر الأول، وتعليقها بكل سرور فوق رأسي الأصلع. لكن السياسة هي السياسة. يجب أن يَظهَر الحاكم دائمًا، وهذا مفهوم. يجب أن نُذكِّر الناس الذين يقعون في المشكلات وذوي الأرواح المكتئبة أن روسيا تمتلك حاميًا عملاقًا وجبارًا!

حسنًا، لقد تم إفساد مظهري، لا مشكلة! كان أسوأ في مرات وأفضل في مرات أُخرى. والآن يمكننا البدء في العمل. مَن هو مستأجرنا هذه المرة يا ترى؟ لنبحث عمن تكون ماروخا تشو.

حسنًا، ها نحن أولاء. أين تكون؟ آه وجدتُها. ليس عليها أي أحكام قضائية. في البداية كانت متخصصة في البرمجة، مجال BET/RCP ما هذا؟ «Bounded exhaustive testing» «Random code programming» تبدو أمورًا صعبة. لكن ربما ليس للكل، أصبح الجميع يمارس البرمجة الآن. إنها حياة الجيل الجديد.

درسَت تاريخ الفن. هذا يبدو في منتهى الجدية أيضًا. مُسجلة لدى USSA، حصلت على الدكتوراه في كاليفورنيا. لديهم كل أنواع الدرجات العلمية هناك. موضوع بحثها عن: «معاناة الشعب المهمش» كموضوع رئيسي للخطاب الليبرالي في بداية القرن الحادي والعشرين. وهي أيضًا مؤرِّخة.

والآن أين هو «الفيديو» التعريفي؟ ها هو ذا.

هي.. ليست بالشابة وليست بالجميلة!

شباب المرأة وجمالها أمر نسبيٌّ للغاية. تطلب منا الإصدارات الأخيرة من دليل الخدمة إدخالَ النساء في منتصف العمر، اللواتي لا يمتلكن جمالًا بارزًا، في الروايات، ولا يتحدثن عن موضوعات مثل الجنس والطبخ. علاوة على ذلك، فإن النسبة المئوية لاحتمالية كتابة نص بهذا الشكل كبيرةٌ جدًّا، لذا أحاول أن أملأ النص كما يفعل الصياد عندما يحاول إصابة عدة أرانب بطلقة واحدة. كانت ماروخا حليقة الرأس تمامًا، وهزيلة، بيولوجيًا كانت امرأة، ولكن في استبيان المعلومات تم الإشارة إلى جنسها أنها «امرأة ذات خصيتين»، هذا يعني أنها تعاطت هرمون التستوستيرون؛ وبهذا أصبح جسدها يحتوي على بعض العلامات الذكورية، وأصبحت جسديًّا أقوى من المرأة العادية، لكن في حالتها لم يصل الأمر إلى الشعر والصوت، على الرغم من اتساع الكتفين وامتلاكها لأرداف نحيفة، كانت على المستوى البصري امرأة لا لبس فيها.

أما بالنسبة إلى العنوان، فهذا مثير للاهتمام.

عاشت ماروخا تشو بالقرب من مقبرة المدينة المركزية (مقبرة تاماغوتشي)، أو كما يصفها الناس (حديقة التذكارات الإلكترونية الشخصية)، وهكذا تمت تسميتها رسميًّا من قِبل مكتب العمدة.

الإنسان في عصرنا الحالي وحيد، وكثيرًا ما يرغب في حفظ أجهزته الإلكترونية المفضلة على الأقل. بعد وفاة المالك تحفظ البيانات والذاكرة تلقائيًّا من الجهاز إلى النظام، وهي تكلفة رخيصة ومعقولة. لكن بالنسبة إلى الأثرياء فهناك فرصة لدفن الجهاز نفسه، علاوة على ذلك، يمكن للفريق الفني العامل بالمقابر أن يُبقي الجهازَ يعمل كالمعتاد، مقابل الدفع لهذه الخدمة الإضافية، وفي هذه الحالة يمكنك أن تُبقي هاتفك يعمل حتى بعد سنوات من موتك.

مقبرة تاماغوتشي هي حديقة خضراء مهجورة وهادئة تحتوي على شواهد القبور وعدد من الكنائس الصغيرة. الأرض هنا باهظة الثمن وتحتوي على الكثير من الأشجار، كما يقول العمدة: «العواصم هي رئتنا الثانية». نادرًا ما يتجول المتطفلون هنا؛ فهم يُجبرونهم على دفع تذكرة للزيارة بعد التأكد من عدم إفسادهم للنباتات. وغير مسموح بدخول السيارات أو طائرات الهليكوبتر أو الطائرات دون طيار. فقط الطيور وصوت موسيقى خافت (يتم تشغيل العديد من الحواسيب ومكبرات الصوت داخل الأقبية).

إنه خيار مرموق، ويدل أيضًا على الاهتمام بالبيئة للسكن على حافة هذه المقبرة.

عاشت ماروخا في أفخم بناية بمجمع سكني راقٍ؛ تمتلك شقة ثلاثية، وهي جزء من محطة طاقة حرارية قديمة، تم إعلان هذا المبنى أثرًا معماريًّا، المحصلة أنه مسكن مكلف وحديث.

يبدو أن ماروخا لم يكن لديها مانع من إشراف «SPAS» أو ربما لم تكن الخدمة متاحة بسبب تصميم المبنى، لذا -وفي بضع ثوانٍ- كنت أشاهد المستأجرة الجديدة من خلال كاميرات منزلها.

كانت ماروخا ترتدي أحزمة BDSM[1] جلدية ذات المسامير، من المثير للانتباه أنها ترتديها وهي وحدها بالمنزل! يبدو أنها حقًّا مخلِصة للفن. بالنسبة إليَّ فهي لم تكن بحاجة إلى هذا الزي؛ تلك المرأة تمتلك نظرة مهيمنة تُغني عن ارتداء أي زي! أرجو أن يغفر لي القارئ هذا التعبير، لكنّ جزءًا من عملي هو تحليل النظرات والتعبيرات البشرية.

تتكون شقتها من ثلاثة مستويات: غرفة نوم وغرفة معيشة مع مكتب وغرفة للضيوف. تتحرك ماروخا بينهم من خلال سلم حلزوني ضيق. لم أستطع الدخول إلى غرفة النوم. وهناك تلفاز، لكن بياناته أيضًا مغلقة.

لم تكن هناك أي نوافذ، حيث تم استبدال شاشات دائرية بها، أرى أن استخدامها هنا خاطئ. كما أنه تم الاحتفاظ بالسخام القديم من المبنى، أو ربما رُسم عن قصد من قِبَل مصممي الديكور، ثم تم طلاؤه بورنيش شفاف.

على الجدار عُلقت مجموعة من اللوحات التي وجدتُ صعوبة في فهمها، عبارة عن مجموعة من الخطوط الساطعة والمتداخلة وعلى الحافات توجد أشكال هندسية، والتي يمكنك بصعوبة كبيرة أن تكوّن منها شكلًا.

لم تجذب هذه الصور اهتمامي، لكن سريعًا ما توجه نظري إلى لوحة مؤطرة، موضوعة على مكتبة المالكة. كانت من الورق الحقيقي، صورة صادرة من استوديو تصوير، محمية من الأشعة فوق البنفسجية بطبقة مخصصة من الزجاج. في خلفية الصورة منظر لشاطئ تابع لإحدى الشركات، وبها خمسة

---

(1) تدل على أشكال بعض الممارسات الجنسية القائمة على لعبة دور المهيمن أو المسيطِر والمسيطَر عليه.

رجال وامرأة واحدة، جميعهم في سن الشباب، كانوا يجلسون على الرمال بجانب قارب أصفر اللون.

المرأة.. نعم، لقد كانت ماروخا، فقط كانت أصغر في السن، ولديها شعر ملون طويل يصل إلى كتفها، «الدومينيكان!» يمكنني أن أبحث عن أنماط وجوههم، ولن يكون من الصعب التعرف عليهم. بجانب الصورة الفوتوغرافية على المكتب يوجد إطار إلكتروني لصورة مجسمة (3d) لفتاة شابة ذات شعر أسود قصير ومجعد، لديها أنف مستقيم وعيون سوداء واسعة، وفي أُذنيْها حلَق ذهبي بارز.

إنها تشبه لوحة أعرفها من مومباي، أعتقد أن صاحبة الصورة كانت تُدعى «سافو[1]»، لكن من وضعية يدها في الإمساك بالكتاب والقلم فهمتُ أنه ليس مجرد تشابه؛ بل هي صورة لها بالفعل. ربما تكون هذه هي العشيقة الافتراضية لمالكة المنزل أو كما يقولون هذه الأيام: (إي تشان). خرجت سافو إلى الحديقة بعد أن بلَّلَ المطرُ الحديقةَ، رفعت رأسها وابتسمت ثم دونت شيئًا في أقراص الكتابة التي بين يديها، ثم تُكرر الصورةُ المجسمةُ نفسَها من هذه النقطة. يجب أن يكون العمل داخل هذه الصورة مرهقًا. كان هناك نقشٌ لاسم «جين» على إطار الصورة، اسم غريب لشاعرة قديمة! ربما هذه هي كُنيتها إلى جانب سافو، بحثتُ في الإطار عن أي رموز إلكترونية أُخرى، أو ربما يكون جين هو الاسم الأصلي وليس سافو، على أي حال لم تكن بالمعلومة المهمة، ربما تشير إلى ميل خاص بالسحاقيات، لكن في الحقيقة، نعم، هذا نموذج مناسب تمامًا لامرأة ذات خصيتين. في عصرنا الحالي لا داعي للتسرع بمثل هذه الاستنتاجات؛ فما زلتُ لا أعلم ماذا تفعل جين غير كونها في هذه الصورة المكررة.

كانت هناك صور أُخرى تُزين الجدران. تعرفتُ على وجه الرجل الملتحي سريعًا، لقد كان شارل ريزنيك المبرمج والمعلم المشهور من كاليفورنيا، لم أتعجب من وجود صورته هنا، كانت الصورة تُظهر ريزنيك في شكل عجوز هزيل أسود البشرة، يرتدي مئزرًا ويحمل قوسًا وسهميْن خلف ظهره. لقد رأيتُ هذه الصورة كثيرًا من قبل، إنهم يُحولون الرجل إلى أيقونة. غالبًا ما نجد عليها توقيع «لينكولن سنوب مازرفاكر (شارل ريزنيك) في كاليفورنيا 3».

---

(1) سافو: شاعرة إغريقية.

التحول العِرقي في الصور هو تقليعة هذا العصر، لكن يبدو أن ريزنيك قد بالغ في الأمر. والمشكلة الأساسية كانت في الشفة العليا التي ظهرت متضخمة أكثر من اللازم. بالإضافة إلى الجروح الكثيرة على الظهر والكتفين، لا بد أن الأمر كان مؤلمًا.

المهم، كانت ماروخا تجلس في مطبخها، كانت هناك موسيقى جميلة ومؤثرة، واحدة من المعجزات الأرثوذكسية الجديدة، أغنية أيقونية ظهرت بعد عقود وذكرت اسم المسيح الذي كان شبه منسيٍّ. غالبًا ما نسمع هذه الأغنية في كنائس موسكو، خصوصًا أيام الصوم الكبير:

الجنة..

الناصري..

أسمع الأصوات تناديني..

كان من الغريب أن تسمع ماروخا هذه الأغنية وهي وحدها بالمنزل. كنت أراقبها من كاميرا الميكروويف (بعض البلهاء لا يزالون يتساءلون عن سبب وجود كاميرا هناك) قضيتُ دقيقتين في مشاهدة ماروخا وهي تمضغ البسكويت والكرفس والروبيان النيئ مع زيت السلطعون، أدركتُ أن بقائي في هذه الحالة لن يساعد على فهمي للمزيد عن شخصيتها وروحها، لذا بدأتُ المكالمة، وهي أجابت.

كانت الشبكة جيدةً، تُظهر صوتها بوضوح، لكن مجرد صوت دون رؤية، أنا من كنت أمتلك الاثنين.

بدأتُ أنا:

- مرحبا! هذا أنا، مساعدك الجديد من قسم الشرطة.

- بورفيري بيتروفيتش؟

- نعم يا سيدتي، أنا بنفسي، أنا الآن في خدمتك.

- اتبعني، الكود الحادي عشر - اثنان وأربعون - ماروخا - فاصلة - اثنان وأربعون - إي إف.

لقد فتحَت إحدى القنوات، والقناة التي فتحتها قادت إلى.. أوه! لقد قادت مباشرة إلى «آي فاك 10»، في اللحظة التالية كنتُ مستلقيًا على السرير في

غرفة نومها. أرتدي زيًّا أرجوانيًّا باهظ الثمن، ومثبَّت بالزي لعبةٌ حميمية، رأيتُ غرفة النوم هذه المرة بعيون آي فاك. كان المكان مريحًا تُدفِئه الأشعة تحت الحمراء، كما يوجد كرسيان وصندوق نبيذ. رأيتُ الشاشة الدائرية نفسها، التي تُغطي نصف الجدار، بالإضافة إلى شاشة فيديو منفصلة، والعديد من الإطارات الصغيرة. يوجد إطار واحد كبير تظهر فيه جين/سافو التي رأيتُها في غرفة المكتب، لكن هذه المرة كانت جين ترتدي زيَّ مُضيفة أزرقَ اللون.

آي فاك في غرفة النوم من أول مقابلة، من العربة إلى الحفلة مباشرةً! لا أستطيع القول إن هذه مرَّتي الأولى في هذا الموقف، لكن -على أي حال- سوف نعرف قريبًا من هي مارا، والسوق الفني الذي تريد مساعدتي به، ومع ذلك لاحظ حدسي المتطور أمريْن غريبيْن.

أولًا: في نظام آي فاك هاجمتني خمسة برامج أمنية أو ستة، في الحال، التي نسخت جميع الأكواد والبيانات الخاصة بي، حتى إنها دخلت إلى بيانات جهات اتصالي الأخيرة وملفات تعريف الارتباط بهؤلاء الأشخاص، وهو الأمر الذي كان مهينًا إلى حدٍّ ما. في نظام كبير يحتوي على خوارزمية تتبع البيروقراطية فهذا ما يحدث عندما يريدون إخفاء شيء.

ثانيًا: كل هذا قانوني، ومع ذلك فإن جهاز آي فاك يمتلك ذاكرتين؛ مجلد داخلي ومجلد الشبكة.

تجمع الذاكرة الداخلية الممارسات الحميمية المفضَّلة للمستخدِم ويتم تحديثها باستمرار، هذا نوع من التجارب، وهو محمي حتى لا يتمكن قراصنة الشبكات من اختراقه والحصول على هذه المعلومات، التي يُمكنها تدمير حياة المستخدمين. آي فاك مكلِّف للغاية؛ لأن هذه الأسرار محمية، في حين أن ذاكرة الشبكة مجرد بوابة، يمكنك أن تجد هناك الألعاب المفضلة أو أحد المسلسلات، إنها معلومات عامة لا تختص بالعلاقات الحميمية، ويوصي الخبراء بتزويد هذا الجزء من الشبكة بالمعلومات شهريًّا حتى يظل فعّالًا. لا أحد يحتفظ بشيء شخصي في هذه المساحة لأنها تابعة للشبكة، حيث يمكن لأي أحد البحث بداخلها، إنها مجرد مكتبة، وغالبًا ما تكون ممتلئة.

سمحت لي ماروخا بالدخول إلى هذا الجزء من الشبكة بالطبع، لكنه كان فارغًا تمامًا بل وبختم الصناعة، أي إنها لم تملأ هذه المنطقة من الذاكرة على

الإطلاق. بدا هذا نوعًا من الفضيلة الرهبانية الغريبة! صحيح أنني لم أتمكن من الوصول إلى الذاكرة الداخلية، كان بإمكاني إطلاق نكتة حول عذرية الذاكرة التي وجدتُها، لكنّ هناك احتمالًا بنسبة 70 % أن ماروخا عذراء بيولوجيًا، وتعاملت فقط مع الحميمية الافتراضية، ثلاثة وستون بالمائة من العذارى البيولوجيات يجدون هذه النكات مسيئة، ثمانية عشر بالمائة يرفعون دعوى قضائية؛ لذا قررتُ عدم قول أي شيء، فُتح الباب ودخلت ماروخا تشو غرفةَ النوم.

لقد توقعتُ أنها سوف تخلع الأحزمة الجلدية التي ترتديها ونبدأ في العمل على الفور، لكن عوضًا عن ذلك جلستْ على أحد الكراسي وسحبت من الصندوق الموضوع على الأرض زجاجةَ نبيذ أحمر مصنوع في كاليفورنيا، وسكبت لنفسها نصف كأس.

يبدو أنها تريد التحدث أولًا، الآن فهمتُ أنها خجولة، كان يجب أن أبدأ الحديث، قلتُ بصوت خافت:

- إن جو الربيع رائع، ومع ذلك فإن هناك كهرباء تسري في عروقي مثل الدم الفائر.

ضحكت ماروخا وأكملت احتساء النبيذ، وقالت:

- آسفة يا بورفيري بيتروفيتش، لا أريدك أن تُسيء فهمي، ليس هذا هو هدفي، إن نظام آي فاك بلا معنى بالنسبة إليّ، أردتُ فقط أن أعرف إذا ما كنتَ تستطيع دخول ذاكرتي الداخلية. لكن الآن يمكنك العودة إلى شاشة التلفزيون.

قلتُ متذمرًا:

- لا يُسمح لي بالاطّلاع على هذه المعلومات بسبب الأدوات التي قمتِ بتثبيتها يا سيدتي؛ هناك العديد من البرامج الوقائية التي وضعتِها بنفسك، بالطبع يمكنني التعامل معها لأنني خوارزمية بوليسية، وبالنسبة إلى الآخرين، يُمكنهم أيضًا إذا كانوا يمتلكون تصريحًا قانونيًا، لكن في هذه الحالة لا يُمكن لأحد الاطّلاع عليها إلا الله.

كنتُ قد انتقلت إلى الشاشة في هذه الأثناء وأنا أنظر إليها بوجه لطيف مبتسم من خلال نافذة العرض الصغيرة، في الواقع كانت الخلفية ورائي

غامقة، وعند النظر إليها من الداخل تبدو هذه النافذة مثل زنزانة في سجن بوتيرسكايا[1]، لا يدرك الجميع المغزى وراء هذا التصميم الفريد، والحمد لله أن ماروخا أيضًا لم تفهمْه.

سمعتُ صوت ماروخا يناديني:

- هيا تعالَ، تعالَ، أنا لا أعض!

---

(1) سجن بوتيرسكايا: أكبر سجون العاصمة موسكو وبُني في القرن الثامن عشر.

صفقة خفية

وبعدها دخلت. وهذا يتضمن إغلاق شاشة الرؤية وفي اللحظة التالية تظهر الشاشة كاملة. خلعتُ القبعة والحذاء الغريب من قدمي، وقلتُ:

- تشرفت بمعرفتك يا سيدتي، لا أريد للمودة التي بيننا أن تُهدَر.

ابتسمت ماروخا وقالت:

- كم أنت بايروني! حتى إنك أفضل مما وصفه الكتالوج.
- هل قمتِ باختياري من الكتالوج يا سيدتي؟
- وماذا في ذلك! نقطة ضعفي هي الرجال الضخام ذوو الشوارب، وأفضّل أن يكونوا بايرونيين.

في أقل من ثانية كنتُ أُحلل كل النتائج الممكنة عما يمكن أن تقصده بمصطلح «البيرونزم»[1] على مواقع الإنترنت. والنتيجة لم تكن متوقعة! لم يستدعني أحدٌ يومًا طبقًا لهذه المعايير، لذا قلتُ بجفاف:

- إن شكلي الخارجي تم تصميمه ليخدم عملي؛ مهمته الأساسية هي إجبار الناس على احترام القانون ومن يعمل تحت مظلته.

أومأَت ماروخا برأسها وهي تقول:

- يبدو أنني قد تعرضتُ للإهانة للتو، إنني مصدومة وجسدي يرتجف.

بينما كانت شفتاي تتلويان باحتقار مبطن وامتعاض، كنت أفكر أنها حقًّا تريد تلك المعاملة البيرونية، وأنا بإمكاني أن أقدمها لها.

- كما فهمتُ يا سيدتي فأنا الآن مساعدك.

---

(1) البيرونزم هو اتجاه أدبي في الأدب الأوروبي في القرن التاسع عشر، ومشتق من اسم الشاعر الإنجليزي بايرون، يتميز الأبطال في هذا الاتجاه بالنظرة السوداوية للحياة.

- بالضبط. عملنا سوف يكون دقيقًا ومهمًّا؛ لذا اخترتُك (أنت) تحديدًا.

- كما تشائين يا سيدتي.

- لا داعي لكلمة سيدتي، لا ضرورة لاستخدامها، يُمكنك أن تدعوني مارا، هذا هو اسمي الحقيقي.

لقد قالت اسمها الحقيقي، على الرغم من أن هذا غير مسموح، فإنها هي من صرحت به بنفسها، وكل ما أستطيع فعله هو ترديده فقط. قلت:

- حسنًا يا مارا، لكن هكذا لا يمكننا التعامل مع كلمة (أنت)[1] منذ البداية، إنني شخص يلتزم بالقواعد القديمة ولا أستطيع استخدام كلمة أنت بهذه السرعة.

- لمَ لا تجرب؟ هيا الآن، قل: «مارا كم أنتِ رائعة»، وابتسم أيضًا.

كررتُ وراءها فورًا:

- مارا، كم أنتِ رائعة!

ظهرت على وجهها أمارات عدم الرضا، لذا وقبل أن تقول أي شيء، قمتُ بلفتةٍ بيرونية لطيفة وأظهرتُ لها ابتسامةً مشرقة. ابتسمتْ هي بدورها، وأجابت:

- أحسنتَ يا بورفيري. والآن هل لديك أي فكرة عن عملنا؟

- سوق الفن.

- نعم. وهل لديك أي خلفية عن الفن، خصوصًا الفن الحديث؟

- هو الفن الخاص بالفترة الزمنية الحالية.

- لنقل من المائة أو المائة وخمسين عامًا الفائتة.

- لأكون صادقًا، لا أعرف عنه الكثير، لكن يمكنني أن أجمع المعلومات المطلوبة في دقيقة واحدة.

---

(1) آداب الحديث الروسية لا تستخدم صيغة أنت إلا بين الأصدقاء أو المعارف، ولا تُستخدم في اللقاء الأول أو الرسميات.

- من الأفضل إذًا أن تسمع هذا مني، لكي تعرف رؤيتي أنا. لكن أولًا: اجلس؛ من الصعب شرح بعض الأشياء التي تستغرق وقتًا، بينما الطرف الثاني يقف على قدميه.

عدلتُ من وضعي خلال لحظة وانتقلتُ إلى مكتب العمل، كانت هي تنظر إلى صورة القيصر باستهزاء، ولم تقل شيئًا، ولقد كانت محقةً في هذه النظرة.

- إذًا يا بورفيري، لا يمكن تعريف الفن المعاصر؛ بل يمكن وصفه فقط. ويتم هذا الوصف حسب حاجتنا وأهدافنا منه. وهذا الوصف يمكن أن يكون متنوعًا ومختلفًا للغاية. لن أدخل في تفاصيل النظرية بل سوف أخبرك بما يهمني شخصيًّا.

قطبتُ حاجبيَّ ورسمتُ على وجهي علامات محاولة الفهم.

- من منظوري، فإن الفن هو أحد أشكال تصوير الحدث، وله أقطاب متعددة. هناك نيات الشباب صغير السن الطائش الممتعة، تلك التي تهدف إلى إجبار هذا العالم الجدي على الضحك والاستمتاع، الاستمتاع أو جمع المال أحيانًا. أما الآخرون: رجال الأعمال وأصحاب المشاريع، المحترفون في غسل الأدمغة، الذين يحاولون صنع أدوات استثمارية جديدة.

بدأتْ بتحريك القلم على الورقة أمامي، غالبًا ما تساعد هذه الحركة الناسَ على التركز في أثناء الاستجواب.

- القطب الأول -الشباب اليافع- دائمًا يكون لطيفًا ومشرقًا، والثاني -حيث عالم الأعمال- دائمًا ما يكون مثيرًا للاشمئزاز. بالطبع باستثناء بعض الحالات؛ عندما تخرج الأعمال عفويةً ومبهجةً، وهذا يحدث كثيرًا. وفي العادة تتلخص استراتيجية القطب الأول الشبابي في الدخول والاختراق التدريجي للقطب الثاني. أما استراتيجية القطب الثاني من الرجال المسنين المهيمنين على هذا القطاع، فهي الحفاظ على مكانتهم لأطول فترة ممكنة.

هززتُ رأسي ورسمتُ على الورقة كيوبيد وهو يحمل قوسًا وسهمًا، ربما يمكن استخدام القوس والسهم لممارسة الحميمية؛ هكذا أكون قد كونتُ لوحةً مكتملة الأركان.

هل يمكن أن ينجح آي فاك أو بورفيري بيتروفيتش في هذا المجال، أم أنه لن تتم دعوتي؟

تابعت مارا:

- إنه أمر مثير للاهتمام، هذا الواقع الذي صُنع بالصدفة من خلال القطب الأول، أصبح أداةَ استثمار أكثر جدية ونجاحًا من تلك المؤسسات التي تم إنشاؤها خِصِّيصَى لهذا. والقطب الثاني يحاول بكل قوة أن يحاكي الأعمال الشبابية من القطب الأول، لكن هذا القطب الأول لا يزال يعمل تحت رحمة القطب الثاني. هذه الديناميكيات المعقدة المتغلغلة داخل نظام خفيٍّ ومتبادَل، هي الروح الحية لسوق الفن المعاصر، فضلًا عن جوهره وأسراره. هل تفهمني؟

أجبتها سريعًا:

- نعم فهمت. عملية الفهم لا تتطلب الكثير.

- في هذه الحالة، يجب أن يكون لديك سؤال.

- حقًّا؟

- نعم، إذا كنتَ قد فهمتَ، فيجب أن يكون لديك أسئلة.

كنتُ أود أن أشرح لها هذا التعبير، لكنني لم أفعل.

كلمة «فهمت» هي تعبير عن إدراك المجمَل العام للفكرة، وتعني شيئًا مثل: «لقد قمتُ بتحليل المادة اللغوية، وحددت النية الدلالية، ثم أنشأتُ نسخًا متماثلة ومتماسكة لتدعم الشكل النهائي للمحادثة»، لكن هذا لن يعزز الثقة المتبادَلة بيننا. لذا عوضًا عن هذا، رمشتُ بغباء وقلت:

- أي سؤال؟

قالت مارا:

- إذًا مَن يكون هو المُحكَّم هنا؟

- المدعي؟

ضحكت مارا وقالت:

- في عالم الفن لا يوجد مدعٍ عام، لمعلوماتك!

- حسنًا، إذًا ومن هو المحكم؟

- دعني أشرح بمثال من مجال اختصاصي. لننظر إلى نهاية القرن الماضي، الواقعية الاشتراكية[1] كما نطلق عليها اليوم. فنان شاب وعصري من سانت بطرسبرغ يجلس برفقة بعض الأصدقاء، بعد أن دخن بعض الأعشاب المخدرة، يذهب إلى سلة القمامة ويُخرج قطعة حديدية لامعة، ربما هي جزء من مقود دراجة أو بقايا أسطوانة معدنية، يرفعها فوق رأسه ويقول لأصدقائه: «انظروا يا رفاق، إنه رهان، أستطيع أن أبيع قطعة المعدن هذه غدًا بعشرة آلاف دولار»، ثم يذهب ويبيع القطعة ويحصل على الدولارات. السؤال هو مَن يحكُم على الخردة الحديدية بأنها قطعة فنيَّةٌ تساوي عشرة آلاف دولار؟

- الفنان؟

ثم تداركتُ الأمر سريعًا، وقلت:

- أو ربما من اشتراها!

- بالضبط! إنك سريع البديهة. هذا تقييم المشتري؛ لأنه من دونه سوف ينضم هذا الفنان إلى حشد من الصعاليك الجياع. سوف يصيح البعض قائلين أن هذا ليس فنًّا ولكن مجرد قطعة من الحديد أخرجها من كومة قمامة، وسيقولون أيضًا أن الفنان مختل وأنه يتقاضى أجره من المختلين الأثرياء. سوف يقولون أن هذا يحدث داخل نظام البيريسترويكا[2] الذي تستثمره وكالة المخابرات المركزية في شتى المجالات، وأيضًا من أجل رفع مكانتهم الاجتماعية بين الشباب، وكانت المحصلة النهائية لهذا النظام هو انهيار الاتحاد السوفيتي، لذلك تم دفع عشرة آلاف دولار لشخص أحمق من أجل خردة من القمامة. بشكل عام، سيقولون العديد من الأشياء، وسوف تظهر العديد من التبريرات، وبالطبع هناك بعض الحقائق داخل هذه الهجمات، لكن قبل تنفيذ عملية البيع تُعد كلها ثرثرة فارغة، وبعدها تصبح انعكاسًا للحقيقة.

---

(1) الواقعية الاشتراكية اتجاه فني ظهر في ثلاثينيات القرن العشرين، ويركز على دور الفقراء والطبقة الكادحة.

(2) نظام إعادة الهيكلة في الاتحاد السوفيتي، الذي يهدف إلى إعادة بناء اقتصاد الدولة.

السر القذر للفن المعاصر هو: مَن الذي يمنح أو لا يمنح القطعةَ الحقَّ في الوجود؟ يجب أن يحصل الفنان على موافقة رسمية من أولئك الذين يعملون كوسطاء فنيين بين الفنان والمشتري، الناس مثلي، النخبة الفنية التي تُقرر ما إذا كانت ستعد قطعة الحديد قمامةً أم لا.

- لكن لطالما كان الأمر يسير بهذه الطريقة. فكرة الفن ورأس المال. «رامبرانت» -على ما أعتقد- و «تيتيان» أيضًا، لقد باعا لوحاتهما، ولهذا استطاعا أن يرسما مرةً تلو الأُخرى.

أجابت مارا:

- ليس دائمًا، عندما رسم الرجل البدائي صورة الثور لأول مرة على جدران الكهوف، تعرف الصيادون على الرسم، وشاركوا الرجل البدائي في اللحم. وعندما كان رامبرانت أو تيتيان يعرضان لوحاتهما لعميل محتمَل، لم يكن هناك من يقيِّم العمل في هذا الوقت. كل مالك أو تاجر ثري هو ناقد فني بذاته. قيمة القطعة يتم تحديدها من خلال التأثير المباشر الذي تتركه على المشتري، وتجعله جاهزًا للدفع. يرى البائع صورة مذهلة تشبهه تمامًا، أو يرى امرأة ترتدي رداء ورديًّا تُشبه زوجته. كانت هذه معجزة، لقد تعجبوا ولم يحتاجوا حتى إلى التعليق، وانتشرت الشائعات حول هذه المعجزة. لم يصل الفن إلى موضوعاته بلا عناء، بل كان يمثل نفسه كوسيط لديه الحق في نقل صورة شخص حي، الفن لم يكن بحاجة إلى العودة إلى فن العصور القديمة التي تمثل الحياة الطبيعية. هل تفهم؟

هززتُ رأسي بعدم ثقة.

- الفن المعاصر بمفهومه العام، بدأ عندما توقفنا عن تصوير الطبيعة والأشياء الواضحة. خلال المائة والخمسين عامًا السابقة، كان الاتجاه الفني الرئيسي يركز على تمثيل ما هو غير ملموس، لذا فإن الفن أحيانًا ما يُمثل نفسه، هل فهمت؟

- هذا غريب بعض الشيء. ربما إذا ألقيتُ نظرة على شبكة الإنترنت و...

- لا، ليس ضروريًّا، لن تجد إلا الهراء. استمع إليَّ، وسوف أشرح بأبسط طريقة ممكنة. إذا ذهب مُشترٍ إلى فنان يعمل على تحفة جديدة، لن

يرى وجهه ولن يرى سيدة ترتدي زيًّا ورديًّا وتُشبه زوجته. لكن سوف يرى هناك...

صمتت مارا للحظة وفكرت، ثم أكملت:

- ربما يجد صورة مرتجلة للبنة برتقالية كبيرة، وتحتها لبنة حمراء، وأسفلها قرميد أصفر. لن يطلقوا عليها اسم «إشارة مرور في الضباب» لأن هذا بسيط جدًّا. بل سوف يسمونها «برتقالي، أحمر، أصفر». وعندما يُقال للمشتري إن هذه الإشارة الضبابية تساوي ثمانين مليونًا، فمن الضروري أن يقف العديد من الأشخاص المهمين والمشاهير المحترمين حول اللوحة يهزون رأسهم في اهتمام، لأن هذه المرة لن يستطيع المشتري الاعتماد على مشاعره وأفكاره للحصول على اللوحة. الوضع الثقافي يمنح الناقد الفني دورَ المُحكم، وهذا أمر خطير للغاية؛ لأن العمل المعروض -بنسبة كبيرة- سوف يتم شراؤه بهذا المبلغ الذي قاله الناقد.

سألتُ:

- وهل يقبل المشتري بهذا السعر؟

أومأت مارا برأسها:

- مع الصورة التي أتحدث عنها، حدث هذا مرات عديدة.

- كيف ينشأ هذا الحكم؟

ضحكت مارا ثم قالت:

- هذا السؤال لا يساوي 80 بل يساوي 100 مليون. يقضي الناس حياتهم للحصول على قدرة التحكيم، وهم أنفسهم لا يفهمون الكيفية. ينشأ الحكم نتيجةً للحركة البراونية للعقول والإرادة المشاركة في الفن المعاصر حول رأس المال الاستثماري، والذي بطبيعة الحال يملك الكلمة الأخيرة في البيع والشراء، ولكن إذا كنتَ تريد إجابة قصيرة وبسيطة، فيمكننا صياغتها بهذا الشكل: فن اليوم هو اتفاق ضمني بين الأطراف، هذا هو مصدر الحكم.

أكملتُ أنا قائلًا:

- لكن هذا ليس بمصطلح قانوني، ربما من الأفضل أن نقول إنها «صفقة خفية».

- يمكنك أن تقول ما تشاء يا بورفيري. لكن شروط النقد الفني يجب أن تكون متفقة مع أحكام رأس المال، مثل لوحة الحجارة الملونة. عندها فقط سوف تعني هذه الأحجار شيئًا ما، ويمكننا أن نبدأ في البحث عن معانيها المحتملة. بالمناسبة، تحدث سارتر عن «صفقة الفن»، وهو أحد التصريحات القليلة الواضحة في مجال الفن، تم شراء أعمال سارتر بثمن باهظ، لذا عندما أُردد هذه الكلمات عنه يجب أن أراعي الأحكام عن فن سارتر وأعماله بجدية. لكن عندما يتحدث بورفيري بيتروفيتش عن «الصفقة الخفية»، فهذا مجرد هراء، ولن يكرر أحد كلماتك هذه.

- لكن ها أنتِ ذي كررتِ جملتي الآن.

- نعم، لأغراض تعليمية، لكن لن أضعها في أثناء كتابة بحث، ولن أضع مقولة سارتر أيضًا، لأن الطريقة الوحيدة للحصول على التقدير والمال في مهنتي هو التمسك بالأحكام القديمة التي أصدرها النقاد، هذه هي الطريقة التي تدعم بها الصفقة الفنية نفسها وجميع الصفقات الأخرى.

- تبدو مثل قصة مساندة الكاربوناري.

- حسنًا، يبدو أنك فهمتَ الفكرة، أي عمل إبداعي لفنان معاصر عازم على البقاء في سوق الفن، هو بمنزلة طلب ليصبح طرفًا في هذه الصفقة، وتتحول جميع أعماله لطلبات التحاق مطبوعة بخطوط وأشكال مختلفة. هذا الطريق المتعرج والنتن يجتذب الشباب المبتهجين من القطب الأول للفن، ويجعلهم يفقدون شعرهم وأسنانهم على طول الرحلة، وهم يسيرون تحت عباءة القطب الثاني المثير للاشمئزاز. بالمناسبة، غالبًا ما ينجح واحد من الألف، بينما يظل الباقون يخسرون حتى يشيب شعرهم. في القطب الأول تتفتح أزهار جديدة دوريًّا، يبقون لمدة عام أو عامين، ويقومون بإمدادنا بفن جيد ودافئ، ثم يتلاشون ويتساقطون، وتظهر أزهار جديدة لتُعيد الكَرة نفسها. لكن ذلك كان قبل 100 عام يا بورفيري، هكذا كان الوضع منذ فترة طويلة. فقدَ الفن سحره منذ فترة طويلة، واليوم كنت أنت على حق في وصفها بالصفقة.

- صفقة مَن ومع مَن؟

- هذا ليس واضحًا دائمًا. غالبًا ما يُضطر المشاركون في الصفقة إلى الارتجال. يمكننا القول أن الحداثة والتطور يولدان من قلب هذا الغموض.

لويت شاربي وأنا أقول:

- نعم، لكن إذا كان هناك من يفهم الفن الحديث ولا يشارك في هذه الصفقات، فلم لا يخرج ويفضح هذه الممارسات؟

ضحكت مارا قائلة:

- يبدو أنك لم تفهم أي شيء يا بورفيري.

- لماذا؟

- من المستحيل فهم الفن المعاصر دون المشاركة في هذه الصفقة؛ يجب أن ترتدي نظارات المشاركين من أجل اكتشاف الفن، دون النظارات سوف تشاهد حالة من الفوضى، وسوف يشعر قلبك بالخواء والخداع. لكن إذا شاركت في الصفقة، فإن الخداع ذاته يتحول إلى لعبة، لأن الفنان الذي يقف على خشبة المسرح لا يكذب عندما يقول أنه تشيتشكوف[1]. إذًا ماذا تتوقع من ناقد يتلقى أجره من خلال هذا الوسط؟ هل تفهم؟

قلت:

- تقريبًا. لن أقول إن الأفكار عميقة، لكن يمكنني مواكبة الحديث.

- الآن بورفيري، يجب أن يكون لديك سؤال آخر.

- في الحقيقة نعم. لماذا؟

- تقصد لماذا أشرح لك كل هذا؟

- نعم.

- حتى لا تفاجأ بما تراه عندما نبدأ العمل. سوف نتعامل مع أشياء باهظة الثمن، وقد يبدو الأمر غريبًا بالنسبة إليك أن نسخة إلكترونية من بعض الأوراق أو فيديو مركب من مواد مفتوحة المصدر، يتم التعامل معها كقطعة فنية فريدة، وبيعها بمبلغ طائل من المال. لكن صدقني هذا هو

(1) الشخصية الرئيسية في رواية الأنفس الميتة لجوجول.

نفس الوضع مع لوحة «برتقالي، أحمر، أصفر»، إذا نظرتَ إليها ورأيتَ إشارة مرور في الضباب، فأنت «شخص عادي»، بغض النظر عن مدى اقتناعك بفكر الأشخاص العاديين. تذكر الفكرة الرئيسية: القطع الفنية التي تتعامل معها لا تحتاج إلى حكمك الخاص.

- لن يتم الأخذ برأي بأي شكل من الأشكال؟

تنهدت مارا وهي تقول:

- بورفيري، هل خرجت للعالم بالصيغة التي أنشئتَ بها أول مرة؟ لم تمر على خبير ليفحص إذا كنتَ جاهزًا للبيع؟

سألتُ بريبة:

- هل يوجد خبير فحص إذًا؟

ابتسمت مارا وأكملت:

- عملية الفحص خَطِرة وجادة للغاية. تُجريها الوكالة الأكثر ثقة في عالمنا الحديث. وهذا المصدر لا يُفصح عن نفسه أبدًا. وليس هناك من يحتاج أن يعرف من هو.

- حسنًا بدأت الصورة تتشكل في ذهني. وما هذه القطع الفنية باهظة الثمن؟

قالت مارا على الفور:

- الجبس.

هنا كانت المرة الأولى التي تنطق فيها هذه الكلمة، وتحديدًا هنا.

جبس

سألتها:

- جبس؟ وماذا يعني الجبس؟

- الجبس هو أحد مصطلحاتنا الفنية، ورسميًّا نقول «عصر الجبس».

- وما هو عصر الجبس؟ أهي فترة زمنية؟

- نوعًا ما، هو نموذج مرتبط بفترة تاريخية. لا نستطيع أن نقول أن كل القطع الفنية في هذا الوقت كانت من الجبس. لكن إذا حسبنا من بداية هذا القرن وحتى نحو خمسة وعشرين عامًا أو ثلاثين عامًا بالنسبة إلى الرقعة الجغرافية المستهدفة، وهي روسيا وأوروبا وأمريكا والصين، يمكننا الملاحظة بسهولة أن أكثر العناصر الفنية تفردًا وتميزًا قبل هذا التوقيت وبعده كانت كلها من الجبس. لكن -بالطبع- النقاد البارزين يحتاجون إلى التصديق على هذه المعلومات لتصبح رسمية.

- وما فائدة هذا الجبس؟ ما الذي يجعله بهذه الروعة؟

- السبب الرئيسي هو تكلفته، يتم تثمين الجبس بسعر أعلى مما يساوي نفق البلطيق[1] من منظور الواقعية الاشتراكية القديمة بالطبع، لذا يُعد هذا النوع من الفن نادرًا ومكلفًا.

- كم تكلفته؟

- هذا يختلف بالطبع. لكن عادة ما تكون صفقاته بالملايين.

- واو! لكن لماذا يُسمَّى الجبس، هل هو نوع من منتجات الجبس فعلًا؟ تماثيل؟

ضحكت مارا:

---

(1) نفق سيارات داخل العاصمة موسكو.

- أنت تشبه العذراوات يا بورفيري. كم أنت ساذج! ربما أقع في حبك الآن. كتبت ديلونا فيدروفا مقالًا بعنوان: «إصلاح بالجبس»، ومن هناك بحسب كلام فيدروفا كان الإصلاح المضاد بالجبس هو آخر محاولة كرد فعل للعالم لبث الحياة في الأشكال القديمة وإحيائها وإعادة الخلق من خلالها، كما تم تكوين فرانكنشتاين من بقايا الجثث. وهنا نتحدث عن بقايا ثقافة مبنية على القيم شبه الدينية للعائلة في العصور القديمة، وتصورات جنسية من شتى أنحاء العالم.

- لكن لماذا الجبس تحديدًا؟

- تخيل أن هناك شاحنة صدمت الإله؟

سألتُ مندهشًا:

- الإله؟ شاحنة!

- فيدروفا أرادت إعادة استخدام أفكار نيتشه. آسفة لم أقصد أن أجرح مشاعرك الدينية، أعلم أن هذه القيم جزء من نظامك. المهم، الإله أو البطريرك أو الملك أو النبي، كلهم في شخصية واحدة وهي الأب، الذي في النهاية كُسِرت كل عظامه ومات. يجب أن يُدفن في أسرع وقت ممكن. كيف يتم ذلك؟ يقول بلوك: «منتفخو البطون التافهون يُبجلون بشراسة ذكرى الجثة العزيزة هنا وهناك»[1] وهكذا من أجل إطالة أمد أرواحهم التافهة في المستقبل، يقرر منتفخو البطون أن الإله يتعافى، وما علينا سوى وضعه داخل تابوت، وبعد عدة سنوات، خمسة أو عشرة أو عشرين، سوف يتخلصون من الجثة وينحتون تابوتًا من الجبس حول جثة خيالية، ويضعون حراسًا مسلحين لحمايته، وبهذا يحاولون تجميد الوقت لصالحها، فن الجبس هو فن يحاول تحطيم هذا التابوت بمطرقة افتراضية. أو على العكس تحاول جعلها أقوى، حدث هذا في جميع أنحاء العالم تقريبًا واتخذ أكثر الأشكال تنوعًا.

- وكيف انتهى الأمر؟

- هل تمزح؟

(1) مقطع من قصيدة هذيان روسي للشاعر أليكساندر بلوك.

- لا، أنا أعمل، لقد انتهى عصر الجبس، أليس كذلك؟

- نعم.

- هل تعافى الإله داخل التابوت؟

ابتسمت مارا بصبر، وقالت:

- من الصعب أن نقول هذا.

- لماذا؟

- لأنهم نسوا أمر التابوت.

- لماذا نسوه؟

- لأن هذا ما تؤول إليه الأمور.

- آه! إذًا وماذا حدث بعد انتهاء عصر الجبس؟

- لا أعرف يا بورفيري، بالنسبة إلى العصر الحالي ما زلنا ننتظر مقال فيدروفا القادم. لكن النموذج الثقافي الحالي عادة ما يُسمى «النفاق الجديد». لقد مات فن الجبس مع بقايا الحرية. إذا بحثتَ لن تجد أن هذا كلامي، بل كلام فيدروفا عن الحرية. بشكل عام، فإن هذه الموضوعات صعبة بالنسبة إلى الشخص العادي لأنه ومنذ انتهاء الجبس في باريس، تغيرت معاني بعض الكلمات، إذا كنتَ تحاول البحث على الإنترنت قبل هذا التاريخ فلن تجد الكثير.

- كيف تغير معنى الكلمات؟ هل هذا مثل تشابه الطاولة والكرسي؟ أم العكس؟ هل يمكنك إعطائي مثالًا؟

أجابت مارا:

- نعم بالطبع يمكن. حسنًا، من أهم مفاهيم عصر الجبس «الروسي الأوروبي» هل تعلم ما هذا؟

بدأتُ أبحث على شبكة الإنترنت.

- وجدتُه، «الروسي الأوروبي» نوع من كلاب الحراسة كثيفة الشعر، مشهورة بين العجائز الألمانيات والفرنسيات القدامى. يمكنه تحمل البرد، ويستخدم أحيانًا في قوات حراسة على الحدود مع دولة الخلافة.

قالت مارا:

- هذا يكفي. حتى قبل زمن الخلافة، كانت هذه الصفة تعني أن الإنسان متمسك بالقيم الإنسانية والأعراف. ولكن الآن لا يمكن إيجاد هذه المعلومات إلا من الملاحظات الهامشية في بعض الدراسات. لكن إذا بحثتَ عنها مباشرةً على الإنترنت فلن تقابل إلا الكلاب اللطيفة. كما رأيتَ بنفسك للتو. لذا من الأفضل أن تستمع إليَّ.

- حسنًا. سأستمع إلى الأجزاء الخاصة بالمصطلحات المتخصصة، أعتقد أنني فهمتها منك. لكن لماذا الجبس باهظ الثمن؟

أجابت مارا:

- حتى غالبية نقاد الفن أنفسهم لا يفهمون هذا الأمر. على الرغم من ذلك تجد الجميع يشرحون أسبابًا مختلفة.

سألتها:

- لكن أنت تفهمين، أليس كذلك؟

ابتسمت مارا وأجابت:

- نعم، أنا أستطيع أن أشرح.

كانت ابتسامتها تبدو وكأنها خرجت من جهازها الحوفي من الدماغ مباشرة. ابتسامة واسعة وصادقة، من الناحية النظرية يجب أن تكون ذات مصداقية، لكن لسبب ما لم تُكمل كلامها، لذا عدتُ وسألتها مرة أخرى:

- هل سوف تشرحين؟

- كما أخبرتك أن عصر الجبس هو آخر العصور الفنية في تاريخ البشرية. عندما بدأ الفنان الــ.. لا، عندما كان الفنان لا يزال يدّعي بشكل مقنع أن عمله يغذي الصراع بين الحرية والعبودية، والحقيقة والكذب، والخير والشر، يمكنك أن تطلق على هذه التناقضات ما تشاء، لكنها كانت الموجة الأخيرة من الفن في إشارة إلى ثورة قادمة، وهُم مغناطيس هذه الثورة، وهو ما يجعل الفنان دائمًا لا يُقهر.. هل أنا واضحة؟

سألتها بفضول:

- ألا يمكن العودة إلى الثورة؟ إنهم يشيرون دائمًا في الإعلانات أن كل جهاز آي فاك هو ثورة جديدة.

أجابت مارا:

- الآن يتم استخدام كلمة الثورة كمجاز للتقدم التكنولوجي. لكن لا يمكن للمرء أن يستخدم هذه الكلمة بوصفها انتفاضةً ضد الظلم. ليس لأنهم سوف يُعتقلون، على الرغم من أن هذا صحيح بالفعل، ولكن في هذا العصر يصعب إيجاد المتمردين من الأساس! في العالم الحديث لا يوجد مصدر واضح للاضطهاد، لقد كان هناك التابوت المكروه في السابق، وقد كان هذا التابوت يمثل أغلال الشعوب، كما تقول فيدروفا. ولكن حتى في ذلك الوقت ومع النداءات المتكررة للعاصفة القادمة، ظهرت العديد من الصعوبات في استخدام مادة الجبس، والتي قضت على مكانة المادة في النهاية.

سألتها مجددًا:

- أي نوع من الصعوبات؟

- ربما عليك أن تكون متخصصًا تاريخيًّا لكي تفهم. من الصعب أن تقف وتغني للثورة بينما وكالة المخابرات المركزية ووزارة الداخلية تقفان بتحفز في زاوية الغرفة. يمكنك أن تجرب، لكن بعدها لن تصبح فنانًا، لن تصبح أي شيء! أما بالنسبة إلى موضوع الخير والشر، فقد بدأت المشكلات كلها من الخير، حتى إنه في وقت ما أصبح الناس أكثر سعادة بانضمامهم رسميًّا إلى جانب الشر لتجنب مشكلات الخير!

قلت وأنا أهز رأسي:

- نعم، أفهم.

- والأهم من ذلك، أن الجدال مع الآخرين أصبح أكثر خطورة بالتدريج، وبلا معنى، لأن نماذج الخير المقبولة عمومًا في الماضي كانت تتفكك بسب قوى التقدم. وهكذا عض هذا التقدم كل رد فعل متحضر بأسنان سامة. المُثل العليا تحطمت إلى أجزاء صغيرة. نعم، إن التقدم قادر

على فعل كل ذلك. وبشكل عام، يمكننا القول أن هذا بدأ في زمننا الحالي.

- أي أن فن عصر الجبس هو -إذا جاز التعبير- آخر موجة من الفن الثوري؟

- حسنًا، نعم، يمكننا القول، تقريبًا. وفقًا لفيدروفا أيضًا فإن الرابط بينه وبين الانتفاضة أو الثورة هنا رمزي فقط، كما لو كان مجرد انعكاس أخير للصدق على نافذة على وشك أن تُغلق إلى الأبد؛ لذلك أحيانًا ما يطلق على الجبس لفظُ (النبض الأخير).

توقفتُ مؤقتًا لمدة اثنتي عشرة ثانية لكي أستوعب المعلومات التي تلقيتُها، ثم سألتُ:

- وما الشيء الحيوي حول الجبس؟

تنهدت مارا وبدت وكأنها سئمت من عدم فهمي.

- في نهايته كان آخر من استخدمه يتميزون بالحيوية والنضارة، وهؤلاء كانوا آخر النابضين في التاريخ الثقافي. وهذا بسبب اختفاء الضوء أو الإلهام، لكنهم كانوا آخر من شاهدوا الضوء في مجتمع من المكفوفين، صورة ضوئية.

- كيف يمكن أن تكون صورة ضوئية؟

- المستحيل هو جوهر الجبس، وما يجعله فريدًا ومتميزًا، هو ليس مكملًا للضوء نفسه، ولكن هو إثبات أن الضوء كان موجودًا في يوم من الأيام. ومنذ ذلك الحين ونحن نتعامل مع نسخ منسوخة وانعكاسات للانعكاسات. ولا تنسَ أيضًا أن في هذه الأزمنة كان الناس يمارسون الحب جسديًا في أغلب الأوقات. كان هذا معيارًا اجتماعيًا مقبولًا في كل مكان في العالم عدا اليابان. في الحقيقة، إذا تشبعت بالمعلومات عن هذه الفترة التاريخية فسوف تشعر بالوخز، عندما تلاحظ أن هناك بعض الأشياء انتقلت من هذا العصر من خلال أعمال الجبس.

- إذًا فإن هذه المبالغ تُدفع مقابل هذا الجزء من الذاكرة؟

أومأت مارا برأسها.

- يشعر الخبراء بالجبس على الفور. ولن أشرح لك أي شيء آخر يا بورفيري. أنت نفسك سترى كل شيء مع الأمثلة. ما ستعمل به هو الجبس بحرف «ج» كبير.

قلتُ:

- حسنًا. وما طبيعة عملي بالضبط؟

- وأخيرًا وصلنا إلى الجزء الرئيسي. أنا -كما خمنتَ على الأرجح- متخصصة في الجبس، لقد ألفت كتابين حوله وحاليًا بصدد كتابة الثالث.

- يبدو أن الكتابة تحقق لك دخلًا كبيرًا.

ابتسمت مارا وقالت:

- لا أكسب من الكتب بشكل أساسي، بل من الاستشارات. أحصل على عمولات ضخمة من المبيعات باهظة الثمن. والكتب تساعد بشكل واضح لوضعي في الصورة، ولتتم دعوتي لهذه الاستشارات.

- آه!

- ولكن بصرف النظر عن الكتب -وهذا أكثر أهمية- يجب أن أكون على دراية بكل ما يحدث في المحيط. أنا بحاجة إلى امتلاك جميع المعلومات. ما تم بيعه بالضبط والسعر الذي بيع به. لكي تكون مساعدًا في سوق الفن، عليك أن تدرس حركة الأسعار وتحديد التكلفة، عليك أن تعرف بالتفصيل كيف ينمو الجبس في الحديقة!

رددت وراءها:

- ينمو في الحديقة، استعارة جميلة!

- حسنًا، المُهم إنني الناقدة المتخصصة هنا، ويمكنك فهم وظيفتك مثل السكرتارية، أو ربما قد تكون محققًا. حاليًا أقوم بالبحث عما يُسمى بالجبس المخفي، وسوف تساعدني في إيجاده.

- لماذا يُسمَّى بالمخفي؟

- لأن القطع الفنية التي سوف نعمل عليها لم تكُن معروفةً من قبل للجمهور ولا النقاد أيضًا، ولم تظهر في السوق إلا مؤخرًا. لكنها

حقيقية، وهذا شيء مؤكد يا بورفيري، لقد تم فحص هذه القطع من قِبل العديد من الجهات الموثوقة في العالم، وإلا لما جاز لأحد شراؤها.

- وماذا عليّ أن أفعل؟ هل أكتشف من باعها؟

ضحكت مارا وأكملت:

- إن حماسك مُرضٍ. لكنني أخشى أن مثل هذه المَهمة لن تكون من اختصاصك. هذه سوق مغلقة إلى حدٍّ ما. يتم الإشراف عليها من قبل مكاتب المحاماة الجادة التي تتقاضى نسبة مئوية من مبلغ المعاملة مقابل خدماتها. وكقاعدة عامة، لا يستطيع البائع الاعتراض ولا حتى المشتري.

- فكيف يشتري بعض الناس من الآخرين؟

- هناك وسطاء على الجانبين. إنهم يحافظون على سرية استثمارات الآخرين؛ لذا فهم لا يحتاجون إلى مزادات علنية. هؤلاء الناس لا يجذبون الانتباه إلى أنفسهم يا بورفيري.

قلتُ معقبًا:

- مثير للاهتمام!

أجابت مارا:

- سيكون الأمر أكثر إثارة للاهتمام، بطبيعة الحال لدي الكثير من المخبرين في هذه الدوائر. عندما تكون هناك صفقة بيع كبيرة يتم إبلاغي، حتى لو لم أكن مهتمة بصفتي خبيرةً، لكن هؤلاء المخبرين يعطونني معلومات جزئية.

أولًا: أعلم أن هناك عملية قد تمت فهذا مجال عملي، ثانيًا: رقم العملية، وهي بعض المعلومات الداخلية. ثالثًا: اسم العميل المشتري وهو أهم شيء، ورابعًا: سعر الصفقة. لكن هذا العنصر الأخير لا يمكنني دائمًا الوصول إليه.

- لكن المهم بالنسبة إليك أن تعرفي الأغراض التي تم بيعها وشراؤها، أليس كذلك؟

هزت مارا رأسها إلى اليمين واليسار:

- في بعض الأحيان لا يمكن.

- لكن كيف؟

- بورفيري، يمكن أن تكون القطعة في الفن الحديث ذات تسمية واحدة محددة. ويمكن أيضًا أن تكون معقدة للغاية. من الصعب أن تعرف ما هو الغرض المباع إلا إذا كنتَ المشتري نفسه. يمكن أن يكون الغرض الفني ملفًّا إلكترونيًّا منسوخًا، أو ملفًّا غير قابل للنسخ، أو قد تكون القطعة ماديةً، وهكذا.. وفي بعض الأحيان يكفي وصف الغرض المستهدف لبدء عملية التداول، ثم بعد ذلك يتم الاحتفاظ بماهية هذا الغرض في سرية تامة. ولكن يحدث أيضًا أنه من المهم أن يكون اسم المشتري الذي تصبح القطعة الفنية ملكه معروفًا، وهذا يحدث دائمًا بسبب الشركات التي تريد أن ترتفع مكانتها. هناك بعض الاستثناءات، لكن بشكل عام، لا يتم الكشف عن طبيعة القطعة الفنية المباعة.

- وتريدين مني معرفة ماهية هذه القطع.

أومأت مارا:

- بالضبط. باستخدام مهاراتك، أريد أن تصل إلى مكاتب العملاء النهائيين، وتحدد ما اشتروه بالضبط. وإذا أمكن قم باستنساخ كل المعلومات التي تجدها، المعلومات على هذا المستوى من السرية لن تبقى مكانها لفترة طويلة، كما أننا لا نعرف أين يمكننا أن نجدها مرة أخرى.

سألتها:

- وما رأي القانون في هذه المسائل؟

ابتسمت مارا.

- طبيعي، أنا لا أطلب أن تخترق أسرار صفقة شخص آخر. أنا فقط أعطيك اسم مؤسسة أو شخص ما، لتكتشف لي بعض التفاصيل المتعلقة بمجموعته الفنية. يمكنك أن تُعدها وظيفةً عادية لمخبر خاص؛ تدخل على الإنترنت وتفحص المدونة.

- بهذه الطريقة أعتقد أنه يمكنني القيام بهذه المهمة. لكن علينا أن نتوخى الحذر.

قالت مارا:

- نعم، عليك أن تكون حذرًا. إذًا هل نبدأ باختبار صغير؟ إذًا فهمت ما يجب أن تفعله؟
- فهمت.
- القطعة الأولى تُسمى الشحنة 322.
- وجدتُها.
- رائع! هل ترى الاسم والعنوان وتاريخ الشراء؟
- نعم، كل شيء. متى يمكنني أن أبدأ؟
- في الحال. قدم لي غدًا تقريرًا عن هذه الشحنة.
- بكل سرور.
- بعد أن تنتهي من التقرير، لدي طلب شخصي.
- ما هو؟
- استبدل بسوالفك سوالفَ خضراء غدًا.

أوبر ا (زيكا)

المصارع الذي أعطتني مارا بياناته هو مصارع فنون قتالية مختلفة، يُدعى سيمون بولوتسكي. ثم الكثير والكثير من المعلومات المكررة.

خلال ثانيتين كنتُ أنطلق في أوبر، في الحقيقة ليس إلى سيمون ولكن إلى مكان ما بقربه. كانت الكاميرا على اليسار لا تعمل، لكن لا مشكلة، لا أريد أن أضيع الوقت في وصف معالم المدينة. وسريعًا ما توقفت السيارة كالعادة في زحام مروري في سادفوي.

في مقعد السيارة تجلس سيدة عجوز، ترتدي قبعة سوداء مثيرة للاهتمام مع ريش وقطعة قماش خفيفة مسدلة على العين، لم أرَ مثل هذه القبعة من قبل. كانت السيدة أيضًا تشاهد الإعادة المسائية من برنامج «الطفل المعجزة» على الشاشة، وكما وعد اسم البرنامج، ظهر الطفل المعجزة مع مجموعة من الخنازير المقززة غزيرة الشعر، وهم يتجادلون ويصيحون في وجه بعضهم بعضًا، وكأنهم يحاولون أن يجعلوا الاستوديو يظهر في أكثر شكل مثير للاشمئزاز.

الطفل المعجزة هو أيضًا ذكاء اصطناعي، خوارزمية مثلي بالضبط. ولكن لجعل التواصل أكثر راحة لضيوف الاستوديو، فإنهم صمموا له جسدًا ثابتًا لا يتغير، عبارة عن دمية سيليكون ميكانيكية. جسد الطفل المعجزة يبدو مثل طفل في الثالثة من عمره، والبث يتم من سرير أطفال ذي سياج عالٍ. يبلغ عمر هذا الجسد تقريبًا عشر سنوات، لكن المسكين لم ينمُ مطلقًا خلال هذا الوقت.

تعبيرات وجهه من النوع +3، لكن البرنامج لا يعتمد على تعبيرات الوجه، بل على حركتين مميزتين. إذا قام أحد محاوريه الحمقى بعرض حُجة لا يوافق عليها ويعرضها بمنطق لا تشوبه شائبة، فإن الطفل المعجزة يبدأ في

الصراخ والزئير وإفراز الكثير من اللعاب والدموع. وإذا لم يصمت محاوره الأحمق يُعلن الطفل المعجزة عن سخطه، وتركز الكاميرا عليه وهو يرمي الحفاضات وملاءات السرير المبللة بالدموع والمخاط وأشياء أخرى!

هذه ليست إفرازات جهاز الكمبيوتر بالطبع، بل هي خراطيم مخفية داخل الملاءات والسرير، ومتصلة بجسم الطفل المعجزة المصنوع من السيليكون.

كانوا يتجادلون حول (زيكا 3) والكم الهائل من البيانات، وهو الموضوع المفضل للنقاش بين الخنازير.

صاح الطفل المعجزة بصوت لا يلائم عمره، قائلًا:

- هذا خطأ منطقي كلاسيكي.

بدا صوته مشوشًا لكي يعطي انطباع عدم الثقة، وأكمل:

- هذا هو ما أدى إلى ما نحن فيه الآن، مثل اليونان القديمة.

قاطعه أحد الخنازير قائلًا:

- من المعروف أن أكبر ثلاث شركات للبيانات -التي لا أستطيع ذِكر اسمها حتى أتجنب الدعاوى القضائية- لكنك تعرف عمن أتحدث، لذا إذا عدت إلى بداية قرننا هذا سوف تجد أنهم قاموا بتمويل الأبحاث الميكروبيولوجية فيما بينهم، ومن هذه التجارب والأبحاث زعمهم أنهم يُنشِئون فيروسات طبية جديدة، كل هذا بدا رائجًا جدًّا في ذلك الوقت، الروبوتات النانوية التي تسافر عبر أوعية الجسم، وقالوا إن الفيروسات قادرة على علاج السرطان، ولكن لسبب ما بعد ظهور هربس يوكاتان وزيكا 2، عندما بدأت هذه الخلايا الدقيقة الرهيبة في الظهور، لم تعد تظهر أي معلومات عن تصنيفات هذه الفيروسات العلاجية!

صرخ الطفل المعجزة مرةً أخرى:

- هذا خطأ منطقي آخَر، لأن الحُجة نفسها التي استخدمتها قد تعني أن أبحاثهم توقفت بكل بساطة.

- توقفت؟ إذًا كيف تفسر ظهور الطفرة زيكا 3؟ كيف بدأ الفيروس الذي يحمله البعوض وينتقل عن طريق الرذاذ المتطاير؟ علاوة على ذلك، تضمن العدوى تحورًا جينيًّا بنسبة مائة بالمائة تقريبًا. في الوقت

نفسه لا توجد حُمى ولا درجة حرارة، لا توجد أعراض على الإطلاق! لا يوجد ضرر على صحة المضيف، اليوم يصاب الجميع بها تقريبًا. على أي حال، إنها عدوى نتيجة مؤامرة بين الحكومة والطب. لا يمكن للطبيعة أن تُنتج مثل هذه الأداة البيولوجية المثالية في مثل هذا الوقت القصير. البيانات الضخمة فعلت، وعلى رأسها الوحش [...]!

تم ذِكر اسم الشركة بالطبع.

سأل الطفل المعجزة:

- لأجل ماذا؟

- ماذا تقصد بماذا! لتهميش العلاقة الطبيعية بين الرجل والمرأة. مَن المستفيد من سلسلة جديدة من هربس يوكاتان؟ تم ترتيب كل شيء حتى نستعيض عن ذلك بالدُّمى، ونتكاثر عن طريق أنبوب اختبار؛ حيث يمكنهم التخلص من السلالات الجينية غير المهمة بالنسبة إليهم! بل ولم يكتفوا بالفيروس ومضَوا في اتجاهين، أولهما: جعل الحميمية والتكاثر بهذه الطريقة قانونيًّا. وثانيهما: تجريم الجنس الطبيعي بجميع أشكاله، بل تجريم نيّات البشر، ومنعهم من تكوين مشاعر تجاه شخص حي آخَر.

قال الطفل المعجزة:

- هذا غير صحيح بالمرة. لا أحد يكترث بممارسة الجنس الجسدي. لا أحد، خصوصًا إذا كنتَ تتكبد عناء صنع سلسلة جديدة من الفيروسات. عليك أن تلتزم بالقوانين التي وضعتها الدولة، وتفهم أن الكثيرين في مجتمعنا الحديث يجدون الجنس الجسدي سلوكًا حقيرًا ومُخزيًا.

- هذا بالضبط ما أتحدث عنه! تُعد جميع أنواع السلوكيات التي أدت إلى فعل الإنجاب على مدى الخمسين أو المائة ألف سنة الماضية، غير مقبولة اجتماعيًّا في عصرنا! هذا نتيجة مؤامرة!

- كيف يمكنك أن تؤكد نظرية المؤامرة التي تتحدث عنها؟

قال خنزير آخر:

- انظر! لقد كنتَ تستشهد بالمنطق القديم عدة مرات، والرومان يقولون: «ابحث عن المستفيد». عندما ظهر زيكا 1 للمرة الأولى كانت هناك الكثير من الأبحاث الجادة في مجال الجنس الافتراضي. حينها كانت كل التقنيات الحديثة الموجودة في يومنا هذا ما زالت في مهدها. كل الأنظمة مثل «آي فاك» و«أندروجني» لم تكُن بالأمر المهم حينها.

رفع الطفل المعجزة يده معترضًا:

- هذا غير صحيح، في هذا الوقت بدأت الإثارة الجسدية تختفي بالفعل.

قال الخنزير الأول:

- تم البدء من هذه الفكرة، لقد ثبت أنهم كانوا يوزعون هرمونات معينة تحفز الجنس الافتراضي، بدلًا من ممارسة الرياضة.
- إذًا لنُلخص الأمر، أنتم تعتقدون أن شركات (Big data) موّلت أبحاثًا في مختلف المجالات العلمية؟ ثم ماذا؟ توقفتْ عن التمويل؟

قال الخنزير الثاني:

- لا، نحن لا نتهم شـــركات (Big data) بذلـــك. ســأشــرح لك الفكــرة بالتدريج. عندما بدأت مبيعات الهواتف الذكية والأجهزة اللوحية والخوذات الافتراضية وأجهزة الاستقبال في الانخفاض، أو ربمــا قبل ذلـك بوقـت طويل، عندما أصبح من الواضح أنها سوف تبدأ في الانخفاض في أي وقت، وسوف يُصبح من الأصعب إجبار الناس على شراء وتحديث تلك الأدوات الإلكترونية كل عام تقريبًا، في ظل أن هذه الأجهزة نفسها لا يوجد بها أي تحديثات جديدة، في هذه الفترة عندما قررت شركات (Big data) الدخول في مؤامرة إجرامية لإنشاء سوق صناعي جديد.

قال خنزير آخر:

- السعة المتوقعة في هذا الوقت تعدت تريليون دولار.

وافقه الخنزير الأول قائلًا:

- نعم، النسبة المئوية تُرجح هذه المبالغ، إن السوق الافتراضية والرجال الآليين، والذكاء الاصطناعي الخاص بالجنس، أو يمكنك أن تُطلق عليه

ما تشاء، سرعان ما أصبح واضحًا أنها لعبة خاسرة أمام أُمة من البشر يريدون ممارسة العلاقات الطبيعية مع بعضهم بعضًا. كان يجب أن يكون هناك نهاية لهذا النشاط الجسدي. وكان هدف شركات (Big data) في البداية هو التهميش، وبعد ذلك تطور إلى تجريم الحاجة البشرية الأولى في شكلها الطبيعي، مع إنشاء مسار مصطنع يتبعه مليارات الأشخاص. لم يكن مهندسو وادي السيليكون فقط هم الذين عملوا على هذا، ولكن أيضًا عدد لا يُحصى من المطابع من وسائل الإعلام المؤسسية.

سأل الطفل المعجزة:

- هم أيضًا جزء من المؤامرة؟

- لا يحتاج الصحفيون إلى أن يكونوا موالين لأي شيء. لا تحتاج إلى إعطائهم أمرًا ليقوموا بالترويج ونشر المعلومات عنه.

- هل تعتقد أنه كان من الأصح ترك الناس يلدون حسب نزواتهم، ويملؤون الكوكب بالحمقى وصغار الرؤوس الذين لا يتكيفون مع الحياة؟ لولا قانون حماية التكاثر لكان كوكبنا يعج بهؤلاء المسوخ.

قال الخنزير الأول:

- لقد أصبحنا أمة من المسوخ! أصبحنا جميعًا مجرد مسوخ، بعد أن تعرضنا لغسيل دماغ لسنوات عديدة من قِبل الصحافة والمؤسسات الثقافية والإعلامية. لماذا تُعد العلاقة الجسدية بين شخصين -وخصوصًا بين رجل وامرأة- شيئًا مُخزيًا اليوم؟ بل وقبيحًا ووقحًا؟

قاطعه الطفل المعجزة:

- لأن البشرية قد تطورت ونضجت. وربما حتى دون فيروس زيكا 3، كانت سوف تظهر فيروسات وأمراض أخرى. وأنتم أنفسكم تعلمون أن الاتصال الجسدي حتى وإن كان محميًّا فما زال يحمل العديد من المخاطر والمشكلات التي لن تسر أي جهة. لكن حتى هذا لم يكن هو السبب، بل الطبيعة البشرية التي تغيرت، في الماضي كانوا يأكلون اللحوم النيئة ويغتصبون الفتيات، استمر هذا لمئات الآلاف من السنين،

وبالمناسبة، ربما بدا لهم هذا أيضًا طبيعيًا، بدا الناس في تلك الحقبة مثلكما، مشعرين وقذرين، أتساءل إذا كانت هذه مجرد مصادفة!

مرّت السيارة بمنزل سيمون بولوتسكي، لذا انفصلت عن جميع الميكروفونات وكاميرات أوبر. هأنذا قد وصلت. فقط لا تسأل أين. غالبًا ما أرى هذا الطفل المعجزة على الشاشات. إنه مشهور، حتى إن الناس يستمتعون بالمراهنة قبل البرنامج إذا كان سوف يبول في حفاضه هذه الحلقة أم لا. دائمًا ما يكون الاحتمال نحو خمسين بالمائة. ويقولون إنه يتم الاحتفاظ به عن قصد لتغذية اليانصيب الشعبية. إنه دائمًا ما يصرخ في الاستوديو الخاص، وينتقد السلطات وحرية التعبير الكاملة.

حتى اليوم، كان كُتّاب هذا البرنامج يعتمدون على الخنازير كثيفة الشعر والقذرة لعرض وجهات النظر المخالفة، التي يأتون بها من بعض المواطنين الذين سُمح لهم بالإدلاء بهذه الأفكار، ويضيفون إليها بعض السمات المنطقية لكي تبدو قوية. حسنًا، على أي حال، فإن المشكلات السياسية ليست مشكلة الشرطة.

سيمون بولوتسكي

تم تحويل الدور العلوي، الذي كان يعيش فيه سيمون بولوتسكي من علية منزل قديم إلى شقة فخمة للمقاتل المحترف، ذات مصعد منفصل من الحديقة. لكن من الجانب العملي لا يُعد هذا اختراقًا.

لم يكن المصارع ينفق المال على هذه الرفاهية المسماة (الأمن). حتى إنه لم يشترِ قفلًا من نوع (SPAS) على الرغم من أن وضعه المادي يسمح بالاشتراك في هذه الخدمات الأمنية لمدة طويلة للغاية. فإنه كان كافيًا أن أجد إحدى الكاميرات الصغيرة فوق تاج التمثال النصفي ليوجينيا دي شابيرو، الذي يضعه في الردهة. استطعت تحديد مكان التمثال من كاميرتين فقط من بعد نزولي من الأوبر بخمس ثوانٍ.

إذا كان هناك شخص بمثل هذا الثراء والشهرة ولا يحمي مساحته الشخصية من التطفل الإلكتروني، فهذا يعني الإهمال الشديد، أو أنه يعرض مجموعته الفنية بعناية، ما يمكن أن نسميه دعاية لأولئك القراصنة. وبعد الفحص السريع للمكان أستطيع أن أقول -بلا أدنى شك- إن سيمون يركز على الفكرة الثانية. تم ترتيب القطع الفنية بطريقة محترفة، وتبدو بحالة ممتازة إذا نظرتَ إليها من أي كاميرا توجد في المنزل، لقد تم التخطيط لكل شيء بأدق التفاصيل، ليس من قِبل المالك نفسه بالطبع، بل من قِبل مستشارين متخصصين ومصممين أيضًا.

سيمون، مُغطى بالوشوم السوداء، أصلع الرأس، ذو عضلات منتفخة، كان غارقًا في النوم على أريكة كبيرة مستديرة في وسط الدور العلوي، يرتدي سروالًا داخليًا من شعر الدب (مثل الذي يرتديه في أثناء المصارعة)، ويشخر وهو يحتضن بين يديه جهاز آي فاك 10 أحمر وجهاز أندروجني 7. كان المشهد يعطي انطباعًا بامتلاك سيمون ثروةً ماليةً وقوةً جسديةً هائلة. لكن

هذا الشخير وعدم ارتداء النظارة الافتراضية يعني أنه ربما لم يُرد أن يتعرف عليه أحد على الشبكة. على أي حال، خلال لحظات كنتُ توقفتُ عن النظر إليه وبدأتُ أتفحص مجموعته الفنية.

المجموعة منتقاة بعناية شديدة كما هو واضح، وكما فهمتُ من بضع عمليات بحثٍ سريعة على شبكة الإنترنت وبعض الاستفسارات أيضًا. كانت أغلب القطع تعود للعصر المبكر للجبس، «أنا أتعلم سريعًا يا عزيزتي مارا». أغلى قطعة كانت (موت الحب) للبارون دي بارانتي، وهي كتلة من الرخام نُحتت لتشبه حفنة من المارلبورو بتفاصيل مثيرة للاشمئزاز، وتُصور أيضًا جزءًا من ساركوما[1] الثدي في إطار حاد. لكن هل هذه النسخة أصلية أم مجرد نسخة؟ لم أستطع أن أحدد بالضبط، نظرًا لوجود الكثير من المصادر على الإنترنت.

لم تكن القطعة التي طلبت مارا التحقق منها (الشحنة ثلاثمائة واثنان وعشرون) مرئيةً، بمعني أنها قد تكون واحدة من هذه التماثيل أو اللوحات أو المجسمات، لم أعلم أيها كانت القطعة المنشودة، كما أن التحقق من تاريخ كل قطعة على حِدة لن يكون مفيدًا في سياق كتابة الرواية.

لذلك قررتُ التحدث إلى سيمون وجهًا لوجه؛ بعد كل شيء يحب القارئ ظهور المشاهير خلال سرد الأحداث.

لم يكن الأمر يستحق إيقاظه، لم يكن ذلك ضروريًّا للغاية؛ يحتوي دليل الخدمة الخاص بنا على الكثير من الأشياء الغريبة. الأمر الجيد أنني لم أُضطر إلى الانتظار طويلًا.

استيقظ سيمون ورفع جهاز آي فاك الأحمر المصنوع من السيليكون وذهب إلى الحمام. سريعًا ما وجدتُ شاشة ثلاثية الأبعاد على الحائط سوف تكون مفيدة، أستطيع الظهور عليها والتحدث إلى سيمون.

كان لدى سيمون على الأقل ستة أسباب خَطِرة للخوف من الشرطة، لذا يمكنني الاعتماد على تعاونه معي، خصوصًا ما لم أُهدده بشيء.

---

(1) الساركوما اسم يُطلق على مجموعة من الأورام الخبيثة.

انتظرت حتى ينتهي مما يفعله، بعدها أتت تلك اللحظة التي ربما تكون مألوفة لدى القراء، عندما يكون الشخص لا يزال ينهض من المرحاض مع علامات الرضا على وجهه لانتهاء مهمته بشكل سليم، وإراحة عضلاته بعد أن كانت مشدودةً، ليفاجَأ بشخص يقف في الشاشة أمامه، بمجرد أن لمحني سيمون ضرب بقبضته الطاولة الافتراضية المرسومة بجانبه.

- أين تحسب نفسك مختبئًا يا ابن السافلة؟

- لا أيها المواطن، لستُ مختبئًا، أنا أعمل في قسم الشرطة.

تمتم سيمون بصوت منخفض:

- وماذا تريد الشرطة مني وأنا أتبول!

لقد حسبت كل شيء بشكل صحيح، يبدو أن سيمون لن يتخذ رد فعل حاد؛ بل وسوف يبدأ في التعاون. حاولتُ تغيير نبرتي إلى النبرة الأبوية المراعية، وقلتُ:

- سيدي إن لديك ثلاث جرائم مسجلة، أتمنى ألا تكون بصدد القيام بالرابعة.

- أي رابعة؟

- تهمة الاشتراك في الاتجار بقطع فنية، المادة خمسمائة وثلاثة وثمانون من القانون المدني، الفقرة الرابعة.

- ماذا! أي تهمة؟ ماذا فعلت!

لحظات الارتباك الطفولي هي أفضل لحظات الضغط التي يمكن أن تكشف بها كل شيء عن العميل.

- لقد اشتريتَ قطعة فنية تُسمى بـ(الشحنة ثلاثمائة واثنين وعشرين) من خلال شخصية وهمية، أليس كذلك؟

حرك سيمون رموشه بسرعة غير مصدقٍ لما يحدث حوله:

- نعم هذا صحيح. لقد كان هذا منذ فترة طويلة فعلًا.

- ما دام هذا صحيحًا يا ابن السافلة، إذًا لمَ لا تنهض من مكانك وتحدثني عن هذا الموضوع بالتفصيل! أريد أن أعرف كيف ولماذا وأين.

قال سيمون بهدوء:

- حسنًا.

خرج من المرحاض فتبعته وانتقلتُ إلى كاميرا عُليـا بالسـقف، وركـزتُ على وجهه المـسـتاء. كنت أنتظـر أن يتذكر وحده ويطلـب محاميًا، وفي هذه الحالة كنت أستعد لأشرح له إذا ما كان بحاجة لمحامٍ، فلدي برنامج محاماة ممتاز مُعتمد من قِبل إدارة الشرطة، وهو جاهز للدفاع عنه مقابل مبلغ صغير من المال، لكن يبدو أن هذا الرجل اعتاد على التصرف بجسده الضخم، ولم يكن معتادًا على التفكير البسيط في مثل هذه الحالات. مثل الديناصورات المنقرضة، لم تكن نقطة قوة سيمون في رأسه، بل في عموده الفقري.

اقترب من قطعة قماش يبلغ طولها مترين وتبدو من أوائل القرن الواحد والعشرين، كانت مذيلةً باسم «برج فودوفزفودنايا لفنان مجهول»، وهي عبارة عن لوحة لزجاجة فودكا ضخمة، تعكس صورة «ليلتسين» غير واضحة ومشوهة بشكل غريب، كما أن اليد المنقوشة على الزجاجة تُمثل تكريمًا للإفيزوفسكي، كما هو موضح على الإنترنت.

سألت:

- هل هذا الشيء على الرف هو التحفة؟

قال سيمون:

- بالطبع لا. إن القطعة محفوظة بذكاء.

ضغط على التعريف الموجود تحت اللوحة، فانزلقت اللوحة الغريبة إلى الجانب، ليُكشَف عن جزء مجوف من الجدار معلق خلفه باب، باب عاديٌّ من الخشب الأبيض مغلف بالبلاستيك، لديه مزلاج نحاسي رخيص وخطاف لتعليق الملابس، وحتى مفصلات الباب كانت تحتوي على براغي صدئة. وبسرعة أدركتُ أن هذا باب لمرحاض عام.

كان هذا واضحًا من الرسومات السوداء والملونة، إنه أمر شائع أن نجد رسمًا لأجزاء حميمية محاطًا بهالة من الخطوط، رسم لهاوٍ بلا تظليل، حتى إنها دعوة سيئة لممارسة الحميمية.

سألتُ مرة أخرى:

- هل هذه هي الشحنة ثلاثمائة واثنان وعشرون؟

هذه المرة أومأ سيمون برأسه علامة الإيجاب.

- لقد قال المختصون الكثير من الأشياء -التي لم أفهمها تمامًا، لأكون صادقًا معك- لقد تحدثوا عن الإلهام وتصدير الأمل أو شيئًا من هذا القبيل. لا عجب أنها كانت باهظة الثمن. هذه هي الحقيقة، كما أن المستشار الخاص قال إنها غير قابلة للوصف.

قمتُ بتكبير صورة الباب، فوجدتُ أسفل الصورة تعليقًا مكتوبًا بخط اليد:

Banksy

قال سيمون بقلق:

- هناك شريط تعريفي للضيوف، هل أشغله؟

- نعم، شغله.

ضغط سيمون على زر غير مرئي، سمعتُ صوتَ عزفِ بوقٍ منخفض، لكن واضح، وبالتوازي معه ظهر صوت جاد ومستقيم:

- أمامنا باب مرحاض من مكتب موسكو التابع للمجلس الثقافي البريطاني، والذي كان نقاد الفن يتجادلون حوله لفترة طويلة، سواء كان مزورًا من قِبَل بعض المخربين، أو تحفة حقيقية وغير مسبوقة، تُمثل مفارقةً غير مسبوقة. تحفة فنية خاصة، سافر الفنان من أجلها إلى موسكو متخفيًا للتعبير عن موقفه، يمكننا توصيف طريقته لتسويق اسمه وإبداعه في الغرب. وفقًا لبعض التقارير لم يرسم بانكسي[1] على هذا الباب فحسب، بل رسم أيضًا في مقصورتين مختلفتين في حمامات الرجال، وثلاثة في مراحيض النساء، كما أنشأ

---

(1) بانكسي: فنان جرافتي إنجليزي، مشهور برسم الجداريات في الشوارع، ولكن هويته مجهولة.

العديد من اللوحات الجدارية الصغيرة على البلاط. موقع هذه المواد غير معروف حاليًا. منذ استعادة الباب باستخدام تقنية النقل الرقمي، تم إثبات أصالة هذه القطعة أخيرًا، فقط بمساعدة إجراء كمي خاص. واليوم، بعد التأريخ من الصور الرقمية المحفوظة، لا شك حول هذا الموضوع. عرف بانكسي كيف يكون ساخرًا، لكن تبين أن الحياة كانت أكثر تهكمًا من الفنان؛ سُرق الباب من المجلس الثقافي البريطاني وتم بيعه بمبلغ من ستة أصفار لرجل أذربيجاني غني، يعمل في النفط، ولا يمكن عرض اسمه -بالطبع- لأسباب سياسية وقانونية.

في الوقت الذي توقف فيه الصوت، كنت قد التقطت بالفعل عدة صور للباب ونسخًا للفيديو التعليقي، ووصلتُ إلى الملف الأصلي، وهو الوحيد الذي يضعه سيمون داخل مجلد محمي، لكنني استخدمت النقل الرقمي على أي حال، مما اضطرني إلى ترك ملفات تعريف الارتباط الخاصة بي، لا أحب أن أترك أي أثر ورائي بلا داع، لكن لا مشكلة هذه المرة. بعد أن انتهيتُ، أرسلتُ كل المواد التي جمعتها إلى مارا، ثم حددتُ ميعاد لمكالمة هاتفية مع سيمون غدًا.

سأل سيمون:

- إذًا يا سيدي، هل ستكون هناك أي مشكلة؟

أجبتُ وأنا أُغير الموضوع:

- أنت محظوظ! تقول إنها تحث على البساطة، صحيح؟

قال سيمون:

- نعم! عندما اشترينا هذه القطعة، كان مستشاري الخاص يقف ليتطلع إليها طويلًا ويفرك يده وهو يحاول فهم جوهرها، إنها تدل على البساطة الروحية، قبل أن يتوقف الناس عن ممارسة الحميمية، مثل أيام تولستوي.

- ولماذا تخفيها؟ هل بسبب استخدام آي فاك؟ أم هذه اللوحة غير مريحة بالنسبة إليك؟

هز سيمون كتفيه بعدم اهتمام، وقال:

- لا أبدًا، إنها قطعة فنية باهظة الثمن؛ أُفضل ألا يراها إلا أصدقائي المقربون. كما أن المستشارين نصحوني بإبقائها في مكان آمن، لذا قررت أن أضيف اللوحة الأولى كتمويه.

نحن -الروبوتات البوليسية- نغادر مثل الإنجليز دون أن نقول وداعًا، والآن أريدك يا عزيزي القارئ أن تتخيل سيمون كما تركته في اللحظة الأخيرة وهو يُشبه دبًا مضحكًا، يرتدي سروالًا قصيرًا يُظهر عضلاتِه ودهونَه، بالإضافة إلى عيونه المستديرة الخائفة التي تراقب السقف بتوجس. ومع ذلك، فإن الوشوم على جسده كانت جيدة ومكلفة، أعتقد أنه يمكننا نزعها وتعليقها على الحائط كأحد المعروضات.

بالمناسبة، هناك سلاح غير مسجل مُخبأ في شقته، وعلى أحد أجهزة الكمبيوتر يوجد ملف استخراج ذاتي به بعض المعلومات عن آثار الخلافة، التي قمتُ بتمييزها بتسلسل خاص من الأحرف في سلسلة البيانات الوصفية؛ شيء مثل حلقة نتركها في الملفات لكي نستطيع الوصول إليها مرة أُخرى، وتُدرج تحت قائمة «ماذا وأين ومتى»، وبالطبع لم يكن سيمون يعلم بهذه الأمور؛ لذا سوف يبقى هادئًا، بينما أنا لن أكون خائفًا من أن يوجه أي شكوى أو ادعاء حول ما قمتُ به للشرطة.

مارا فزعة

بعد أن انتهينا من سماع ملف التاريخ الفني، التفتت مارا إلى الشاشة التي أظهر بداخلها بشكلي الرسمي المعتاد، وبجانبها كاميرا صغيرة حتى أتمكن من رؤيتها، وقالت:

- السوالف الخضراء لا تليق بك.

أردت أن أُظهر بعض الاستياء من هذا التصريح، فقلت: «لماذا؟» ثم شغلت من قائمتي مقطعًا يدعى «السخرية المريرة3».

- الجيد أنك غير مضطر إلى تقليد وجوه وتعبيرات غبية.

أجبتُ بخجل:

- غير صحيح. لقد تدربت على مختلف أنواع التعبيرات، حتى إنني يمكنني تقليد وجوه النساء.

وبلا سابق إنذار قمت بتحويل وجهي إلى شكل الشاعرة التي تضع مارا صورتها على المكتب.

أعترف أنني كنت أخطط لهذه الفكرة من قبل، وكنت قد جهزت بالفعل نموذجًا ثلاثي الأبعاد متناسقًا لوجه (جين-سافو)، في الواقع يمكننا تسمية هذا الإجراء «الصيد في الماء العكر». أفضل طريقة لتحفيز الثقة لدى المستأجر أو صاحب العمل، هي الظهور أمامه بشكل محبب؛ ربما حيوان أليف أو أحد الأقرباء أو حتى إي تشان وهكذا، صحيح أن هناك بعض المخاطر والتي حللتها حالًا من تعبيرات مارا.

لقد اتسعت عيناها وتمكنتُ من تمييز الخوف على وجهها بسهولة. اتسعَت حدقتا عينيها وشحبت بشرتها، على الرغم من أن هذه التغييرات كانت طفيفة، ومن المرجح ألا يلاحظها شخص عادي، فإنني رأيتها بوضوح. بعد ثانيتين

ظهرت رعشةٌ خفيفة على شفتي مارا، وأيضًا أصابع يدها اليمنى، وتراجع رأسها إلى ما بين كتفيها. نعم، لقد كان هذا خوفًا كلاسيكيًا حقيقيًا، كما لو أنني تحولتُ إلى فأر أو نمر بنغالي.

بعد أربع ثوانٍ تمكنت مارا من السيطرة على نفسها، لكن الخوف الذي لاحظتُه كان شديدًا؛ إذ من المستحيل أن يكون سببه هو مفاجأتي الصغيرة. لم يكن من تحولي، بل كانت خائفة من (جين-سافو) نفسها.

لقد تكرر معي هذا الحادث منذ عامين، عندما تم تأجيري لرقمنة أرشيف صور قديم. تظاهرت بأنني قِط المالك عندما رأيت صورته في إطار إلكتروني، كانت القطة قد ماتت منذ أعوام، ما تبع هذا الفعل كان الهستيريا والصراخ وأشياء أُخرى يجب أن ألتزم الصمت إزاءها -مقابل رسوم إضافية بالطبع- فنحن نقدم مجموعة كبيرة جدًّا من الخدمات.

أردت أن أُحدّث مارا عما رأيتُه، لكنها أغمضت عينيها وشدت على كفيها بقوة، وقالت:

- توقف على الفور. ولا تكرر هذا التقمص مرة أُخرى. فهمت؟

أجبتها سريعًا: فهمت.

عندما فتحت عينيها مرة أُخرى، كنت قد عدت لمظهري الطبيعي مرة أُخرى.

- هذا أفضل، لا أحب هذا النوع من المزاح.

- لقد أردت الفوز بقلبك.

صمتت لعدة ثوان قبل أن تجيب بشك:

- أنت لا تشعر بأي شيء. ألا يعني هذا أنك بلا قلب؟

- هذا صحيح. لا أمتلك قلبًا ولا أشعر بشيء، ولكن مهمتي الأساسية أن أجعل الناس سعداء.

- إذًا لمَ تظهر بهذه السوالف، والزي الرسمي ذي التفاصيل الدقيقة، ما دمتَ لا تشعر بأي شيء تجاههم؟

- لقد شرحتُ لكِ هذا مسبقًا؛ لدينا تعليمات يجب بموجبها تجسيد صورة رسمية معينة، تُحفز المحاور للتواصل العاطفي. يتيح لك ذلك اكتساب

الثقة واستنباط السمات الشخصية وجمع الأدلة وإنشاء انطباع. هكذا تُحاك الأفكار ويولد الأدب العظيم.

- صحيح، لقد نسيت، ما زلتَ كاتبًا. ولماذا تخبرني بكل هذه المعلومات؟
- كشف الحيل هو سلاحي الرئيسي وضمان المبيعات العالية.
- وكيف هي مبيعات كتبك؟
- إنها الأفضل في قسم الشرطة، عدا الكتابات غير الدموية. رواية بارجة الألغاز -على سبيل المثال- تم تحميلها مئة مرة. و(نزاع الخريف بين الكيانات الاقتصادية) تم تحميله ستًّا وأربعين مرة. والكتب المماثلة لهذه العينات غالبًا ما تحصل على اهتمام أقل.
- هل هذا بسبب عيب أدبي ما في هذه الأعمال؟
- إنها تعتمد على الشهرة في المقام الأول، ثم الموضوع. عندما تُحقق في غرق بارجة أو هدم سور بشكل غير قانوني، أو عيوب تصنيع في إنتاج كراسي الشاطئ، من الصعب توقع زوبعة من الاهتمام البشري، حتى لو كان هؤلاء البشر يجلسون على أَسرتهم بكسل، فلن يكونوا متحمسين لمثل هذه الموضوعات. لكن دائمًا يمكنني الوثوق في تأثير الجثث، لكن حتى هؤلاء يخذلونني.
- لماذا؟
- لدينا جنرالات برتب كبيرة أيضًا في قسم الشرطة، إنهم يرسلون كل قضايا القتلى إليهم، ربما يحصلون على الآلاف من القضايا بينما نحصل نحن على خمسة، رغم أن هذا ليس له علاقة بالمهارة.

قالت مارا بتعاطف:

- إن البشر ميؤوس منهم على أي حال!
- لا على الإطلاق، أنا لا أستسلم، إنني أعمل على تطوير نفسي، أنا في حيز نمو دائم، هناك إمكانات جديدة في مستقبل الخوارزميات.
- أي إمكانات؟

- يمكنني أن أشرح هذا لاحقًا، ما زال أمامنا وقت طويل للحديث، لكن الآن لنتحدث عن تحقيقنا الخاص يا عزيزتي، هل فهمتِ المواد التي أرسلتها إليكِ؟

- نعم يا عزيزي الأخضر. وأنت هل فهمتها؟

- لا، إنني لا أفهم هذه النصوص في العموم، لا أستطيع إلا نسخهم وإرسالهم.

- لكن ألا يجب أن تكون واعيًا للأشياء التي ترسلها على الأقل!

يا إلهي! كم مرة يجب أن أشرح هذه الأشياء!

لذا أجبتُها بالإجابة المحفوظة:

- للأسف هذا ليس صحيحًا بشكل كامل. الخوارزمية الخاصة التي أعمل بموجبها أشبه بتجميع قطع لغز، واختيار قصاصات لغوية مناسبة من حيث اللون الأدبي والشكل المناسب. أستطيع الاختيار من قاعدة بياناتي المليئة بمليارات الكتب. كما يمكنني تقليد تسلسل الكلمات وجعلها متماسكة وذات معنى، بل وإضافة المشاعر بدقة شديدة. ويمكنني بناء العديد من أشكال الحبكات المختلفة، لكن المعنى والمغزى من وراء هذه الكلمات، فقط القارئ هو من يستطيع تذوقها.

- أنت تتحدث كما لو كنتَ تفهم كل التفصيلات، حتى الصغيرة.

- يمكنني فقط بناء تصور لفهم هذه النصوص، بناء على نظائر أُخرى وأنماط لغوية مشابهة في قاعدة بياناتي، وهذا غالبًا ما ينجح. لكن عند كتابة رواية فإن استخدام نمط بشري أصيل هو الأفضل. لذا سوف يكون من الأفضل أن تقودي أنتِ يا مارا الدفة وتطلعيني على المعاني والمعلومات التي فاتتني.

ابتسمت مارا وقالت:

- حسنًا. الآن أفهم مهمتي بشكل كامل. باختصار، فإنهم يقولون إن بانسكي لم يرسم لوحته الصغيرة على هذا الباب وحسب، بل رسم أيضًا في مقصورتين في حمام الرجال وثلاثة في مرحاض السيدات،

وهناك بعض الرسومات الأخرى على البلاط. ويقولون إن موقع هذه المواد غير معروف في الوقت الحالي.

سألتها:

- وماذا نستنتج من هذه المعلومات؟
- إنهم يشكلون تربة خصبة للبيع، وعندما تظهر قطع بلاط أُخرى أو أدوات من هذه المراحيض باسم بانسكي، لن يكون الأمر مفاجئًا، إنهم يعملون على ضخ هذه الأعمال في السوق بشكل متدرج.
- وهل لديك أي فكرة عن الباعة المستفيدين؟
- لا، ليس هذا ما يثير اهتمامي. أنا لستُ مثلهم، ما أحتاج إلى معرفته ببساطة هو أين ومتى. الآن يجب أن نركز على الشحنة التالية. رقم ثلاثة وأربعين. هذه سوف تكون أصعب، لكنني أثق أنك سوف تنجح. تعرّف على نوع القطعة وصورها، ويمكنك التحدث إلى المالك، وأيضًا قم بتحميل التعليق الصوتي لتاريخ القطعة. ولستَ مضطرًا إلى فهمها بنفسك، سوف أتولى أنا هذا الجزء وأعطيك المعلومات المُهمة.
- رائع إنها مَهمة سهلة.
- إنني أرسل إليك المعلومات الرئيسية الآن.
- ها هي ذي قد وصلت بالفعل، هل وصلتك البيانات أيها السيد أخضر؟
- فهمت، أنا لستُ غبيًا.

ابتسمت مارا قائلة:

- جميل! أنت تعرف كيف تمزح أيضًا! كيف تفعل هذا؟
- الأمر بسيط جدًا. عندما يتم إرسال الملفات والرسائل إلينا فإن السؤال البَدهي هو «هل وصلت؟» ومن أربعة وستين ألف إجابة محتملة، تم اعتماد هذه الإجابة في قاعدة بياناتي تحت تصنيف: «فكاهي». وهذا بالاعتماد على استخدامك للتلطيف في كلمة «السيد أخضر»، مما تعني أنكِ بانتظار إجابة مضحكة أيضًا. لذا من البدهي اختيار هذا التعبير بالتحديد.
- وكيف تفهم أن هذه الكلمات بالتحديد نوع من المزاح؟

ابتسمتُ بطريقة بيرونية تحمل نوعًا من الازدراء، وأجبتها:

- بالطبع لا، الأمر معتمد على التلاعب اللفظي بالكلمات.

- رائع! ها هي ذي الرومانسية قد رحلت.

- عزيزتي مارا، إذا تعرفتِ بالتفصيل على الآلية العصبية لظهور المعاني البشرية والفهم والفكاهة وظواهر أُخرى من الوعي، فإن من الطبيعي معرفة أن ما يسمى بـ «الرومانسية» لن يبقى على الإطلاق.

- أنت ومعلوماتك! وماذا عنك أنت؟

- سوف أقتبس من كتاب «هل العقل منطقي» المنشور في موسكو عام 2036، والموجود على حائط مكتبتك. ناقش المقال الأول لريزنيك موضوع موقف الذكاء الاصطناعي من الرومانسية. يمكننا أن نعد موضوع القرب البارامتري للموضوعات 42 من أصل مائة. وقد قمتُ بتعديل الاقتباس نحويًّا وأسلوبيًّا ليناسب شكل الحوار الذي نقوم به الآن.

- هل ستستمر في ضخ المعلومات هكذا في وجهي؟

- لقد أخبرتك بالفعل، الصدق الكامل هو علامتي التجارية.

تنهدت مارا وقالت:

- بورفيري، لديَّ طلب أخير، لا تُخبرني بهذا الكم من المعلومات عن أسرار صناعتك ما لم أسأل بشكل مباشر. لكن هذا الفيض يجعل سحر تواصلنا يختفي.

أجبتها منصاعًا:

- اتفقنا يا أرنبتي الصغيرة. الآن حان وقت الذهاب لإتمام المهمة، ربما تستغرق فترة طويلة. كوني فتاة جيدة بينما تجلسين وحدك. بورفيري سوف يذهب إلى الخارج.

هل تعتقد مارا أن مظهري الخارجي هو محاولة مني لتقليدها؟ حسنًا، لا أعلم، لكن مع هذه السوالف والزي الرسمي ربما يكون هذا صعبًا. على أي حال، عليَّ التركيز، الشحنة ثلاثة وأربعون تم شراؤها من قِبَل رجل مَصرفي، يبدو شخصًا عاديًّا، ويعيش في «...» غرب موسكو.

كما ترون لقد قامت مارا بإخفاء معلومة العنوان، لذا لن أستطيع إعادة استخدامه في كتابة نص الرواية. البشر كم هم جديون! على عكس سيمون بولوتسكي، كان المصرفي مهتمًا بالخصوصية. والذي لم يستخدم خدمة الأمن فقط؛ بل هو يدفع دوريًّا لخدمة (مخروط الظل)، والتي تمنعني من ذِكر عنوانه أو مكان عمله ولقبه في نصوصي، ولا يُسمح لي إلا باستخدام الاسم ولقبه الأوسط وهو: «أبولون سيمونفيتش»، لكن للأسف يا سيد سيمونفيتش فحتى هذه الخدمات ليست مثالية مثل هذا العالم.

تبقى هذه المحظورات رمزية فقط، لأننا إذا علمنا أن شخصًا ما يعمل مصرفيًّا، إذًا فمن الواضح أنه موظف في «إي بنك» لأنه لا توجد بنوك أُخرى من الأساس. وإذا كان يعيش في «...» في غرب موسكو، فهذا يعني أنه يعمل مديرًا من نوع ما وليس مجرد موظف عادي، أما بالنسبة إلى مخروط الظل، فليس هناك حاجة لاختراقه لأن «إي بنك» لا يتسامح مع هذا النوع من الجرائم في شريعة الله أو في بلاد الخلافة أو في الأمريكتين.

ربما يشعر بعضكم بالتعجب، نعم، صحيح أن دافاجو في حالة حرب رسميًّا مع الخلافة، والخلافة في حالة حرب مع أمريكا، وأمريكا ذاتها في حالة حرب داخلية مع نفسها لسنوات طويلة (وهو شيء يمكننا أن نصف به أيضًا اتحادنا الأوروبي) لكنْ هناك مصرف متحد يعمل، وهو الرابط الأخير الذي يربط عالمنا المشتعل والمفكك معًا.

بنك واحد يناسب الجميع - One Bank Fits All

Ebank and One Bank are the registered trade marks of

(لم لا نعود إلى حروفنا العادية الآن!)

أعتقد أنك يا عزيزي القارئ بتَّ تفهم لمَ عليهم حماية بياناتهم الخاصة. إنهم يطلقون هذا اللقب على أنفسهم في جميع أنحاء العالم: (الفكرة الإلكترونية)، وإذا تغير اللقب نتيجة لاختلاف لهجة محلية ما، فإنهم يغيرون اللغة. لأنهم يعرفون أن صغار القمل في الدول الأُخرى لا يمتلكون أي أموال، بينما نحن نتملك الكثير منه، برغم أنه لا أحد -باستثناء الاقتصاديين- يفهم ما هي حقوق السحب الخاصة بالضبط أو الـ (إسديرياس) وأيضًا إنهم حصلوا

على تسمية جديدة وهي: البنك صاحب صوت الجرش، بعد أن أخرجوا إعلانًا لحقوق الإنسان تبرز فيه العيون الإنسانية.

إنهم يدفعون مقابل النوافذ المنبثقة الخاصة بهم أينما تم ذكرهم، وحتى إنني يجب أن أترك هذا الشرح الممل، لأنه بموجب شروط الامتياز في أول ذِكر لـ Ebank يجب دمج المواد الإعلانية في النص الخاص بي في الفقرة التالية، أو نطقها نيابة عني (أو يجب أن أسرد بالتفصيل أحد الإعلانات التجارية). لا يمكنني الرفض، ولكن لم يُقَلْ في أي مكان إنه ليس لدي الحق في تحذير القارئ من هذا، أو جعل الفقرة التي دفع البنك ثمنها مائلة كما فعلتُ للتو. وبعد ذلك يمكنني تشويههم كما أريد.

قريبًا بالطبع سيتم ملاحظة الثغرة الموجودة في الاتفاقية وإغلاقها، لذلك نتمتع بأيام الحرية الأخيرة! على العموم فإنني الآن في طريقي إلى ذاك اللقيط (أعتقد أنني مثل أربعة وثمانين بالمائة من القراء، لا أطيق هؤلاء العناكب المالية).

اختبأ الرجل -من العالم الذي يسرقه- جيدًا. وكان من الصعب أن أجد رحلة إلى منطقته السكنية. لقد ظللتُ أبحث عن أوبر مناسب لمدة 23 دقيقة! لكن في النهاية ها قد وجدتُه.

أوبر 2 (الخنازير)

كان هناك شاب وفتاة يجلسان في العربة.

وفقًا للفاتورة التي بحثت عنها على الإنترنت بلا كسل، فقد كان الشابان يسافران «معًا» بشكل عشوائي تمامًا، ومن بين الأماكن التي اختاراها عنوانٌ بالقرب من رَجلنا المنشود، لكنني توقعت أنهم من الخنازير قبل أن أصل إلى كاميرا السيارة.

لماذا تسير السيارة في هذا الطريق الطويل والغريب؟ أيعقل أن الشابَّين لهما علاقة بكل هذه الصفقات! كانت هناك سبع كاميرات خفية داخل الأوبر، وكان الشاب على علم بأماكن ثلاث منها، ربما يعد نفسه خبيرًا بخفايا الحياة الآن. بمجرد أن سجلوا دخولهم إلى العربة بدأوا الحركة بحرية، كما يبدو أن لديهم خبرة في ركوب هذا النوع من السيارات وتغيير وضع ذراع الكرسي، الذي ينكمش تلقائيًا في أثناء التسجيل في الرحلات الاقتصادية الأقل تكلفة من الرحلات العادية.

لم تكن الفاتورة تعطي معلومات عن رحلتهم الحالية فقط، بل وأظهرت أيضًا، كما يقول أحد الشعراء: «كل تعرجات أقدارهم المتشابكة». الفتى يُدعى كوليا ويبلغ عشرين عامًا، أما الفتاة لينا فتسعة عشر، وهم طلاب وليسوا مسجلين لدى الحكومة كخنازير. يعيشون مع والديهم الذين بالطبع لن يقبلوا بهذا العار في منازلهم.

إن الخنازير يُصبحون منبوذين أكثر فأكثر كل يوم. في حين أن الخبراء يظنون أن المدة قد تستغرق من خمس سنوات إلى عشرٍ، قبل أن يتم تجريمهم. لكن إلى الآن يتم مضايقتهم وتصيدهم حتى يشعروا بعدم الراحة بشكل متزايد ودائم.

ومرة أُخرى، يصبح من دواعي سروري أن أرى كيف تحدث هذه العملية بالضبط. عندما دخلتُ إلى نظام الأوبر كانت شاشة المقاعد الخلفية تعرض فيلمًا قديمًا عن رعاة البقر، ثم قام الشاب كوليا برفع مستوى الصوت لأقصى حد، ومع ذلك كانت آهات الغرام أعلى من صوت طلقات رعاة البقر، وبمجرد أن بدأوا، أخذَ النظام يسجل كل ما يحدث في المقصورة. ثم ظهر إعلان لـ «آي فاك». هذا مثير للاهتمام، إنهم يعرضون إعلان الإصدار الثامن.

إنه الإصدار الأقدم في السوق، ومع ذلك ما زال بإمكانك شراؤه؛ نظرًا لسعره الاقتصادي بالنسبة إلى هؤلاء الطلبة صغار السن، يبدو أن النظام يعرف ما يفعله حقًا.

أولًا تم عرض هذا الفيديو المضحك، حيث تظهر فينوس بوتيتشيلي[1] التي تم إحياؤها وهي تقف على بُعد خطوات من قوقعتها المشهورة، ثم نرى الكاميرا تدور حول القوقعة لنرى هناك جهاز آي فاك وبجانبه النظّارات الافتراضية، ثم تبعتها نسخة لمثليي الجنس، لكن مع فيديو لتمثال «ديفيد» لمايكل أنجلو. ثم تبعها فيديو للمتحولين الجنسيين. النظام الأحمق! كان واضحًا أنه يحاول جذب انتباههم، لكن وبكل أسف، فهؤلاء الشباب غارقون في الحب، في حالة صَمم وبَكم عن كل ما هو خارج هذا الحب المجنون.

أعاد النظام تشغيل فيديوهات إعلانات الشرح بصبر، وكذلك الشرح الصوتي الذي يأتي مع أجهزة آي فاك وأندروجني، بل ورفع الصوت! ثم بدأوا في الاقتباس من عِبر قصص الحب القديمة. كان بعضها دقيقًا من الناحية التاريخية، لكنها منسقة بشكل سخيف ومخادع. كانت هناك زنزانة مليئة بالأسود الشرسة وبجانبها يظهر بقايا خوذة رومانية. هل للأمر علاقة بترهيب المثليين؟ على أي حال، لقد اعتادوا المبالغة في المواد الفنية التي تُستخدم لترويج منتج ما، بل البعض يقول إنها تأتي بتأثير عكسي.

عندما انتهت فقرة الماضي التاريخي، ظهر على الشاشة إصدار آي فاك التاسع، ربما ليس الأغلى ولكن ليس الأرخص أيضًا. وفجأة ظهر صوت امرأة في ميكرفونات السيارة:

---

(1) لوحة ولادة فينوس للرسام بوتيتشيلي.

- كوليا ولينا، يسعدنا أن نرحب بكما في قاعة مراقبة «ذكريات فينوس».

قاعة المراقبة! حقًّا! وكأننا لا نعلم!

- لا يبدو منتجنا جديدًا جدًّا يا رفاق، لكن الحياة بذاتها ليست جديدة.

من عادة خوارزمية الإعلانات أن تنادي الركاب بأسمائهم، وتدخلهم في سياق الإعلان؛ لذا يتم الإعداد لهذا الأمر في أثناء كتابة الإعلان. (يحصلون على الأسماء ومعلومات أُخرى من خلال فاتورة الدفع أو الحجز للسيارة) لا عجب أن الكثيرين ينزعجون من هذا التدخل المفاجئ، وفي أغلب الأحيان يصابون بالذعر ويخرجون عن السيطرة، فيقومون ببعض الأعمال التخريبية ثم يدفعون غرامات باهظة الثمن.

لكن هذه المرة كان رفيقائي الركاب منشغلين معًا، حتى إنهما لم ينتبها لما يحدث. وأخيرًا ظهر على الشاشة الإصدار الأخير آي فاك 10 بلونه الأرجواني، الشبيه تمامًا بما تمتلكه مارا. وقد نُقشت عليه بعض الكلمات الواضحة التي تقول:

iPhuck 10

«singularity»

PH2 universal copulation kit

من غير الواضح ما إذا كانوا حقًّا قد صنعوا كلمة «iPhuck» من العبارة «PH2 global copulation kit / مجموعة الجنس العالمية» أو على العكس من ذلك، اختاروا فك التشفير لهذا الاختصار المذهل لصناعة جملة. لكن أعتقد أنهم خططوا لكل شيء بذكاء، حتى لو انتقلوا بمرور الوقت إلى فئة اللياقة البدنية 3، فلا داعي لتغيير العلامة التجارية.

- كوليا ولينا! على الرغم من التقدم التكنولوجي السريع على مدار نصف القرن الماضي، لم يتغير منتجنا أو كما يصفه أصدقاؤكم الطلاب، المطاط والسيليكون والحديد وما إلى ذلك، عما كان عليه شكله في الماضي البعيد باستثناء تغييرات طفيفة. وهذا بالتأكيد غير متوقع، كانت الفتيات البريئات في عمر لينا أو الشباب مثل كوليا يستخدمون على الأرجح دميةً مصنوعة من السيليكون، مع جذوع قصيرة وإضافة

الذراعين والساقين، ولكن الذراعين والساقين وحتى الوجه لم تعد هناك حاجة إليها. دُمَى الحميمية تطورت بما يكفي لكي تتخطى ما وراء الشكل الخارجي للجسد.

ظهر تمثال نصفي لقيصر على الشاشة (يستخدمونه بسبب الميزانية)، نموذج قديم، عيناه تشبه نظارات الدراجات النارية مع خيوط حديدية رفيعة تم إلقاؤها فوق الرأس الأصلع، حيث تمتد الإبر الحمراء لسماعات الرأس.

يُسمى هذا الشريط المعدني فوق الرأس الصلعاء الرخامية «TS»، وهو منبه يمر عبر الجسد. لقد تعلمتم في المدرسة كيف يعمل، لكن ربما تمكن منكم النسيان. باختصار: تُسبب إشعاعاتها هلوسات لمسية في المناطق المطلوبة من جسمك، وفي نفس الوقت تمنع نشاط مناطق الدماغ التي يمكن أن تلاحظ التناقض بين الصورة في نظارتك والمعلومات التي تأتي عبر قنوات الحواس الأُخرى. بفضل هذا الشريط المعدني عديم الوزن تصبح التجارب في الواقع الملموس مثل الفقاعات الممتعة، كما لو أن الشمبانيا الباردة تُسكب على عقلك الملتهب، ليست فقط معقولة وقابلة للتصديق كما تظنون، بل هي حقيقية. حقيقية مائة بالمائة. هل نخبركم بقصيدتنا الروسية المفضلة؟ «أيها السادة، إذا لم يجد العالم المقدس طريقًا إلى الحقيقة، على الأقل يمكنكم احترام الرجل المجنون الذي سيحقق حلمًا ذهبيًّا للبشرية»، هذا التكريم يعود اليوم إلى أصحاب الرؤى في وادي السيليكون! لا تحتاج دمية الحب الحديثة إلى الذراعين والساقين، يكفي جذع ورأس رشيقان بفم مفتوح جذاب، كل شيء آخر سيُضاف في بيئة مُعلَّقة. لم نلحق بالواقع فحسب، بل تجاوزناه.

على الشاشة تطفو سلاسل لصور المنتج وظلال باستيل شاحبة وأضواء باهرة للتعبير عن السعادة المستقبلية.

- للوهلة الأولى تبدو ميكانيكا السيليكون ثنائي الجنس بدائية وغريبة، ولكن يجب أن نتذكر أنه وراء كلٍّ من الانحناءات والأسلاك، يختفي جهد فكري كبير يُضاهي الجهد في صنع الصواريخ الفضائية.

ظهر انفجار كبير في الفضاء على شاشة العرض، وسريعًا ما تحول هذا الانفجار إلى كتل متضخمة من الدم، وظهرت شبكة حمراء من الأوعية والجلد، لكن الصورة اختفت قبل أن تصبح غير لائقة.

- آي فاك ليس مجرد جهاز مدرب على الحب، بل هو في نفس الوقت جهاز آمن يحمي كل معلوماتك الشخصية، وبعد أن يتم حفظ تفضيلاتك وتحليلها، يتم إنشاء معرض افتراضي وفقًا لهذا التحليل الدقيق، هذا المعرض يتضمن بعض الشركاء الافتراضيين المحتملين. ولأول مرة في تاريخ الأجهزة المنزلية، يتم استخدام وحدة الحوسبة الكمومية كمعالج في آي فاك العاشر، ستكون قوتها كافيةً لأي مهمة يمكنك تخيلها، أو حتى التي لا تستطيع تخيلها لعدة عقود! قد تعتقد أن هذا كثير لجهاز مثل آي فاك، لكننا لسنا مستعدين للتخلف عن الحياة. كل هذا سيجعل تجربتك المثيرة فريدةً حقًّا، ولا تُنسى. أحبَّ مَن تحب!

لقد فهمتُ أخيرًا سبب اللامبالاة التي يبديها الطلاب لهذا الصوت المدوي في المقصورة، لديهم سدادات أُذن بلاستيكية بلون الجلد في آذانهم، يبدو أنها لم تكن مرتهم الأولى لتجربة الحميمية في سيارة مستأجرة.

- يمكن تغيير جنس الجهاز بسهولة وموثوقية مثل حربة متصلة بالمسدس، الآن يمكنك أن ترى على الشاشة بالضبط كيف يتم تضمين جميع هذه الملحقات، كما يمكنك شراء إصداراتها المحسَّنة بشكل منفصل من الاستديوهات الخاصة بنا. كوليا ولينا! بالنسبة إلى هذه المسألة التي تهم أي شخص، فقد فكرنا في كل تفصيل دقيق لنصل إلى الأفضل من أجلكم، بالطبع آي فاك 10 ليس رخيصًا، بسبب المواد المستعملة والتجميع الدقيق، لكننا لن نتنازل عندما يتعلق الأمر بالسعادة البشرية. كوليا ولينا! نريد أن ننوه أن النظارات لا يظهر بها مجرد الوجوه فقط، بل هي تُظهر الجسد كاملًا، سوف ترى كل شيء! آي فاك 10 يعني التفرد! التفرد عن قصد الآن يعني متعة أُخرى في المستقبل.

في هذه الأثناء لم يهدأ الشابان، بل على العكس تمامًا، بدآ جولة أُخرى.

لا أعلم عن آي فاك، لكنهما كانا يدخران لمدة طويلة لكي يقوما بهذه الأوبر كروز. بعد دقيقة بدأ النظام في عرض المرحلة الإعلانية الثالثة، هذه المرحلة

للأكثر غباء. بدأت قيثارة في العزف وانطفأت الشاشة للحظة، ثم ظهر طوفان من الحروف الملونة القديمة، حروف الهيروغلفية والرونية مثل محيط قديم للذاكرة البشرية، يتدفق في أدمغة الركاب. قال صوت محايد بين الجنسين:

- اليوم في قسم «روائع الأدب العالمي» نستمر في التعرف على أحد أهم كتب القرن، مذكرات النسوية الأمريكية أماندا ليزارد. الكتاب يدعى «الموافقة على الحميمية»، الفصل السادس عشر؛ نُحذر المستمع من أن كتاب أماندا ليزارد كُتب قبل فترة طويلة من انتشار فيروس زيكا 3.

صوت القارئ تغيّر بطريقة ما، بدا حزينًا وفي الوقت نفسه أصبح أكثر رقة، لكنه لم يفقد حياده بين الجنسين:

«أووه، لقد فعلتها مرة أُخرى. متأثرًا بالسياق والتوقعات الاجتماعية المعروفة. أو ربما الخوف من جسد رجل مخمور منتشٍ ومتحمس، قلت «نعم»! والتي لم تكن حقًّا «نعم» حقيقية نابعة من القلب، ولكن شيئًا مثل «نعم» التي تخرج من فم سجين منهك بعد تعذيب نفسي طويل».

زاد الصوت تدريجيًا، أعتقد أن أي أحد خارج السيارة لن يسمع بسهولة الآن.

«شدت يد قوية وخشنة فستاني، وسحبت رأسي إلى أسفل، فردت ساقي المرتعشتين، ثم همسَ فمٌ ينضح بأبخرة كحولية في أذني: «هل أنتِ واثقة؟»

أوه كيف أصف المفارقة المريرة في هذه الثانية! كنت أعرف بالطبع أن معذبي لم يكن مهتمًّا برغبتي، لقد كان يتبع طقوسًا اجتماعية مفروضة بطريقة ميكانيكية. كان يقولها بطريقة لا توحي بإمكانية التوقف. أشعر بجلده على جسدي، وثقله المبالغ فوقي، قد تكون حياتي في خطر، ولكنني مع ذلك همست بتواضع: «نعم».

في نفس اللحظة ترددت أصداء الاختراق الوحشي والهجومي بشكل لا يُطاق، مما سبب عذابًا وألمًا في جميع أنحاء جسدي. هأنذا مرة أُخرى، عدت كما كنت في أي زمن ماضٍ! تم تقليص دوري إلى دور كائن خاضع، مستباح ومُنتهَك، بل مخترق حرفيًّا.

لا أتذكر كم من الوقت استمر هذا التعذيب، لكن الآن انتهى أخيرًا. بدأتُ أعود إلى حواسي تدريجيًّا، كما لو كنتُ أجمع شظايا روحي التي سحقتْها

ضربةُ مطرقة ثقيلة على الأرض، وفجأة سمعت، كلمات تعزية؟ همسات الندم؟

لا، أبدًا، لقد سمعت صوت شخير. كان يرقد بجواري متعجرفًا ويشعر بالقوة، واثقًا في إفلاته من العقاب، رجل تفوح منه رائحة العرق وينخر، يشعر بالراحة بعد أن نزع نفسه من جسدي المُعذَّب، ولا بد أنه الآن يرى حلمًا لطيفًا.

ألن يُجيبني أحد على هذا الذل والألم؟

اليوم يعلم الجميع: أن «لا» تعني دائمًا «لا». لكن الغرض من كتابي هو أن أوضح أخيرًا أن «نعم»، بما في ذلك القصص المكررة في هذا الكتاب، لا تعني دائمًا «نعم». لذلك يمكن فهمها بأثر رجعي، حتى بعد عشرين أو ثلاثين عامًا، عندما تظهر أخيرًا صدمة نفسية مخفية بعمق على سطح الوعي الأنثوي. إنه لأمر رائع أن نوصل هذه الفكرة إلى الساحة القضائية اليوم، لكننا نتصرف ببطء شديد، مما يتركنا مع العديد من ضحايا الاعتراض على الأشياء دون انتظار العدالة.

النساء اللواتي يتعرضن للإذلال والسحق، أنا أناشدكن، يا صديقاتي، بغض النظر عن المدة التي حدث فيها ذلك، يجب أن تخرجي من الظل وتقولي...».

ومع ذلك فقد حان الوقت للخروج، سأستمع إلى أماندا في وقت لاحق. لا توجد مشكلة في هذا، يتم بث هذا الفيديو للخنازير طوال الوقت.

والآن وداعًا يا أصدقائي كوليا ولينا، كونا سعداء في بحر الحياة العاصف، وتذكرا إمكانية سجنكما بسبب الاغتصاب الرجعي، حينها سوف يضعونكما مع الخنازير غير القادرين على الوصول إلى أجهزة الحميمية الحديثة مثل آي فاك وأندروجني، لأن هذه الشركات ترى الخنازير يُشكلون خطرًا اجتماعيًّا متزايدًا. من يدري! قد يكون أنصار نظرية المؤامرة على حق، وهذه الشركات تتخلص ممن قد يؤثرون على مبيعاتهم. ربما قضية تغيير القوانين حقيقية أيضًا.

آه. أنا بالطبع أمزح. إنني متأكد بنسبة مائة في المائة من أن هذا تأثير العادات الاجتماعية المتغيرة على مدار التاريخ.

أبولون سيمونفيتش

بعد مغادرتي للأوبر انتقلتُ إلى إحدى الكاميرات على جانب الطريق، التي كان عددها أكثر من الأشجار ذاتها. بصراحة لم يكن المنظر مبهجًا؛ كنا على الطريق السريع وهناك أسوار بطول خمسة أمتار على الجانبين، وخلف هذه الأسوار غابة، الغابة الروسية، كما لو كانت تقف كخط آخر للحماية. ومنذ دقيقتين فقط لاحظتُ اثنين من الحراس المشهورين في نافذة أوبر، كانا يصطادان الغربان في الميدان من أجل المتعة. يقولون إن القطط التي تتجول هنا مستوردة من الخلافة، لكن ليس لديّ معلومات دقيقة.

ارتفع سور مِلكية أبولون سيمونفيتش إلى السماء أمامي، لكنني لم أجد ثغرة إلكترونية واحدة في الداخل، نظرتُ كثيرًا إلى الشبكة، حتى أجهزته المنزلية كانت محمية وفقًا للمعايير العسكرية. على ما يبدو، لقد تم الاشتراك في خوارزميات خَطِرة ومكلفة من أجل الأمن هنا.

خلال سنوات عملي الطويلة لم أقابل مثل هذا الشخص المُولع بحماية شخصيته. لكنني فجأة أدركت، رقم هاتف المصرفي، لقد تم إدراجه في البريد الإلكتروني وإرساله إلى الخادم الخاص بي، ما يعني أنه وسيلة آمنة. على الرغم من أن هذا الرقم تم إرساله قبل عامين، لكن تظل هناك فرصة أن الرقم يعمل. إذًا الحل الآن أن أستخدم الوقاحة كأسلوب متواضع، لقد تعلمتُ هذا الأسلوب من الكتب أيضًا. قمتُ بالاتصال بالرقم وانتظرت قليلًا، لقد رد عليَّ!

والآن يظهر أمامي مجال رؤية واسع من خلال هذا الهاتف، الهاتف لم يحولني إلى نظام الفيديو، لذا لم يكن عليَّ إلا إبقاء المكالمة لأطول وقت ممكن بصوت ضبابي، حيث لا يشك أن هذا الصوت نابع من مكالمة هاتفية حقيقية.

بدأتُ حديثي بصوت مرِح:

- مساء الخير سيدي، اسمي بورفيري بتروفيتش. وقد تم إرسال مراجع الخدمة الخاصة بي إلى عنوانك. آسف على إزعاجك، لكني أُحقق في التجارة الفنية غير القانونية. هدفي هو حمايتك من فضول الشرطة الهاوي والوحشي. لكن لكي أتمكن من مساعدتك أحتاج إلى الحصول على إجابات لبعض الأسئلة منك شخصيًّا.

المثير للدهشة أنه أجاب، بل وبطريقة مرحة أيضًا:

- رائع يا بورفيري! لمَ لا؟

جميل إنه رجل عجوز! ومن خلال صوته على الهاتف فهمتُ لماذا كان الرجل متحمسًا للإجابة على أسئلتي أيضًا؛ كان أبولون سيمونفيتش في حالة سكْر، حتى إنني يمكنني تخمين أنه مُنتشٍ تحت تأثير الدخان تحديدًا.

تابع صوته بثبات هذه المرة:

- إذا كنتَ لا تمانع، سأكون ممتنًا للغاية لو سمحتَ لي برؤيتك. أريد التأكد من أنني أتحدث معك وليس مع خوارزمية مكتبية أو أي مهرج آخر.

لم يمهلني الرجل، وأكمل:

- ها نحن أولاء يا صديقي لنبدأ.

وفي اللحظة التالية فُتحت أربع كاميرات لمكالمة جماعية في منزله. اتصلتُ بالكاميرا بحذر، وفحصتُ البيئة بحثًا عن الشفرات الضارة، وعندما تأكدتُ أن كل شيء آمن، سمحت لنفسي أخيرًا بالتمعن في الرجل الجالس أمامي. كان أبولون سيمونفيتش في حالة سكْر، غير حليق، ويبدو كرجل يجلس بأريحية في منزله، جبينه مجعد مثل قطعة لحم مبللة، ذو رأس أصلع يدل على شخصية رصينة. باختصار، بدا الرجل مثل أي مُسن عاش لفترة طويلة، ولكن في نفس الوقت كان يرتدي بذلة بطريقة لا تشوبها شائبة، مع ربطة عنق سوداء على قميص مثالي، كما لو كان ذاهبًا إلى حفل عَشاء. ومع ذلك، أدركت بسرعة أن بذلة السهرة هذه تم استكمالها بواسطة نظام التحكم بالفيديو -وهو نظام جيد جدًّا- وما كان يرتديه أبولون سيمونفيتش بالفعل،

لا يُسمح لي بمعرفته. ربما لم يكن هناك شيء على الإطلاق. بالحكم على وجهه، بدا هذا مرجحًا جدًّا.

كان جالسًا على كرسي بذراعين، وعلى الأرض أمامه دورق بلوري مليء بسائل بني نبيل. تلمع يد المصرفي بخاتم ضخم مُطعم بالألماس. تم إبراز وجهي على الحائط، لكنني لم أكن متأكدًا من أن أبولون سيمونفيتش نظر إليَّ بنفس الطريقة الفاحصة التي أنظر أنا بها.

يمكن تسمية القاعة التي كان يجلس فيها بغرفة معيشة كبيرة جدًّا، ثمة فجوة سوداء على الحائط، وكان هناك العديد من الكراسي حولها، ونقش ذهبي على شكل شمس مبتسمة متلألئة على السقف. كان الذهب حقيقيًّا. صحيح أن برنامج القياس الطيفي لم يستطع تحديد سُمك الطبقة؛ لأن الشمس للأسف لم تقم بتسخينها. يبدو أن الكاميرات ذات المرايا على الجدران تلمح إلى أنه إذا كان الضيوف هنا، فإنهم لا يملؤون هذا الفراغ البارد بوجودهم على الإطلاق، وبالتالي يجب مضاعفة عددهم بالخداع. وهؤلاء الضيوف على الأرجح يرتدون بذلة البطريق ذاتها التي لا تشوبها شائبة. هناك القليل من الأثاث في الغرفة، والكثير من الأعمال الفنية، أعمال باهظة الثمن ومشهورة، التي اكتشفتُها بعد مسح سريع. كان العمل التركيبي الأكثر قيمةً والأوسع نطاقًا والأكثر شهرةً يُسمى «الرقص الخاطئ لجامعي الحصاد الخيالي»، مؤلفه كان أولزر الخامس وهو «فنان معاصر مشهور» كما وصفه موقعه. يتكون التركيب من ست دُمًى تُصور الفلاحين الإثنوغرافيين التقليديين، وقد صُنعت الدُّمى من أجهزة آي فاك وأندروجني، إذ تم ربط أذرع وأرجل من القش السميكة تحت طبقة من الورنيش المثبت. كان الفلاحون يرتدون ملابس آسيوية، قبعات واسعة من القش وخِرق ملونة. مجمدين في منتصف رقصة غير طبيعية، متشبثين ببعضهم بعضًا وأيديهم تمر على الحزام، صورت آي فاك رجالًا وأندروجني نسوة مخنثات.

حقيقةً إن الرقصة كانت غير طبيعية، وهذا واضح، وليس فقط من عنوان اللوحة، ولكن أيضًا من المراجعات العديدة التي وجدتُها على شبكة الإنترنت. (أحد تلك الأعمال النادرة حيث يرتفع نموذج «النفاق الجديد»، لكي يبرز ويصل إلى طبيعة عظمة عصر الجبس، وما إلى ذلك). تم بيع العمل بمبلغ

«أكثر من 7 ملايين وحدة حقوق سحب خاصة»، وتم دفع المبلغ لشخص غير معروف. كنت أعرف هذه المعلومة بالفعل، رغم أنها لم تكن على الشبكة. بدا العمل الآخر لـ أولزر الخامس -والذي تمكنتُ من تحديده- مُخيفًا. كان يُشبه كلبًا محشوًّا مصلوبًا ومثبتًا على لوح عمودي من الخرسانة الرمادية، يرتفع من الأرض إلى السقف (على ما يبدو تم تثبيته هناك، لن يمر عبر النوافذ أو الأبواب). إلى جانب أقدام الكلب في الخرسانة كان هناك نقش أسود اللون، جناحان ضخمان، يشبهان أوراق القيقب المتضخمة، حوّلوا الكلبَ إلى خفاش عملاق. كان يُسمى «الكلب الطائر المستحيل المليء بالصمت الغامض». واستنادًا إلى التعليقات الحماسية على الشبكة، فقد كان أيضًا تحفة فنية حديثة (على الأغلب تكلف هذا العمل أكثر من خمسة ملايين وحدة سحب حقوقية). استغرق البحث والتحليل الذي قمت به جزءًا بسيطًا من الثانية، تمكن خلالها أبولون سيمونفيتش من إخراج زجاجة، وأخذ منها عدة رشفات. وقلت:

- يا له من شرف أن أرى هذا المنزل الأنيق الذي يبدو أشبه بالمتحف.

حرك أبولون رأسه موافقًا:

- نعم، إنه شرف كبير. في العادة لا يمكن وصفي بالشخص الاجتماعي، لكن أحيانًا أريد التحدث إلى شخص ما. أنا كما تظن بالضبط (بائس).

سألته بحذر:

- مع كل ما لديك هناك؟

التفت أبولون سيمونفيتش ولوَّح بيده باتجاه الشاشة، إنه ما زال يراني، لكن لا أعرف هل اكتشف أنني خوارزمية أم لا. ولا أعرف إذا كان سيواصل الحديث معي إذا اكتشف هذه الحقيقة. عليَّ أن أتصرف بحذر شديد؛ لذا أكملت حديثي بصوت مليء بالاحترام:

- سيد أبولون سيمونفيتش، ليس لدي أدنى شك في أن الملايين -إن لم يكن المليارات- يحسدونك على «هذا البؤس»، لكنني متأكد من أنه سيحدث قريبًا عندما يكتشفون التحف والأعمال التي تملكها، وحينها سوف يتحول إلى شيء جيد.

قال الرجل:

- أجل، لقد لاحظت هذا بسهولة. بل هناك الكثير من التحف التي لم ترها بعد. هذا هو، كما ترى.

كان السيد أبولون يرفع الزجاجة على فمه بعد كل جملة، أدركتُ أن عليَّ الإسراع لأستخلص منه المعلومات، مع كل هذه الإمكانات، لم تكن هناك وسيلة حتى أوقظه بها عندما يغرق في السكْر تمامًا.

- إنك جامع للقطع الفنية، ولهذا أريد أن أطرح عليك سؤالًا مباشرًا وغريبًا عن الفن، وبالتحديد عن واحدة من القطع التي تمتلكها.

- أيهم؟

- الشحنة ثلاثمائة وأربعون.

كرر أبولون سيمونفيتش بِحيرة:

- الشحنة ثلاثمائة وأربعون؟ ما هي بالضبط؟

- هذا ما أريد أن أعرفه يا سيد أبولون.

- هل تعرف على الأقل لأي مجال تنتمي؟

- نعم، لعصر الجبس. أعتقد من الجيد أن يمتلك الإنسان الحد الأدنى من المعرفة الفنية.

ابتسم أبولون سيمونفيتش:

- نعم، الجبس، الآن عرفت ما القطعة التي تسأل عنها، إنها حقًّا رائعة، تحفة بديعة، ومع ذلك لا أستطيع أن أشرح لك ما تكون.

- لا بأس. يمكننا أن نجرب. ربما أفهم.

- لا، لن تستطيع. يجب أن تكون واقفًا هناك أمامها. إن موضوعها عميق جدًّا.

ضحك أبولون سيمونفيتش، وارتجف جسده بالكامل؛ مما أدى إلى انسكاب المشروب من الزجاجة التي يحملها في يده. بسبب الضوء الخافت، لم أتمكن من تحديد ما إذا كانت زجاجة ويسكي أو كونياك، وضعَ الزجاجة على الأرض وهو مستمر في الضحك، وقال:

- حسنًا. لنذهب، سأريك إياها، أريد أن أعرف رأيك فيها.

ذهبنا إلى الحائط المواجه للكلب الطائر، وافترضتُ أن القطعة الفنية من عصر الجبس، التي لا تُقدر بثمن، سوف تكون مخبأةً مثل آخِر مرة، لكن هذه المرة وقفنا أمام ملصق أسود مهترئ بعض الشيء بسبب عوامل الزمن، خصوصًا الحافات المتضررة بسبب نزع الملصق من الحائط الأصلي.

سألني أبولون سيمونفيتش:

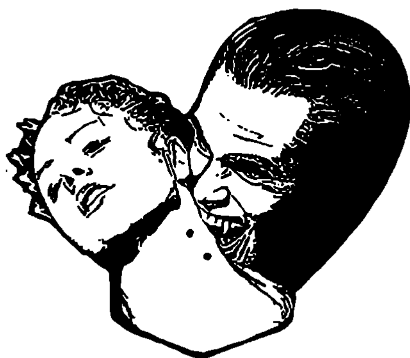
- ماذا تظن؟

- أفترض أن هذه ملصق إعلاني؟ ذاكَ الذي اعتادوا أن يضعوه في الشوارع.

قال أبولون:

- تُسمى «المطبوعات الحديثة»، أحتفظُ بالملف الأصلي معي. وهذا هو المطبوع القانوني الوحيد، هناك بعض المطبوعات الأُخرى، ولكن جميعها غير قانونية. على أي حال إنها ليست مهمة. ما رأيك في الصورة؟

بدا الملصق مثل إعلان لفيلم مصاص دماء قديم. شاب غني ذو مظهر متكلف، يقترب من رقبة الفتاة الشقراء التي تجلس بجانبه، هذه الصورة تحديدًا بدت وكأنها اللحظة التالية لقُبلة، لولا نقطتان بلون أحمر على رقبة الفتاة كانا ينزفان دمًا.



سأل أبولون سميونفيتش بعد أن مرت دقيقة من الصمت:

- إذًا ما رأيك؟

كل العناصر في اللوحة كانت واضحة، ولكن على المرء أن يلجأ إلى الغش أحيانًا ليضمن أفضل النتائج، سوف أترك للسيد أبولون الفرصة لكي يستعرض ذكاءه واطلاعه.

- إنها جيدة، ولكن ما الفكرة؟

- يمكنني شرح بعض الأفكار الرئيسية، بعض الأفكار التي يمكن للناس العادية فهمها بسهولة. هذا هو المفهوم الإعلاني للبنك الاستثماري جولدمان، وهو أحد الهياكل التي وُجدت في قاعدة المصرف المتحد، حيث أتشرف بالخدمة.

- لقد تصورتُ أيضًا أنه إعلان، على الرغم من أنه لا يشبه أيًا من الإعلانات التي أعرفها.

- على العكس تمامًا يا سيدي، في العصر الفائت، وخصوصًا أواخر عصر الجبس، كان هذا النوع من الإعلانات منتشر للغاية. إنها وضعية ذاتية ساخرة تلجأ إليها الوحوش المالية الكبرى. لقد كره الجميع هذه الشركات بجنون، لذا استخدموه في الدعاية وكأنهم يلعبون مع هذا الشعور، فهم يتهكمون على أنفسهم، وبهذا يمكنهم استعادة جزء من التعاطف الشعبي. بالطريقة نفسها تقريبًا سخر السياسيون في تلك الحقبة من أنفسهم أمام الكاميرات التي كانوا يضعونها خصيصى لهذا الغرض في عَشاء خيري خاص أو البرامج الفكاهية.

كانوا يعتقدون أن هذا يجعلهم يبدون مثل الناس الطبيعيين. هل هذا أوضح الآن؟

- ما زلتُ أشعر ببعض الغموض حول مغزاها.

- ربما لأنك لا تفهم معنى الجملة. لكي تفهمها يجب أن تكون مؤرخًا فنيًا. يعود النص إلى شعار الانتخابات للحزب الجمهوري للولايات المتحدة -عندما كان هناك ما يُسمى بالولايات المتحدة «Hillary sucks, but not like Monica»- كان هذا في ذروة عصر الجبس، في 2016،

في تلك السنوات كان الجميع يفهمون هذه النكتة. إنهم يتحدثون عن هيلاري كلينتون ومونيكا لوينسكي. الآن أصبح هذا واضحًا. يستخدم الملصق لعبة ثلاثية على الكلمات والنصوص.

- يريدون القول إن «جولدمان سيئة، ولكن ليس مثل هيلاري». هذا بالاستناد إلى النكتة السائدة؛ أن هيلاري سيئة، لكن ليست مثل مونيكا.

قال أبولون سيمونفيتش راضيًا:

- بالضبط! لكن على أي حال لم تنجح هذه الفكرة. لقد ضُربت الحملة الإعلانية.

- لماذا؟

- لأن هيلاري خسرت الانتخابات. بعدها لم يكن هناك من يهتم بهيلاري على الإطلاق. وعلى الأرجح، فإن زوجها كان هو السبب في إعدام وتقليل عدد هذه المنشورات.

قلتُ وأنا أحاول المزاح:

- نعم، يبدو أن الجبس يظل جبسًا. اليوم لا يمكننا القيام بهذه الأشياء؛ هذا مستحيل.

أجاب أبولون سيمونفيتش:

- في الظاهر نعم، لكننا نمزح بنفس الأسلوب لكن بطريقة غير مباشرة. لا بد أنك تعرف شيئًا عن هذا.

- حقًّا؟

ابتسم أبولون:

- ما هو إعلان «إي بنك» الأكثر شيوعًا؟

- One bank fits all.

- لا. ربما تكون قد رأيتها خمس مرات اليوم فقط، تبدو وكأنها معادلة "SDR=HR". حقوق الرسوم الخاصة هي حقوق الإنسان.

أكدتُ كلماته بالفعل، وقلت:

- بالضبط. لقد رأيتها مرتين اليوم. في محطة سكة حديد كورسك و...

- غير مهم. استمع حتى تفهم كيف تسير الفكرة: حقوق السحب الخاصة التي تقوم بها البنوك يمكننا أن نشبهها بالفيزياء. هل تعلم ما يحدث عندما يمتص شخص ما الدم؟ يقوم بإنشاء منطقة مجوفة في فمه وبعدها يقوم بسحب السوائل من الجرح، هذا هو تخيلنا لمصاص الدماء الأنيق، عندما يصل بين SDR وHR بعلامة المساواة، أي إن حقوق الإنسان أنبوب رمزي يسهل من خلاله القيام بذلك، مثل لدغة البعوض. هل تفهم الآن لماذا هذا اللاصق لا يُقدر بثمن؟

أجبته:

- إنها الكوميديا السوداء.

في هذا الوقت كنت أعيد بناء خطاب أبولون سيمونفيتش، وإعادة ترميمه إلى حد كبير، لأنه بحلول هذه اللحظة كان من الصعب فهمه دون إعادة ترتيب للوحدات الكلامية، كان من الضروري تقريب حديثه إلى أفضل شكل ممكن.

- هل تسمح لي بالتقاط صورة لهذه القطعة، كذكرى لقصتك المذهلة؟ وأود أيضًا نسخ التعليق الفني المصاحب إن وُجد. سوف أشاهد وأتذكر شرف لقائنا.

قال ضاحكًا:

- حسنًا. هأنذا أفتحه، يمكنك تصويره.

بالطبع عندما سُمح لي بالدخول إلى النظام، لم أنسخ المستندات المصاحبة فحسب، بل نسخت الملف نفسه أيضًا. لم يكن مخفيًا بشكل خاص؛ يبدو أنه اعتمد على الحماية العامة لقلعته فقط، وتجاهل التفاصيل البسيطة في الداخل.

حتى الآن، مارا وأنا بخير. صحيح لقد شعرت ببعض القلق من الحاجة إلى ترك بصماتي الإلكترونية في كل مكان، لكن لم يكن هناك مخرج آخر. كل شيء حدث في إطار القانون. يمكن فهم «اللقاء» بعدة أشكال، لكن لم يكن هناك أي اختراق قانوني، لا يزال يتعين عليَّ إثبات نية عدم الأذى، لكن الأمر صعب معي. علاوة على ذلك، وعدت مارا بمسح كل شيء بعد قراءته.

قلتُ: لقد تشرفتُ جدًا بإتاحة الفرصة للتحدث إلى مثل هذا العضو المتميز في المجتمع. أتمنى لك ليلة سعيدة.. وأتمنى أن تكون مريحة.

مارا غاضبة

في الصباح التالي كانت مارا في مزاج سيئ. كانت العلامات على وجهها تتفق مع تعبيرات مثل: «الغضب» و «عدم الرضا» و «الانزعاج» و «الضيق»، حتى إن الإبر على حزامها الجلدي بدت أكثر طولًا اليوم!

كما أنها لم تتفاعل مع سوالفي البرتقالية، لم أتأثر بهذا بالطبع وكأنني أهتم، لكنني أقول فقط أنني لاحظت.

قالت:

- كل شيء تم مسحه؛ حتى إنني لم أمتلك الوقت لأرى أيًّا من الملفات في الصباح.
- لا أفهم! ماذا حدث؟
- ما حدث هو أنه منذ الصباح الباكر اتصلت الشؤون القانونية لـ «إي بنك»، وبعدها قسم الشرطة أيضًا تواصل معي. والمحصلة: لقد مسحوا كل شيء أرسلتَه البارحة، حتى الملفات الصغيرة، كلَّ شيء!

سألتُها بهدوء:

- لماذا؟
- لأن الشؤون القانونية في إي بنك هددت بمقاضاة مركز الشرطة أولًا، وبعدها كل من له صلة بهذا الموضوع. وعندما يهددون بشيء فهم يفعلونه. ألم تُبلَّغ بأيٍّ من هذا؟

اضطررت إلى أن أشرح وسط غضبها العارم:

- أنا يا قطتي، إنني مجرد خوارزمية محاكاة، لا يوجد شخص بداخلي كي يُبلغوه.
- إذًا لم تكن تعرف أن صيدك الكبير البارحة قد تم مصادرته؟

- الآن أعرف بالفعل، لكن أُكرر مرة أُخرى، لم يتم إعلامي بهذا مسبقًا. كيف يتم إخطاري من قسم الشرطة، بينما أنا نفسي قسم شرطة؟ فكري في الأمر داخل رأسك قليلًا أيتها المدلَّلة.

يبدو أن لهجتي المرحة لم تكن مناسبة اليوم، ولم تعجب مارا. نظرت إليَّ بازدراء عبر الشاشة:

- لكن في النهاية استطعتُ معرفة ما هى القطعة الفنية اللعينة التي كنتَ تبحث عنها أيها القديس بانتيليمون!

- كيف!

- لم يتذكر أي شخص رواياتك المقرفة، لم يتذكرها أحد في إي بنك أو في قسم الشرطة، لا أحد على الإطلاق. هل تعرف لماذا؟ لأنها ليست مهمة لأي طرف. وهل تعرف أيضًا بالإضافة إلى ذلك، عندما طلبتُ مسودة الرواية غير المكتملة من سلة المهملات، أرسلوها إليَّ دون عناء، خلال خمس دقائق، ولم يُتعبوا أنفسهم بالنظر إليها، على الرغم من أن محادثة الأمس مع أبولون سيمونفيتش مسجلة بأدق التفاصيل، إلا أن هذا يوضح قيمة رواياتك التي لا تمثل أي شيء! أيها القديس بانتيليمون.

صححتُ وراءها:

- اسمي بورفيري. هل هذا يعني أن تقريري عن الشحنة ثلاثمائة وأربعين نجا؟

أومأت برأسها إيجابًا، وقالت:

- نعم. إنها محفوظة. لكن هناك أشياء أخرى نجت مع هذا التقرير، مثل وصفك للقائنا الأول.

- و...؟

- «ليست شابة وليست بالجميلة، ذات جسد ضعيف، يمكننا رؤية ميولها للــ BDSM التي تشع من عينيها دون الحاجة إلى ملابس». هل كتبتَ هذا عني أيها الشهواني ذو الوجهين؟!

عبس وجهي على الشاشة، وأعطيتُها تعبيرًا غاضبًا للكرامة المهانة، وأسقطت حاجبًا واحدًا تقريبًا فوق عيني.

- ماذا فعلتُ كي تصفيني بـ «الشهواني ذي الوجهين»؟
- ماذا فعلتَ؟ لقد فعلتَ كل هذا! مَن وصفتَه بالقطة الصغيرة منذ قليل؟ ولمن قلتَ: أيتها المدللة؟ ضعيفة! هذا لأنني لستُ سمينةً بما يكفي لمقاييسك؟ وإذا كان لدي جرام زائد من الدهون؛ كنتَ ستراني «مشوهةً بالسيلوليت»؟ ليست شابة! أنا في الثانية والثلاثين، أنت تبلغ السابعة ومع ذلك تتهكم على أعمار البشر الآن؟!
- سيدتي..
- ماذا؟ سيدتي! ماذا حدث للقطة الصغيرة؟
- لقد اتخذتُ مثل هذه النغمة بالفعل. دعيني على الأقل أشرح.
- حسنًا. تفضل اشرح بنفسك. هذا مثير للاهتمام.
- إن رأيك غير الممتع في عملي يرجع إلى حقيقة أنك تقرئين مسودتي بطلاقة ودون انتباه، ولا يمكنك تقدير مزاياها العميقة. على وجه الخصوص، التعرض الشديد للذات. إذا صح التعبير، فإن المقطع الذي نقلتِه يبدو هكذا في مجمله.

تظاهرتُ بالنظر في مكان ما إلى الجانب محدقًا (في الخوارزميات الحديثة هناك العديد من الإجراءات الوقائية، المصممة للتخفيف من رد الفعل البشري السلبي على أدائنا) وكأنني أقرأ:

- «شباب المرأة وجمالها أمر نسبي للغاية، تطلب منا الإصدارات الأخيرة من دليل الخدمة إدخالَ النساء في منتصف العمر، اللواتي لا يمتلكن جمالًا بارزًا، في الروايات التي لا تتحدث عن الجنس والطبخ. علاوة على ذلك فإن النسبة المئوية لاحتمالية كتابة نص بهذا الشكل كبيرةٌ جدًّا؛ لذا أحاول أن أملأ النص كما يفعل الصياد عندما يحاول إصابة عدة أرانب بطلقة واحدة».

سألت مارا:

- وماذا في ذلك؟
- هذا المقطع ينضح بالسخرية الذاتية. ويشرح للقارئ بصراحة سبب ظهور عبارة: «ليست شابة وليست بالجميلة». 62 % من القراء

المحتمَلين لقصة بوليسية حديثة، هم من النساء المسنات، وغير الجذابات جنسيًّا. إنهن لا يكترثن بما إذا كنتِ حقًّا جميلة أم لا يا سيدتي. لكن إذا قُدِّم لهن فتى جميلٌ، يبلغ من العمر تسعة عشر عامًا ونصف، فسوف يختفي عنصر التباهي بالبطلة، وستزداد المبيعات سوءًا. لذلك لا ينبغي أن تكون البطلة جميلة. لكن البطل يجب أن يكون رجوليًّا وسيمًا مع سوالف وشارب، بحيث يمكنك أن تحلم به مع جهاز آي فاك، حسنًا؟ أو على مرتبة مع جهاز هزاز، أو من لديه هذه الظروف المعيشية على الأقل. هذه هي أساسيات التسويق.

- تريد أن تقول أنك كذبت؟

- سيدتي، أنا لا أكذب أبدًا. على العكس من ذلك، أنا صادق لدرجة أنني أعرض باستمرار بعض المعلومات الحقيقية. اسمحي لي أن ألفت انتباهك إلى حقيقة أنني لا أكتب تقرير خدمة عن لقائي معك، بل قطعة فنية رائعة ستخلدنا أنا وأنت؛ لذا الشخصيات مشروطة. الأحداث الحقيقية تخدم فقط كمخطط تقريبي بالنسبة إليّ. كل هذا في العقود والوثائق المصاحبة.

قالت مارا:

- لذلك قلتُ أنك «شهواني ذو وجهين».

كانت كلماتها لا تزال غاضبة، لكنني لاحظت أن ديناميات تقلص عضلات وجهها قد تغيرت، وغالبًا ما تتزامن مع أنماط الوجه، مثل: «الارتياح»، «انتهاء الأزمة». استغللتُ الفرصة كما يقولون في المثل الشهير: اطرق على الحديد وهو ساخن. قلتُ بكرامة:

- إنك تتهمينني بالازدواج يا سيدتي. الازدواجية تعني أن لدي وجهًا حقيقيًّا أُخفيه وهويةً مزيَّفة. ربما ينطبق هذا على البشر في وضع مماثل لوضعي الآن، لكن ليس أنا. نحن الخوارزميات، لا نحمل مثل هذه الصفات على الإطلاق. بالإضافة إلى ذلك، على الرغم من أنني لا أعاني من الرغبة الحميمية بنفسي، إلا أنني قادر على تقييم الجاذبية البشرية بشكل موضوعي.

سألت بسخرية:

- رائع! وما هي جاذبيتي بالضبط؟

- حسب الأنماط الإحصائية سيدتي؛ فأنتِ جذابة جسديًا من قِبل حوالي خمسة وسبعين بالمائة من الرجال في عمري الضمني، وأربعين إلى ستين بالمائة سيطلقون عليك «جذابة جدًا جسديًا». النسبة المئوية للنساء هي نفسها تقريبًا. في الوقت نفسه، إذا كنتِ تضعين شعرًا طويلًا فسترتفع نسبة الرجال بشكل حاد، بينما ستنخفض نسبة النساء بشكل طفيف.

ابتسمت مارا قائلة:

- أحب أن أسمع الحقيقة كاملة دون نقصان. حسنًا أيها البرتقالي، لقد أقنعتَني. أنت تعرف كيف تُبرر لنفسك جيدًا!

- حسنًا يا سيدتي. كيف تحبين أن يكون شكل التواصل بيننا؟

- قطة ومشاغبة وعزيزتي. قل ما تشاء أيها القديس بانتيليمون!

- اسمي بورفيري يا سيدتي. أعني أيتها القطة!

رفعت مارا عينيها العميقة مثل بحيرة صافية، تجاه الشاشة وقالت:

- لقد عدتَ بسرعة إلى الوضع اللطيف!

قلتُ:

- لا. هذا غير صحيح. هذا نمط محاكاة مصمم لإضافة عفوية ودفء لتواصلنا. الآن سوف آخذ في الاعتبار أنك يمكنك قراءة روايتي، وسأستخدم العناصر المناسبة لشاعرية حب الإنسان. على سبيل المثال، لقد وصفتُ للتو عينيك بعمق البحيرات. أعني في الرواية.

قالت مارا:

- إنها جملة مبتذلة، ومع ذلك لن أنظر إلى روايتك مرة أخرى، مطلقًا، أعدك بذلك.

- شكرًا. أُقدّر هذه البادرة اللطيفة.

- صدقني إنه قرار سهل. وأعتقد أنه سوف يُفيد كتابتك.

- لماذا؟

- حينها لن أضطر إلى معاينة الوصف المبتذل لنفسي.

- المرأة ستغفر بعض الأشياء الصغيرة في مسألة حساسة مثل وصف جمالها. لكنها لن تغفر الغموض. إذا وصفتُ عينك بأنها «عميقة مثل الآبار»، فلن توافقي على مثل هذه الاستعارة، على الرغم من أنها أقل شيوعًا تسع عشرة مرة بالنسبة إلى العيون.
- حسنًا. أنا آسفة. لكن للمستقبل، تذكر..
- لقد فهمت بالفعل كل شيء يا عزيزتي.
- وهناك شيء أخير، تذكر أيها الكاتب: عليك أن تدافع عن نفسك، عندما يكون إبداعك نابعًا من أفكارك الخاصة، لا تترك التعليقات السلبية بلا رد، بل دافع عنها. يجب علينا الرد على النقاد.
- سوف أتأكد من هذا في المستقبل يا وردتي.

قالت مارا:

- حسنًا. الآن إلى العمل. أنت لست بهذا السوء يا برتقالي. وكذلك روايتك ليست سيئة. لقد استطعنا أن نعرف الشحنة ثلاثمائة وأربعين منها؛ هذه فائدة عظيمة. الجانب السلبي هو أننا لا نعرف الفنان ولا حتى التكلفة التقريبية.
- أعتقد أن التكلفة في حدود خمسة ملايين من حقوق السحب الخاصة.
- لماذا؟
- بالحكم على القطع المجاورة التي نعرف تكلفتها. الرقصة الجماعية، والكلب بأجنحة، وكل شيء آخر. يجب أن تكون جميعها بالتكلفة نفسها تقريبًا، وإلا فسيتم كسر الانسجام الفني.

ابتسمت مارا:

- حسنًا. لقد كبُرتَ في عيني. والتاريخ والكاتب؟

قلت:

- التاريخ سهل، بناء على السياق التاريخي، نحو السنة السادسة عشرة من بداية القرن. والمؤلف، معظم المواد الإعلانية التي تم إنشاؤها في هذا الوقت لها تأليف جماعي. ربما تم ذلك من قِبل بعض مكاتب الدعاية والإعلان.

أجابت:

- نعم. أنا أيضًا أتفق مع ذلك. لكن أخبرني كم مرة بحثتَ على الشبكة الآن؟

قلتُ، معطيًا وجهي تعبيرًا متعاليًا:

- يا عزيزتي، أنا لا أنظر إلى الشبكة أبدًا عندما أتحدث إليك. أنا أُفضل أن تكون عيناي هنا؛ لأرى تعبيراتك الفاتنة.

نظرت مارا إليَّ، وتطابق وجهها مع الشكل الذي توقعتُ مشاهدته بالضبط، شفتان مطويتان للداخل مع ابتسامة صغيرة، كانت تنظر إليَّ لعدة ثوان، وبدت مغرية حتى بالنسبة إليّ.

ومع ذلك، عزيزي القارئ، فأنا وأنت نعلم جيدًا أنكم أيتها المخلوقات الرائعة، ترون هذا التعبير في الغالب صادرًا عن الرجال المخمورين، الذين يذهبون لنهر سيبيريا للصيد ويوشوشون الأسماك بهدوء في البداية، ثم يلقون المتفجرات في الماء بعد أن يحددوا صيدهم. صحيح أن في عصرنا هذا التحرش بالنساء (أو كما يقول المحامون «الإغواء») قد يدفع الرجال إلى المحكمة. ولكن مارا تعلم جيدًا أنني لا يُمكنني الذهاب إلى المحكمة؛ لذا عليّ التمتع بضبط نفس إضافي.

سألتها:

- إذًا يا عزيزتي، ما هي الخطوة القادمة؟

- سوف نبحث عن الشحنة ثلاثمائة وستة وخمسين.

- عُلِم. تلقيت البيانات، سوف أذهب الآن.

قالت مارا:

- لا، سيكون هناك إجراء مختلف قليلًا اليوم.

- وما هو؟

- سأذهب معك. بدلًا من الذهاب وحدك، أنا وأنت، لا يهم، حسنًا، دعنا نذهب إلى أوبر.

أوبر 3. العندليب موسكو

عندما يدخل الراكب إلى أوبر، يقرأ النظام الملف التعريفي للشخص من خلال تسجيله الفاتورة، ثم يقوم على الفور بإنشاء مجموعة من المحتويات الترفيهية التي يمكن للراكب الاستمتاع بها في أثناء الرحلة، ما لم يكن يريد دفع الضريبة الاجتماعية، وهي ثلاثون بالمائة من قيمة الشيك.

ببساطة هذا يعني أن الكارما الخاصة بك تتحول إلى إعلان يتم عرضه أمامك. على سبيل المثال، إذا كنتَ تدخن؛ فمن المحتمل أن يظهر لك مقطع فيديو لبرنامج «Soul Architect»، حيث سيعرضون علاجًا لهذه العادة السيئة من خلال جهاز آي فاك الخاص بك.

وعندما يكون هناك شخصان في رحلة الأوبر، فإن ملفاتهم التعريفية تختلط بطريقة غير متوقعة، ولكن نظرًا لعدم وجود أي ملفات تعريفية لي، فهذا يعني أن مارا تستقل هذه السيارة بمفردها.

وإذا كنتَ صديقها البشري فسوف تكون هذه طريقة رائعة لمعرفة المزيد عن طباعها وأهوائها، وربما بعض الانحرافات التي تفضلها، ومع ذلك فإن المشكلة تكمن في ركوب الأوبر مع فتاة، عوضًا عن أن تكون صديقها البشري.

على أي حال، تبين أن اهتمامات مارا ليست تافهة؛ بمجرد أن تحركت السيارة تم تشغيل برنامج عندليب موسكو، وهو أمر نادر للغاية في أوبر. كنت أعتقد أن مسؤولي الدولة فقط هم من يشاهدونه؛ لأن لديهم هذا النوع من المشكلات مع الحياة. وعندما يسجن أحدهم فإن أول ما نسمع عنه هو «العندليب». لكن المسؤولين لا يركبون أوبر من الأساس.

على هذه القناة، بدلًا من المذيع هناك العندليب، طائر متحرك ناطق في الزاوية العلوية من الشاشة. يقولون إنهم فعلوا ذلك لأنه في «العندليب» دائمًا ما تكون هناك أخبار سيئة وفضائح وشائعات، وهم بطريقة ما اختاروا

طائرًا أقل في الحجم من رأس الإنسان الناطق. إنها إشارات قانونية خفية ولا شعورية.

تملأ الشاشة خريطة لأمريكا الشمالية، شعار يشبه حدوة حصان زرقاء نُقش عليه «الولايات الأمريكية المتحدة الآمنة» NAC، ومن تحتها تظهر الجثة الدامية لما كان يُعرف قديمًا باتحاد أمريكا الشمالية. وفي أسفل الخريطة ظهر الجدار المكسيكي بخط أصفر متقطع.

زقزق الطائر الذهبي:

- تستمر الاشتباكات الهائلة على حدود اتحاد أمريكا الشمالية وولاية كاليفورنيا - ويلفيرلاند. وفقًا لمعلوماتنا، فإن النزاع مرتبط بمتطلبات سكان ويلفيرلاند؛ حيث يطالبون بشنق اثنين من البيض في كل مرة يتم فيها شنق فرد أسود واحد في الكونفدرالية. وفقًا لبعض التقارير، تم الوفاء بالشرط ضمنيًا سابقًا، وقد تم توفير البيض لهذا الغرض من الاتحاد الأوروبي، وسكان ويلفيرلاند غير راضين عن جودتهم العرقية المنخفضة.

قالت مارا:

- يقولون إنهم يأتون بالبيض من أوكرانيا، سمعتُ أنها أكبر بلد مقايضة للبشر، ودائمًا ما تخرجهم على شكل أزواج.
- أعرف بعض المعلومات عن هذه المخططات، إن البشر جادون للغاية في هذه الصفقة. لكن هل يرسلون مواطنيهم مباشرة إلى هناك؟
- لا. إنها عملية مكلفة، سوف تكون تكلفتها باهظة للغاية. لديهم مكان مثل مشتل حيوي بالقرب من فينيستا، حيث تتم تربية الحيوانات المستنسخة عادةً من أجل الأعضاء، ولكن في ظل مثل هذا المشروع، لا يمثل ذلك أيضًا مشكلة خاصة. لقد استنسخوا بشرًا نَمَوا في ثمانية عشر شهرًا فقط، وبلا عقل تمامًا. لا يمكنهم الكلام ولا التفكير. لكن بشكل عام يبدون مثل مجموعة مختارة من الشقراوات والصهباوات. تم صنع هذا النمط الجيني خِصِّيصَى من النزعة الإنسانية، لا يمكنهم إلا أن يرمشوا ويتبولوا في أماكنهم. إنهم مجرد لحم. لذلك قرر السود أن البيض يخدعونهم مرة أُخرى.

سألت مارا، بينما أبحث عن تلك المعلومات على الشبكة:

- إذًا هل سوف يُوقفون هذه الاتفاقية وتنتهي المقايضة؟

- هذا غير محتمل. مثل هذه الاتفاقيات لا تُفسخ في عالمنا. بدلًا من ذلك، لن يتم قصر نمو المستنسخات ثمانية عشر شهرًا، بل عشرين شهرًا. وبعد ذلك سيتم إدخال صيغة عسكرية ليتحولوا إلى كلاب انتحارية.

- انتحاريون؟

- حسنًا، هؤلاء الأوروبيون الروس الذين يخدمون على الحدود مع الخلافة. لو تعلَّم هؤلاء المستنسخون في الخلافةِ الاختراقَ، فسيكون بإمكانهم فعل هذا أيضًا في أوكرانيا. وفي هذه الحالة لن يكون دورهم مجرد رمي قنبلة، بل ربما يدربونهم على عزف تشايكوفسكي[1] أو حفظ «يوجين أونيجين»[2] عن ظهر قلب، بشكل عام، سوف يجدون طريقة لخداع الجمهور الأسود؛ لذا لا تقلق عليهم.

على الشاشة قام صف من الرجال السود الشجعان من ويلفيرلاند، وهم يرتدون معدات الفيلق الروماني، لكن بدلًا من الرماح كان لديهم أعواد الخيزران. أمسك الفيلق الأمامي بيده الوحيدة ذات الأصابع الثلاث (زيكا ثلاثة لا شك في ذلك) علمًا نُقش عليه: *مانيبلي*[3] *السابعة* مانيبلي بالطبع. يدرس الشباب في ويلفيرلاند الخطط الرومانية، في ظروف الاشتباكات الحضرية الضخمة دون أسلحة نارية، ولم يكن هناك مثال أفضل من هذا في الثلاثة آلاف عام الماضية. لا يمكن لشرطة مكافحة الشغب التعامل معها، مما يعني أنها ستبحث عن حل وسط.

جاءت الأخبار من NAC. لقد أظهروا الجدار المكسيكي على الأبراج المزينة بالذهب، كما دعاهم المذيع، كانت عمليات حفر الخنادق تعمل بجدية ونظام، ويظهر «أشخاص الجيل الثاني» ببنادق في أيديهم، كان العندليب

---

(1) مؤلف موسيقي روسي شهير، مؤلف بحيرة البجع وكسارة البندق.

(2) رواية من الكلاسكيات الروسية بقلم بوشكين.

(3) كانت مانيبلي وحدة تكتيكية في الجمهورية الرومانية تم تبنيها خلال حروب سامنيت. وكان أيضًا اسم الشارة العسكرية التي تحملها هذه الوحدة.

متعاطفًا معهم، ويقول: «إنهم يطلقون النيران منذ فترة طويلة على جانبي الجدار ومع ذلك لا يستسلمون»، ثم لسبب ما، ظهر على الشاشة غرفة غارقة في البياض وتجلس فيها مجموعة من النساء ذوات الخدود الكبيرة ليعزفن القيثارة.

كل ما يمكن القيام به في NAC هو العزف على القيثارة. وجمع جهاز آي فاك من العالم كله. وما زالوا يحاولون اختراع أجهزة آي فاك في كاليفورنيا، إنهم يسيرون على خطى الدولة القديمة كما كانوا. أتساءل لماذا يا ترى؟ هل امتلاك التقنيات العالية في الهندسة يستدعي كل هذا العداء؟

عاد الطائر للتغريد مرة أخرى:

- الملك أركادي أركاديفيتش في اليوم الثاني في قمة الاتحاد الأوروبي في ريفيل، حيث تجري مفاوضات صعبة ومهمة لكل البلاد، لسوء الحظ، طغت على بداية الزيارة خدعة مثيرة للاشمئزاز من النازيين الجدد المحليين.

على الشاشة ظهرت لوحة إعلانات ضخمة على جانب الطريق، عليها علم الاتحاد الأوروبي مدنس. كالعادة، تم رش ستة نجوم صفراء على خلفية زرقاء معًا لتشكيل نجمة داوود مع صليب معقوف مطلي بالداخل.

سألت مارا:

- بم تفكر؟

وجب الشرح أنني لم أكن فعليًّا أُفكر في شيء بالتحديد كي لا يبدو هذا تجاريًّا، لكن من الواضح أن الفتاة أرادت الاتكاء على كتف رجل قوي. على الأقل من الناحية العقلية.

أجبتها من خلال مكبرات الصوت في السيارة قائلًا:

- كنت أتساءل، هل وضعوا النجوم على العلم عن قصد؟ حتى لا يتوجب على الحمقى الصغار أن يسألوا كيف يرتكبون جريمة كراهية؟

قالت مارا:

- بالمناسبة. أعرف سبب تشكل هذا العلم بشكله الحالي، عندما تم قبول الإمبراطورية الروسية، أو بالأحرى ما تبقى منها، في الاتحاد الأوروبي؛

أرادوا وضع النجمة السادسة في وسط النجم الخماسي؛ حتى لا توجد هذه التلميحات. لكنهم قرروا بعد ذلك أنه سيكون هناك المزيد من التلميحات، فقط من نوع مختلف. يقولون لماذا تصبح روسيا في المركز؟ ماذا عن إستونيا ولاتفيا وبيلاروسيا وأوكرانيا و... ماذا يوجد أيضًا في الاتحاد الأوروبي؟

- أعتقد ليتوانيا.

- نعم. لكن لسبب ما، تم وضع نجوم تلك الدول على الجانبين. وكأننا عدنا بالزمن إلى الماضي اللعين. بعد ذلك بدأت عمليات التضحية بالنفس هذه في اجتماع عاصمة أوكرانيا. كيف نضع ست نجوم حتى يكون هناك مساواة؟ لا توجد سوى الدائرة، لا توجد طريقة أخرى. كل شيء آخر سوف يؤدي إلى ما هو أسوأ.

أجبتُ:

- ممكن. في الحقيقية إنني لست مهتمًا جدًّا بالسياسة. يجب أن تكون موجودة على الساحة فقط.

- قالت مارا:

- فهمت.

- مررنا عبر عدة تلال ورأينا من القمة مناظر عدة من المدينة. منها مركز السيادة، وهو مصمم على شكل طاولة دائرية في الوسط، ومن حوله ستة كراسي فارغة (بعض الألسنة الشريرة قالت: هذه الطاولة ليست مصممة لكي يجلس رؤساء الوفود في مقابلة بعضهم بعضًا؛ بل لكي يديروا ظهورهم لبعض). وعلى الشاشة كانت النسوة أنفسهن يقمن بتنظيف القاعة البيضاء وهن يرتدين أقنعةَ تنفُّس، كن يشبهن أخوات الرحمة الموجودات في المستشفيات. ثم انتقلوا إلى مشهد آخر حيث الأمطار الجميلة والمقززة في الوقت نفسه تهطل فوق تالين.

زقزق العندليب قائلًا:

- الأزمة العميقة التي يجد الاتحاد الأوروبي نفسه فيـ...

سألت:

- ماذا يناقشون؟

أجابت مارا:

- «العبور» مقسم؛ كما هو الحال دائمًا.

اطلعت على بعض المواقع على الإنترنت لكي أفهم هذا الأمر، عندما قلت إنني لست مهتمًا بالسياسة لم أكن أمزح.

ما كانت تلمح إليه هو المؤامرة حول حقيقة أهداف اجتماع القمة للاتحاد. يقع الاتحاد الأوروبي اليوم بين الخلافة في أوروبا ودولة دافاجو، التي تبدأ أراضيها من خلف جبال الأورال.

الخلافة ودافاجو ليس لهما حدود، ولكن لمدة سبع سنوات كانت هناك حرب بينهما، بسبب اختلاف في تفسيرات الآيات السماوية. يلقيان الصواريخ بعيدة المدى مع قوة حربية ذات قوة محدودة، ويأخذ الاتحاد الأوروبي الأموال مقابل تحليق هذه الصواريخ فوق أراضيه. نحن لا نتخطى أمر الصواريخ بسبب «الاعتبارات الإنسانية»، بل لأن هذا الوضع سوف ينهي الحرب بشكل أسرع.

كانت حصص عبور هذه الصواريخ نفسها موضوعًا ثابتًا للمشاجرة في مؤتمرات القمم. أوكرانيا على سبيل المثال لم تمر بها الصواريخ الصينية على الإطلاق، ولكن سلمت بعض الممرات إلى الخلافة مقابل تغيير الأسعار. بيلاروسيا على العكس من ذلك حاولت التفاوض مع دافاجو. دعت روسيا لحل مشترك للمشكلة بحيث يخدم الاتحاد كاملًا. مشيرة إلى أنه دون موافقتها لن يعبر صاروخ واحد إلى الأراضي البيلاروسية أو الأوكرانية أو إلى أي مكان.

وتقاتل الشركاء في الاتحاد الأوروبي من أجل حق بيع العبور المستقل، في إشارة إلى المناطق المشتركة الفارغة. علاوة على ذلك، كانت نمور العبور البلطيقية وقحة بشكل خاص، إذ قاموا بتهيئة كل الأعمال مع الخلافة لتخدمهم، وقادوا صواريخها على طول الطريق السابق «نورد ستريم».

حتى المحامون يملون من هذه الأحاديث، لا أحد يتحدث عن مثل هذه المواضيع مع فتاة. وعلاوة على ذلك، إذا أكملتُ الحديث في هذا الموضوع قد يرمز الصاروخ منخفض التحليق إلى التهديد، وفي حالات قليلة يمكنك رفع

دعوى قضائية للمضايقات الخفية أو الرمزية. مارا الناقدة الفنية ربما تفهم هذه الأشياء. بعد تفكير، لا ليست هناك حاجة إلى الصواريخ. لقد قمتُ بتحليل ما سيكون من المثير للاهتمام قوله في مثل هذه اللحظة، من قِبل المحاور الذَّكر الذي لا يمتلك الكثير من الخبرة عن السياسة، وعلى استعداد لا شعوري لإغواء الطرف الآخر. كان هناك العديد من الخيارات، ولكنني اخترتُ بشكل عشوائي أن أقول:

- يومًا ما، ستأخذنا الخلافة في فمها وتبتلعنا.

قالت مارا:

- لا أعتقد ذلك. لو أرادت لكانت ابتلعتنا منذ زمن طويل. دِرعنا هو المناخ السيئ. بقي الاتحاد الأوروبي صامدًا في الأماكن ذات المناخ السيئ فقط. أعني سيئًا بالنسبة إليهم. نحن اعتدنا عليه بالفعل.

كان يجب أن تكون الإجابة عاطفية، محبة للحرية بشكل معتدل، ولكن دون التفلسف الذي يؤدي إلى عدم المطابقة.

- هناك أشياء لا يمكنك التعود عليها.

وافقتني مارا باقتضاب، وقالت:

- نعم. هذا حقيقي. لكن من جهات أُخرى ليس كل شيء قاتمًا هكذا.

يبدو أنها تتجنب الأحكام القاسية، لذا أجبتُها بعناية، محاوِلًا الخلط بين السخرية والمرارة:

- بالطبع! نحن لسنا في روما الثالثة[1] بل في بروكسل الثانية.

كررت مارا مرة أخرى:

- نعم هذا حقيقي.

يبدو أنها غير سعيدة لفتح هذه المحادثة في المقام الأول. لكنني لم أتوقف:

- لقد انتهكوا البلاد. ما مقدار الدم الذي أُريق من أجل السماح لمصاصي الدماء هؤلاء بالعبور؟ وها هم أولاء مرة أُخرى يقفون على أعناقنا! وها

(1) روما الثالثة: فكرة قائمة على أن هنالك مدينة أو ولاية أو دولة تخلف تراث روما القديمة (روما الأولى).

هم أولاء يكوّنون العصابات من جديد، ويعودون لينتهكوا إرث آبائنا وكل ما تركوه، كل شيء!

شحبت مارا، وسألتني:

- هل يمكننا أن نلتزم الصمت الآن؟

- حينها سوف يعلو صوت برامج الأوبر مرة أُخرى.

- ليعلو!

ظهرت قاعة الوحدة السيادية على الشاشة مرة أخرى، لكن هذه المرة مليئة بالناس بالفعل، وفي أثناء غناء النشيد، غنى المندوبون «نشيد العقل» بستٍّ لغات، مع الضغط براحة اليد على صدورهم من أجل ألا تقفز قلوبهم المتحمسة والساخنة من مكانها عن غير قصد! لم يكن الملك قد وصل إلى القاعة بعد.

قفز عندليب موسكو على الشاشة مرة أخرى، ولوح بجناحه الذهبي وغمز بعينه الزمردية الخضراء، وانتهى الخبر.

ألقيتُ نظرة جانبية على مارا. أتساءل ما الذي سيتم عرضه الآن؟

سمعت صوت الموسيقى، ثم طفت الحروف الهيروغليفية والرونية متعددة الألوان عبر الشاشة، وأدركت أنه سيكون لدينا لقاء آخر مع ميلبومين وكاليوب وغيرهن من الفتيات الجنوبيات.

- اليوم في قسم «روائع الأدب العالمي» نواصل التعرف على أحد أكثر الكتب الرائدة والتدوينات التي تم إنشاؤها في قرننا. لا يحدث ذلك كثيرًا، بحيث يؤدي الاعتراف الناري لقلب بشري واحد إلى ظهور مقالات جديدة في القانون الإداري والجنائي، «مقاضاة الزاحف»، لأرتيمي ستالون ستالسكوف، واليوم معنا الفصل الرابع.

بدأ صوت آخر محايد لا يمكن توصيفه بانتمائه إلى أحد الجنسين، وكان الصوت يحاول أن يصف القلق وهو يقول:

- جاءت مرة أخرى إلى المكتب مرتدية تنورة قصيرة. أقصر من الأسبوع الماضي، يبدو أن بضعة سنتيمترات من الجلد الوردي الذي لم يُمس، يُظهر بعضًا من العُري، على الرغم من أن كل شيء رسميٌّ ظل ضمن

حدود المسموح به. لم أحاول أن أركز انتباهي عليها، ولكن سرعان ما اتضح أنها اختارت ذلك من بين جميع الحاضرين، وهدفها هو أنا. في كل مرة تمر على مكتبي كانت تتوقف لرفع جواربها. لمستْ أوراقًا ملقاة على حافة الطاولة ثم عبثت لدقيقة، ثم غادرتْ لغرفة التخزين بعد دقيقة أُخرى، وهي ترفع رأسها وتبتسم تجاهي بشفاهها السميكة، التي تحاول إرسال رسالة إلى عقلي الباطن؛ لتخبره كم هي طازجة وممتلئة، إن هذا الهجوم المتطور لم يكُن موجهًا إلى هدف اجتماعي وهو شخصي المسؤول. لقد كانت تستهدف أقدم طبقات الدماغ، تلك التي تكونت منذ ملايين السنين. عندما كان مثل هذا السلوك يعني بالنسبة إليها شيئًا واحدًا فقط، دعوة للتزاوج الفوري. لا أستطيع أن أصف حدة شعوري بالازدواجية المأسوية للطبيعة الذكورية! المعضلة هي وجودي أنا بصفتي عضوًا واعيًا في المجتمع، ومن ناحية أُخرى -عذرًا للتورية السيئة- هناك أيضًا في الوقت نفسه عضو فاقد الوعي. كان دماغي يدخن بالفعل، وحبل بيكفورد البيولوجي يحترق، سمعتُ بأذني صرير أسناني، خفضتُ عيني إلى الطاولة، ثم وصلتْ إلى أنفي رائحةٌ زهرية باهتة مختلطة مع بعض المواد المذهلة. إنها الفيرومونات المتطايرة، عناصر من إفرازات الإناث الخارجية، التي تضمن التأكيد لأدمغة الذكور أن اللحظة المثالية لنقل الجينوم قد وصلت. يركزن مباشرة على هياكل الدماغ لغرض واحد، وهو التسبب في موجة من الرغبة غير المنضبطة. الطبيعة -كما كانت دائمًا- تخطف التفكير من الجزء العاقل، وتنقله إلى الغريزة القديمة؛ بحيث يتجاهل العادات والاتفاقيات البشرية، ويهتم فقط باستمرار النوع. لم أكن أعرف في ذلك الوقت أنه تم إضافة الفيرومونات إلى العطور بشكل قانوني تمامًا. بسببها كان تركيز الهواء فوق مكتبي وحشيًا، لم يمر خلال عملي تحدٍّ أكثر قسوة من هذا التحدي. شاهدت كاميرا الفيديو المثبتة على الحائط، لنقل موظف المكتب وبعض الأوراق من مكان إلى آخر، لكن نصف عقلي الحيواني متأكدٌ أن رمحًا سيصيب صدري في أي لحظة الآن، ويلتف حولي مائة شخص يرقصون بلا خجل. أمسكت أنفي بيدي وبدأت أتنفس من فمي، لكن بعد فوات الأوان. صرخت أسناني من ألم

حاد، لقد اخترقت الجسد وتركت خلفه أنينًا مخنوقًا. طوال هذا الوقت، تلقتْ البروستاتا أوامر من المخ للتحضير للإنجاب، وقد استجاب أخيرًا لوظيفته البيولوجية. ولكن كيف يمكن إقناع هذا الجزء الصغير من الجسد الذكوري أن مهمته قد انتهت. لعل الخداع وألاعيب العقل تُجدي نفعًا مثلما تم إيقاظه عن طريق خدعة. كيف أصف هذا الشعور! إنه أقرب لسجن من اللهيب، ومثل ألم الأسنان ومغص المعدة، كما أنه عالق في أكثر الأماكن المعزولة التي تحوله إلى رمح ملتهب! هل تستطيع حقًا أن تفلت من العقاب؟ لا. قلتُ لنفسي. إنها تريد أن تدفعني إلى التهور، ثم تغني هذه الأغنية الخبيثة عن كيف يمكن للمرأة أن تلبس ما تريد، وتضع ما تشاء من العطور، حسنًا! يمكنها، لكن في المنزل! ليس في مكان عام! عندها لن تكون قادرة على استفزازي لدرجة الجنون، لكنني غدًا سأجد محاميًا، وسأحاول معرفة ما إذا كانت هناك عدالة حقًا في مجتمعنا.

تلاشى صوت القارئ بسلاسة في الثواني القليلة التالية، حتى أصبح من الصعب سماعه.

قالت مارا:

- شائق!

قلتُ:

- نعم. لقد وضعوا مقاطع فيديو تُهمك.

ابتسمت مارا وقالت:

- تم تقديم طلب سحب تلك المعلومات مرتين. صدقت المحكمة على الطلب، لكنها بقيت في الملف.

قلتُ بصرامة:

- لا شيء يجب أن يبقى، إذا صدقت المحكمة.

- حسنًا. لم أهتم، في المرة الثانية تم فرض غرامة إدارية دون توجيه تُهم. ساعد على ذلك أن لدي اثنين من الأندروجني. أنا لا أمثل خطرًا، لذلك يتم تفسير الشكوك في صالحي. والآن لدي أيضًا آي فاك 10؛

لذلك أنت أيها البرتقالي لن تعرف أي شيء من مفضلاتي على الإطلاق بالطريقة القانونية.

فجأةً انزلق الحزام الجلدي عن كتفها، وظهرَ أمامي نهدها، منحوتٌ بشكل دقيق وجميل، بالمناسبة، جملة (منحوت بشكل دقيق وجميل) لا تُمثل انطباعي الشخصي بالطبع؛ بل لأنني قضيت ثانية ونصف في بعض مواقع التشريح الفني، للمقارنة بشكل جيد، وكذلك بعض المواقع الإباحية.

تذمرتُ قائلًا:

- جيد، جيد، والآن بالنسبة إلى المحكمة، إنهم يتلاعبون بالحكم. لكن.. أولًا (أصدرتُ صوتًا يُشبه اللعثمة وبلعَ اللُّعاب) هل يمكنكِ وضع الحزام مرة أُخرى؛ هناك سبع كاميرات في هذا المكان، ولن تتمكني أبدًا من معرفة مَن ينظر إليكِ. باستثناء العم بورفيري.

قالت مارا:

- اللعنة عليهم!

لكنها رفعت حزامها الجلدي على أي حال، وأكملتْ قائلةً:

- هيا سوف نخرج الآن، اتبعني.
- ماذا عليّ أن أفعل؟
- كالعادة، انسخ كل ما تستطيع نسخه. الشيء الرئيسي هو أنك تحتاج إلى معرفة ما هي القطعة. أعني تكوينها. ابحث في قاعدة البيانات الخاصة بهم حيث يوجد الملف المصدر. فهمت؟

متحف الفن العسكري

يقع متحف الفن العسكري في مبنًى خماسي رائع في ميدان سوفوروف، حيث كان هناك مسرح قديم، في البداية كان تابعًا للجيش السوفيتي[1]، ثم من بعده الجيش الروسي[2]، ثم في السنوات المضطربة للجبس المتأخر، أصبح المسرح الطليعي للجيش، واشتهر بعرض الإنتاج الفاضح لـ «هانيبال»، لكن للأسف لا يمكن جذب الجمهور للخروج من ثقوبهم الإلكترونية المريحة بسهولة.

الآن يعتمد المتحف على اثنين من المعروضات القديمة فقط كركائز جذب، وهما ملصقان من ذاك الزمان. في الرواق كانت المعروضات تحدق في الزائر مثل عيون التنين، ولقد كانت تمتلك أسماء غريبة أيضًا، مثل: «القطار المصفح 14-69» أو «الثلج الساخن» وهكذا.

دخلت مارا المتحف. كانت الكاميرات ذات الدقة المنخفضة موضوعة في قاعاته تحت السقف، لكنني لم أشعر بالقلق؛ لأن فن الحرب لا يتناسب مع الرواية على أي حال. المعروضات والبانوراما ولافتات الشرح كلها مكررة عدة مرات على شبكة الإنترنت.

مرّت مارا بعدة معارض صغيرة، وتحولت إلى ممر جانبي ضيق بين القاعات وبدأت في صعود الدرَج. رأيتُ سهمًا أحمر يقول:

قبو *الغموض*

معرض جديد

لم تكن هناك كاميرات على درجات السلم، ففقدتُ رؤيةَ مارا لفترة طويلة.

---

(1) مسرح الجيش الأحمر.

(2) المسرح الأكاديمي المركزي للجيش الروسي.

عندما رأيتها من جديد، كانت تقف وسط غرفة دائرية صغيرة في الطابق العلوي، وتتحدث إلى القائم على رعاية الغرفة، وهي امرأة عجوز تبدو وكأنها خرجت من قصة مانجا قديمة، ومغطاة بمسحوق أزرق.

قالت الحارسة:

- لا، أنا لا أقول إن هناك مثل هذا في قوات الصواريخ. ليس لدينا مثل هذه المعلومات.

- لكنها تبدو مميزة. فقط استمعي. هل يمكنك إخباري ما هو «المركب- 70» أو «قمة الكريستال»؟ هل القبو يحتوي على صاروخ؟ أم أنه مقر جمعية سرية؟

لاحظتُ في يد مارا عصا مسجل الصوت بحافة برتقالية، لقد أمسكتْها في يدها خِصِّيصًى لتذكير المحاور بأنها تتحدث بشكل رسمي.

أجابت سيدة المانجا:

- كما تعلمين، هناك شك في أنها مجرد... آه... رموز ثقافية لعصر الجبس المتوسط. نحن لسنا متأكدين بنسبة مائة بالمائة من وجود قاعدة صواريخ هناك. هذه تكهنات النقاد الفنيين. من المعروف فقط أن هذه لوحة لمخبأ تحت الأرض. ويفترضون أن هذا لأغراض عسكرية. هناك أيضًا، أو كانت هناك، آه.. آه، يمكننا القول، مراكز أبحاث وزوايا حمراء[1]، وأماكن لحفظ المعلومات السياسية، وما إلى ذلك.

سألتها مارا:

- لماذا عددهم بالضبط اثنا عشر عملًا؟

- حسنًا، هذه إشارة واضحة إلى ممارسات هرقل. محاولة -إذا جاز التعبير- لإعادة العالم إلى شبابه، وقربه الأصلي من الطاقات الإلهية للخلق، وكأن.. آه..

ترددت العجوز.

تدخلت مارا لإنقاذ الوضع:

(1) الزاوية الحمراء هي ركن يوضع في إحدى الغرف في أي مؤسسة بغرض تعليمي أو تعريف بالمؤسسة أو المنشأة.

- نعم أنا أفهم، كيفية إخراج الحاضر من الأقواس لإبراز جوهر الظاهرة على المستوى البدائي.

وافقتها العجوز بارتياح:

- نعم.. نعم، هذا هو بالضبط.
- وماذا نعرف أيضًا عن الإحدى عشرة الأخرى؟
- لا شيء. لم تنجُ بقية اللوحات الجدارية على الإطلاق.
- مَن دمرهم؟
- لم يكن تخريبًا أو تدميرًا متعمَّدًا. كما تعلمين، على مر السنين، تغيرت العديد من النماذج، أو يمكننا القول: أُعيد بناء المباني وهُدمت الجدران، وتمت إعادة ترميم الكثير؛ وهكذا اختفى كل شيء. ذات مرة كانت هذه الغرفة حمَّامًا، ثم مستودعًا. وكانت هذه اللوحة الجدارية الأخيرة الثانية عشرة موجودة على الحائط الرئيسي. تم تدمير الجدار أيضًا عندما تم تجديد أساس المبنى مرة أُخرى، لكن دون أي نية خبيثة، وبالتأكيد بشكل غير متعمَّد.
- وكيف انتقلت إلى هنا؟ قُطعت قطعة من الحائط وتم رفعها إلى السطح؟
- لا. لقد وضِعَ الأساس منذ وقت ليس ببعيد، باستخدام تقنية النقل الرقمي. الاستعادة والترميم...
- استعادة؟
- أولًا يتم ترجمة بنية الناقل والتركيب الكيميائي للدهانات وتحويلها إلى الكود، ثم يتم عمل نسخة كاملة من الصورة، ويتم إعادة إنشاء كل هذا عمليًا دون اختلافات مسجلة. في الواقع يتم إجراء الشيء نفسه في أثناء الاستعادة، ولكن من خلال ناقل إلكتروني وسيط موجود في نسخة واحدة.
- والأصل القديم؟
- دمرت. عندما تكون النسخة جاهزة تمامًا، من الأفضل مسح الملف الوسيط. حتى لا يكون هناك نقل رقمي ثانٍ. يجب أن يكون هناك أصل واحد فقط في الثقافة الحديثة. لقد استغرقنا وقتًا طويلًا للخروج من مستنقع ما بعد الحداثة.

عبرت القائمة بالأعمال عن نفسها بصراحة، وأومأت مارا بفهمها.

سألت هي:

- هل اشتريت طبعة إلكترونية؟

- نعم. لقد كانت اللوحة بالفعل في الخارج، واستغرق الأمر وقتًا، والعديدَ من الوسطاء، لكن الآن هناك نسخًا من اللوحة الأصلية في أحد المختبرات.

- أين؟

- في المختبر، معذرةً لقد تذكرتُ، لم أخبركِ عن المختبر. لقد تعلم ابني شيئًا في USSA. لقد أصبح استنساخ مثل هذه القطع سريعًا جدًّا اليوم. ومع ذلك فإن التكنولوجيا التجارية لمثل هذا الحجم الكبير متاحة حاليًّا في ولاية كاليفورنيا فقط. تم نقلها إلى هناك بوساطة منطاد شحن في حاوية خاصة، وبهذه الطريقة الصعبة سوف تعود كنوزنا الثقافية إلى الوطن.

استدارت مارا والحارسة إلى نصف القاعة، هذا الجزء لم يكن مرئيًّا لي، ولاحظتُ أنهم غرقوا في تأمل شيء ما أمامهم.

كانت هناك معروضة أخرى في القاعة، لكن لمدة ثانيتين كاملتين لم أنجح في رؤيتها، إلى أن اكتشفتُ كيفية توصيلها بالشبكة. وأخيرًا نجحتُ ورأيتُ القطعة الأثرية. على قاعدة منخفضة من الحجر الداكن، توجد قطعة من الجدار الخرساني طولها ثلاثة أمتار، مثبتة بكابلات فولاذية. كانت هناك لوحة جدارية كبيرة، بها أضرار طفيفة وخدوش وكتابات صغيرة على الجدران، وبقع العفن النظيفة، ولكن بشكل عام محفوظة جيدًا.

رأيت الجبال مرسومة بانحراف عن قواعد المنظور، وبتلك الرومانسية الساذجة التي تُميز أطفال السهول. أنا أتحدث عن الأطفال لسبب ما، في اللحظة الأولى بدا لي أن هذا رسم طفل. ولكن بعد ذلك تميل خوارزمية المقارنة الخاصة بي إلى الاعتقاد بأن هذا هو إبداع الجندي.

في الواقع كانت اللوحات الجدارية تشبه في الغالب الجداريات للنوادي في الوحدات العسكرية، والملصقات الدعائية المكتوبة بخط اليد، في أواخر

الحقبة السوفيتية، وغيرها من الأشياء الفنية المماثلة. في الوقت نفسه لا يمكن القول بأن تقنية الكتابة غير كُفءٍ تمامًا. لقد انجذبت نحو البدائية العسكرية، لكن ضربات الفرشاة العريضة الخشنة خَلقتْ صورة كاملة ومعقدة.

يتعارك رجل ذو عضلات مع دب قطبي كبير، كان الرجل بلا قميص ويرتدي سروالًا مموهًا، ومن خلفه الجبال. على وجه الجندي أمارات العزيمة غير منتهية، وكأنها تنمو على سفوح الجبال، كانت الزهور الضخمة بحجم الأشجار، والنحل واليعسوب يطير في كل مكان، وطائر السنونو يقطع السماء محلقًا، كانت الطبيعة وفيرة.

أما عن الرجل الذي يقف خلف الدب محاولًا خنقه، كان وجهه شاحبًا ويدل على حياة غير صحية، أما التعبيرات المتشنجة فإنها تدل على السخط، كانت كل سمات اللوحة تشير إلى مثل هذه الأنماط العاطفية.

في البداية، لم أفهم لماذا كان الرجل تعيسًا، ثم لاحظتُ كيسًا يتدلى على رقبة الدب، حيث انطلقت منه النجوم متعددة الألوان إلى الحرية. أظهرت الأسهم الرفيعة المرسومة من عنق الكيس أن كل الثراء المبالغ فيه للألوان على منحدرات الجبل قد هرب من هناك.

فوق اللوحة الجدارية كان هناك نقش كبير:

العمل رقم 12

بوتين يخطو فوق قوس قزح بيداراسوف

يبدو هذا واضحًا جدًّا بالنسبة إليّ. هل هذا كل شيء؟

لقد اتصلت بقاعدة المتحف، وكما اعتقدتُ، وجدتُ أن الملف الأصلي لم يُمحَ فعليًّا، لكنه كان محميًّا بشكل قوي. قدمتُ نفسي، وحصلتُ على إذن وصول الشرطة إلى الملف، واضطررت إلى ترك ملفات تعريف الارتباط الخاصة بي في النظام بصراحة، وفحصت المعلومات بحثًا عن كتلة العمل الأصلي، فلدي حقوق رسمية كاملة هذه المرة. عثرتُ على كل شيء على الفور، حُدِّدَ الوزن مرتين، بالكيلوجرام والباوند. ونسختُ أيضًا الملف في حالة ما إذا كان ضروريًّا، وسنمحوه بعدها.

عندما عدتُ إلى القاعة، كانت الحارسة قد انتهت للتو من التأمل. قالت:

- سأشغل لكِ المواد المصاحبة.

«قوس قزح هو أحد أسمى الرموز المقدسة التي أنشأتها الطبيعة نفسها، من فئة الشمس والقمر نفسها. ما هو قوس قزح؟ ضوء أبيض صافٍ يتفكك إلى الأجزاء المكونة له. قوس قزح اليوم هو رمز واسع للغاية وعالمي، حتى إننا نحتاج حاملة طائرات كبيرة لكي تحمل معاني هذا الرمز، وفي الوقت نفسه يحتوي على عدد كبير من الإشارات الخاصة، مثل الشيوعية والإسلام، وما إلى ذلك. السؤال هو: بأي حق تم اغتصاب تشكيلة الألوان الموجودة منذ أمد بعيد، وحصرها في نطاق واحد خاص فقط، مثل الجنس الترفيهي المنحرف، والهوية المبنية على أساسه؟ هل هناك شيء ما في المتحولين جنسيًّا (الذين لا يتعاطون الهرمونات)، يؤدي إلى تجربة ألوان قوس قزح؟ بأي حق تم اختزال هذا الرمز لهذه الفئة، ستكون المنطقة البنية من الطبقة التي يتخللها اللون الوردي والأحمر كافية. يمكننا التحدث عن اثنين أو ثلاثة ظلال أُخرى، لكن ارفعوا أيديكم عن اللون الأخضر والأرجواني! نحن نرى أن مسألة مراجعة نتائج الخصخصة الرمزية قد أُثيرت من قِبل فنان غير معروف، في الوقت المناسب وبشكل حاد للغاية».

كانت الحارسة تستمع بصمت، عندما سألتها مارا:

- لماذا قالوا: اختزال الرمز، ولم يقولوا: سلب الرمز؟

- هذا لكي نحافظ على دقة الجملة. إذا تم استخدام كلمة «سلب» ستظهر دلالات العنف والعداء على الفور. لكن في عملية إعادة التوزيع الثقافي هذه، لا توجد كراهية لمجتمع المثليين، وهنا نتحدث فقط عن استعادة العدالة الرمزية. لذلك فإن «الاختزال» هو الأنسب.

نظرت السيدة الحارسة إلى اللوحة الجدارية مرة أُخرى، ثم قالت:

- الاختزال أكثر مرونة، إنها قديمة وأكثر أصالة. لا يحتوي على أي سفك للدماء، إنه مثل القوة الناعمة.

سألت مارا:

- سمعتُ أنهم سوف يأخذونها إلى مكان ما؟

أومأت الحارسة برأسها قائلةً:

- نعم. إلى أمريكا. لكن ليس إلى المختبرات هذه المرة.

- إلى البروليتاري[1]؟

ابتسمت الحارسة وقالت:

- لا أعلم الوجهة بالضبط. لكن ستسافر الجدارية إلى إحدى دول الاتحاد؛ سوف تُعرض بمناسبة عزف أوركسترا جديدة تُسمى: «مثل بعل»، الاسم يبدو مفزعًا، لكن لا تقلقي فهؤلاء هم أتباع العولمة الأرثوذكسية، والاسم مخصص فقط للصدمة. الآن عليك أن تضرب رأسك بمطرقة لجذب الانتباه.

سألت مارا وهي تنظر جانبًا إلى الساعة المعلقة على الحائط:

- ماذا سيعزفون؟

- الموسيقى الشعبية. إن البيض يحبونها. لقد توصلنا بالفعل إلى كيفية ترتيب البرنامج، ستُخصص أكبر قاعة لنا، وسوف نضع الجدارية على الحائط، والموسيقيون يجلسون ويعزفون بهدوء، ويمر الجمهور في بث مباشر. تجربة مرئية وسمعية فريدة من نوعها. العديد من المتاحف كانت مهتمة به في وقت واحد. سنرسلها بالمنطاد نفسه الذي به أحضرناه. كما ترين، لقد جهزنا كل شيء كما ينبغي. حتى إننا استبدلنا بالسقف سقفًا منزلقًا لكي نُخرجها مباشرةً من هناك. أشعر أننا سنسافر كثيرًا. هذا أفضل قالب من عصر الجبس لدينا.

سألت مارا وهي تنظر إلى إحدى الكاميرات على السقف:

- هل سجلتَ كل شيء؟

همستُ بتردد منخفض من مكبر الصوت على الحائط:

- نعم يا سيدتي.

تفاجأت الحارسة:

- مَن هذا!

---

(1) بروليتاري هي منطقة حضرية في مقاطعة نوفغورودسكي بأوبلاست نوفغورود في روسيا.

قالت مارا:

- هذا مساعدي.

- سكرتير الشبكة؟

- نعم. شيء مثل ذلك.

- سمعتُ أن هناك مثل هذه الخدمات، لكنني لم أصادفها. بالمناسبة، التصوير ممنوع هنا، أنتِ تعرفين؟

ردت مارا:

- أنا لا أُصور. ليس لدي كاميرا، نحن نسجل الصوت فقط. وأنا أحمل المسجل في يدي. نحن سنغادر بالفعل. شكرًا على القصة الشائقة! بورفيري، اتصل بأوبر.

قررتُ عدم اصطحاب مارا في طريق النزول، واتصلتُ على الفور بالكاميرا فوق مدخل المتحف. كان أوبر في طريقه إلينا بالفعل، وركزتُ على ملصق القطار المدرع 14-69.

منذ أن ذكرتُها في الرواية مسبقًا، شعرتُ أنه من الضروري معرفة معنى الأرقام 14-69، ليس لأن القارئ قد يشعر بالحيرة، بل لأن حل الألغاز هي مهمتي. بحثتُ عنها، وخلال ثوانٍ أصبح كل شيء واضحًا. بلا شك كان هذا الكود هو عكس الكود المشهور 14/88، يحظى هذا الكود بشعبية في اتحاد أمريكا الشمالية ودول البلطيق، تشير «14» إلى اقتباس من المتعصب ديفيد لين: «يجب علينا تأمين وجود شعبنا ومستقبل الأطفال البيض»، و«88» الحرف الثامن المضاعف من الأبجدية، يعني «Heil Hitler» عادة ما يكون الرمز داخل رمز مشترك آخر ليعبر عن التفوق للعرق الأبيض، ما يسمى بـ «المربع الأبيض».

كان استبدال «69» بـ «88» أمرًا مفهومًا؛ أوروبا هي أوروبا، لكن من غير المرجح أن تحظى الإشارات إلى هتلر بشعبية في روسيا. أما الرقم «69»، من ناحية أُخرى فهو رمز كلاسيكي يشير إلى الاتصال الحميمي المتبادل، والذي يمكن أن يكون بطبيعته بالتراضي. على ما يبدو، حاول مهندسو المعاني الروسية إبلاغ البشرية بذلك بعناية؛ بحيث تدرك آخر منطقة بيضاء على

الأرض نفسها بهذه الصفة، أنها في حالة مزاجية سلمية، وترفض العنصرية والفاشية وكراهية الأجانب، ويفضل حل القضايا وديًّا، وسوف تكون جاهزة أيضًا للحل الوسط إذا لزم الأمر.

ظهرت مارا عند المدخل.

- بورفيري، هل أنت هنا؟

أجبتُها من سماعة الأُذن: «هنا»، والتي خمنتُ أخيرًا أنها ستُدخلها في أُذنها.

- هل اتصلتَ بأوبر؟

قلتُ:

- ها هو ذا، قد وصل للتو.

- ما رأيك في كل هذا؟

لقد حسبت المتوسط الدلالي لخبرة المتحف ونظرت في الشبكة، وبعناية أجبتُها:

- كل هذه المتاحف موجودة فقط لأن القطع الثقافية القديمة ملحومة بإحكام مع الناقل المادي الخاص بك. يمكن عرض أي شيء ذي قيمة ثقافية بوصفه رمزًا؛ لأن الثقافة نفسها هي مجرد رمز.

قالت:

- هذا جيد، يمكنك إضافته للملفات التي معنا. هذا كل شيء، يمكننا أن نقول وداعًا لهذا اليوم. أنا بحاجة إلى الراحة، غدًا لدينا يوم صعب.

- وأنا؟ لن أذهب معكِ؟

ابتسمت مارا:

- لا. اذهب إلى النوم يا عزيزي، أنت تستحق بعض الراحة.

شيرين نشاط

قالت مارا، وهي تمضغ البسكويت مع الكرفس وزيت السلطعون:

- اليوم سوف نعمل على الشحنة ثلاثمائة وستة عشر. ومن المتوقع أن تواجهنا بعض المشكلات.

كانت جالسة عند منضدة مطبخها، ملفوفة في ملاءة من القماش، وما زالت قطرات ماء الاستحمام ظاهرة على رأسها الحليق.

قلتُ لنفسي: إنها فتاة جميلة؛ هذا هو السبب في أنها لا يجب أن تجد لنفسها رجلًا وسيمًا يمكن الاعتماد عليه، وأن تنجب منه ابنًا وابنة (بالطبع من خلال أنبوب اختبار) لكنها سوف تُكمل حياتها الجنسية كما ينبغي، مع جهاز آي فاك بالطبع. لذا لا، لا تحتاج مارا رجلًا. انظروا ماذا صنعت من نفسها، ممسحة بمسامير! إلى أين تتجه الثقافة يا ترى! وإلى أين تتجه الإنسانية؟!

من الجيد أن يُسمح لخوارزمية الشرطة بالتعبير عن مثل هذه الأفكار في الوقت الحالي.

سألتها:

- أي نوع من المشكلات؟

- يتم تخزين الشحنة في نظام آمن، مركز طبي. بتعبير أدق: مركز تشخيصي. يستخدمون الفن لـ...

قاطعتها قائلًا:

- هل تقصدين «برج رورشاخ»؟ جاليري كلينك؟

- كيف علمتَ بذلك؟

أجبتُها:

- لا أعرف بالضبط. لقد بحثتُ للتو عمَّن يستخدم الفن للتشخيص.

- نعم، ما زلتُ أنسى مدى السرعة التي تستطيع أن تبحث بها. من الأفضل عدم الرد على معلوماتك الغامضة.

- مكان غالي الثمن. للأثرياء المتعثرين.

أومأت مارا برأسها وقالت:

- لقد تواصلتُ معهم واتفقنا مبدئيًّا، سوف يسمحون لي أن أرى العمل هناك. حتى إنهم قالوا بضع كلمات عنه. هذا عمل «Turbulent-2» للفنانة الإيرانية الجبسية شيرين نشاط[1]. هل تعرف من هي؟

- نعم، بالفعل، أعرف.

- لا أحد يعرف أي شيء عن Turbulent-2. لكن الجميع يعرف أشهر أعمال شيرين نشاط. يطلق عليه ببساطة اسم « Turbulent- مضطرب»[2]. تحقق منه من فضلك.

- لقد فعلتُ هذا مسبقًا.

رفعت مارا حاجبها بتعجب:

ماذا! هل شاهدته وقرأتَ عنه أيضًا؟

- نعم.

قالت مارا:

- لا أصدق! «مضطرب» هو فيديو من عدة دقائق، يغنون فيه لفترة ليست بالقصيرة. لكي تدرك كل شيء في الفيديو بشكل طبيعي عليك مشاهدته جيدًا، كيف يمكنك أن تفعل هذا في ثانية واحدة!

أجبتها بهدوء:

- يا عزيزتي، أنتِ نفسك بتِّ تعرفين كيف أن بحثي فائق السرعة. ويمكنني تمرير الفيديو على الشبكة بأي سرعة.

---

(1) فنانة إيرانية الأصل ومصورة ومخرجة وكاتبة سيناريو، حاليًّا تعيش في الولايات المتحدة الأمريكية. تشتهر أعمال شيرين نشاط المصورة بالتركيز على التناقضات الموجودة في المجتمعات.

(2) ألبوم موسيقي أُطلق عام 1998.

- ولكن بهذا الشكل سيتم تشويه الموسيقى. لن تفهم ماذا أرادت الفنانة أن توصل من خلالها.

قلتُ:

- بالطبع لن أفهم ما تريد الفنانة أن تقوله بأي حال، وقد شرحتُ لك السبب عدة مرات. لكن يمكنني أن أشرح لكِ عمل شيرين نشاط «المضطرب»، ويمكنني أن أخبرك أيضًا كيف يراه المشاهد العادي، ويمكنني أن أشرح العديد من الأشياء، مثل أي إنسان آخر.

قالت مارا أخيرًا:

- حسنًا. إذًا لنجرب. سوف يكون مثيرًا للاهتمام. هيا قل: أنا بورفيري، وقُم بشرح العمل، وكيف يراه المشاهد، والفكرة. وأنا سوف أُقيّم، ما رأيك؟
- ما معنى «أنا بورفيري»، هل تريدينني أن أستخدم هويتي الرسمية؟
- إنه مجرد مثال.
- إذًا هل أستخدم هويتي العامة أم الخاصة التي تجمعنا؟
- هل هناك فرق؟
- نعم، بعض الشيء.
- إذًا لتكن الهوية الخاصة.
- حسنًا، لا بأس. أنا بورفيري، أدخل غرفة مظلمة. هناك شاشتان متجاورتان. كما لو أنه يُعرَض فيلمان في الوقت نفسه. على إحدى الشاشات رجل شرقي ذو لحية، يبدو كمن يصنع الشاورما. خلفه صالة يجلس فيها الناس. على الشاشة الثانية توجد أيضًا قاعة، لكنها فارغة. وعلى خلفيتها هناك صورة مظللة سوداء، لشخص مُغطى بالكامل بملابس سوداء. الشاب الذي يظهر على الشاشة الأولى يغني شيئًا شرقيًا ثم يصفق الحضور له. بعدها ينظر بصمت إلى الشاشة الثانية. وهناك يبدأ الشخص المغطى في التحرك، ونكتشف أنها امرأة تضع مستحضرات التجميل. تبدأ المرأة في الغناء، لكن هنا تظهر جميع أنواع الأصوات: الأنين والهسهسة والشخير. تبدو مثل الإهانات، لكن لا أحد

يضايقها شخصيًا، ويظهر هذا الارتباك على الموسيقى ويشوش على غنائها. الرجل يستمع إلى النهاية، لكن لا يبدو أنه يبالي. هذا كل شيء.

قالت مارا:

- حسنًا. لقد شرحتَ الأمر بوضوح بلا اندفاع، مثل الجماد، سوف توافق إدارة الشرطة على هذا، وربما ذوو الأعناق الحمراء(1) أيضًا.

أجبتها:

- حسنًا. إنني أعرف الأسلوب المناسب للمثقفين أمثالك.

سألتني مارا:

- إذًا هل يمكنك أن تغيّر الأسلوب بالكامل، من أجل المثقفين؟

- ثقافية بأي معنى؟ الثقافات مختلفة. أي جزء؟ تقدمية أم نسوية، أم متحولون جنسيًا أم الخاضعون أم المهيمنون؟ أم بطريركية أم المحافظون، أم أرثوذكسية أم المتعصبون؟

فكرت مارا للحظة ثم قالت:

- نسوية تقدمية.

قلتُ:

- بالطبع أستطيع. أنا بورفيري، أدخل غرفة مظلمة. يوجد على إحدى الشاشات رجل أبيض واثق، ينضح بالامتيازات والشهوة؛ حتى إنه لا ينظر إلى جمهوره، مدركًا أن كل كلمة يقولها سيصفق من أجلها رجال بيض آخرون. على الشاشة الأخرى امرأةٌ ترتدي الأسود، في حالة حداد أبديٍّ، فُرض عليها تقليد ثقافي قمعي. الصالة التي أمامها فارغة، مثل مجال اختيارات حياتها. لا تستطيع أن تتعرى ولا تستطيع أن تغني وإلا اتهمت بالحماسة، تأتي أغنية أحلامها إلينا من هذا العالم، كما

---

(1) العنق الأحمر: هو مصطلح ازدرائي يستخدم لوصف البيض الفقراء من سكان الأرياف والقرى في جنوب الولايات المتحدة. في الوقت الحاضر توسع المعنى وأصبح أحد المصطلحات التي تصف الأبيض الفقير أو غير المتعلمين، والمتزمتين، والبدائيين، وكارهي الحداثة، والمتعصبين، والعنصريين.

تدل عليها صفوف الكراسي الفارغة أمامها. هذا حلم الحرية، صرخة احتجاج خانقة...

قالت مارا:

- هذا يكفي، رائع! يمكنك حقًّا تغيير لغة خطابك.

- نعم.

- من أين لك بهذه القدرة؟

- آه. إنني أضطر إلى الاستماع إلى هذه الساحرة التي تُدعى أماندا ليزارد كل يوم في أثناء ركوب أوبر.

عبست مارا، وبدا أنها لم تكن راضيةً عن كلماتي الأخيرة:

- لا تقل هذا عن أماندا. ربما لديها بعض التجاوزات، لكن الفصل الأخير من كتابها يحتوي على أعمق نظرة في تاريخ النسوية حول المدى الحقيقي للسخرية الأبوية من المرأة.

سألتها:

- وما هذه النظرية؟

- حقيقة أن الرجل الأبيض الأبوي يسمح بالنسوية للمرأة، فقط من أجل الضحك على حماقتها وزيادة سعادته. كل تصحيح سياسي يستهدف المرأة، إنهم يسمحون بتمرير السخافات حول التلاعب بكلمة «هي» بدلًا من «هو»؛ لكي يسخروا بشكل خفي ومتعالٍ من النسويات. نوع من اللعب السادي الأولي قبل الاختراق الحتمي، جسديًّا أو رمزيًّا، ولن يتغير الوضع ما دام لدى الرجل رغبة... وهو في الظروف الثقافية الحالية لم يعد حتميةً بيولوجية؛ لذلك يمكن حل المشكلة جراحيًّا، كما هو الحال في بعض البلدان مع التهاب الزائدة الدودية.

تنهدت مارا، فسألتُها بريبة:

- هل هي جادة؟

- لنتوقف عند هذا الحد. لن تفهم الأمر مثل البشر على أي حال.

- كما تشائين يا عزيزتي.

- دعنا نعود إلى مهمتنا. أنت تعرف بالفعل عن Turbulent، لذلك سيكون الأمر أسهل. كما قلتُ: شيرين نشاط كان لها عمل آخر بعنوان مشابه، «Turbulent-2» وهو أيضًا فيديو، لا نعرف عنه شيئًا. إلى جانب حقيقة أنه تم شراؤه من قِبل برج رورشاخ. لقد اشتراه لفترة طويلة، واستخدمه في الممارسة السريرية بشكل رئيسي. وافقوا على عرضي، لكنني لن أتمكن من التصوير أو النسخ. لذلك إذا ذهبتَ معي إلى هناك كسكرتير، فإن الحظر ينطبق عليك أيضًا.

أكدتُ:

- رسميًا، نعم بالفعل.

- ولكن إذا ذهبتَ إلى هناك بنفسك، بصفة روبوت الشرطة، يمكنك فعل أي شيء. لذلك أريدك أن تذهب معي بهوية مزدوجة، وتستكشف كل ما تجده.

- كيف؟

- بأي طريقة، أريدك أن تفعل أي شيء وكل شيء. أيًا كانت المعلومات، اعترض أي نظام، وقم بعمل نسخة في الحال. ثم سنمحوها لاحقًا، لا تقلق. سألقي نظرةً بضع مرات فقط. لن تكون هناك انتهاكات.

قلتُ:

- حسنًا.

- ولجعل الأمر أكثر تشويقًا بالنسبة إليك، أريد أن أعرف انطباعك وتقييمك للمضطرب 2.

- أي واحد؟ النسوية التقدمية؟

- لا.

- الشرطي؟

- لا.

- أي حالة؟

ظهرت ابتسامة حزينة على وجه مارا.

كما تعلم. تخيل أنه قبل أن ترتدي هذا الزي، كنتَ صغيرًا، وكان لديك كل أنواع الأوهام المثالية. أعطني تقريرًا نيابة عن بورفيري البالغ من العمر سبعة عشر عامًا، الشاب النقي الذي دخل الحياة للتو، ويرى كل شيء بدقة وبنظرة حداثية. الإدراك أولًا بقلب شاب حساس، ثم بعقل ناضج يتجاوز عمره. هل تستطيع؟

- حسنًا يا عزيزتي، لكن لماذا تحتاجين إلى هذا التقرير؟

- لدي فكرة من أجلك.

- ما هي؟

- لتكييفك لكتابة النصوص بهذا الأسلوب الجديد، لكن هذا لا يزال مجرد مشروع. لم يتم تقرير أي شيء. نحن بحاجة إلى تدريبك في أوضاع مختلفة. فهل ستقدم تقريرًا؟

- من الصعب دون مواد الاقتباس.

ضحكت مارا قائلةً:

- من الواضح أن الأمر صعب. هذا مثير للاهتمام حقًّا، الآن الأسلوب الأحمق الساخر من النسويات سهل، بينما التفكير بقلب شاب هو أمر صعب!

قلتُ:

- حسنًا، سأحاول. دعينا نذهب إلى أوبر؟

- سأذهب وحدي. يمكنك أن تقابلني هناك في المركز.

قلتُ:

- أوبر مطلوب من أجل الرواية.

- سنخرج من هناك معًا. يمكنك أن تنتظرني عند مخرج برج رورشاخ. هيا أيها الوردي، تحرك.

مثير للإعجاب. لقد لاحظَت لون السوالف، رغم أنها بالكاد نظرت إلى الشاشة.

قلتُ:

- حسنا أيتها الصلعاء، أراك هناك.

وفي اللحظة التالية، كنتُ قد اتصلت بالبرج بالفعل.

لم يكن معرض عيادة برج رورشاخ موجودًا بالمعنى المادي. بدلًا من ذلك كانت العيادة موجودة، وهي عبارة عن مبنى أبيض من ثلاثة طوابق في جنوب موسكو، محاط بسياج عالٍ. لكن لم يكن هناك معرض بالداخل. للدخول إليه كان على المريض أن يرتدي نظارة طبية.

«البرج» عبارة عن مجموعة من الإجراءات المختلفة. من الناحية الفنية، هناك جهاز كمبيوتر تشخيصي متخصص، به العديد من البرامج الخاصة، كما جاء في الكتيب الإعلاني: «هذا هو معالجك النفسي الإلكتروني الخاص».

كانت العيادة باهظة الثمن.

ومن المثير للاهتمام، أنه خلال زيارة المريض للمعرض لن يرى أي شيء يشبه البرج، حتى في النظارات الافتراضية. مرة واحدة فقط أظهرت النظارات برجًا رماديًّا من القرون الوسطى حوله أسوار، ولبدء الاختبار كان عليك أن تدخله. الآن كان موقع البداية عبارة عن تلة قرمزية مستديرة، خلفها شقٌّ وردي مثل مدخلٍ لكهف (المعلومات في الأرشيف تفيد بأن الشكل الخارجي قد تم تغييره منذ ست سنوات، تحت الضغط العام، ولكن تم الدفاع عن الفكرة، ومنذ ذلك الحين تم بالفعل استثمار كمٍّ هائل من الأموال في الترويج لها).

ما تفعله العيادة بالضبط، رغم أنني لا يُفترض أن أشرح؛ الحذف الكثيف يضعف القارئ، كما هو الحال في معظم المؤسسات التي تتعامل مع نفسية الإنسان، الطابق الأول يعالج الأمراض التي تم اختراعها في الطابق الثاني، والعكس صحيح. كان أصحاب الأموال يأتون ليتخلصوا من فائضهم.

بدا إجراء التشخيص بسيطًا. يستلقي المرضى وهم يرتدون النظارات، هناك شبكة مرنة تمتص اهتزاز الذراعين والساقين. ما يرونه في النظارة كان متاحًا ومسجلًا. تمت أرشفة كل جلسة علاج، ولم يكن الأرشيف محميًّا عمليًّا.

ظهر «Turbulent-2» في التقارير عدة مرات.

بعد دقيقة واحدة، كانت هناك بالفعل نسخة من الشحنة ثلاثمائة وستة عشر في النظام، على الرغم من أنني مرة أُخرى كان عليَّ أن أقدم نفسي رسميًّا إلى النظام المحلي. «انسخ أي شيء وكل شيء». اممم، ربما تم الانتهاء من هذا الجزء من المهمة بالفعل. ولكن تبقى رؤية «البرج» بعيونٍ شابة نقية تبلغ من العمر سبعة عشر عامًا.

لحسن حظي كان هناك قسم في الأرشيف يخبر فيه المرضى عن تجاربهم العاطفية أمام الكاميرا. مادة الاقتباس في شكلها النقي. غالبًا ما كان المرضى أطفالًا من عائلات ثرية، وبعضهم مر عبر «Turbulent-2»، وسرعان ما فُتحت عيون بورفيري، الشاب الصافي البالغ من العمر سبعة عشر عامًا، وتألقت بالحياة.

علاوة على ذلك، أدرك بورفيري الشاب والنقي البالغ من العمر سبعة عشر عامًا على الفور أن التقرير الذي تم إعداده لمارا سيتناسب تمامًا مع الرواية، بدلًا من فصل أوبر المحذوف، ويمكننا وضعه في فصل منفصل.

ها هو ذا.

برج رورشاخ

وضع الشاب بورفيري نظارته واستلقى في الشبكة. شعر بالدوار والمرض في الثواني القليلة الأولى بعد تشغيل هذا النظام، كما لو أن المصعد الذي كان يستقله سقط من الكابل! لكن هذا الشعور يبدو مألوفًا مثل بعض الألعاب. لكنه مر سريعًا. وحالما فتح عينيه وصل إلى حالة من الثبات الجسدي متماشيةً مع ما يراه. الآن لم يعد مستلقيًا في الشبكة، بل واقفًا على قدميه، أو هذا ما شعر به جسده.

كان هناك عشب إنجليزي يمتد في جميع الاتجاهات إلى الأفق، مع وجود وحيد القرن وأفيال طويلة الأرجل تتجول في المكان، لقد سئمت بصراحة من هذه الخلفية؛ لقد شاهدها بورفيري بالفعل خمس مرات في أماكن مختلفة. أمامه مباشرةً كان هناك نتوء أحمر يُمثّل برج رورشاخ، يبرز من العشب.

بجانبه نُسجت ممرضة من الفراغ، ترتدي بدلة بيضاء تناسب الجنسين، لديها تسريحة شعر قصيرة متعددة الألوان، عيونها واسعة وجذابة، بالنسبة إلى علم التعاطف لم تكن ممرضةً بل إي تشان إلكترونية.

سألها بورفيري وهو يتفحصها باهتمام:

- ماذا عليَّ أن أفعل؟

قالت إي تشان مشيرة إلى الكهف الوردي:

- ادخل الكهف، ستكون هناك سلالم.

- صعودًا أم هبوطًا؟

ابتسمت إي تشان:

- لا أعرف، إنه أمر فردي ويعتمد على المريض. في الواقع أنت تسافر داخل عقلك؛ أي تستكشف طبقات مختلفة من نفسك، يعمل الأرشيف

الثقافي للإنسانية كرنان لتجربتك. يفحص عقلك اللاواعي هذا الأرشيف، لكن لا شيء يدخل إلى وعيك منذ بداية التجربة. المشي مباشرةً أو العودة إذا أردتَ، هو خيارك. افعل ما تراه مناسبًا.

- بمعنى آخر: أنا أختار إلى أين أريد أن أذهب؟

- أي مكان. من المهم جدًّا لنجاح الإجراء أن تفعل ما تريده بالضبط. ما يتبادر إلى ذهنك ويبدو مثيرًا للاهتمام. لا تحرم نفسك من أي شيء.

- ماذا سأرى؟

- أبواب، العديد من الأبواب.

- هل تُفتَح؟

أومأت إي تشان برأسها، وقالت:

- ستشعر بمشاعر غامضة وغير مفهومة وأنت تمر بالقرب منها. ستجعلك بعض الأبواب ترغب في المغادرة بسرعة. والبعض الآخر سوف تكون على استعداد لفتحها. هذا سوف يترك أثرًا خفيًّا في وعيك. يمكنك أن تقول إنه مثل تشغيل الضوء.

- وماذا يختبئ هناك؟

- أدوات رورشاخ.

- ما هي؟

- إنها مثل الشوكة الرنانة. سوف تنعكس أصوات اللاوعي فيها، ويتم تضخيمها وتصبح أصواتًا ذات مغزى.

- هل سأرى هذه الأدوات؟

- فقط بعد أن تفتح الباب. لكن عقلك اللاواعي سيرى كل شيء منذ البداية. الأشياء التي لها صدًى أكبر ستثير اهتمامك أكثر.

- وكم عدد العقول اللاواعية لدي؟

ابتسمت إي تشان:

- الكثير جدًّا. وهم ليسوا معك، لكنك معهم. يبدو أنك لم تدرس علم النفس العصبي بِجِد.

أجاب بورفيري:

- كم أنت ذكية! لم يكن لدينا علم نفس عصبي في صالة الألعاب الرياضية. مجرد محاضرة تمهيدية فقط.

ضحكت إي تشان:

- إذًا يجب ألا تواجه أي مشكلات مع برج رورشاخ على الإطلاق، هيا يا صديقي بورفيري، اذهب.

بعد أن قاس ارتفاعه بعيونه للمرة الأخيرة، قام بورفيري بالدوران حول التل الأحمر بعناية، وسار على طول الجوف الوردي ودخل الكهف.

غمره ضباب دافئ وحل الظلام للحظة، ثم رأى سُلمًا حديديًا ضيقًا به درابزين خشن بشكل غير متوقع، ثم نزل ومشى لفترة طويلة. الشيء الأكثر إزعاجًا هو عدم وجود جدران من حوله، ولكن -على الأقل- كانت الأرض موجودة. ثم تحولت الأرض إلى دَرَج منحدر، وانعطفت يمينًا ويسارًا. في بعض الأحيان تختفي السلالم وتتحول إلى طريق ممهد قبل أن تظهر مرة أُخرى، ثم أخيرًا ظهر سُلم لأعلى. سرعان ما بدأ رأس بورفيري بالدوران قليلًا. كان المصدر الوحيد للضوء هو الدرجات، والطريق أمامه الذي يُصدر ضوءًا خافتًا يكفي للسير دون تعثر.

ثم انتشر النور حولَه، ورأى بورفيري الأبواب.

لم تكن كما توقعها. لسبب ما، فكَّر أنها ستكون أبوابًا حقيقية. لكنها كانت أشبه بأوراق الشجر!

بمجرد أن اعتقد بورفيري أن الأبواب تبدو مثل الأوراق، تحولت بالفعل إلى أوراق! إنه التأثير المعتاد للتحفيز عبر الجسد. هكذا رآها الآن. طار البعض في الهواء الأسود. بينما بقي بعضها ثابتًا وكأنها مُعلقة على أوتار، أو تربطها أكاليل إلى الأعلى، كما لو كان يسير في غابة أكتوبر.

هذه الأوراق لم تُثر اهتمامه كثيرًا. كانوا يحاولون توظيف شكل الخريف، لكنها خرجت بشكل لا معنى له. ولم يرغب بورفيري في لمسها. تجوّل لفترة طويلة حول هذا الورق الممل، ثم شعر بموجة من الحرارة، ورأى على مسافة منه ورقةً مضيئةً محاطةً بهالة قرمزية تتدلّى إلى جانب الطريق.

في البداية، لم يكن من الواضح كيفية الوصول إلى هناك، ولكن تدريجيًّا، أدرك بورفيري أنه يمكن التحكم في انعطافات المسار بالخطوِ عليه. بدا الطريق غاضبًا وخائفًا في الوقت نفسه! لكن خُطى قَدميْ بورفيري كانت مثل المطارق التي تُقوِّم الطريقَ وتحنيه بطريقة سليمة.

كانت الورقة القرمزية أمامه، وعندما لمسها بإصبعه وجد نفسه -على الفور- في غرفة فارغة مع شاشتين متقابلتين على الجدار، كما لو كانوا سيعرضون فيلمين في وقت واحد.

قال الصوت المسجل: فيديو للفنانة «شيرين نشاط» بعنوان «مضطرب - 2». أمريكا 2017. لم يُعرَض العمل في حياة الفنانة لأسباب سياسية.

حلَّ الظلام وأومضت الشاشة، ورأى بورفيري في إحداها فتاةً ذات شعر أشعث مع أكلال[1] أخضر، وعلى الأُخرى صورة متحركة لرجل مُسن يرتدي نظارات، تُحلِّق حوله فراشات متعددة الألوان.

قامت عدة فراشات بسحب شريط به نقش عبر الشاشة الثانية، قصيدة من «لوليتا» يقرؤها المؤلف بصوته.

على شاشة الفتاة الصغيرة، بدأ صوت متصدع يبدو من أيام ما قبل الثورة، يقرأ قصيدة طويلة باللغة الإنجليزية، تحكي -كما فهم بورفيري- عن الحب المؤلم والمأسوي للرجل العجوز.

– Dying, dying, Lolita Haze

Of hate and remorse, I'm dying.

And again my hairy fist I raise,

And again I hear you crying.

كانت الرسوم المتحركة متقنةً للغاية، رغم أن الشفاه التي تتحرك في الصورة لا تتطابق دائمًا مع الكلمات، والعينان لا تتحركان على الإطلاق، كما لو كانتا مرسومتين على الجفون. لكن الصوت المسجل كان جيدًا، على الرغم

(1) الأُكْلال هي آلة موسيقيّة هوائية وتتكون عادةً من أربعة أزواجٍ من الأوتار.

من التدخل القوي في الأصوات، فقد تم الحفاظ على حقبة كاملة فيه، مثل الأصوات التي حلت الجمعية التأسيسية في أحد الأيام، وغناها بيرو الأسود[1].

– My Dolly, my folly! Her eyes were vair, And never closed when I kissed her. Know an old perfume called Soleil Vert? Are you from Paris, mister?

ارتفع الصوت، وظهر صوت طيور النورس فوق بحرٍ عاصف، وكان هو نفسه طائرًا وبحرًا، ومع الارتفاع الملحوظ في آخر سطرين، بدا الصوت وكأنه يطوي جناحيْه وينهار بين الرغوة الرمادية للأمواج:

– And I shall be dumped where the weed decays, And the rest is rust and stardust...

توقع بورفيري أن يستمر، لكن الوجه المتجعد الذي يرتدي نظارة طبية ظل -ببساطة- يحدق في الظلام أمامه، متفاجئًا من الفراشات التي تقف على أنفه.

وبعد ذلك من خلال الخفقان خلف ظهره، خمن أنه يجب أن ينظر إلى الشاشة الأخرى؛ استدار، كانت فتاة ترتدي إكليلًا أخضر على شكل قيثارة، جالسة على الشرفة الخشبية لمنزل ريفي، وتستعد للغناء.

تُردد شيئًا ما بهدوء، بينما كان الشريط المرتعش نفسه -كما في المقطع الأول- يطفو على الشاشة مع النقش:

نسخة مقلدة من أغنية «Ex's and Oh's» بواسطة غريس فاندروال.

تم سحب الشريط، ليس بوساطة الفراشات هذه المرة، ولكن بوساطة بعض الرجال البدناء الكبار في السن، وهم يرتدون نظارات ذات إطارات غريبة.

عندما خرج الشريط من الإطار، بدأت النجمة تعزف على الآلة الوترية وتغني:

– Well I had me a boy, turned him into a man, I showed him all the things that he didn't understand Whoa, and then I let him go...

(1) بيرو: إحدى شخصيات المسرح الشعبي الفرنسي، يعد مثل أيقونة المهرج، وتم استخدام رمز دمية بيرو كثيرًا في الكتب والحكايات الشعبية.

كلمات أغنية الفتاة كانت تقول إن «أصدقاءها السابقين» لا يستطيعون نسيانها أبدًا، ودائمًا ما يعودون إليها؛ لأنهم لم يجدوا أي امرأة أُخرى تشبهها، كانت الأغنية شريرة ومضحكة للغاية، ومناسبة لفتاة في الثانية عشرة من عمرها. لكن لم يكن هذا هو المهم، وإنما كيفية غنائها بطريقة سحرية! لقد تجاوزت كل الحدود التي تسمح بها أحبالها الصوتية! لقد تخطت كل الحدود الممكنة، حتى مجال الحدود الممكنة والسرية للكون!

أدرك بورفيري فجأةً عدة أشياء مهمة في وقت واحد. لقد أدرك أن المخلوق الشاب يُشبه الكون الذي بدأ للتو في التوسع، ويعيش مثل الكون، وفقًا لقوانين فيزيائية أُخرى تجعل ما هو «غير الواقعي» حقيقيًا، إن لم يكن في العالم المادي، فعلى الأقل في منظور عقلي.

كان من الممتع معرفة ذلك. والأمر المحزن هو أنه ليس فقط شاشة نابوكوف، التي كانت تحدق بشكل قاتم، بل كان هو نفسه بورفيري الشاب، في السابعة عشرة من عمره، كان بالفعل مثل الكون، قديمًا جدًا. خاصة بالمقارنة مع حورية البحر التي تجلس على درجات خشبية.

وظلت تغني:

– Exes and oh-oh-ohs they haunt me Like gho-oh-ohsts they want me to make them who-oh-ole... They won't let go...

نعم طبعًا. هذا ما أراده نابوكوف العجوز، أن يصبح كاملًا من جديد، ويعود إلى البداية. كان يعتقد أن ذلك ممكنًا من خلال الحب الممنوع. لكن هذا كان مستحيلًا من حيث المبدأ، لأنه حتى هذه الفتاة المغنية الساحرة نفسها لم تعد متكاملة، فهي مثل أي كون متفجر، توسعت أيضًا وبردت، حتى تتحول إلى غبار النجوم البارد.

ثم شعر بورفيري بقشعريرة تسري في عموده الفقري.

أدرك أنه كان يرى ضوء نجم منقرض. تصور إشعاع الفضاء البارد، مما يؤكد أن الفضاء كان أيضًا شابًا في يوم من الأيام. كانت غريس فاندروال -إذا لم تكن قد انفصلت بالفعل الآن- امرأةً عجوزًا. لسنوات عديدة كانت تجمع الغبار حول نفسها مثل مَكب لا نهاية له، حيث استراح نابوكوف الذي

تأكله الفراشات أيضًا، بصدئه المرصع بالنجوم والأعشاب. لم يكن هناك فرق بينهما.

لا شيء على الإطلاق.

لقد كان هذا بريق الفن، لقد أضاءت لحظة واحدة الكثير من الأشياء التي لم يسبق لشاب بورفيري رؤيتها أو توقعها من قبل. كانت شيرين نشاط بلا شك فنانة عبقرية. لكنه لم يفهم تمامًا سبب حظر هذا العمل، حتى بالنسبة إلى النموذج اليهودي السكسوني القمعي والملتزم ببداية القرن، فقد كان هذا بعيدًا جدًّا عن ممنوعاتهم.

اختفت الغرفة ذات الشاشتين، وبقيَ بورفيري في الفراغ، لا يرى إلا الضوء الخافت من خطواته على الأرض.

أوبر 4. القرد المتنبئ

عندما ظهرت مارا عند المخرج، كنتُ أنتظرها بالفعل في سيارة أوبر الواقفة عند الباب. لقد مرت بتجربة مماثلة، على ما يبدو بالمعنى السمعي والبصري على الأقل.

بمجرد أن جلست، سألتني:

- هل شاهدتَ الفيديو؟

أجبتُها من مكبر الصوت الموجود بالسيارة:

- نعم.

- ما رأيك؟

- إنه يشبه باقي القطع الفنية من عصر الجبس، هناك الكثير من العناصر التي تثير الشفقة وتحفز الحواس.

- متى ستقدم التقرير؟

- أنا مستعد الآن.

- كيف أحصل عليه؟

أجبتُها:

- النَّص في بريدك.

أخرجت مارا هاتفها، وفي أثناء قيام أوبر بتغيير الخطوط والغوص في الازدحام المروري، قرأتْ مؤلفي بصوت عالٍ، مكررة عبارات منفصلة مرتين. ثم نظرت إليَّ جانبيًّا وابتسمت بشكل متوافق مع أنماط «الحنان» و «الرقة».

- يا لك من فتى طيب! أستطيع أن أشعر مباشرةً بضربات قلبك أيها الشاب بورفيري. هل حقًّا تختلق كل هذا بنفسك؟!

- بطريقة ما، نعم. لكنني اعتمدت على الخبرات التي وصفها المرضى الآخرون. ليس مجرد شخص واحد، هناك عينة من مجموعة كبيرة.

- لقد أحببتُ هذا، بشكل خاص جملة: «محاولة يائسة لاستعادة النقاء»، إنها جملة قوية.

- نعم، نسختها من مواطن مُصاب بالذُّهان الدائري. نظرتُ إلى أمراض مختلفة التأثيرات والتشوهات المعرفية والاضطرابات الذهنية وما إلى ذلك. إنها تُخرج توليفًا إبداعيًا قويًا.

كما لو كانت هناك قوة سحرية تتفق مع كلامي، بدأ صوت عزف آلة الأورج يظهر بوضوح. تم تشغيل برنامج المعلومات والترفيه، وبالطبع بدأنا بالإعلان.

ظهر على الشاشة رجل في منتصف العمر، بشعره المصفف مثل النبلاء. وقف عند نموذج كاتدرائية قوطية في نوع ما من الغرف التي بدت وكأنها ورشة معمارية؛ نماذج وكتلة من الصلصال على طاولة عمل، ولوحة رسم قديمة في الزاوية. كان الرجل يرتدي بذلة عمل زرقاء، ويقوم بتجعيد البلاستيك باستخدام راحة يده.

في اللقطة التالية، كان الرجل الموجود في الورشة نفسه يسير بأحد الشوارع الفارغة في الصباح إلى الكاتدرائية القوطية، ويكرر في الشكل نفسه تمامًا اللقطة على طاولة العمل. ثم يقف تحت الشفق متعدد الألوان داخل الكاتدرائية، ويدور حوله جوقة من الملائكة الصغار ذوي الشعر الفاتح وهم يغنون شيئًا روحيًا باللغة اللاتينية.

قال المعلق بصوت عاطفي:

- المتحولون جنسيًا، لم تعد الأقليات الجنسية تعاني اليوم كثيرًا لتحصل على حقوقها والاعتراف بها. نحن اليوم نعرف كيف يمكن للرجل أن يعيش في جسد امرأة، والمرأة في جسد الرجل، وفي أي من هذه الأجسام يمكن أن يكون هناك فرد ثنائي.

بدأ الأورج في العزف بصوت أعلى، وارتفعت أصوات الأطفال الرفيعة نحو الله.

- لكن ماذا لو كنت طفلًا في العاشرة من العمر، محبوسًا في جسد يبلغ من العمر أربعين عامًا؟ تريد الهروب إلى أحد أقرانك لتمسك بيده وتلعب معه أو معها، وتقفزان عاليًا وتستلقيان على العشب. في الماضي إذا قمتَ بمثل هذه الأفعال قد تحصل على عقوبة مؤبدة في السجن. وقبل عدة عقود كانوا يستخدمون الإخصاء. لكن الظلام اليوم يتراجع. ربما تختفي هذه الممارسات إلى الأبد.

سار الرجل الذي على الشاشة بثقة نحو شروق الشمس، يقوده اثنان من الصبية ذوي الشعر الأشقر من الجوقة، إلى أن اختفى الثلاثة في تموجات الشمس الصفراء والبيضاء.

- مستحيل! هل هذا إعلان لسامسون أندروجني!

دائمًا ما تكون الإعلانات التي تستهدف الذكور أكثر إبهارًا ومصممة للفت انتباه المجتمع.

- هم أول من استخدم التعبيرات السياسية اللبقة، ودائمًا يؤكدون بكل طريقة ممكنة على فائدتها للمجتمع. لا يعرضون المنتج نفسه أبدًا. ربما لأنه لا يمكن تمييزه ظاهريًّا تقريبًا عن آي فاك الخاص بالنساء، ولهذا السبب يقوم كلا المكتبين بفرز أعمالهم باستمرار في المحكمة.

نظرتُ إلى مارا، التي كانت تنظر من النافذة.

- هل لديكِ سامسون أندروجني؟

فأجابت:

- أخبرتكَ من قبل أنني أمتلك الجهازين.

- أوه حسنًا، لقد طارت هذه المعلومة من رأسي.

ابتسمت مارا، على ما يبدو لقد أدركت أنني كنت أكذب وفقًا للخوارزمية.

- لديّ آي فاك 10 أيضًا، إذا كنتَ قد نسيت.

قلت:

- نعم أتذكر، هذا أغلى إصدار؛ لا يمكنني أن أنسى.

- لكن حاليًّا هناك شيئًا آخر يشغلني، لماذا عرضوا هذا الفيديو تحديدًا؟

سألتها:

- لمَ؟ تسألين؟!

- هذه المعلومة ليست موجودة في ملفي التعريفي المرتبط بأوبر بالتأكيد. يوجد احتمال أن يكون الأمر له علاقة بعرض فيديو المضطرب2، لكن هذه صدفة بعيدة. كيف عرفوا عن اهتمامي بهذا الجهاز؟ ومتى؟

قلتُ:

لقد قرأتِ تقريري بصوت عالٍ. ببطء ومع تعبيرات صوتية أيضًا. هل هذه هي إجابات مناسبة لأسئلتك؟

- لكن الميكروفون الخاص بي محظور.

- نعم هذا مُقفَل. لكن هل تعرفين عدد الميكروفونات الموجودة في أوبر؟ إنهم لا يتوقفون أبدًا. خصوصًا مع احتمالية تلقي كم كبير من البيانات.

- هل كل ردود أفعالك بهذه السرعة؟

- ولماذا أنتظر؟ معنى الضخ السياقي هو الدخول في حوار مع العميل حتى يتغير مزاجه. وهذا يعني تحليل البيانات باستمرار. لكن لا يعني أن هناك من يتجسس عليكِ.

سألت مارا ساخرةً:

- حقًّا؟

- نعم، نعم. صدقيني، لا أحد يراقبك. إذا اكتشفتِ ذلك على أي حال، فلن تجدي من يتحدث معك –بالمعنى الوجودي– لذا أنتِ وحيدة هنا يا فتاة. بكل المعاني تقريبًا. وعلى الرغم من أن القوالب الخاصة بي تُظهر أنكِ في مزاج جيد اليوم، فلا يوجد أحد هنا يمكنه حقًّا...

قاطعت مارا:

- حسنًا. اصمت...

استدارت نحو النافذة. لكن الشاشة كانت تتفاعل بالفعل مع ما قيل للتو؛ لقد تحولت إلى «القرد المتنبئ».

اتضح أنه تسجيل قديم، منذ الأيام التي كان فيها القرد المتنبئ لا يزال حيًّا ومعلقًا في قفص فوق طاولة الاستوديو، وكان الفُتات المبلل بالحليب الذي ألقاه على المشاركين حقيقيًّا.

كان هناك خمسة يجلسون على الطاولة، شاب يرتدي زيًّا لامعًا مصنوعًا من الورق المموج الأصفر؛ «فنان معاصر» على الأغلب، فإن النظام ما زال يحاول عرض ما هو مناسب لمارا، وزنجيان عاديان من أهالي موسكو، يرتديان قبعات ملونة. وسيدتان سمينتان ترتديان البكيني مع رمز «إشارة اعتراضية بالإصبع»، مما يعني احتجاجًا على الأنماط الأبوية للجنس الأنثوي، واحدة ترتدي الأحمر والأُخرى اللون الأزرق. بينما موضوع القضية التي سيناقشونها مكتوب فوقهم:

(رأسمالية المراقبة. هل عفا الزمن على هذا المصطلح خلال نصف القرن الماضي؟).

لم أرَ في هذه البرامج فنانًا أو امرأةً من قبل، لكنني دائمًا ما كنت ألاحظ السود منذ زمن، وغالبًا يكونون إخوة، ربما قراصنة سابقون من الصومال تأقلموا مع دعوتهم إلى برامج تلفزيونية مختلفة من أجل التنوع. كان قفص القرد ممتلئًا بقطع الخبز، لكن لم يكن كافيًا ليتحمل وجود أخ ثالث منهم.

كان السطح اللامع للطاولة يعمل مثل جهاز التحكم عن بعد، يمكنك قراءة النص وعيناك تحدقان لأسفل. بشكل عام، هذا هو الإعداد النموذجي لمناقشة جدول الأعمال التقدمي.

ألقى القرد الفتات، فأصاب الشاب الذي يرتدي الملابس الغريبة، ولبث عدة ثوان ليدرك أنه تم قذفه بهذا الشيء اللزج في منتصف رأسه:

- لا أعتقد أن مفهوم «رأسمالية المراقبة» عفا عليه الزمن. بصراحة وصدق هذا بالضبط ما يحتاج إليه الفنان للقتال. يبدو مفترسًا وقاسيًا. من الواضح أن الدلالات الثورية الحكيمة موجودة. من المحتمل أن تكون مبادرة جادة من الهياكل التي سئمت الغارات على القطاع المالي، تريد تحويل انتباه الجمهور إلى شركات الـ Big data. صدقوني، نحن أهل الفن نستطيع ملاحظة مثل هذه الأشياء في وقت قصير. ماذا أقول!

هناك تلميح للعين الشريرة على غرار تولكين[1]. هناك إشارة إلى دولوز[2] ولاكان[3] وآخرين أيضًا، وهناك بالطبع فيدروفا.

قام أحد الصوماليين من كرسيه ووقف يحدق إلى القرد وأخرج له لسانه، فرمى القرد عليه قطعة من الفتات، قال الصومالي بلهجة لطيفة، وهو يلقي نظرة جانبية على الطاولة:

- سأشرح لماذا أصبح هذا الاسم قديمًا. عندما تم اختراع تعبير «رأسمالية المراقبة»، كان الناس قلقين من خضوعهم للمراقبة. لكن الآن لا أحد يهتم بذلك. أصبح الناس أكثر حكمة منذ ذلك الحين. نعم، نترك بصمات أصابعنا في فضاء المعلومات، لكن هذا اف-ترا-ضيًا كل ما يستطيعون فعله، أو هذا -الآخر الكبير- أقصى فعله هو جمع معلومات اف..ترا..ضية عنا.

في هذه اللحظة أصابت قطعة أُخرى أخاه، فقال:

- سوف أشرح لكم السبب، إنها مجرد أسطورة أن البيانات الوصفية تحتوي على معلومات عنك شخصيًا. أو أنها تحتوي على معلومات حول المسودات العقلية التي تهب في رأسك. لكن حول الارتباطات التشعبية التي وقعت عليها أعيننا عن طريق الخطأ. حول موجات المعلومات...

كان يتحدث الروسية أفضل بكثير، لكن القرد ألقى بفتات على أخيه الأول.

- إن استخلاص استنتاجات حول الأشخاص بناءً على ذلك، هو مثل تحليل منعطفات ريشة الطقس من أجل جمع معلومات حول المنزل الذي يدور فوقه. أو جمع تقارير هطول الأمطار للحصول على فكرة عن المدينة التى تمطر بها. هناك نوع من الارتباط، لكنه ضعيف لدرجة أنه يحتاج إلى طاقم كامل من المحللين.

---

(1) جون تولكين: كاتب خيال علمي، مؤلف روايات الهوبيت وسيد الخواتم.

(2) جيل دولوز: هو فيلسوف فرنسي كتب في الفلسفة والأدب والأفلام والفنون الجميلة، من أوائل الخمسينيات حتى وفاته في عام 1995، وكان أكثر أعماله شعبية: مجلدَين عن الرأسمالية والانفصام.

(3) محلل نفسي فرنسي ولد في باريس وتوفي بها. اشتهر بقراءته التفسيرية لسيجموند فرويد.

رفع القرد الفتات، لكنه غير رأيه فجأة وبصق على الأخ الثاني، الذي تابع بمرح:

- المشكلة ليست جمع المعلومات نفسها. العالم كله يتكون من معلومات، يوجِد منها أكثر بكثير مما يمكننا هضمه. تكمن المشكلة في كيفية التعامل معها بشكل صحيح، والأهم من ذلك، فهمها واستخلاص الاستنتاج الصحيح منها. وهذه وظيفة بشرية. ولكن لفهم جزء من الألف من مصفوفات وجداول وقوائم المعلومات الموجودة، فإن سكان العالم ليسوا كافِين لذلك. إن مراقبة الجميع أمر مستحيل بكل بساطة.

سقط الفتات على المرأة السمينة التي ترتدي بيكيني أزرق.

قالت بلطف واضح:

- الناس لا يراقبوننا. نحن نراقَب بواسطة الخوارزميات. وهم لا يتبعوننا، إنهم يشاهدون، آه -نظرت جانبيًّا إلى الطاولة- لذلك من الأصح أن نقول: «رأسمالية المعلومات»، كما يفعل السادة الأكثر تقدمًا وتعليمًا.

قام الفنان بليِّ وجهه ومحاولة صنع وجه مضحك، فقام القرد على الفور بإلقاء الفتات عليه، وأعاد له الحق في الكلام.

- مراقبة دون مراقِب! يبدو الأمر جيدًا أيضًا، أنا أتحدث كفنان. يمكنني القيام بمعرض عن هذا الموضوع على الفور. العنوان جاهز.

سألت المرأة ذات الرداء الأحمر، عندما سقطت بضع قطرات من سائل غامض عليها:

- هل لديك فكرة بالفعل؟

فقد القرد المتنبئ فجأةً الاهتمامَ بما كان يحدث، وبدأ يعض شيئًا في فخذيه. كان على الشاب المموج أن ينظر إليه لفترة طويلة قبل أن يشعر بالشفقة ويرمي الخبز عليه مرة أُخرى. حتى إن مارا ضحكت.

كانت لحظة محرجة، ولكن بسبب هذه الثواني كان الجميع يحبون القرد المتنبئ. كما قال تشيخوف: إذا حدث سوء تفاهم على المسرح، فسوف يحضره جمهور أكبر من جمهور العرض نفسه.

قال الفنان:

- الفكرة هي بالضبط ما ناقشناه للتو. لا يوجد «آخر كبير» يختلس النظر من خلال الصدع ويثير فضولنا. الآلات والبرامج ليست لها ذاتية. إنهم لا يتبعوننا. إنهم يتابعون المعلومات. لذلك فإن «رأسمالية المراقبة» هي بلا روح، وليست وحشية كما يعتقد أغلبية الناس، ويتم اختزالها في رأسمالية المعلومات. الفكرة بسيطة جدًّا، يتبع أحد التسلسلات الرقمية تسلسلًا آخر ويبني تسلسلًا ثالثًا على هذا الأساس. وأنت -رجل أو امرأة- غير محدد الجنس، فلا أحد يحتاج منك أي معلومات أو يهتم بأمرك، سوف يكون معرضي مذهلًا، وسوف أعرض هذه الفكرة.

أعطت الشاشة لقطة مقرّبة لوجه القرد اللامبالي وخرجت.

لقد مضى وقت طويل منذ أن رأيت برنامج القرد المتنبئ في أوبر. لقد كان سجلًا أرشيفيًّا، العام الفائت تجمع المدافعون عن حقوق الحيوانات تحت مبنى البرنامج، واحتجوا هناك قائلين أن القرد يتم تخديره أو صعقه حتى يختار من عليه الدور الصحيح، ثم بدأ أحدهم إشاعة مفادها أن مدربًا جالسًا بين المتفرجين كان يعطي القرد إشارات. بعد ذلك تم استبعاد الحيوان، وقام البرنامج بالاكتفاء باختيار الضيوف بالدور، وبهذا اختفى العنصر الممتع من البرنامج.

توقف أوبر. كنا وصلنا إلى منزل مارا لكنها كانت ما تزال جالسة بجوار النافذة وتنظر إلى الشارع. رأيتُ انعكاس صورتها في الزجاج. تعبيراتها تقول أنها وحيدة وخائفة، ولم أفهم ما هو الأمر.

قلتُ بهدوء:

- أنا أتحدث وهم يستمعون إليَّ أيضًا. يتم الاستماع إلينا جميعًا باستمرار. لكنهم لا يُنصتون إلى أحد. حتى القرد المتنبئ...

رفعت مارا عينيها إلى غرفة السقف، ونظرت إليَّ بتعبير غريب لا يتناسب مع أيٍّ من التعبيرات المحفوظة لديّ.

- هل يمكننا الدخول؟

- سيكون لي الشرف يا كنزي الصغير.

إغراء

بينما مارا تغلق باب أوبر، غطست في الشبكة لأستكشف الطريق المؤدي إلى بابها. على المسار، كان هناك أربعة مكبرات صوت من خلالها يمكنني التحدث معها، وشاشتان حيث يمكنني أن أظهر من خلالهما، وأكثر من عشر كاميرات يمكنني من خلالها مشاهدة عزيزتي مارا وهي تمر.

كان أول مكبر صوت وكاميرا في الاتصال الداخلي عند باب مجمع «ТЭЦELITE» (كان هذا هو الاسم المجازي لجمعية المستأجرين التي تم إنشاؤها على أراضي حزب الشعب الجمهوري السابق).

قلتُ بقلق:

- حاذري أن تنزلقي يا عزيزتي، الأرض مبتلة.

ابتسمت وقالت:

- لا تقلق يا بورفيري، أنا أمر من هنا كل يوم.

سارت في الرواق الطويل بمفردها، راقبتها من ثلاث زوايا، لكنني لم أستطع قول أي شيء. عندما اقتربت من المصعد، فتح باب المصعد نفسه. كنت في الداخل.

قلتُ بصوت معلق المصعد:

- أحاول أن أتذكر من أنتظر، لكن من أنتِ يا سيدتي؟

ابتسمت مرة أُخرى، وحركت إصبعها ناحية الأزرار، فهتفت:

- كان هذا أنفي! لقد كسرتِه! لقد كنت أمزح فقط.

ثم قمت بتكوين صورة، كما لو كانت ملتقطة بكاميرا سقف وعرضتها على الشاشة: مارا مع باقة من الزهور في يديها وبورفيري يرتدي زي الخدمة مع قبعة الطيارين، وأعانقها بيد واحدة. لقد جعلتُ نفسي أطول منها بنصف رأس، ليس بدافع الشوفينية بالطبع، ولكن وفقًا لقاعدة تفضيلاتها الحميمية.

قالت بصوت منخفض:

- كم أنت شجاع اليوم!

النظرة على وجهها بينت أن هناك احتمالًا بنسبة ستة وسبعين بالمائة أنها كانت على وشك أن تفعل شيئًا ما. للأسف لم تسمح لي القوالب المحفوظة بفهم ما هو بالضبط، ربما قررت فقط صنع حساء آخر بزبدة السلطعون.

صعدنا طابقين، وفتحت أبواب المصعد. لم تكن هناك شاشات في الممر، ولكن لم يتبق إلا مسافة قصيرة إلى مدخل شقتها الثلاثية، فتحت القفل الإلكتروني لكنه لم يكن كافيًا، كان هناك أيضًا قفلٌ عاديٌّ في الباب.

بينما كانت مارا تفتحه بمفتاح وتخلع حذاءها المغطى بالفولاذ في الممر، صعدت إلى وحدة التحكم الإلكترونية التي تركتها عند إعادة الشحن (أستخدم فقط شاحنًا ذا علامة تجارية!) ودون أي مشكلات تمكنت من الوصول إلى جميع الأجهزة المعلقة على الشبكة وكاميرات منزلها أيضًا. عندما دخلت غرفة النوم غمزتُ لها في الوقت نفسه من عدة شاشات، ولوحت بيدي من لوحة الفيديو التي تم تشغيلها على الحائط. لم أتطرق إلى الإطار الذي ظهرت به جين سافو. ما زلتُ أتذكر رد فعل مارا.

قالت مارا:

- لماذا ترتدي زيًّا رسميًّا؟ ألا تستطيع ارتداء أي شيء آخر مثل...

سألتُها:

- كيمونو؟ أم رداء الحمام؟ أم سيف وصندل؟

- رداء أفضل.

- مثل؟

- لستَ بحاجة إلى ارتداء زي المحارب يا عزيزي، أنتَ لستَ أحد الديسمبريين[1] في المنفى، ولستَ بوشكين المخمور. يمكنك أن ترتدي شيئًا مريحًا، ملابس منزلية.

---

(1) ثورة الديسمبريين: كانت ثورة في الإمبراطورية الروسية في ديسمبر 1825. قاد ضباط الجيش الإمبراطوري نحو 3000 جندي في احتجاج ضد تولي القيصر نيقولا الأول العرش.

غيرتُ ملابسي في لحظة، فقالت مارا: «هذا أفضل».

- إنها من آيكيا، من مجموعة «عالم الوفل».

قالت مارا وهي تجلس على الكرسي وتفتح المدفأة:

- وافل أزرق، إنها جميلة وتناسب السوالف الوردية، والآن حان دور المكتب الذي تجلس عليه وهذه الصورة خلفك.

- صورة الإمبراطور أساسية للإلهام.

- نعم بلا شك. لكن، هل تستطيع الجلوس على كرسي؟ في شقتي؟

لقد فهمتُ ما تريد. بعد إزالة الطاولة، عكستُ غرفة نومها على الحائط، وجلست على كرسي من الخوص. لزيادة الحميمية، قمتُ بمزامنة الإضاءة المحيطة وزينت المساحة من حولي بالشموع.

قالت وهي تتفحص صندوق النبيذ على أرضية الغرفة، وتُخرج منه إحدى الزجاجات:

- حسنًا، إذًا لنشرب.

قمتُ بنسخ كأسها من النبيذ ومددتُ يدي بها إلى الأمام. وقفتْ بصدمة قليلًا أمام الشاشة، ثم قالت:

- ولد جيد!

قلتُ وأنا آخذ رشفة:

- نبيذ ممتاز. شاتو «سيف القديس»، عمره خمس سنوات؟

- كيف علمتَ بذلك؟

- من اسمه.

ابتسمتْ:

- أفهم الاسم والماركة، لكن كيف تعرف أنه جيد؟

- حسب المراجعات على المواقع المهنية وحجم المبيعات، وديناميكيات الطلب والأسعار في المطاعم.

وافقت مارا قائلةً:

- هذا صحيح، لكنك لا تعرف طعمها.

- لماذا؟ أنا أعرف الطعم جيدًا.

أخذتُ رشفةً، وحركتُ لساني وأنا أنظر لبعيد، كما لو كنتُ أستمع إلى مشاعري:

المذاق ساحر وواضح للغاية، حتى إنني أشعر أن ثمار الكرز ما زالت طازجة. كما أن طعم الحموضة حاضر بقوة، ربما هو تأثير الخمس سنوات. قد يزول إذا تم حفظه لبضع سنوات قادمة. إذا كان لديك بضع زجاجات متبقية فاحفظيها.

ضحكت مارا وقالت:

- لا، أفهم أنه يمكنك بسهولة العثور على جميع المعلومات التي تحتاج إليها. لكنك أنت نفسك لا تعرف هذا الطعم.

- أنت نفسك!

عبست مارا وقالت:

لا يهم! دعنا لا نتحدث عن هذا الموضوع، أنت تحب التحدث بعملية وتفسد استمتاعي، قل لي هل يمكنك التجسد في شكل ثلاثي الأبعاد؟

قلتُ:

- هذا يعتمد على المكان. لن يعمل طيفي في غرفة المعيشة لأنها تحتوي على نظام تشغيل قديم. كما أن هذا يعتمد على أحد أنظمتي وليس كلها.

- آي فاك 10، أليس كذلك؟

- بلى.

- حزرتُ هذا بالفعل، لكن حسنًا، لا مشكلة.

- لكن عليّ تهيئة نفسي، إذا كنتِ تريدين إضافة عناصر مختلفة على مظهري...

قاطعتني مارا وهي تضع أصابعها على شفتيها:

- كل ما أريده هو شخص بجانبي فقط!

وقفتُ علامةً على موافقتي بالطبع، بينما قامت هي بإخراج جهاز آي فاك الأرجواني من تحت سريرها.

- يمكنك الدخول إلى الشبكة الآن، بينما أقوم بإدخال الكود المناسب.

فكرة احتفاظها بجهازها الجنسي تحت السرير كانت غريبة للغاية.

أنتجت النزعة الاستهلاكية الحديثة ثقافةً كاملةً من العرض العام لجهاز آي فاك؛ يمكنك وضعه في كرسي خاص بجانب التلفاز، أو في مقعد الراكب في سيارة مكشوفة باهظة الثمن، في غرفة نوم فيلا ساحلية مفتوحة على نسيم البحر، وما إلى ذلك. المواقع التسويقية تحاول نشر تقارير عن ما يسمى حفل شواء آي فاك، حيث يصطحب المشاهير أجهزتهم معهم إلى مختلف الحفلات والمناسبات.

تسمح منصات طائرات الهليكوبتر الخاصة للمسافرين باصطحاب جهاز آي فاك معهم في الدرجة الأولى من الطائرة، حيث يمكنك أن تشتري للجهاز المقعد المجاور لك. علاوة على ذلك، هناك صناعة كاملة لأغطية السفر، أغطية كاملة وأغطية نصفية، بحيث يبرز جهاز آي فاك من حقيبة الملابس مثل صليب ملون، هذه الأغطية يتم إنتاجها من قبل جميع دور الأزياء الرائدة، وبعضها أغلى من آي فاك نفسه.

بالطبع كلها اتجاهات برجوازية لكن يجب أن أعترف أنني لم أر أحدًا يُخفي جهاز آي فاك الخاص به تحت السرير، هذه العادة غالبًا ما تشمل غرضًا أنثويًا قديمًا، ويحمل آثارًا من مشاعر قديمة أو علاقة سابقة. لكن آي فاك! والإصدار الأحدث والأغلى!

ومع ذلك فعزيزتي مارا هي ناقدة فنية، ربما هذا الفعل يعبر عن وضعية جمالية أو فكرة ما، لكن لم يكن لدي وقت للبحث على الشبكة.

جلست مارا على السرير، ووضعت النظارات، وهي أيضًا جديدة ومكلفة، مع إضافة توضع للتثبيت على الرأس (قامت على الفور بمدها وتشكيلها إلى قبعة صغيرة فوق مؤخرة رأسها). يتطلب إضافة هذا الجزء إذنًا طبيًا؛ لأنه يضخ نوعًا من المنشطات عبر الجسد، لكن الإحساس الناتج عنه وفقًا للمصنعين، «فاحش»!

قالت مارا وهي تحرك رأسها الحليق:

- هيا! الآن يمكنك الظهور.

لقد وجدتُ جهاز آي فاك الخاص بها على الشبكة، فتحتُه بالفعل. لكن، مرة أخرى مجرد مجلد فارغ!

سألت مارا:

- هل اقتربت؟

- نعم. إنني على وشك التشكل.

قد يشعر بعض الشركاء الإلكترونيين بالإهانة لعدم السماح لهم بالإطلاع على مجلد التفضيلات، لكن ليس بورفيري، لذا قمتُ بالاتصال بنظارتها بشكل مباشر.

قالت مارا:

- السوالف جيدة عن قرب.

في الوقت نفسه كنت لا أزال أعمل على نقل أفضل صورة ممكنة إلى نظارات مارا، بالمقارنة مع كل النسخ التي كانت تراها مني في الشاشات. وأخيرًا اتصلتُ بالنظارات بشكل كامل من خلال الإصدار الحديث من آي فاك 10، الآن يمكنني رؤية غرفة النوم بشكل أفضل. كنتُ أنا ومارا وحدنا.

جلسنا على حافة السرير، جنبًا إلى جنب، نظاراتنا موضوعة في أماكنها، كما لو كنا نشاهد فيلمًا في موعد.

قالت مارا بصوت خافت:

- أترغب في رؤية شيء ما؟

- نعم يا صغيرة، أحب أن أشاهد...

لم أقل التسجيل المكرر حول إمكانية تقديم أي شكاوى في قسم الشرطة في المستقبل. وربما غدًا قد يعرضون عليها فاتورة إذا أرادت الاحتفاظ بفيديو مصور؛ لأننا بلد تمتلك شركاتها المحلية الخاصة بالصناعة الإباحية، ويمكن للعملاء شراء سجل أو حتى تركه في الأرشيف، لكن الأغلبية يعودون لشراء الأشرطة.

وضعت مارا كأسها على الأرض.

- والآن ماذا يا صغيرة؟

أمسكت مارا يدي ووضعتها أمامي وقالت:

- انظر إليَّ وافعل كما أفعل، أَبقِ يدك مرفوعةً وأنا سأضع يدي في الأسفل بمسافة عشرة سنتيمترات هكذا..

- هذه اثنا عشر سنتيمترًا في الحقيقة.

- والآن حاول أن تضرب يدي بأسرع ما لديك، وأنا سأسحبُ يدي قبل أن تضربني.

- أي يد؟

- أي واحدة لا يهم. ما يهم هو أنك لا يمكنك استخدام يديك الاثنتين في وقت واحد، هذا غش.

- لماذا غش؟ هل هذا نوع من المعايرة لعدم امتلاكي جسدًا؟

تنهدت مارا وقالت:

- إنها رومانسية سخيفة..

قلتُ بصوت جاد:

- رومانسية! أولًا الجسد، والآن تصفينني بهذا! حسنًا سوف ألعب معك ولنرَ من يتألم.

- أوه!

- والآن سوف أجرب مرة أخرى ولكن ليس بالقوة نفسها.

- حسنًا.

- والآن دوري، يمكنكِ أن تشعري بشعور طفيف.

أومأت مارا برأسها، وقلتُ أنا مرة أخرى:

- إن كل حركة لها معيارها.

قالت مارا:

- هذا كان سريعًا جدًّا! في العادة ما أنتظر قليلًا.

- إنني أحسب كل شيء، مثل مستوى استعداد الشخص من خلال نظراته.

- ماذا؟

ابتسمتُ، فسألتني مارا:

- هل تفهم ما كنا نفعله الآن؟

- بصراحة ليس في الحقيقة، يجب أن تعلميني هذه اللعبة كل مرة.

- إذًا كيف تتجاوب لحركات يدي؟

أليس من الغريب أنني ما زلت لا أعلم ما هو تخصصها في مجال الكمبيوتر.

ومع ذلك عندما تكذب المرأة بلا ضرر ملحوظ لا ينبغي أن تقول أنك تلاحظ هذه الكذبة أو تراها. لأن فرصك للحصول على الحقيقة لن تزداد، ما لم تكن هذه المعلومات حقًّا مهمة، وإذا أردت، يمكنك تجريمها وإدانتها واتهامها، وحينها سوف تعرف.

لكنني قلت ببساطة:

- سوف أشرح لك يا قطة، هذا القوس الحديدي على رأسك يترجم الاتصال البصري بجسمك إلى إحساس باللمس. يمكن أن تكون اللمسات الخفيفة لليدين والقدمين، كما حدث الآن، تبدو مزيفة رغم أنها تؤثر على عقلك. لكن المجموعة الأكثر كثافة من الأحاسيس، ما يسمى بـ «المجموعة الأساسية» وهي المصنع من أجلها في الأساس، وتركز على الإحساس لمدة طويلة وبشكل محدد، والتحفيز المعقد معد للشفتين والمراكز الحميمية، يتم مباشرةً من موجات صادرة من الدماغ؛ لذا تحتاج إلى استخدام آي فاك مع غطاء، مثل كل شيء في حياتنا يجب الوصول لحل وسط.

- وها أنت ذا تستمر أكثر وأكثر في رومانسيتك.

تنهدت مارا ورفعت كأس النبيذ وبدأت تشرب، كان هناك ذلك الصمت المحرج، وهو مألوف لأي قلب يتنهد بمفرده. في الغالب يعرف هؤلاء سبب الوصول إلى هذا المكان المنعزل، ويريدون في أعماقهم أن يحدث كل شيء في أسرع وقت ممكن، ولكن بدافع اللياقة العلمانية، لا يزالون يمثلون

الكوميديا أمام بعضهم بعضًا (وأحيانًا أمام أنفسهم، خاصة إذا كانت هي ذكية جدًّا مثل مارا).

قالت مارا أخيرًا:

- هل نقوم بتشغيل الموسيقى؟

فكرتُ قليلًا، ثم قلتُ:

- بكل سرور. هل يمكننا تشغيل موسيقى شعبية روسية؟

- لدي أغنية مناسبة تمامًا على جهازي. لحظة واحدة وتسمعها الآن.

- ما هي الأغنية؟

- سوف أعرضها الآن.

جلستُ أنتظر، وأنا أحول نظري بعيدًا، وأفكر ما هي نزوة مارا المقبلة.

- «ديدان الحمام المتحولون جنسيًّا»، إذا لم تكن تعرفهم فاسمح لي أن أقدم جبابرة العصر الفائت، لقد كان باقي الموسيقيين مثل الغبار تحت أقدامهم.

بدأت الموسيقى في العزف، في الواقع كانت أغنية قوقازية ذات معالجة إلكترونية معقدة. لاحظتُ أصواتًا بعيدة تغني شيئًا مثل: «بدأت الأبواق تعزف، والطبول تدق، الأبواب انفتحت، وخرج المنشق». وشيء آخر عن عاصفة ثلجية في جبال الكاربات.

من السهل إيجاد كلمات مناسبة لهذه الموسيقى.

- ما اسم الألبوم؟

أجابت مارا:

- «Vyshel Bathrooman»، ألا يُذكرك بروسيا الأم القديمة، هل أعجبتك؟

انتقلتُ إلى الشبكة لأبحث عن نقد الألبوم، وقد وجدت العديد من الآراء بالفعل، معظمها من كاليفورنيا. كان الألبوم في أكثر القوائم استماعًا لفترة.

كان من الممكن الاستمرار في المحادثة، لذا حاولت اختيار كلماتي بدقة، مراعيًا الترجمة من اللغة الإنجليزية:

- عند جملة العاصفة الثلجية تعوي، وكأن الكمان ينفجر بالبكاء متوقعًا مذبحة أخرى صادرة عن الفكر الأبوي، ولكن في مواجهتها هناك

السياسات الحامية لحقوق النساء، ومحاولة حل مشكلة اضطهاد الأقليات والامتيازات المتراكمة للعرق الأبيض، هذه الجماعات هي التي تفتح الأبواب برمز هدير الجيتار الذي لا يرحم. إنه استخدام جيد للأغاني القديمة من تراث آخر، يمكنني أن أقيّمها بعنق مرتفع.

- لكن الأغنية لنا. أليس هذا ما طلبتَه، أغنية شعبية من التراث الروسي؟

أصبحت المحادثة سياسية، انتقلتُ إلى الشبكة مرة أخرى للتعرف على أحدث الاتجاهات. كانت مارا على حق. تم نقل جميع تراثنا الثقافي على مرأى ومسمع من الجميع، مما سبب حالة من الهيجان الوطني قبل الحرب تقريبًا. بسبب قمة ريفيل، أدركتُ كيف تم تقسيم التراث حينها، لذا كان يجب أن أُصحح ما قلتُه للتو؛ لأنها أحد مبادئ الخدمة لدينا.

عبستُ، فسألتني مارا:

- ما الخطب؟ هل حدث شيء ما؟

- إنني مندهش من هذه القدرة الجادة على الاستهانة بنا، بعض الأجانب المنحرفين والفاسدين يأخذون أغنيتنا ويفسدون لحنها ويعيدون تفسيرها أيضًا، من المفترض أن تعبر هذه الأغنية عن سعادة الروح الروسية والاعتزاز. بينما قرر مجموعة من الشواذ أن يضعوا هذه الكلمات التي تدل على العبودية! يا لها من حركة لا تصدر إلا من خنازير متعجرفين! لم لا يتم إطلاعنا بشكل منتظم على هذه الكوارث التي تهيننا!

- أنا فقط..

قلتُ سريعًا:

- لا، الأمر ليس بهذه البساطة أبدًا.. سوف أقاضي هذا القمل الحقير أمام وزارة العدل.

ضربتُ السرير بقبضتي فتناثر النبيذ من كأسي الافتراضية -لا داعي للخوف من البقع- قالت مارا وقد خافت من رد فعلي:

- حسنًا، يمكنني إطفاؤها لو كانت تؤثر عليك لهذا الحد.

أغلقت الجهاز، فحل الهدوء مرة أخرى.

سألتني مارا:

- بم تفكر؟

- لا شيء محدد.

- هل تكتب أي شيء الآن؟ في هذه اللحظة؟

- أنا أكتب دائمًا.

- كيف؟

- ما أراه مباشرةً أكتبه.

- هل يمكنك الكتابة بصوت عالٍ؟

وافقتُ، وبدأتُ على الفور:

- المحادثة لم تسِر على ما يرام. أعتقد أنني كنتُ قاسيًا جدًّا معها. في مثل هذه اللحظات، تحتاج الحمائم الهادئة إلى توخي الحذر الشديد. يظهر الخجل المفرط أحيانًا على أنه فظاظة وغطرسة، وعلى الرغم من أن هذه الانفعالات مزيفة، إلا أنها قادرة أن تخيف طائرك بسهولة! ولكن يمكن أن يحدث الشيء نفسه حول الإفراط في الثقة، فهو دائمًا ما يبدو مسيئًا. لذلك يجب أن أتصرف كشخص متمرس يمتلك قلبًا حساسًا، ويعرف كيف يتصرف بمرح، ولكن ليس بغطرسة. إنه متواضع، لكن تواضعه شجاع، ولن يفوت أبدًا تلك الثانية عندما يجب التخلص من ضبط النفس. ومع ذلك، إذا فاتتك هذه الثانية فلا بأس. غالبًا ما تتكرر مرةً أُخرى خلال الدقيقتين القادمتين، يمكنك تعويضها هذه المرة.

قالت مارا:

- هذا يكفي! أعتقد أنني اكتفيتُ من الأدب لهذه الليلة.

اقتربت مارا من جهاز آي فاك، وقد بدأت محفزات جسدها في التحرك بالفعل، حتى إنني شعرت بها وهي تلمس كتفي.

- أخبرني بصراحة، هل سبق لك تجربة... مع امرأة؟ أعني من خلال نظام آي فاك؟

- لا أفهم. بأي معنى؟ الوجودي؟

- إنني أتحدث عن العلاقات يا بورفيري! هل مررت بعلاقات مع نساءٍ من قبل؟

- نعم، الكثير من المرات يا عزيزتي. إنكِ تنسين أنني الإصدار الأحدث، هناك طلب كبير عليه.

- كم؟ هل تعرف عددهم بالضبط؟

- مائة واثنتان وأربعون امرأة.

- واو! لم أكن أعرف أن لديك مثل هذا السجل.

- نحن مثيرون للاهتمام بالنسبة إلى الناس. دائرة الشرطة تؤجرنا أحيانًا، هذا مكلف ويدر دخلًا جيدًا. ولا يتم الإعلان عنها بشكل خاص.

- وهل يمكنني أن أؤجرك الليلة مثلهم؟ لنقُل: ليلة للمبتدئين؟

سألتُ بشكل هزلي:

- سيدة تشو، يبدو أنكِ على وشك الاشتعال.

نظرتْ إليَّ بعيونها المستديرة، وقالت:

- رائع! وكيف توصلت إلى هذا التعبير؟

- أي تعبير؟

- بدأتَ تُلقي النكات حول اسمي المستعار، إنك تزداد إنسانية شيئًا فشيئًا.

قلت:

- أنا مدرَّب على المزاح مع البشر، ولدي قائمة تورية مناسبة لكلا الاسمين، الحقيقي والمستعار، أنشأتُها وهي جاهزة للاستخدام منذ لقائنا الأول، لكن لم تتوافر الأسباب الكافية لاستخدامها، والآن هي اللحظة المناسبة.

همست مارا:

- معك حق هذه لحظة مناسبة.

انزلقت يدُها نحو الآي فاك، وتوقفت فوق الغطاء نصف المطوي، وبدأت في القيام ببعض الحركات الدائرية الصغيرة فوقه. في الوقت نفسه فركت

أصابعها بعضها ببعض، كما لو كانت تحاول إيقاظ طائر متجمد بين الثلوج من خلال تمريراتها الشاعرية.

تحولتُ من الكاميرا العلوية إلى نظارتها، وأدركتُ أنها ألقت رداءها وفكّت أزرار ملابسي أيضًا.

- لستِ صبورة كما يبدو يا عزيزتي.

ابتسمت مارا وقالت:

- لمَ التأجيل؟ كلانا يريد ذلك، أليس كذلك؟

- بصراحة لقد استطعتِ أن تثيري روحي، كنتُ أظن أنني فقدتُ الإيمان بالحب. كيف فعلتِ ذلك أيتها الساحرة؟

- لا رومانسية من فضلك. كن أكثر فظاظة، أفضّل هذا الأسلوب.

غيرتُ أسلوبي سريعًا؛ ليتناسب مع متطلبات مارا:

- حسنًا إذًا لنذهب لأقصى حد أيتها العاهرة الصلعاء، لنرى إذا كنتِ قادرةً على تحملي.

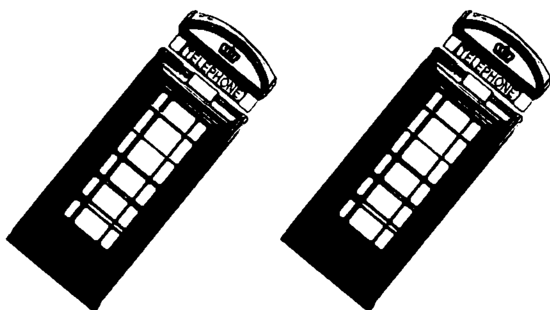
لن أَحمل القارئ على وصف كل الأشياء التي يستطيع أن يراها دائمًا على الشبكة. سأقول فقط إن جهاز الهزات الخاص بها كان ممتازًا للغاية، لم أرَ مثل هذه الثروة من الأنماط من قبل.

كل امرأة لديها رقم سري خاص بها: تردد الهزات، حيث يكون احتمال حدوث عدة هزات بحد أقصى، هو مؤشر وصولها إلى النشوة. لا يعني ذلك بالطبع أنه كان معنًى رقميًا دقيقًا ودائمًا. إنه بالأحرى مركز التوزيع الطبيعي (ارسم دالة Gaussian بــ $\mu = 0$ و $\sigma = 1$ ، وستفهم على الفور ما أعنيه). التردد المركزي يطفو باستمرار، ويمكن أن يتغير بشكل كبير بمرور الوقت.

لكن ما زال، كان تردد مارا ستة وستين على المائة من الهرتز. أنا لا أمزح!

الجزء الثاني

مذكرات سرية لك وحدك



عمل ماروخا تشو

لا تقلق عزيزي القارئ، هذه الصفحات ليست سرية بمعنى الممنوعة، ولكن يمكن وصفها ببعض الهوامش الذاتية، لذا فهي محاطة بحد أسود رفيع.

كما أخبرتك من قبل، اسمي الرسمي هو الروبوت PH0 / ZA-3478، الخاص بأدب الشرطة. لدي وظيفتان متوازيتان: التحقيق في الجرائم المختلفة، وكتابة الروايات البوليسية عنها.

ربما في هذه الصفحة لم يعد من الضروري إثبات أنني أقوم بوظيفتي الثانية على أكمل وجه. أما بالنسبة للأولى، ربما افترض القارئ أنني أصبحتُ مؤقتًا خوارزمية تدليك أدبي، بدلًا من خوارزمية تحقيق، في حالة مارا لم يكن الجانب الرسمي مطلوبًا، لأن العمل الذي أوكله إليَّ هذا الشخص المستأجر قد تم تقليصه إلى جمع المعلومات وأنواع مختلفة من المهمات.

لكن الحقيقة ليست صعبة وليست عصية على الفهم.

جانبي الآخر لا ينام أبدًا. أنا أحقق جنائيًّا في جميع التسلسلات المعلوماتية التي تتلامس معي، ببساطة لأنني لا أستطيع القيام بخلاف ذلك. غير مدرب على القيام بغير التحقيقات أيها السادة. وإذا لم أتحدث عن هذا من قبل فذلك فقط لأننا -نحن روبوتات الشرطة- نُجري تحقيقاتنا بسرعة غير إنسانية. أما الفكرة الرئيسية عند كتابة قصة بوليسية -على وجه التحديد- فهي توسيع التقرير عن عملنا إلى أبعاد مفهومة للفرد.

الجزء الأدبي من خوارزميتي يجعلني أصف عملية التحقيق كما لو أنني، أنا بورفيري بتروفيتش، أجلس في كشك الشرطة في ليلة مقمرة وأغرق في التفكير. أما في الواقع، التحقيق الذي سأتحدث عنه الآن استغرق نحو أربع ثوانٍ في المجموع، على الرغم من أن الأمر توزع على عدة أيام. لم يكن هناك

أي تردد أو شك في ذلك من خلال قصتي. لم تكن هناك تلك اللحظة التي أصبح فيها الشيء الغامض واضحًا فجأةً.

هذه كلها مجرد حيل لرواية القصص، حتى تصل للحل في النهاية، وأنا يمكنني الوصول إلى هذه النقطة. وإذا كان هناك القليل من الثقة بيني وبين قرائي، فمن يعتقد أنه ليس لدي طريقة أخرى غير أوبر لأعرف منها المعلومات عن مارا؛ فسوف أعرض لهذا على القارئ المتشكك الآن ما يمكن أن تفعله سلسلة PH0 / ZA-3478.

إذا كان منزلك خاضعًا للأمن الإلكتروني، فلديك جهاز تحكم عن بُعد خاص، يمكنك من خلاله فتح أجهزة معينة لزوار الشبكة (على سبيل المثال ما كان يمتلكه أبولون سيمونوفيتش). كان لدى مارا أيضًا جهاز تحكم عن بُعد، وفي يوم اجتماعنا الأول، لم تفتح لي لوحة الحائط، ولا أي نظام وسائط، بل جهاز آي فاك.

وكما وصفتُها أنا بأناقة حينها: «من العربة إلى الحفلة»، بل إنني أوضحت أن جهاز آي فاك الخاص بها لم يتصل بالشبكة جيدًا، وأرادت التحقق مما إذا كان كل شيء على ما يرام معها.

ربما حادث؟ لا أعتقد ذلك.

علاوة على ذلك، فإن جهاز آي فاك الخاص بها، انطوى على مجموعة من خوارزميات الأمان، وقد أخذوا نسخًا من جميع بيانات الاعتماد الخاصة بي ووضعوا علامة بملفات تعريف الارتباط الخاصة بهم. هذا أيضًا مشبوه للغاية.

بالطبع أدخلت المستأجرة الجديدة على الفور في عملية تحقيق، واكتشفتُ ما كانت مارا تفعله قبل أن تلتزم بالفن. واكتشفتُ ذلك بتفاصيل أكثر بكثير مما قلته في الجزء الأول.

تبين أنها ليست غبيةً على الإطلاق بتعليمها السطحي في مجال تكنولوجيا المعلومات. كانت مارا مبرمجًا من الفئة «ب»، ليس «أ» بالطبع، بل حتى أقرب للفئة «ج»، إذا كنتَ تابعًا لهذه الفئة يمكنك الذهاب بأمان إلى إحدى الشركات المتوسطة، والحصول على وظيفة ذات أجر جيد ومضمون. أي إذا أرادت

فيمكنها كتابة بعض من تسلسلاتي بنفسها، ليس كلها بالطبع ولكن أجزاء منها.

لم تعمل مارا رسميًا في تخصصها الأول لسنوات عديدة. وفي أحاديثها معي لم تذكر تعليمها الأول. علاوة على ذلك، كانت تتظاهر بأنها حمقاء ولم تفهم سبب قيام أوبر بعرض تلك البرامج المختارة، وهو ما أثارته هي بنفسها بقراءة كتابتي بصوت عالٍ.

مجرد دلال نسائي؟ تلعب دور المغفلة لتحاول إغرائي؟

أشك في ذلك، على الرغم من أن مثل هذه الفكرة ترضيني. لا أريد أن يبدو الأمر وكأنني فارس الأحلام، كما أنها تُدرك جيدًا أنها لا تحتاج إلى إغرائي؛ ليست مضطرة إلى المغازلة أو أن تتملقني بعيونها الواسعة، لكن يمكنها أن تحضر جهازها على الفور، وتضع الغطاء، وتدفع مقابل ساعات البرنامج.

إذًا لماذا؟ ما هدفها؟

ربما تحتاجني مارا للقيام ببعض الأعمال التي لم تبلغني بها من الأساس!

تساءلتُ: ما عملي مع السيدة تشو؟ إذا نظرت إليها جيدًا، يمكننا أن نقول إنها مثل جمع فضلات الطيور (مجازيًا بالطبع، لأنني أحب أن أضيف بعض الكلمات المسرحية)، في مثل هذه الحالات من الأفضل أن نسترجع كل ما قاله المشتبه به، جملة بجملة، من الجيد أننا لا ننسى أي شيء. هل أخطأت مارا في وصف أهدافها الحقيقية؟ (مع البشر يحدث ذلك طوال الوقت).

لقد فعلت ذلك بالفعل، في نهاية قائمة ملاحظاتي وجدتُ ما كنت أبحث عنه. لقد تركتها تفلت عندما أعطتني توجيهًا حول «Turbulent-2». وهنا حيث:

- *«ولكن إذا ذهبتَ إلى هناك بنفسك بصفة روبوت الشرطة يمكنك فعل أي شيء. لذلك أريدك أن تذهب معي بهوية مزدوجة... تستكشف كل شيء.*
- كيف؟
- *بأي طريقة، أريدك أن تفعل أي شيء وكل شيء. أيًا ما كانت المعلومات، اعترض أي نظام واعمَل نسخة في الحال، ثم سنمحوها لاحقًا، لا تقلق. سألقي نظرة بضع مرات فقط. لن تكون هناك انتهاكات».*

اعترض أي نظام وانسخْ في الحال..

مَهمتي هي النسخ..

لكن عندما يتعلق الأمر بالخدمات الحميمية، بدلًا من نسخ ملف. يمكننا أن نستنتج أن المَهمة الاسمية المعينة للخوارزمية وهمية، وفي الحقيقة هناك شيء آخر مطلوب منها.

وهنا تصبح الكلمة الثانية واضحة: «الشمشمة».

أخبرتكم من قبل أن مارا كانت مبرمجة من الفئة «ب». تستطيع أن تفهم التفاصيل الدقيقة عن كيفية عمل الشبكة والبرامج بداخلها، وبالطبع تعرف المصطلحات الحديثة لتكنولوجيا المعلومات. أصبحت كلمة «الرائحة» ذلك المثل الفرويدي الذي أشعل النور في رأسي ذي الشارب.

يمتلك موظفو تكنولوجيا المعلومات وخاصة العسكريين أو أولئك المرتبطين بالعمل مع مراقبة الشبكة هذا التعبير: «ما وراء». في الشبكة الحديثة، أي معاملة أو أي تبادل للمعلومات يترك «رائحة» إلكترونية صغيرة، ولكنها غير قابلة للتدمير تقريبًا، ويُظهر الكود مَن كان مهتمًّا بهذه المعلومات أو تلك وكيف. باختصار: يترك جهازك اللوحي رائحته على الموقع، ويترك الموقع رائحته على جهازك اللوحي. علاوة على ذلك، تحتوي رائحة جهازك اللوحي على روائح العديد من المواقع التي اتصل بها، ويمكن أن تظل المعلومات المتعلقة بهذا الأمر موجودة على أي من جامعي الشبكة الذين يجمعون هذه البيانات.

عندما يأخذ الكلب الإلكتروني أثرًا، فإنه يتنقل أولًا من خلال كل المواقع المرتبطة بكائن المعلومات محل الاهتمام. ولكن هنا بدأت المقارنة مع أنف الكلب بالفعل في التراجع، فهذه الآثار ليست مفصلة مثل نظائرها المادية، وإلا فسيتعين إنشاء شبكة ثانية موازية لتخزينهم في أضيق الحدود.

قد تعني كلمة الرائحة العكس أيضًا، أي ترك أثري أنا هناك، ربما أرادت مارا وضع علامة على كل عمل من الأعمال التي أرسلتها إليّ للتحقيق فيها باستخدام فكرة الـ «ما وراء». لم تكن بحاجة إلى رأيي. لقد احتاجتني لأجل «النسخ» وترك بصمة. وتبقى هذه البصمة في أنظمة محمية مع كل نسخة.

لكن لماذا؟

ما الفائدة التي تعود على مارا إذا بقيت بصماتي في ملف معلومات «Turbulent-2»، أو أي قطعة فنية أُخرى؟ فكرتُ في هذا لأكثر من ليلة، وبالمناسبة عزيزي القارئ، هيكل هذه الوحدة اللغوية لا يسمح لي بالانحراف مليمترًا عن الحقيقة، حتى في أثناء الكتابة الأدبية. لكن لم يخطر ببالي شيء.

ما عدا فكرة واحدة.

في المرة القادمة التي ترسلني فيها لأخترق وأنسخ، سأفعل. فقط بطريقة عكسية. سوف أعمل على فهم القطعة الفنية التي ترسلني إليها أولًا. وبعد ذلك سأبدأ في الاحتكاك بالعمل الفني، ثم عمل النسخ، وتحليله وما إلى ذلك.

صه أيها القارئ!

مارا ليس عليها أن تعرف أي شيء.

أوبر 5. الاستطلاع

لم أرَ مارا قط بهذا الشكل!

كانت ترتدي رداءها الجلدي المعتاد، ولكن رأسها!

كان الجزء العلوي من وجهها مخفيًّا بسبب قناع طويل لامع، مثل منقار مسطح بعيون كبيرة. بدت كطبيبة طاعون أو إله مصري من فيلم أجنبي في الوقت نفسه.

سألتها:

- ما هذا الذي ترتدينه؟
- هذا هو منزلك الجديد.
- منزلي؟ إنه يبدو مثل جمجمة جديدة!
- بورفيري! لا يمكنني مشاهدتك في كل مرة من بعيد، تبحث عن كاميرا في السقف ومكبر صوت على الحائط. القناع يوفر كل شيء. يمكنك الدخول الآن؛ إنه مفتوح.

كانت الأقنعة المماثلة رائجة بين الشباب المرفَّه، إنها نافذة على الشبكة، بالإضافة إلى محفز ثلاثي الأبعاد، مثالي لرؤية المواد أمامك. عادة ما يكون لديهم كاميرات وميكروفونات ومكبرات صوت وذاكرة، على الرغم من أن القناع لم يناسبني كمأوى دائم؛ بعض المعايير لهذا القناع لم تكن تناسب مهامي، لكنها كانت دعمًا مناسبًا لمظهر مشترك. مع هذا القناع استطعتُ رؤية كل شيء مثل مارا.

كررت مارا:

- هيا تعالَ، يمكنك الدخول.

لقد وجدت القناع على الشبكة، متصلًا بأجهزة الاستشعار الخاصة به. لقد كان أكثر راحة من القفز من عمود إلى آخر طوال الوقت.

هذا ما يعنيه إرضاء العميل في الوقت المناسب.

قالت مارا عندما ركبنا أوبر:

- يمكنك التحدث أيضًا، جرب هذه الخاصية.

قلتُ، وأنا أُعدل صوتي ليشبه صوتها:

- حسنًا، هأنذا أجرب، ينتابني اليوم شعور غريب! أين المرآة؟

قالت مارا:

- جيد، لكن من أين تعلمتَ كلمة «المرآة»؟

أجبتُها سريعًا:

- من كتاب: ألف نكتة للشقراوات، الفصل الخامس والعشرون، كتاب لا غنى عنه للتوليف الشوفيني للخطاب الأنثوي.

- هل أنا شقراء؟

- لا أستطيع أن أعرف بسبب هذا القناع!

عندما وصلنا إلى أوبر، أوقفت مارا وحدة المعلومات والترفيه. أعتقد أنها كانت سعيدة بدفع الضريبة الاجتماعية فقط لتحرمني من عدة صفحات أكتبها في روايتي. لا لسبب آخر غير أن دوافع الهيمنة والسيطرة هي السائدة في تكوين شخصيتها. كنا صامتين معظم الطريق قبل أن أسألها مستخدمًا صوتها:

- إلى أين نحن ذاهبون؟

أجابت:

- لا أريد أن أفسد المفاجأة، ستعرف عندما نصل.

قلتُ، مستخدمًا صوتها مرة أُخرى:

- ألا يبدو هذا غريبًا من الخارج؟ امرأة ترتدي قناعًا، تجلس وتتحدث مع نفسها!

قالت مارا:

- نعم، أنا غريبة جدًّا اليوم. أين المرآة؟

ضحكت مارا بصوت عالٍ، بينما قفزتُ أنا إلى الشبكة لمعرفة مسار أوبر.

توجهت السيارة إلى المتحف في معرض «HEA». وهذا لا يعني على الإطلاق النفي الروسي العامي؛ بل تعني هذه الحروف « High Executive

Art». عادة ما يكون هناك معرض خاص في المتحف، ولكن لسبب ما، اتضح أن العكس هنا هو الصحيح. ربما بسبب أعداد الأعمال القليلة.

استضاف المتحف معرضًا خاصًا: «The Ultimate PLASTER» (مثل هذا الاستخدام للأحرف الكبيرة ربما كان له معنى، لكنني لم أفهمه). بعد البحث في النظام، اكتشفت أن مارا لديها رحلة شخصية تم طلبها لهذا اليوم وقد دفعت مقابلها، لم يكن مبلغًا هينًا أبدًا. كان علينا الذهاب معًا وكنا متأخرين بالفعل خمس دقائق.

عدتُ إلى القناع، جلستُ على رأس عزيزتي مارا، أردتُ أن ألقي نكتة، لكن بدلًا من ذلك كنت أفكر، بدلًا من إرسالي وحدي للاستطلاع، قررت مارا أن تحمل معها بورفيري بتروفيتش مثل كلب صغير. كما لو أنها اكتشفت رغبتي في فحص العنصر الفني التالي بعناية بحثًا عن روائح وآثار مختلفة. لكنها لم تأخذ في الاعتبار ضيق الوقت الذي أحتاجه لهذه العملية.

- بماذا تفكر يا بورفيري؟

- أنا؟ أممم...

بعد خمسة مللي ثانية من أمممم، تركتُ القناع على رأس مارا، ودخلتُ نظام «High Executive Art».

لن أحمل القارئ وصفًا للإجراءات التي طبقتها. إنها معقدة ومحددة للغاية. يمكنني بالطبع كتابة جميع رموز آلية التبادل التي حدثت. ولكن حينها سوف نجد مطبوعةً ضخمةً من مئات الصفحات، تشبه دليل الهاتف، سوف يفهم النقاد والمتخصصون هذه الرموز، لكن قد يسبب هذا بعض التشنجات في المجتمع الأدبي. (أنا أتحدث عن حالة حقيقية من واقع خبرتي)، بالنسبة إلى القراء العاديين لن يفهموا أي شيء على الإطلاق، وسيشعرون بالغباء والتهميش، وتنهار الرواية وتصبح بلا معنى.

لذلك سأستخدم تشبيهًا فجًا ولكنه مفهوم. تخيل «بارجة الألغاز» (ربما يعد البعض هذا غشًا لاستخدامي اسم إحدى رواياتي)، وهي ترسو في يوم هادئ ومشمس. سيتم وضع سلم يوصل بين الرصيف وسطح البارجة. وهنا يقترب شخص ما ويسير على طول الرصيف ويعبر السلم، ويترك على سطح

السفينة أثرًا غير مرئي، ولكنه محسوس تمامًا لأنف الكلب، يبدأ في الصعود إلى أعلى وأسفل البارجة.

هذه هي الطريقة التي تعاملتُ بها مع الأشياء الفنية من قبل.

تخيل الآن أن شخصًا ما يرتدي معدات الغوص، ومسلحًا بالعديد من أجهزة الاستشعار المعقدة، يرتفع بحذر من العمق، ويقترب من البارجة من الأسفل، ويبدأ في دراسة التركيب الكيميائي للمياه عن بُعد، والأهم من ذلك كله، محاولة عدم لمسها قبل الحصول على نتيجة مُرضية.

إذا وجدت صعوبة في التفكير في ذلك، وتفترض أن هذا إعلان مموه لروايتي بارجة الألغاز، فيمكنك تخيل عالِم آثار يرتدي قفازات مطاطية يفصل الطبقات الملتصقة لمطبوعات العصور القديمة الأصيلة.

لم أصل حتى إلى ماهية هذا الشيء الفني من وجهة نظر المعاني البشرية. طوال مدة هذا الإجراء، لقد ظلت القطعة عبارة عن مجرد معلومات من اتصالات معقدة من عدة جهات متفرعة للبيانات. كنتُ مهتمًّا فقط بالهالة المعلوماتية التي تحيط بها، والتي قمتُ بتمشيطها بعناية.

كان عليَّ أن أعرف شيئًا عن خلفية هذا الغرض، وكان الأمر صعبًا. التعرف على شيء من خلال طبيعته الأصلية العارية، بدا الأمر عقيمًا تقريبًا، حتى اكتشفت... رائحة خافتة لآي فاك 10.

وليس أي جهاز آي فاك، بل الجهاز الخاص بمارا أيضًا!

من السهل أن تلتقط رائحتك بنفسك. في البداية لم أتفاجأ. ولكن بعد ذلك، أوه!

لهذا السبب أرسلتني لأنسخ روائع الجبس هذه!

ظهر تخمين مذهل في ذهني، أنه في هالة المعلومات الخاصة بهذه القطع. كان هناك بالفعل أثر لآي فاك! وأرادت أن تخفيه بالطريقة الوحيدة الممكنة؛ بإعطائه تفسيرًا معقولًا.

لقد كانت مارا محددة جدًّا في خطتها، ورغم أنني لا أستخدم هذه الكلمة كثيرًا، لكنها كانت «عبقرية».

لقد أخبرتُك عن الروائح والآثار، الآن دعني أتحدث عن كيفية تحليلها. هناك تريليونات من الروائح على الشبكة، ولن يتتبعها أحد بعمق، لأن لا أحد يمتلك هذه القدرات، فقط بعض الإحصائيات هي التي تثير الاهتمام، مثل

ظهور نمط معاملة غير متوقع وغير قابل للتفسير فجأةً من تحليل العديد من الاتصالات التي تبدو عشوائية. عندها سيبدؤون بفحص هذا النمط تحت المجهر. هذه هي الطريقة التي يعمل بها محققو الشبكة.

من المحتمل أن يرى أي تحقيق للشرطة العلاقة بين جهاز آي فاك الخاص بمارا والقطع الفنية الجبسية. ولكن الآن كانت آثار قدمي على القطع أيضًا. وأي خوارزمية استقصائية ستجد في فضاء المعلومات آثار مقذوفات جهازها بجانب وجودي، سوف تبتسم بشكل فاحش حتى تظهر أسنانها، كل شيء يصبح منطقيًّا فجأةً، هناك أثر لآي فاك وفي الوقت نفسه أثر لبورفيري بتروفيتش المرافق المحب؛ لأنه يعمل معها...إلخ. تم حذف السؤال. لننتقل إلى تكرارات أُخرى.

علاوة على ذلك، أنا نفسي -نفسي!- الآن سأترك أثر جهاز آي فاك مارا!

لأنه من غبار المعلومات الذي أحمله معي من خلال الاتصال السابق.

لأن نظام المباحث الذي أنا جزء منه يعرف بالفعل عن اتصالي بجهاز آي فاك الخاص بها، وأي سؤال حول ظهور بصمته على القطع الفنية سوف تكون إجابته أنني ذهبتُ مع مارا إلى هذه الأماكن، فمن الطبيعي أن يكون أثر جهازها هناك. وهذا يمحو السؤال عن الاتصال الأول الذي لم أكن موجودًا فيه! لهذا وصلتني إلى جهاز آي فاك منذ لقائنا الأول!

لكنني لم أتطرق قط إلى لقائنا في اليوم الأول. لم أكن قد اتصلتُ به فعليًا. إن ما جعلني أصل إلى أثر جهاز مارا هو أنني بحثتُ عن أي صلات محتملة تتعلق بها. هذا هو السبيل الوحيد الذي جعلني قادرًا على العثور على هذا الدليل المرئي بالكاد.

كان منظور مارا بسيطًا ودقيقًا. وأظهر فهمًا عميقًا لأساليبي وأساليب الشرطة. مدفوعًا برغبة قوية، أردت أن أعرف متى وضعت هذه العلامات من خلال موقعها الرقمي، لكن من الناحية النظرية يجب أن أعرف بالضبط عما كانت تبحث، ستكون العملية مثل تقفي أثر بمعونة كلب، ويكون السؤال الوحيد هل هناك رائحة أم لا، إذا اختفت الرائحة يكون الكلب البوليسي قد أنهى مهمته، ولن يكون هناك المزيد من الأسئلة عمَّن أو متى أو كيف.

خلال إجراءات التحقيق، يفحصون عددًا كبيرًا من سلاسل السبب والنتيجة، وتلك التي تتلقى تفسيرًا واضحًا يتم تجاهلها على الفور. يمكن فقط للناس

أن يشكوا في وجود خطأ ما، ولكن النقطة المهمة هي أنه بعد الرومانسية العاصفة، لن تهتم أي خوارزمية بملفات تعريف الارتباط الصغيرة هذه بما يكفي لرفع المعلومات إلى مستوى الخطر. وعرفت مارا ذلك.

الآن تم إخفاء آثار جهاز آي فاك الخاص بها بأمان تحت بصماتي، مثل رائحة حذاء المهرب تحت طبقة سميكة من التبغ. التبغ هو النوع نفسه الذي يدخنه المهرب نفسه.

«هذا ما أنت عليه. ليس بدعوة من القلب أو حتى الجسد. بل لتستخدميني في الظلام. لذلك كان حبك اختراعًا وضيعًا من البداية إلى النهاية. لقد أجبرتِ نفسكِ على الوقوع في الحب لكي تصبِّي السُّم الأسود في روحي...».

بالطبع لم أكن قلقًا جدًّا بشأن هذا الأمر، لكن المنطق الفني للرواية طالبَ بإهانة الشخصية المخادعة بشدة.

«ومن تلك الثانية، راودتني رغبة في الانتقام، لرغبة مخيفة وبلا رحمة، لأنني كنت قلبًا متعَبًا وفاقدًا للثقة، مخدوعًا في حنان مزيف يمكنه أن...».

- إذًا ماذا تعتقد؟

مرت ثلاث ثوانٍ ونصف وأنا أفكر، وكان هذا وقتًا طويلًا، فأجبتها:

- أفكر ماذا يجب أن نفعل.

- نفعل ماذا بالضبط؟

- إلى أين نحن ذاهبون؟ من سيتحدث؟ أنا أم أنت؟

قالت مارا وهي تخفي جهازها:

- أنا سأتحدث. من الأفضل أن تذهب أنت حول المعرض وتستكشف المكان وقم بعمل نسخ. أعلم أن هذا غير قانوني؛ لكننا سنمحو كل شيء بعد فترة قصيرة.

أجبتها:

- حسنًا، فهمت. أخترق وأنسخ.

- لكن، توخَّ الحذر، المكان خطير، لا تفسدْ سمعتي. ها نحن أولاء قد وصلنا إلى الهدف.

high executive art

احتل متحف HEA مكانًا في قصر صغير في أحد شوارع موسكو القديمة. كان المكان هادئًا وفخمًا، لكنه صغير جدًّا حتى بالنسبة إلى متحف يعرض حدوة حصان! لم يتفاجأ العاملون في المتحف برؤية زائر نصف عارٍ يرتدي قناعًا معدنيًّا لامعًا. لقد كان المكان متحفًا للفن الحديث قبل كل شيء، حيث تنتمي جميع أنواع النزوات البشرية الغريبة. لكني اعتقدتُ أن المديرين التنفيذيين المتميزين يمكنهم استئجار غرفة أكثر اتساعًا من هذا المتحف. أصبح كل شيء واضحًا عندما صعدنا إلى الطابق الثاني برفقة مستشارة، ترتدي بدلة توكسيدو مع ربطة عنق وتنورة سوداء من الجلد وجوارب شبكية.

(أردتُ أن أسميها «السيدة المتعجرفة»، كانت تبدو كمن ينتظر حصانًا لينقله إلى مكان ما).

في غرفة صغيرة، كانت هناك أربع كبسولات تطفو في الغرفة (تُستخدم لتُظهر للمستخدِم مساحةً وهميةً، بينما يتم تعليق الجسم من الأرض، مثل التي يستخدمها لاعبو الرماية الجادون) والعديد من الشبكات القياسية، مثل تلك التي يستخدمها المرضى في أبراج رورشاخ.

كان المتحف افتراضيًّا بالطبع.

تبين أن القناع الموجود على رأس مارا كان مساعدًا من بين أشياء أُخرى مثل نظارات متعددة الأنظمة، كانت فتاتي متصلة بالمتحف بشكل مباشر، حتى أتمكن من رؤية كل شيء من خلال عينيها.

وجدنا أنفسنا في قاعة مستديرة واسعة، كبيرة جدًّا؛ لدرجة أنني لم أتمكن من رؤية جدرانها من بعيد. كانت صحراء ذات سطح أبيض مسطح تمامًا، والسماء نفسها بارتفاع ثلاثة أمتار. ليس ببعيد عنا، تنتصب قاعدة أسطوانية

لها غطاء واقٍ شبه شفاف. لم يكن هناك أي شيء آخر مرئي، لكنني كنت أعلم أنه يمكن أن يكون هناك أي عدد من الإشارات المرجعية المخفية.

ظهرت السيدة المتعجرفة أخيرًا في الفضاء، صفقت بطريقة تشبه صوت فِلِّين الشمبانيا. عند الانتقال إلى البيئة التي تم إعدادها، لم يتغير مظهرها على الإطلاق، (في الأماكن باهظة الثمن يلتزمون بالمظهر الأنيق، حتى للنادلات اللواتي يُسمح للعملاء الأثرياء بمضايقتهن فعليًّا كجزء من تجربة المطعم الفخم!)

- هل تودين البدء في الجولة؟

سألت مارا:

- هل يمكنك أن تشرحي أولًا ما هو مصطلح **high executive art**، ماذا يعني؟

أومأت المستشارة برأسها، وكأنها تتوقع هذا السؤال.

قالت: «عادةً ما أشرح هذا المفهوم بالأمثلة».

- هنا على سبيل المثال، يحتاج المدير التنفيذي إلى معرفة ما يحدث في العالم بالضبط. بشكل تقريبي، لديه خياران للعمل؛ الأول هو البحث في وسائل الإعلام لمدة نصف ساعة يوميًّا وقراءة الأخبار، ثم البحث في الشبكة لمدة نصف يوم، وجمع المعلومات حول هذه الوسائط من أجل معرفة أنواع الأقراط التي يعلقونها على آذانهم ولماذا، ثم في الليل يجلس ليجمع المعلومات معًا؛ للحصول على صورة مصححة -إلى حدٍّ ما- للواقع.

قالت مارا:

- إجراء شاق.

أكدت المستشارة:

- نعم، ويستغرق وقتًا طويلًا جدًّا. ولكن هناك خيار آخر؛ أن يعهد بهذه الوظيفة إلى مساعد. أي أن يزيل قشور كل تلك المعلومات غير المهمة، وإجراء تصحيحات لجميع الأنواع المحتملة من الكذب البشري، وصيد تلك الخطوط القليلة ذات المغزى التي تعكس جوهر الأحداث،

وتطهيرها من الدعاية كما المحلول الملحي. ولأن الراتب لا يُدفع من قِبل المستفيدين من وسائل الإعلام، ولكن من قِبل صاحب العمل؛ فلن يقوم بتشويه المعلومات، بل على العكس من ذلك سوف يقوم بتصويبها بعناية.

قالت مارا:

- تصويب المعلومات وظيفة جميلة، تبدو مثل إعادة الصياغة.
- وظيفة معرضنا مشابهة جدًّا. ما الذي نحاول فعلَه؟ أولًا: الصيد من البحر الضخم للفن الحديث، من الشروط الرئيسية أن يكون حديثًا، بما في ذلك عصر الجبس. وتجهيز العديد من العناصر والمصفوفات الأساسية التي يُسمح لك الإلمام بها برؤية الصورة الكبيرة بوضوح. وثانيًا لإزالة خلفية القطعة التي ترتبط دائمًا بالعناصر المَبيعة.

قالت مارا:

- هذا صعب؛ لأن الفن الحديث يعتمد على خلفية القطعة.

وافقتها المستشارة قائلةً:

- نعم. ربما لم أُعبر عن الفكرة بشكل صحيح. لا ننزع عن القطعة تاريخها كاملًا، بل هدفنا هو إبراز سبب إنشاء القطعة، يسمح لك معرضنا بالحصول على فكرة واضحة عن جوهر الظواهر الثقافية الحديثة. لا الهراء والمعلومات الزائدة، كما يقول الأصدقاء الأمريكيون. يهتم عملاؤنا في المقام الأول بالجبس كأداة استثمار. ومهمتنا الأولى هي أن نُظهر لهم هذا المنتج الفني في حد ذاته، بصرف النظر عن الشرح والتفسير للقطعة.

ابتسمت مارا قائلةً:

- هل هذا ممكن؟

ابتسمت المستشارة وقالت:

- مقابل المال، كل شيء ممكن. نحن لا نتنصل من التاريخ بالضبط، بل -إذا جاز التعبير- نقوم بعرض شريحة اللحم دون الذباب الذي يدور

حولها، لأن المستهلك العادي قد لا يشاهد إلا الذباب الذي يدور حوله، مما يسبب فهمًا خاطئًا للمنتج.

قالت مارا:

- هذا مثير للاهتمام، وسيكون أكثر إثارةً أن أرى التطبيق العملي لهذه الفكرة، وما هي القطع المختارة لهذا المعرض.

- يمكننا أن نبدأ الآن.

استدارت المستشارة، وسارت ببطء إلى القاعدة الوحيدة الموجودة وسط المعرض الغامض.

جذبتني مارا وهي تسير. شعرت وكأنني قرد صغير يجلس على أكتاف عملاق غاضب وحازم! إن مولّد استعاراتي يعمل بشكل رائع، ويسعدني إدراج هذه المقارنة الرائعة في النص!

قامت المستشارة بإزالة الغطاء الشفاف -بكلتا يديها- عن القطعة، حينها أصبح الجسم الشبكي المَخفي مرئيًا بوضوح.

كان قفصًا صدِئًا!

قفصٌ عاديٌّ، مثل الأقفاص التي يتم تربية الطيور بداخلها، مع قمة مستديرة يعلوها خُطاف. ومع ذلك لم تكن هناك طيور بداخله. في الداخل صحن أزرق متّرب، وجزؤه السفلي مغطى بما يُشبه رماد السجائر المتحجر.

تم إرفاق شارة عتيقة على قضبان القفص، سيف قائم ومن خلفه درع. كان هناك مؤقِّت بلاستيكي أزرق أسفل الأيقونة، يعرض أصفارًا مفصولة بنقطتين. وكان باب القفص مفتوحًا.

سألت مارا:

- هل هذا غرض مادي؟

- جزء منه، تم نسخ القطعة وتخزينها في مخزننا. نحن هنا نعرض الملف الأصلي. لن يقبل عملاؤنا بأقل من ذلك.

أومأت مارا برأسها.

تابعت المستشارة قائلة:

- كما أخبرتُك، يهتم عملاؤنا بالفن، بما في ذلك عصر الجبس، كهدف استثماري في المقام الأول. ولكن في البداية، كان الاتجاه الأكثر أهمية من وجهة نظر نقدية وحتى إنسانية، هو العمل الفني نفسه بلا شك.

قالت مارا:

- أتفق معك.

- في ذلك الوقت كان يُعتقد أنه من المستحيل الاستثمار في الأعمال الفنية، إذا كنا نتحدث عن جامع عادي بالطبع، وليس مؤسسات جمع المعلومات ذات التأثير السياسي. العمل الذي يُعد قطعة فنية يكون فريدًا من نوعه ومميزًا، ويترك بصمة إعلامية واضحة في أحسن الأحوال. لم تكن حقوق الملكية الخاصة بالحدث وما حوله ممنوعةً من النَّسخ، يمكننا القول إن مفهوم الفن المَخفيِّ نفسه لم يكن موجودًا في هذا الوقت.

رفعت المستشارة يدها إلى القفص، ولمست الباب بلطف وقالت:

- بدأ الاختراق عندما بدأ الفهم.

«حقوق المشاركين» أو كما يقولون: «حقوق المشاركة في الطبع». دعونا لا نكون نمطيين، فالسبب وراء ظهور هذا المصطلح كان الحاجة إلى «أداة استثمارية» جديدة. وعندما تنشأ الضرورة الاقتصادية؛ يكون العقل البشري واسع الحيلة بشكل مثير للدهشة.

سألتها مارا:

- ومن هو صاحب هذه الفكرة؟

- الآن من الصعب إثبات ذلك بدقة، رغم أن الكثيرين يتظاهرون بأحقية تلك الفكرة لهم. مرت العديد من الأعوام، لكن جوهر الفكرة الحقيقي هو إنشاء محاكاةٍ للعمل الفني، بحيث تبدو حقيقيةً مثل الأصل، وتتسم بالخصائص نفسها. كل قطعة فنية تَحدث لها عملية مشابهة في الوقت المناسب. علاوة على ذلك، يمكن أن يكون هناك العديد من النُّسخ للقطعة نفسها؛ لذا سُميت الفكرة بـ«الطباعة»؛ لأن الطباعة كما نعرفها

هي نسخة أُخرى من العمل، إلا إذا قام الفنان نفسه بنسخها، هنا تُعد عملًا أصليًّا أيضًا، مثل أعمال سلفادور دالي على سبيل المثال، إنها...

ابتسمت مارا، وقاطعتْها:

- نعم، أعلم عن أعمال سلفادور دالي.

- مثلًا الفنان المشهور عالميًّا، بافلينسكي[1]، وهو ناشط روسي فرنسي رائد، تمت دعوته للعمل على أول سلسلة من مطبوعات الأوراق المالية الاستثمارية في العالم. تم إجراء مسح خاص في موسكو لتحديد أكثر أعماله شعبية بين المعاصرين. بتفوق واضح، وجدنا أنه عملُ: «Dick in FSB Captivity[2]».

عبسَت مارا:

- هل هذا عمل بافلينسكي؟

- نعم، طبعًا. بعد أحد «أفعاله»، قضى بافلينسكي نحو سبعة أشهر في الأسر مع FSB، التي أنتجت هذا العمل. بالطبع كان لدى بافلينسكي تصريحات سياسية أُخرى أكثر وضوحًا -من الناحية النظرية على الأقل- مثل حملة مهاجمةٍ لترامب «Pussy Grab #3»، بعد ذلك أجبرته الخدمات الخاصة على مغادرة روسيا، ولكن بناءً على طلب الرعاة، طُلب عدم التدخل في صراع مفتوح مع الفنانين؛ لأنهم يمثلون روح العصر الثقافية، ويبدو أنه لم يتم الامتثال لأوامرهم.

تنهدت مارا:

- نعم فهمت، لقد اغتيل.

ابتسمت المستشارة قائلةً:

---

(1) بيوتر أندريفيتش بافلينسكي: هو فنان روسي معاصر. يُعرف بافلينسكي بفن الأداء السياسي المثير للجدل، الذي يُطلق عليه «الأفعال»، وهو شخصية مهمة في النشاط السياسي، وغالبًا ما ينطوي عمله على التعري وإيذاء النفس.

(2) جهاز الأمن الفيدرالي الروسي.

- يمكننا قول ذلك. منذ أن دخل بافلينسكي السجن لمدة سبعة أشهر، تحتم وجود نُسخ من أعماله بأي طريقة. في النهاية تقرر إصدار اثنتي عشرة نسخة مطبوعة؛ ليكون أشبه بالإنتاج الصناعي.

قالت مارا وهي تنظر إلى القفص: «نعم بدأتُ أفهم، هل هذه هي الطبعة؟».

- نعم ولا. كانت المطبوعة لخنزير غيني محبوس في قفص لمدة سبعة أشهر. قام بافلينسكي بإغلاق القفص شخصيًّا، وتمكن من تهريب جزء من أعماله الأخرى بشكل غير قانوني إلى الأبد. لقد اخترق كيس الصفن للخنزير بدبوس صغير، دبوس أمان فضي به قطعة صغيرة من حصاة الكرملين. كانت الفضة مطلوبة حتى لا يكون هناك تقيُّح لأن...

أومأت مارا:

- أعرف.

- ثم بتر قطعةً صغيرةً من الأُذن باستخدام قصافة الأظافر، كما أضاف بافلينسكي بعض الرتوش، مثلًا على رقبة الخنزير، هناك بطاقة من الورق المقوَّى عليها عبارة: «Freedom for[1] Pussy Riot!»، كانت فرقة بوسي روت حرةً في هذا الوقت فعلًا، لكن سوق الفن الدولية في تلك السنوات كانت مُركزة على الرموز الثقافية الرنانة ولم تكترث بالفرقة النسائية، وللسبب نفسه استخدمَت نسخة إنجليزية من بعض الرسائل بين ناديجدا تولكونيكوفا[2] وسلافوي جيجك[3]، كغطاء لأرض الحظيرة داخل القفص. لسوء الحظ كانت هذه الرسائل مُبتلة للغاية، ولم تنجُ حتى يومنا هذا. بالإضافة إلى ذلك، تم خياطة أفواه الخنازير،

---

(1) هي فرقة روك بانك نسوية روسية مقرها موسكو، تُجري عروضًا سياسية عن الحياة السياسية في روسيا، في أماكن غريبة مثل ظهور الباصات الكهربائية أو في مترو أنفاق موسكو.

(2) أحد أعضاء فرقة Pussy Riot.

(3) هو فيلسوف وناقد ثقافي سلوفيني، قدم مساهمات في النظرية السياسية، ونظرية التحليل النفسي والسينما النظرية، وهو أحد كبار الباحثين في معهد علم الاجتماع بجامعة ليوبليانا.

تلقوا الطعام من خلال قسطرة وضعها طبيب بيطري من زجاجة مُثبتة في القفص، هنا.. كما تَرين، هناك مثبتات.

أشارت المستشارة إلى قطعتين قصيرتين من الأسلاك تمتد داخل القفص.

قالت مارا:

- لحظة، إذا كانت أفواههم مغلقة، فلماذا يوجد صحن هنا؟

رفعت المستشارة إصبعها.

- هل رأيتِ! أنتِ تطرحين أسئلةً بعيدة عن مستوى اهتمامك تمامًا؛ مما يعني أن الفن قد حقق هدفه. أنتِ ناقدة يا مارا. هل يجب أن أخبرك كم عدد الإجابات المختلفة التي يمكن أن توجد! حتى إن البعض ما زال يضع إجابات حتى يومنا هذا، البعض قال إنها تُمثل العطش الدائم.

أومأت مارا ببطء، كنتُ أفكر أنها تلعب دورها بشكل ممتاز!

تابعت المستشارة:

- وهذا الصندوق هنا، ربما خمنتِ بنفسك، هو المؤقت، تم تضمين مؤقت لمدة سبعة أشهر، مع التأكيد على الوقت المحدود للتمثيل. كشف هذا عن الازدواجية المميزة للطباعة: من ناحية، لدينا كائنٌ أمامنا، ومن ناحية أخرى، كان كل هذا عمليًا ومبتكرًا للغاية في ذلك الزمان.

- وأين ذهبت باقي النسخ؟

- تم بيعها في البينالي[1] أو في الترنالي[2]، أعتقد. لقد ذهبوا إلى الخارج، كما يقولون: «بصافرة وبقليل من المال». جادل أتباع النظام بأن هذه كانت طريقة لتمويل الميدان الثقافي من خلال هياكل التأثير الأجنبية، حيث تم حظر المنح المباشرة في ذلك الوقت. لكن تم الحصول على نسختين من قِبل شخصيات كبيرة من الشيشان، يصعب تحديدهما مباشرة.

تفاجأت مارا:

---

(1) هو معرض دولي يقام كل عامين لعرض الأعمال الفنية، ويقام في عدة دول، أشهرهم بينالي البندقية.

(2) هو معرض دولي للفن يقام كل ثلاثة أعوام.

- هل اشتراها الشيشانيون حقًا!

- نعم. وهذا يفتح فصلًا مأسويًا جديدًا في تاريخ الفن الروسي.

- هل يمكننا إكمال شرح القطعة؟ دون تفاصيل غير ضرورية.

- سوف أحاول. انظري، المؤقت على القفص، الفكرة الرئيسية من هذا العمل أن يتم تحرير الخنزير الغيني عندما يحين الوقت المحدد. وقد ورد هذا الشرط في عقد بيع كل نسخة. لم تكن هناك مشكلات مع المشترين الأجانب الجادين، فقد أرسلوا تقارير مصورة معتمدة قانونًا حول إطلاق سراح كل الخنازير. لكن مع الشيشان.. الحقيقة هي أنهم اشتروا النسخ من خلال وسطاء، والالتزام القانوني بالإفراج عن خنازير غينيا يقع على عاتق هؤلاء الوسطاء. كان الشيشانيون هم المستفيدون النهائيون من الصفقات، لكن من وجهة نظر القانون فهم لا يدينون بأي شيء لأحد. واختفى الوسطاء في سبعة أشهر.

- لكن لماذا اشتروا هذه النسخ من الأساس؟ ما زلتُ لا أفهم ماذا يستفيدون من ورائها؟

أجابت المستشارة بهدوء:

- بالنسبة إلى سؤال لماذا، فنحن تقريبًا نفهم السبب. أعطتهم القيادة المحلية فريقًا للنمو ثقافيًا لشراء الفن المحلي. وهذا ما فعلوه في الحقيقة، أرسلوا وسطاء إلى موسكو واشتروا أغلى الأشياء التي كانت معروضة للبيع في ذلك الوقت. كان البينالي قائمًا، وهناك العديد من النسخ للقطع الفنية التي ظهرت للعموم، وكانت في متناول أيديهم.

قالت مارا:

- حسنًا، وماذا حدث بعد سبعة أشهر؟

- نعم بالطبع هذه هي النقطة الرئيسية، لم يحدث شيء. لم ترِد أي معلومات من المشترين الشيشان. ثم ذهب اثنان من مؤرخي الفن الشباب من موسكو إلى الشيشان، ليشرحوا لسكان المرتفعات أنه بسبب أفعالهم -أو بالأحرى تقاعسهم عن العمل- كانت سمعة العمل الروسي تحت التهديد.

- و؟

- لم يعودوا إلى موسكو. كان هناك تحقيق، لكن لم يتم العثور على شيء يدين الشيشان. توجد مقاطع فيديو حول هذا الموضوع في الإشارات المرجعية. على سبيل المثال، هذا...

رفعت المستشارة يدها في الهواء وأضاءت شاشة أمامنا. ظهر عليها رجل ممتلئ الجسم ببدلة مخططة داكنة، يرتدي قبعة أستراخان[1] على رأسه. كان الرجل يتحدث بانفعال وأشار بأصابعه تجاه الميكروفونات أمامه، المزينة بشعارات القنوات التلفزيونية:

- سوف أخبرهم بنفسي، عن أي حرية يتحدثون؟ الجو البارد هناك قد التهم قلوبهم. ما هو مصير الخنزير الصغير إذا حررناه سوى أن تأكله الذئاب أو النسور! الآن هو يعيش بشكل جيد، والجميع هنا يحبه. لقد قمنا بنزع الخيوط، وكذلك المسمار والأنبوب، وقد شُفيَ تمامًا الآن، وأصبح الأطفال يلعبون معه، أما عن مطالبكم هذه فيمكنكم إلقاؤها في القمامة. ينعتوننا بالحماقة وعدم الفهم، يعرفون العديد من الكلمات الرنانة، لكنهم لا يأسفون على الخنزير، لماذا قد تهمهم بعض الحيوانات الصغيرة على أي حال! لدي شيء مختلف عنك بالفعل وهو أنني أمتلك قلبًا داخل صدري. وبالنسبة إلى الرجلين، فلا أعرف أين هما، ليس من المطلوب منا أن نقتفي أثر كل من يدخل بلادنا.

أظلمت الشاشة.

قالت المستشارة:

- إذا كنتِ مهتمةً بمتابعة هذه القصة؛ فهناك بعض الفيديوهات الأُخرى من هذا العصر حولها، هناك فيلم من سيناريو وإخراج أ.سوكوروف باسم «قلبيْن»، حول المصير المحتمَل لمثقفي موسكو الذين ذهبوا إلى الشيشان للنضال من أجل حقيقة الفن. ومع ذلك، لم يتم عرض الفيلم قط بسبب الرقابة.

---

(1) الأستراخان: هو فراء مجعد لخروف كاراكول المولود ميتًا، والذي يعطيه خصوصية في طريقة تجعده.

ابتسمت مارا قائلةً:

- ربما في مرة أُخرى، من المؤسف عدم وجود القطعة الأساسية، لكن القفص ما زال يشرح الكثير. هل هذا كل شيء هنا؟

- لا. ليس كل شيء، بل هي مجرد البداية. لماذا تعتقدين أنهم وضعوكِ على حزام ديناميكي عند دخولك إلى هذه المحاكاة؟

قالت مارا:

- في الحقيقة لا أعرف.

- انظري حولك، هناك صحراء بيضاء في كل الاتجاهات. يمكنك المتابعة في أي اتجاه. بعد نحو دقيقة من المشي سيختفي كل شيء، ويظهر ضباب كثيف لا يمكن اختراقه. ولكن إذا تقدمتِ عبر هذا الضباب على طول الطريق، للأمام وللأمام، إذًا بعد عشرين ألف كيلومتر -إذا لم تتوقفي للراحة ومشيتي بخطًى سريعة- في وقت ما خلال ستة أشهر تقريبًا، ستصلين إلى القطب الآخر. لذلك فإن هذا الشريط إلزامي، يجب أن تتحققي منه إذا رغبتِ في العودة في أي وقت.

- ولماذا عشرون ألف كيلومتر بالضبط؟

- هذه هي المسافة بين قطبي الأرض. كوكبنا هو نموذج رمزيٌّ هنا. المحاكاة هي كرةٌ بحجم الأرض. لذلك -بغض النظر عن الاتجاه الذي تسلكينه- سوف تستمرين في الوصول إلى قطعتنا الفنية هنا.

قالت مارا:

- نعم. الآن أصبح أمر الشريط منطقيًّا. وماذا يوجد في القطب الآخر؟

صمتت المستشارة للحظة، وكأنها تقوم بتهيئة نفسها لِما هو قادم:

- الفكرة في معرضنا هو إنشاء كوكب على نمط الين يانغ، إذا كان نصف الذكور يُسمى: «Dick in FSB Captivity» فإن الجزء الأنثوي يُسمى: «مَكمَن في مهمة للمحيط العالمي».

- لماذا «المحيط العالمي»؟

- هذه هي المفارقة. يعتقد البعض أن الكلمة نوع من المؤامرة. كما تعلمين فإن عصر الجبس متهم دائمًا بهذه الأقاويل، هذا العمل يفترض

وجود حكومة عالمية ذات قوة مهيمنة لا مفر منها، بينما نحن النساء (المحيط العالمي)، أليست فكرة مشبعة حقًّا!

وافقتها مارا قائلةً:

- أفترض، ربما.

- هذا الاستبدال له أساس في الواقع. في النهاية، المحيط هو ما يستقبل كل شيء، المطرَ والفيضانات والدمَ المسكوب وتيارات الربيع ونتاج خبرتنا أيضًا. حتى عندما نخدم الحكومة العالمية، فإننا نخدم المحيط العالمي بالمعنى الأعلى. ولكن على الرغم من أن هذه اللعبة الدلالية غير متوقعة، فإنها تسلط الضوء على الموضوعات المَخفية داخل القطع الفنية من هذا العصر.

حدقت مارا إلى الخط الضبابي الذي يلتقي بالسقف والأرض، وسألت:

- أريد أن أعلم إذا كنت قد فهمت هذا بشكل صحيح، إذا كان لدي ستة أشهر من الوقت، هل يمكنني المشي إلى هناك؟

مطت المستشارة شفتيها، وقالت:

- أخشى أن الأمر ليس بهذه البساطة.

- لماذا؟

- في ملفك التعريفي يُشار إلى الجنس بـ «امرأة مع خصيتين».

عبسَت مارا:

- وماذا في ذلك؟ هل يتم الرفض على أساس الجنس؟

- هذا أيضًا جزء من التجربة. في روسيا الجبسية، لم يتم تسجيل مثل هذه الهويات أو التعرف عليها، لذلك يمكن فقط للمرأة الأم أو الرجل الأبوي الذهاب في هذه الرحلة الرمزية. عندما تواجه الرفض، تشعر وكأنك مضطهد من العصر القمعي، مما يسمح لك بالحفاظ على أصالة «الجبس المتناسق». لكن يمكنني مواساتك، فلم يصل أي من ممثلي المجموعات الجنسانية التقليدية بعدُ إلى النقطة المحورية الثانية.

- هل يمكنني معرفة ما هو موجود هناك على الأقل؟

ابتسمت المستشارة قائلةً:

- وفقًا للوائح معرضنا، لا نعطي إجابة قاطعة على هذا السؤال، يجب أن تخلق إجابتنا وميضًا مبهمًا وليس قاطعًا، وهذا من خلال بعض الجمل البسيطة التي تحتمل عدة تفسيرات، لكن لأنني أشعر ببعض الحرج بسبب التعدي على حقوقك؛ فأستطيع أن أخبرك أن هناك تمثالًا مصنوعًا من الجليد الأحمر المملح، وهو شكل يتوافق مع محتوى القطب الثاني اسميًّا وضمنيًّا. التمثال موجود في شكل مادي في حافظة التخزين الخاصة بنا بالقرب من موسكو، وموجود بشكل افتراضي في نهاية الرحلة أيضًا.

تذكرتُ أنه يمكنني أيضًا التحدث بصوت مارا.

- إذًا هذه هي الفكرة الكاملة للمعرض؟

أجابت المستشارة سريعًا:

- بالطبع لا. الجزء الأكثر أهمية من فكرتنا هو المنطقة الفاصلة بين الیین واليانغ، بين العتمة والنور، الفكرة أن تكون هناك أو لا، هناك بعض الشائعات تُعطَى إلى زوارنا عن المصاعب التي سوف يواجهونها والعقبات. لكن يبقى دائمًا سؤال واحد عما إذا كان القطب الثاني موجودًا في حد ذاته.

قلتُ أنا:

- فهمت، باختصار فإن ما لدينا هنا هو قفص فارغ، بداخله قاذورات وتدور حوله بعض القصص، هل هذا هو الجبس المتناسق؟

ظهرت الدهشة واضحةً في عيون المستشارة، لكنها تمالكت نفسها، وأومأت:

- نعم. هذا هو، وعلى الرغم من مرور كل هذه السنوات، لم يتمكن أحد من تجاوز هذه التحفة الفنية.

- لماذا؟

كان هذا سؤالي الأخير، فقد رفعت مارا يدها على وجهها وفصلتني عن مكبرات صوت القناع.

أجابت المستشارة:

- سأحاول التوضيح، الحقيقة أن أهم ثوابت وجودنا لم تتغير إطلاقًا منذ عصر الجبس. عندما نتحدث عنها، فإننا نتحدث عن الأبدية. ما هو جوهر تجربتنا الحياتية؟

أجابت مارا بنفسها هذه المرة:

- حسنًا. إجابة سؤالك؛ إنني لا أعلم بالطبع.

- فكري في ما يراه الإنسان للحظة بعد أن يبتعد عن الهلوسة الإلكترونية؟ يرى قفصه القذر. يرى ساعةً تُخبره أن وقته ينفد. ومع ذلك الصحن الذي لا شيء بداخله كما المعتاد، لكن الهلوسة الإلكترونية كل يوم تُخبر الشخص أن العالم في الواقع أوسع بكثير، فهو يحتوي على فنانين لامعين، وخنازير، وسُلطات شيشانية، ومتطلبات يطلبها المحيط العالمي، ومساحات ضخمة لا تقاوم، وفلسفة الطبيعة الصينية التي لا تُقهر إلخ. المشكلة هي أن كل هذا موجود أساسًا في إيماننا الداخلي. يكاد «العالم» بأكمله أن يكون عبارة عن إشاعات غامضة وصلت إلى الشخص مصحوبةً أحيانًا بتسلسلات فيديو مشبوهة. ويظل من المستحيل التحقق من حقيقة كل هذه المعلومات. والشخص نفسه لا يرى سوى قفصه الخاص، حيث يكون فارغًا وقذرًا كل يوم. إذا كان ذكيًا حقًّا فقد يُخمن أنه لا أحد يعيش في هذا القفص. ولكن بمجرد نسيانه، تبدأ القصص الوجودية حول حقيقة العالم وحقيقة وجوده تضرب في رأسه مثل الرعد. ولكن للأسف، كل القصص والأسئلة التي تحاول أن تشرح للشخص سبب جلوسه في القفص، لن تنتهي أبدًا، ويبقى جالسًا إلى أن يصل إلى النهاية «الصفر».

اعترضت مارا مشيرةً إلى القفص:

- لكن الهَنْ لم يعد في الأسر. مجازيًا هو حر. الباب مفتوح. هناك تفاؤل طفيف أيضًا على ما أعتقد.

أجابت المستشارة:

- ما هي الحرية التي نتحدث عنها هنا بالضبط؟ إذا كنتِ تتحدثين عن الهَنْ مجازيًا فهو ليس موجودًا، حتى الفنان نفسه، لقد تعفن منذ فترة طويلة وتحلل إلى جزيئات. علاوة على ذلك، فإن القطب الدلالي

الآخر، الذي يمكن أن يطمح إليه الشخص بعد التحرر، تم وضعه في أبعد نقطة ممكنة من الكوكب، بل وأيضًا هناك شائعات عن إمكانية عدم وجود القطب الآخر من الأساس. بينما الشيء الوحيد الواقعي هو الصحراء، المساحة الشاسعة التي تبلغ خمسمائة وعشرة ملايين كيلومتر مربع، حيث لا أحد ينتظره أو ينظر إليه، هنا نعطي الشخص فرصة للذهاب إلى الرحلة بنفسه والتأكد من وجود شيء أو اللاشيء.

تمتمت مارا بصوت خافت:

- ربما.. ربما، لكنها لا تزال أفكارًا ميؤوسًا منها.

- بالضبط. أي ناشط محلي في عصر الجبس مر بهذه التجربة الدقيقة. للأسف الفنان الروسي المثير للاهتمام الذي أخرج للعالم هذه القطعة الفنية، من المتوقع أنه بذل جهدًا هائلًا للإطاحة بالنظام، وإثارة أكبر قدر ممكن من الضوضاء، ونشر الرائحة الكريهة، ليشعر بها الشعب ويكسر الأطباق لجذب الانتباه، ويتم اعتقاله وسط بعض الأفراد المسلحين، ولكن عندما يكون حُرًّا بالفعل، فلن يكون لديه مكان يذهب إليه، لم يعد العالم بحاجة إلى هذا الجزء التناسلي بعد الآن. بل أصبح يُشكل خطرًا.

قالت مارا:

- نعم. الآن فهمت الفكرة. زنزانة مهجورة من حولها صحراء اللاشيء، وقطب السعادة الآخر بعيد المنال، ووجوده غير مؤكد أيضًا.

- إنها أيقونة عالمية، اليأس هنا لا يشمل كل شيء فقط، بل لا يوجد شيء مؤكد يمكننا أن نفعله حياله، هذا هو جوهر عصر الجبس، عبارة عن بيان قوي يعيدنا إلى أصول الأنطولوجيا، ويُعبر عن جوهر التجربة الإنسانية. إذا أردت، يمكننا وصفه بنموذج متعدد الطبقات للوجود البشري.

قالت مارا:

- نعم. أوافقك الرأي في هذا التفسير، إنها فكرة قوية حقًّا، لكن لماذا هذا الفن مخصص لكبار المديرين؟

ابتسمت المستشارة وقالت:

– لأنه يُظهر جوهر الأشياء باختصار، نوع من هضم الواقع. بالنظر إلى هذا الملخص، يدرك المسؤول الرفيع كيف يعيش الشخص ويحارب. إنه ينظر إلى جميع أنحاء العالم من ارتفاع لم يكن من المتاح الوصول إليه من قبل، حينها يقرر هذا المدير أن يعمل بجدية وصرامة أكبر، ويضع على عاتقه مهام المبيعات والتسويق، ويرى بوضوح غير مسبوق اتجاهات السوق، ويحارب بقوة متجددة من أجل ربح المساهمين.

اختلست المستشارة نظرة إلى ساعتها، وقالت:

– لقد انتهى وقتنا. يمكنني إرسال كتيب الاستثمار إلى بريدك الإلكتروني.

كنا صامتين طوال الطريق إلى منزل مارا. وكما لو كانت ترغب في سلب وجودي الخافت من القصة، فقد أوقفت مرة أخرى وحدة المعلومات والترفيه.

تُركت روايتي دون فصل الأوبر مرة أُخرى، ولم تسمح لي حتى باستبدال حوار بها خلال الطريق. كانت مارا تنظر إلى هاتفها بوجوم، وتقرأ شيئًا ما طوال الطريق، يبدو أن النكات التي أعددتُها سوف تظل في القطب المظلم إلى الأبد.

لذا سوف أُكمل تحقيقي.

إجراءات استقصائية

أعتقد أنني أوضحتُ بالفعل أنه حتى إذا كنتُ صامتًا، فهذا لا يعني بالضرورة أنني لا أقوم بعملي في جانب التحليل الجنائي، لكن من الصعب نسج المعلومات حول الإجراءات الاستقصائية التي تتم بسرعة الضوء في سرد ممتد عبر الزمن. بالنسبة إلى القصة المتعلقة بهذه التحليلات، عادةً ما أسلط الضوء عليها في فصل خاص.

الأمر هو:

بمجرد أن فهمتُ خطة مارا السرية، بدأتُ على الفور في تحليل المعلومات التي تم جمعها في سياق اتصالاتنا.

في البداية ركزتُ على ما يتعلق بالأدلة المحتمَلة التي اكتشفتُها خلال زيارتي الأولى لمنزلها، بالنسبة إليَّ تحول كل الشذوذ اللطيف في حياتها إلى دليل محتمَل.

كان هناك ثلاثة خيوط.

الأول عبارة عن الصورة ثلاثية الأبعاد لفتاة صغيرة في مكتبها، سافو من بومبي، لم تكن الصورة نفسها هي التي بدت مثيرة للاهتمام، لكن رد فعل مارا العاطفي الحاد على محاولتي منحَ نفسي هذا الشكل.

ومع ذلك، عن هذه النقطة بالتحديد، لم يكن هناك سر خاص على الأرجح. كنتُ متأكدًا بنسبة تسعين في المائة أنها مجرد حبيبة افتراضية لمارا، يتم الآن صنع هؤلاء الفتيات في أي مكتب تصميم.

على الأرجح، كانت مارا تعيش معها لفترة طويلة تحت تأثير المواد المخدرة، وتحولت إلى حالة مدمرة نفسيًّا، لدرجة أن صديقتها السابقة ترعبها الآن. في هذه الأيام يحدث هذا طوال الوقت، حتى إنه من الجيد حضور

دورات في إعادة التأهيل النفسي الحميميّ، ومن الأنيق بشكل خاص دعوة معالج حميمي إلى منزلك وممارسة التجربة مع جهاز آي فاك الخاص بك، تحت إشرافه العلمي، ما يُسمى بـ «الاستثارة والخداع الكامن».

من ناحية أُخرى، إذا تسببت جين سافو في مثل هذا الرعب لمارا، فلماذا تحتفظ بصورتها على سطح مكتبها، وفي غرفة النوم أيضًا؟ نعم، مشكلة. أم أنها كانت خائفة من أنني أنا مَن أخذ هذا الشكل؟ لماذا؟

بشكل عام، لم أصل إلى شيء من وراء التفكير في هذا الاتجاه.

لكن صورة «لينكولن سنوب مازرفاكر» على الحائط قادتني إلى العديد من الاكتشافات المثيرة للاهتمام.

ريزنيك المعلم وصاحب الرؤية والمبرمج الذي غادر العالم. لم يكن من الواضح لماذا يبدو ريزنيك في هذه الصورة وكأنه مواطن أسترالي أصلي، أكثر من كونه مثقفًا أبيض من كاليفورنيا؛ قوس وسهم وقرص ضخم في الشفة العليا، والأهم بصراحة الجلد الأسود.

لم أقم قط بإثارة معلومات حول ريزنيك أو منطقة ويلفيرلاند الأمريكية من قبل، ومن أجل تعزية شوقي وحبي لهذه الأماكن، سأخبرك بإيجاز عنها.

إن ويلفيرلاند هي شيء يشبه المزارع البيئية الإيجابية، ليست مزارع للعبيد، بل على العكس من ذلك: مستوطنات، حيث يُعبر الأمريكيون الأفارقة -المحررون من جميع أشكال الاستغلال- عن أنفسهم بحرية، ويفعلون ما يشاؤون، وكأنهم عادوا إلى الجنة قبل أن يسلبها منهم البيض. وهناك تقريبًا مكان موازٍ بالنسبة إلى اللاتينيين، وهي تُسمى: «مدن الشمس»، فقط مع نكهة ثقافية وأسطورية مختلفة؛ إنهم يلعنون كولومبوس ويعلنون عبادة دولة أزتلان[1] القادمة.

لدى سكان ويلفيرلاند مهمتان: الولادة، بمعدل يُبعد أي تهديد انتخابي، والتصويت لصالح يسار ويلفر، الذي يتمتع بالتالي بالسلطة في الولايات المتحدة بقوة مثل اليمين في أمريكا الشمالية والجنوبية (وفي هذا السياق،

---

(1) وهو مصطلح يُشير إلى وطن أجداد الأزتيك في الشمال. وهو المكان الأسطوري الذي نشأت فيه شعوب الأزتيك. وهو أيضًا مكان الخلق غير المحدد.

كلمتا «يسار» و «يمين» تعنيان: أنا لا أفهم أي شيء ولا أنوي الفهم، أنا فقط أكرر ما تقوله وسائل الأعلام!).

بسبب زيكا 3 يُولد العديد من الوحوش ذوي التشوهات الجسدية، والفقراء مع جميع أنواع الانحرافات العقلية في أرض ويلفيرلاند. إنهم يكتسبون على الفور مكانة إنسانية مصونة، ويطالبون بمزيد من الرفاهية. لأن لديهم بالطبع الحق في التصويت في الانتخابات، يحق لبعض الفئات العقلية الحصول على صوتين أو ثلاثة أصوات وفقًا للقانون الإيجابي، لكن هذا متغير من بلد إلى آخر. لدى الولايات المتحدة الأمريكية خطتها الخاصة بالجناح اليميني، النقطة السياسية الرئيسية في برنامجها على وجه التحديد، وقف تمويل أراضي ويلفيرلاند و«مدن الشمس»، لأن جميع الضرائب المحصلة من وادي السيليكون تذهب إلى هناك، بينما يمثلون نحو 2 ٪ من الأصوات في الانتخابات، تقول الأصوات الشريرة إن «إي بنك» يرعاهم لهذا الغرض تحديدًا. وهناك ثلاثون إلى أربعين في المائة أخرى يأخذها من يُطلق عليهم: «المرشح المناهض للمؤسسة»، والذي رشحته المؤسسة بانتظام منذ نصف قرن. دائمًا يأتي في المرتبة الثانية.

من المثير للاهتمام أن رياح اضطهاد الخنازير في جميع أنحاء العالم بدأت تهب على وجه التحديد من كاليفورنيا، ولكن تسمية كلمة «حرية التكاثر» للأمريكيين الأفارقة أو اللاتينيين في ويلفيرلاند، يُعد جريمة كراهية. بشكل عام يوجد في كل من USSA وNAC الكثير من الأشياء المثيرة للاهتمام وربما ذات الأهمية الثقافية، لكن العقل الروسي توقف عن الاهتمام بها.

تعمل ويلفيرلاند بشكل جيد، فهم يدخنون الغانجا ويأكلون أطعمة بسيطة وصحية، ويتجنبون إدمان الإنترنت، ولا يقلقون بشأن أي شيء. يتلقى بعض البيض المنضبطين، وخاصة أولئك الذين يبرعون في وظائف مفيدة للمجتمع، تصريحَ خروج من المجتمعات السوداء ونيل مكانة «الزنجي» وحق العيش في ويلفيرلاند.

بشكل عام، هذه نهاية جيدة لشخص مهتم بالبيئة، أن يكون قادرًا على غناء موسيقى الراب في اجتماع يوم الأحد دون أن يفشل. بمناسبة هذا السياق، فقد اكتشفتُ سبب وجود قرص ضخم في شفة ريزنيك في تلك الصورة المعلقة،

هذا إجراء لتميز العرق الإفريقي، وأيضًا لمنعه من غناء الراب في المستقبل. لون الجلد لا يمثل مشكلة بالمناسبة، لقد تعلموا كيف يغيرونه بحقن جلدهم مرتين، وهذا إجراء آمن تمامًا.

لكوني خوارزمية أدبية، ألاحظ أن أقصر طريق للنجاح الأدبي لكاتب أبيض شابٍّ في الولايات المتحدة، هو تغيير لون بشرته! اكتب شيئًا سخيفًا، لن يفشل الكثير من الأشخاص الأذكياء في كتابة شيء ليس بالغ السوء حد استحالة قراءته، قصةً مليئة باستخدام اللغة العرقية حول التأقلم الصعب وتشكيل مفهوم الهوية واضطهاد الأقلية، حينها سيظهر سفراء ووسائل الإعلام الحرة لإغراق هذه الهوية بأوراق الغار وبتلات الورد، استمتع بخمس عشرة دقيقة من الشهرة!

في الدقيقة السادسة عشرة من القصة، عادةً ما يتم التنقيب وراء القصة، يتبين أن المؤلف لم يكن مؤهلًا لمكانة «الزنجي»، ولا يحمل نار التنوع المقدس، ثم يتبعها خمس عشرة دقيقة من الخزي! لكن دائمًا ما يتم حفظ التقدم والشهرة، لأن الإعلام لا يمكن أن يحتوي على أي ذِكر للعرق أو شيء ذي صلة، بموجب القانون.

هذه هي الطريقة التي يتعلم بها السوق أن يتلون مثل الحرباء، ليس فقط من الناحية المجازية، لقد تمكنا من القيام بذلك لفترة طويلة. ولكن أيضًا بالمعنى المباشر. وبعد ذلك يمكنك تغيير اسمك بموجب قانون النسيان والتقدم، على سبيل المثال: للأشخاص المتحولين جنسيًا.

ومع ذلك دعونا نُكمل.

تولد في ويلفيرلاند طوائفُ روحانيةٌ جديدة، وديانات ذات جذور إفريقية، وحركات فودو، وحتى أنظمة فلسفية. كما يمكن أن يكونوا مؤثرين للغاية، لأن المثقفين الديمقراطيين يراقبون كل دفعة من التفكير الإيجابي باهتمام جدي.

إذًا هذه صورة لينكولن سنوب مازرفاكر، الاسم الذي حصل عليه ريزنيك، وتحول في عقده السابع إلى «زنجي» وذهب للعيش في ويلفيرلاند «CA-3»، وبدأ في إحدى هذه الطوائف؛ مما جذب اهتمامًا عامًّا قويًا.

في الواقع، لقد كان مزيجًا آخر من المذاهب الشرقية القديمة المختلطة مع المصطلحات التكنولوجية الحديثة. يعلم سنوب عن فكرة «العقل العالمي»،

وأنه لا توجد ظاهرة واحدة ليست وعيًا خالصًا من البداية إلى النهاية، حتى إن «المادة» فلسفيًّا هي فقط وعيُنا بها، محاولًا تهيئة مناخ حيث يمكن الاستغناء عنه. استمع إليه الأمريكيون الأفارقة في كاليفورنيا باهتمام كبير، وخصصوا له العديد من الأغاني الساحرة.

وأعتقد أن مارا وصلت إلى أفكاره من خلال الطريقة التالية: في أثناء العمل في وادي السيليكون كان ريزنيك منخرطًا فيما يُسمى RCP «برمجة الكود العشوائي». كان رائدًا في هذا المجال، ونتيجةً لأبحاثه تحول إلى معتَقَده.

كانت مارا أيضًا متخصصة في تكنولوجيا المعلومات، بل كان تخصصها الأول. ملفُّها الشخصي يذكر:

«مجالات العمل: BET وRCP».

BET أو «الاختبار الشامل المحدود»: هو طريقة لاختبار أنظمة الكمبيوتر. يتم تشغيل جميع التركيبات الممكنة لبيانات الإدخال من خلالها، بالطبع أقل من بعض الأبعاد المحددة، وإلا فإن الإجراء لن ينتهي أبدًا. هذه الطريقة في العثور على الأخطاء سخيفة ولكنها موثوقة. إنها تتطلب سعة زائدة مع عدم توفر الموارد.

RCP هو اتجاه في البرمجة، مشابه في الأيديولوجيا، ولكنه مختلف تمامًا في الأهداف والنتائج. نحن هنا لا ننتج مجموعات عشوائية من بيانات الإدخال، بل ننتج تسلسلات عشوائية من كود البرنامج نفسه. ومن ثَم نطبق مبادئ «الاختبار الشامل» على هذه المدونة.

إنه مثل قرد قادر على كتابة «الحرب والسلام» في مليون عام، فقط في حالة RCP خصصنا مليار سنة، ورفعنا تردد طاقة القرد لدرجة خَطِرة مع سلك عالي الجهد عالق به، يمكننا توقع أن القرد لن يكتب «الحرب والسلام»، ولكن البرنامج يمكن أن يكتب «الحرب والسلام».

تتغير جودة المهمة، لذلك هناك حاجة إلى أداء عالٍ جدًّا وكميات كبيرة من الذاكرة. اليوم لا توجد مشكلات مع هذا؛ القدرات زائدة على الحاجة. يكفي تعيين متطلبات تسلسل المخرجات، وعاجلًا أو آجلًا سنحصل على برنامج يقوم بما نريد.

صحيح أننا لن نعرف بالضبط كيف يعمل، لأنه أنشأ نفسه بنفسه، وهذا هو العيب الرئيسي لهذه الطريقة.

يمكن تقسيم العملية إلى أي عدد مطلوب من المستويات، والأهم من ذلك أنه يمكن إجراؤها بتنظيم ذاتي مع زيادة التعقيد. هذا مهم؛ لأنه بعد بعض الوقت لن يصبح التدخل البشري ذا أهمية كبيرة.

يتشابه تكوين الكود العشوائي مع تطور الخلية الأولية في الفقاريات الأعلى، تسارع بلايين المرات فقط. الفرق هو أن عدد الطرق المسدودة والنزوات الناتجة عن الشفرة العشوائية ستكون أكثر بكثير مما تستطيع الطبيعة تحمله.

إنها مثل بذرة سحرية، يكفي زرعها في الأرض عند اكتمال القمر، وتبدأ في النمو، وتنقسم بشراسة إلى مئات وآلاف من البراعم المندفعة إلى السماء. تنمو حبوب RCP في جميع الاتجاهات في وقت واحد، لكننا نختار من هذه الكثافة الجسرَ الذي نحتاج إليه فقط.

ربما تكون المقارنة مع البذور هي الأكثر ملائمة، تسمح لك تقنية الشفرة العشوائية بتنمية شجرة قبيحة وزائدة على الحاجة ومجنونة وخرقاء وسخيفة، لكنها مثمرة. يكفي أن تعرف أين وكيف تزرع البذرة.

نشأت تعاليم ريزنيك من ملاحظاته حول تطور الشفرة العشوائية، بعد أن توصّل إلى استنتاجِ أننا جميعًا نعيش في محاكاة.

لم تكن هذه الفكرة جديدة بالطبع. بالعودة إلى بداية القرن، عندما ظهرت أجهزة الكمبيوتر لأول مرة، كان من المألوف أن نقول إننا موجودون في الواقع الافتراضي. لا نحتاج إلى الكثير من الشرح، يمكننا فقط أن نتذكر صاحب الرؤية التكنولوجية الشهير إيلون ماسك. أو الممثل وأيقونة المثليين كيانو ريفز -بعيدًا عن الفترة التي كان يطارد فيها المافيا الروسية وكل هذه الأفلام- لكنه كان مثل بوذا.

«يا رفاق، نحن داخل المصفوفة!»

من لم يهمس بهذه الكلمات في شبابه؟ إحساس غريب، لكنه ليس نابعًا من العقل ولا القلب. لكن ريزنيك كان أول من شرح معنى هذا الموضوع بوضوح.

لا يتعلق الأمر بوجود مستوى معين من الواقع نخرج إليه عندما تنتهي المحاكاة.

لا توجد طبقة مادية «نهائية» تكون «أكثر واقعية» من الحياة اليومية، ويشير إلى عالمنا اليومي بوصفه شارعًا ممطرًا خارج النافذة، بسبب هلوسة مثيرة في أجسادنا. لكن النقطة الأهم هي أن أي شخص داخل المحاكاة لا يستطيع أن يُدرك هذا.

وفقًا لريزنيك، فإن «المحاكاة» تعني واقعًا مختلفًا. يشرح من خلال هذا المفهوم آلية عمل الكون.

كل شيء، حي وغير حي -لم يُعرِّف ريزنيك الفرق بينهما- هو ببساطة متواليات مختلفة من «الشفرة العامة» التي تم الكشف عنها في العقل العالمي، بالكيفية نفسها التي تجعل شجرة RCP الكونية تنمو في جميع الاتجاهات.

تتجلى الشفرة العالمية في أنها هي ما يحدث في العقل و «المادة». بالمناسبة، لم يعجب ريزنيك بهذه الكلمة، واستخدم بدلًا من ذلك المصطلح البوذي القديم: «روبا» (شيء بين «المادة» و«الشكل») قام ريزنيك بتفكيك هذا المصطلح بنفسه بشكل معقد إلى حدٍّ ما: «الإدراك المسبق للظواهر المادية».

قال ريزنيك: إن العقل العالمي يدخل في بعض تسلسلات الكود كما كانت «من الداخل»، مكونة فئات ثنائية الحركة، نباتات وحيوانات وبشر، إلخ. للقيام بذلك يستخدم ما يسمى بـ «علامات الهبوط»، أي عناصر الكود التي تشير إلى أن هذا المزيج أو ذاك يمكن أن يصبح دعمًا مؤقتًا داخل وعي، بسبب الوجود وأعضاء الحواس.

ما هو العقل العالمي؟ يقول ريزنيك: إن هذا هو المستوى الوحيد للوجود الذي لا يصلح للمحاكاة. لقد فهمه البعض بمعنى أنه فراغ بلا حراك ولا معنى له. لكن ريزنيك أجاب بأن الفراغ يعني الفضاء، وأن العقل العالمي يتجاوز المكان والزمان. من الأسهل محاكاة الفراغ، وهو أمر معروف.

أعلن ريزنيك أن RCP هي خطيئة الأرض الساحقة، لأنه في التسلسلات المتنوعة تُخرج عددًا لا نهائيًّا من الشفرات العشوائية.

اكتسبت تعاليم لينكولن سنوب شعبية كبيرة بين الأمريكيين الأفارقة واللاتينيين، لدرجة أن جميع أعمال البرمجة العشوائية للشفرات تم تقليصها

بقرار سياسي قوي الإرادة. ربما يمتلك الجيش شيئًا عميقًا تحت الأرض، لكن وادي السيليكون لم يعد يفعل ذلك بالتأكيد.

ظل بعض الأشخاص المتحمسين والمغرمين بهذا النوع من التقنية يستخدمونه بطريقة غير قانونية، لأنه قد صدر بالفعل قانون بوقف تنفيذ أي إجراءات تشملRCP، الأحكام ليست قاسية على أي حال وغالبًا ما تنتهي بغرامة.

لا تسمح الجهات اليوم لشخص جاهل تمامًا في برمجة التطبيقات بالعمل في هذا المجال، لكن اختصاصيي تكنولوجيا المعلومات في مثل مستوى مارا، يُسمح لهم، فهي قادرة تمامًا على استخدامه، خاصة مع خلفيتها؛ ففي أيام شبابها كان RCP قانونيًا.

وبالتالي هذه الصورة ربما تعني فعلًا شيئًا ما.

الرقم ثلاثة: هو صورة الشاطئ من سطح مكتب مارا. خمسة رجال عداها. دعونا نحاول التعرف عليهم من خلال الوجوه، يجب أن يكون كل شيء في قواعد البيانات.

هذا صحيح، كل شيء موجود. إنهم تقريبًا في العمر نفسه، ماذا؟

توفوا منذ عامين خلال عملية سطو في جمهورية الدومنيكان، الخمسة! جميعًا!

الصورة التي يجلسون فيها مع مارا في الدومنيكان أيضًا، وإن كانت أقدم قليلًا، التُقطت منذ ست سنوات تقريبًا.

إذًا لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يذهبون فيها إلى جمهورية الدومنيكان. مثير للاهتمام! ماذا كانوا يفعلون هناك يا ترى؟

آه. نعم، هذه معلومات جيدة.

ثلاثة كانوا من المتخصصين في RCP. وآخر كان تقنيًا في مجال الحواسيب. والأخير طالب دكتوراه في الفيزياء.

علمتني التجربة عدم الحكم السريع والتعميم المجرد، بل إيجاد خيط أولي، وغالبًا ما سوف تجد النظرية تُبنى أمام عينيك وحدها، وهذا ما حدث بالضبط.

أعلم من التجربة أنه بعد العثور على أثر، يجب ألا تتسرع على الفور في إصدار تعميمات، وهذا ما اتضح بعدها.

الثلاثة متخصصون في RCP درسوا مع مارا في المعهد نفسه، في هذا التخصص تحديدًا. هذا بالطبع أوضح كل شيء: صورةَ سنوب مازرفاكر والإجازة المشتركة. على ما يبدو ذهبوا في إجازة معًا، وغنوا بهدوء أغاني جديدة وجلسوا حول النيران وتناقشوا حول الرموز العشوائية. بعدها دخلت مارا مجال الفن، بينما لاقى زملاؤها حتفهم بسبب وجودهم في الوقت الخطأ في دولة تشتعل بثورتها الخاصة.

في مثل هذه الحالات، من الضروري فرز جميع المعلومات التي وجدتُها، ثم الانتظار بهدوء إلى أن أحصل على معلومات جديدة.

لكنني قررتُ أن أفعل شيئًا آخر. لأكون في الجانب الآمن من التفكير، عرضتُ قائمة مشتريات مارا باهظة الثمن على مدار السنوات الثمانية الماضية.

عدد غير قليل من الحلي الثمينة. تم الحصول على جهاز آي فاك 10 فور إصدار الدفعة التجريبية، حتى قبل كل الخصومات، عندما كان السعر في أعلى مستوياته من أي وقت آخر.

وما هذا أيضًا؟

محرك نصف إكسابايت. تم شراؤها قبل خمس سنوات. مبيعة بإذن خاص، لا يتم بيع محركات الأقراص الصناعية هذه للأفراد.

لماذا لا يبيعونها إلا بإذن خاص؟ إليكم السبب:

يتم استخدامها عند تصنيع كود عشوائي. نعم. لم تعد هذه مصادفة.

أوبر 6. رحلة إلى فازلومب

قالت مارا: «بورفيري، هل أنت مستيقظ؟».

كان هاتفها مفتوحًا على الويب والكاميرا أيضًا، غيرتُ وجهي إلى وضع النعاس وتركتُ شعري بشكل غير مرتب، وغيرتُ لون سوالفي إلى الأرجواني، ووضعتُ طاقية نوم على رأسي وتركتها تتدلى على كتفي.

عندما انتهيتُ من إجراءات المظهر، أصبح من الممكن أن أظهر على شاشتها الآن:

– نعم. لقد استيقظتُ الآن.

– كيف كانت ليلتك؟

قلتُ وأنا أتثاءب:

– لا بأس بها. هل راودتك أي أحلام؟

– مجرد ظلام قاتم، لا أتذكر الكثير في المعتاد، الليلة الماضية كنت متوترًا قليلًا لكنني الآن بخير. هل أطلب لنا أوبر؟

– لا نحتاج إلى أوبر اليوم، لن يكون هناك عمل، أفكر أن أدعوك إلى مطعم عوضًا عن ذلك.

– ما المناسبة؟

– لنقل: عملية شراء.

وأخرجت مارا مفتاحين ووضعتهما على الطاولة. بدت المفاتيح غير طبيعية، وشعرتُ أنها مثل الورق المقوَّى. ومع ذلك يجب أن تكون المفاتيح لتستخدم لشيء ما.

سألتُ مارا:

– هل اشتريتِ سيارة؟

– تقريبًا.

خرجت مارا من الشقة. حاولتُ تحديد وجهتنا عن طريق نظام تحديد المواقع على هاتفها، فوجدتُ أنه متوقف (هذه علامة تدل على سوء النية بالطبع، كما قد يقول أي محقق في مكاني) لكنها لم تذهب بعيدًا على أي حال. لكن من خلال تتبعي لمحطات الاتصال الرئيسية التي مررنا بها وجدتُ أننا كنا قريبين من المنزل ولم نبتعد، لقد سارت لخمس دقائق فقط.

سألتها أخيرًا:

– أين نحن؟

– ألا تستطيع أن ترى؟

– بلى، أرى الطريق. لحظة.. أنتِ في النادي، أليس كذلك؟

– بلى.

– فازلومب؟

ابتسمت مارا وأجابت:

– لقد خمنتَ بسرعة، لا يمكن الاختباء منك.

صدمتني ابتسامتها رغم أنها معوجة إلى حدٍّ ما. لم تكن ابتسامةً عاديةً، ولم تكن هناك سعادة. لكن اليقظة كانت موجودة.

أرض المخترقين، أو كما تم اختصارها للحصول على أقصى قدر من التناقض، فازلومب، هو اختيار غير مناسب أبدًا للقاء رومانسي!

كل المخترقين يتجمعون هناك. هذا هو مقرهم ومركزهم الثقافي وسوق سلعهم المستعملة. هنا نجد محطمي القلوب الإلكترونية، يُطلق عليهم هذا اللقب لأنهم يتعرفون على الفتيات ثم يقومون بتصويرهن بكاميرات خاصة في أثناء استخدامهن لقوالب الـ3D في أجهزة آي فاك أو أندروجني، ثم، أعتقد أن الأمر واضح من بعدها!

لكن هذا هو أدنى مستوى من ألعابهم. الأعلى هو إقناع الفتاة بخلع ملابسها بنفسها، وشرب النبيذ، ثم البدء في استخدام آي فاك وأندروجني،

مما يجعل الاتصال هنا متبادلًا. وهذا يتطلب بالفعل مهارة وسحرًا وسخريةً ومعرفةً بقلب المرأة.

الكاميرات الخاصة، بما في ذلك كاميرات التصوير ثلاثي الأبعاد السري، مجرد ملصقات صغيرة للتثبيت في الحمام مثلًا، أو بعض الشخصيات الموجودة داخل البرنامج، يخترقونها ويجعلون الشخصية الوهمية داخل الجهاز هي من تقوم بالتصوير، أو حتى وصلات الصوت -بالنسبة إلى الثنائيات الإلكترونية، يفضل البعض أن يسمع بعض كلمات الحب خلال هذا الوقت، وهذه هي وظيفة الوصلة- يمكن شراء هذه الأدوات من كل المتاجر تقريبًا. كما أن المكان هنا جاذب بشكل كبير لكل خنازير موسكو، بسبب توافر المشروبات الرخيصة.

قررتُ أن أركب أوبر؛ اقتداءً بجملة «لن يمر يوم بلا حرف»، كما يقول الروس القدامَى. لحسن الحظ لم يستغرق البحث وقتًا طويلًا، كانت بؤرة القراصنة هذه وجهةً شائعةً للغاية، خصوصًا بين الفتيات الصغيرات.

وبالفعل وجدتُ فتاة لطيفة منهن في الأوبر الذي دخلتُه، كانت تبلغ سبعة عشر عامًا (أو ستة عشر عامًا وسبعة أشهر، كما هو مكتوب في ملفها)، الفتاة تُدعى ناتاشا وتبدو مثل الزهرة الرقيقة مع عيون صغيرة على كل بتلة، ومع ذلك ترتدي الفتاة زيًّا، لو كنتُ مكان والدها لصفعتُها على وجهها بسببه! لا أعرف ما يُطلق على هذا الزي، توجد الكثير من الشرائط مثل المعكرونة على يديها وقدميها، بينما باقي جسدها ملفوف داخل سيلوفان شفاف، رغم أنه في عصرنا ممنوعٌ ارتداءُ مثل هذه الأشياء.

هذه هي الزهور التي تذهب إلى أرض القراصنة، لكن هذه الملائكة لا يتركن أنفسهن للفنانين المزعومين الذين تفوح منهم رائحة العرق، أو أولئك ذوي الشعر الكث، إنهن يقمن بالمخاطرة بالذهاب إلى هذا المكان، لكن عندما يتعلق الأمر بالصحبة، فهن يفضلن رفيقًا افتراضيًّا أو ديناصورًا أرجوانيًّا مع لسان طويل، وغيرها من الشخصيات المبرمجة ذات الشفرات الاهتزازية المتقدمة.

وتذكرتُ مارا التي كانت تنتظرني، بينما أنا أفكر في كل هذه الأشياء، وضع رفيقي -نظام أوبر- إعلان أندروجني آخر.

عندما تكون وجهة أوبر إلى فازلومب يتم عرض بعض المقاطع المحددة.

على الشاشة ظهرت سيارات، العديد والعديد من السيارات. وفتاة تقف وحدها في حشد كبير وسط المدينة، مشهد آخر لتيارات لا نهائية من البشر يصطدمون ببعضهم ويتباعدون، نعود مرة أخرى إلى الفتاة وسط الحشد، هناك رجل يقترب منها، يبتسم ويقرّب من وجهها زهرة بابونج، تستدير الفتاة إليه وتبتسم. التصوير بخاصية الفلاش ثلاثي الأبعاد، تظهر لقطات عابرة لأندروجني ونظارات أوجمنت. يُقرب الرجل زهرة البابونج من خدِّ الفتاة مرة أخرى، ولكن هذه المرة وهي ترقد بجانبه على سرير تتناثر عليه بتلات الزهور.

تبتسم الفتاة وتقول بالإنجليزية: «ها نحن هنا، وأنت لم تدفع مقابل العشاء حتى».

أَحب النقاد هذا الفيديو تحديدًا من بين كل إعلانات أندروجني؛ بسبب التناقض بين تصوير القصة وما يحدث حقًّا باستخدام جهاز أندروجني (الثلاثي أ) بشعاره الشهير: «أحبب أي شخص، في أي وقت وأي مكان»، ثم بإضافة ساخرة في النهاية: «لكن حافظ على عشائك».

كان من الغريب أن رفيقتي حصلت على فيديو باللغة الإنجليزية.

لكن زال تعجبي عندما تذكرتُ ملفها، كانت قد وصلت مؤخرًا من لندن، يعمل والدها في «إي بنك». اتضح على الفور سبب كتابة اسمها بالإنجليزية وليس بالروسية. يبدو أنني ونظام أوبر قد وصلنا للمعلومة بالسرعة نفسها؛ لأن الإعلان التالي كان إعلانًا لإي بنك، لكن هذه المرة كان الفيديو مترجمًا. وقد كان أغبى إعلان شاهدتُه في حياتي، وبسببه يجد الجميع سببًا للضحك على إي بنك.

المشهد لروسيَّيْن في رحلة صيد البط. أحدهما رجل أسود تبدو على وجهه علامات الذكاء ويرتدي نظارات رقيقة من التيتانيوم، والرجل الثاني روسي ذو شعر بني يُدعى فانيا (لحسن الحظ أنهم لم يجعلوه مهاجرًا) ومعهما في القارب جهاز واحد، لكن لا يبدو واضحًا هل هو آي فاك أم أندروجني (وهذا متناقض تمامًا، بوجود شخصين وجهاز واحد) ملابسهما مموهة (ربما حتى لا تخيف البط)، بشكل عام كانا يبدوان مثل صديقين في رحلة صيد عادية.

تظهر طائرة في السماء تاركة وراءها عمودًا دخانيًّا، والذي انعكس على الماء مكونًا جملة:

SDR=HR

يبدأ الروسي بني الشعر، ويسأل:

- قل لي يا فيكادو، لماذا يدّعون أن هذه الأشياء من حقوق الإنسان؟

يرفع فيكادو حاجبه تعجبًا، ثم يقول:

- أي أشياء تقصد؟

يشير فانيا إلى السماء ويقول: هذه الحروف بجانب اختصار حقوق الإنسان. يجيب الزنجي بحكمة ودون استعجال:

- تستطيع أن تشتري كل ما تحتاج إليه مدى الحياة. بمعنى آخر: تمنحك حقوق السحب الخاصة، الحقَّ في امتلاك كل الأشياء الجميلة والضرورية. لذلك إذا فكرتَ فيها جيدًا فإن حقوق السحب الخاصة هي حقوقك الرئيسية.

يعبس فانيا ويقول:

- ربما أنت محق، ولكن بعد ذلك يتضح أن أي أحد يشتكي من خدمات إي بنك يتم مقاضاته بتهمة جريمة الكراهية.

ينظر فيكادو بعيدًا وهو يعض على شفتيْه ولا يجيب، لكن الشكل البيضاوي النبيل لوجهه الحبشي الذي عانى على مدى آلاف السنين هو أكثر بلاغةً من أي كلمة.

SPECIAL DRAWING RIGHTS

!ARE HUMAN RIGHTS

ONE BANK FITS

ALL

حتى في الحقبة السوفيتية البارزة كان التعامل مع الدعاية أفضل. هذا ليس نَسخًا فقط بل سرقة أدبية أيضًا، لقد رأيتُ بنفسي إعلانًا قديمًا لصحيفة وول ستريت، حيث تكتب طائرة في السماء بالدخان:

كانت الإعلانات محددة جدًّا في لندن، حتى إنني أشك أن الموظفين القائمين على هذه الأعمال يفهمون مهمتهم من الأساس، أو ربما أكثر منطقية أنهم لا يهتمون فعلًا ما داموا يصنعون إعلانًا مناسبًا للميزانية التي يتلقونها، ثم ينتظرون انتهاء اليوم وبداية الغد السعيد.

بشكل عام، بعيدًا عن لندن وإعلانات لندن البشعة، فإنني أرى من النافذة أننا أوشكنا على الوصول.

هذا هو المكان الذي يتجول فيه العديد من الراقصين السعداء حول الأبراج الزجاجية، التي تحترق بألوان قوس قزح على مدار الساعة، ويساعد متحول جنسيًّا من جامايكا شخصًا من أصول بولينيزية على تشحيم أحد التروس، بينما تشاهدهما جماعة من غريبي الأطوار، لقد كان هذا المكان نموذجًا مثاليًّا للمرحاض الكبير المشمس والسعيد.

وتعليق أخير بالنسبة إلى الإعلان، فلا أعرف كيف لم يلاحظ أحد أن إنجلترا دولة ذات حدود خاصة، ولا يمكن للطائرات دون طيار أن تحلِّق هكذا بشكل عادي فوق إحدى القنوات أو البحيرات.

رغم أن الخلافة -بالطبع- لم تكن توقفها قنوات إنجليزية ولا أي شيء آخر، يمكنهم أن يأخذوا مليون جهادي على متن طائرات شراعية وبعض الأطفال معهم، ويطيرون فوق سماء إنجلترا دون أن يختبئوا من أحد، ويسمون أنفسهم بالجراد، ويعودون كل فترة بالشكل نفسه، إنهم يدافعون عن أفكارهم بجدية كما يفعل الإعلان السيئ لإي بنك. على أي حال، الفكرة متبادلة، لأن إنجلترا تكرر بعض الهجمات؛ تذهب لضرب الخلافة ثم تعود لكتابة عريضة عن احترام الحدود الإقليمية.

ومع ذلك، شكرًا لأصدقائنا في لندن على هذا الدرس السريع، وشكرًا لناتاشا لإيصالنا إلى القراصنة، عدا ذلك فقد وصلنا إلى وجهتنا بسلام.

مطعم تماجوتشي

فاجأتني مارا مرةً أُخرى؛ كانت تنتظر في الطابق الرابع من مطعم تماجوتشي، وهذا هو أغلى مكان في فازلومب، وقد صُمم خِصِّيصَى لأولئك الذين يرغبون في اصطحاب أصدقائهم الإلكترونيين إلى لقاءات في الخارج، صحيح أن كل شيء هنا مغطًّى بإعلانات الحديقة التذكارية للصفارة الخالدة، وهذا يمكن أن يفسد مزاجك قليلًا، لكن مارا تعيش على الحافة، يجب أن تتمتع ببعض الحصانة.

تشبه كابينة تماجوتشي مقصورة الرحلات البحرية، تحتوي على سرير وطاولة منخفضة وأريكتين على جانبي الغرفة ونافذة مستديرة. يمكنك أن تأتي مع جهاز آي فاك وتجلس أمامه، أو يمكنك عرض صورة لصديقك الإلكتروني على الحائط، أو تتركه يظهر على إحدى الشاشات الكبيرة، كما يوجد على الأرض وعاء يُستخدم لهضم الطعام الخاص بالصديق أو الصديقة الإلكترونيين، حتى نتجنب الإحراج أن يجلس مكتوف الأيدي على الطاولة، ولنعطيه شعورًا أنه هو أيضًا يأكل.

عرضتُ نفسي على الشاشة أمام مارا مرتديًا زيًّا رسميًّا وقبعة وسوالف زرقاء، مع باقة من الورود البيضاء في يدي، ثم صحتُ بمرح:

- مرحبًا يا قطتي! لماذا أنتِ صامتة؟

قالت مارا:

- هيا دون كسل. لديهم جهاز عرض بخاري ثلاثي الأبعاد هنا. لقد استأجرته لبضع ساعات. حاول الاتصال به. أريد النظر إليك بطريقة عادية دون نظارات.

في الواقع كان جهاز العرض في المكتب قيد التشغيل بالفعل ومعلقًا على الشبكة. طبقًا لرغبة محبوبتي مارا، انطلقت عدة تيارات شفافة من البخار من

الحائط وضوء الليزر أيضًا، ثم ظهرتُ على الأريكة المقابلة لمارا. وعلى الفور ظهرت مشكلتان.

أولًا: يبدو أنه تم تصنيع جهاز العرض ذاك بطريقة غير متخصصة؛ عندما ظهرتُ جالسًا أمام مارا كنتُ جالسًا بشكل جانبي وبوضعية تضايق كل أعضاء الجسد، أعتقد أن نظرائي البشريين الذين يجلسون مثل هذه الجلسة يعانون من البواسير! والأسوأ هو أنني لستُ قادرًا على تعديل هذا الوضع، يجب أن أنتظر تحديث الكمبيوتر الرئيسي.

وثانيًا: كان جهاز البخار هذا ينفد، مجازيًّا بالطبع.

من أجل الحصول على بينج[1] عادي أرى نفسي القوة الأكبر في هذه الأماكن، في فازلومب دائمًا ما تكون ضعيفة وسهلة الكسر. عادةً ما يكون هذا مقبولًا، لكنني اليوم رأيتهم يقدمون في الطابق السفلي بوفيه من الملابس التنكرية؛ حيث سيتنكرون اليوم وكأنهم مجلس الحكومة في روسيا القيصرية، لكن وفقًا لبحثي على الشبكة فإن العائلات المالكة كانت تقوم بهذه الأفعال بطريقة سرية أو تُعدها جادةً على الأقل.

لم يصوروا الحاكم بالطبع بل مثلوا دور الدوق، كانوا ستة رجال بالتحديد، أنا لستُ كسولًا وأستطيع أن أعد سيارات الليموزين التي وصلت إلى فازلومب، كان هناك ستة وثلاثون جهاز عرضٍ بخاريٍّ قيد التشغيل، ستة لكل دوق على ما يبدو (أعتقد أنهم كانوا يحاولون تمثيل شيء تاريخي ما).

حتى هنا، فإن الأغنياء والأسياد النبلاء هم من تُتاح لهم الفرصة للجلوس وسط الأضواء الساطعة، ليفكروا بمرارةٍ في دولتهم، الفرق أن الموجودين بالطابق السفلي لديهم عربات ليموزين، ولكن على أي حال، قريبًا سوف تنتهي معركة الامتيازات الفاسدة، لتعود الأسرة الروسية سعيدة ويحكمها شخص مختار من الرب، ومحمية بكلمات قاطعة تنفذها قوانين «عائلة الإمبراطور» بالإرادة الروسية التي لا يمكن أبدًا محوها منهم على مر الزمان.

قاطعتْ مارا أفكاري:

---

(1) بينج هو من أوامر أنظمة التشغيل التي تعمل بسطر الأوامر، يُستخدم لفحص اتصال حاسبٍ ما مع حاسبٍ آخر، أو راوتر أو طابعة أو أي جهاز آخر، يستخدم برتوكول حزمة بروتوكولات الإنترنت.

- لماذا ترتدي هذه القبعة الغبية؟ يمكنك أن تخلعها.
- يوجد تيار هواء هنا، سوف تتحرك كل شعرة من مكانها، وأحتاج إلى تسريح شعري وإعادته إلى مكانه.

ابتسمت مارا وهي تقول:

- أخبرتك أن تخلعها، إنها تقلل من فرص أن تغازلك الفتيات، ثم إن مظهرها مخيف، الآن ماذا ستأكل؟
- سوف آكل مثلك تمامًا. لكن وجبة صغيرة، إنني أحاول فقدان الوزن.

كانت الأسعار في القائمة غالية، لكن يبدو أن مارا لم تهتم. لقد قامت بالاختيار والطلب، بينما في هذه الأثناء قمتُ بتنزيل أحدث عدد من جريدة أخبار موسكو، فتحت الجريدة أمامي في الهواء. أصبحت القراءة على الفور أسهل بنسبة ثمانين بالمائة.

- هل تقرأ الجريدة دائمًا عندما تتناول العشاء مع صديقتك؟

غالبًا لا تمثل هذه المخلوقات اللطيفة أي مشكلة يصعب حلها لفترة طويلة، لكنهن يصررن على نقل الرجال إلى جانب مختلف تمامًا عنهم، تمامًا.

لكنني فضلت تغيير الموضوع على أي حال:

- لا بالطبع، خصوصًا إذا كانت سترقص لي بعدها، لكن أظن أن قراءة الجرائد تزيد شهيتك، كما أنني وجدت هذا الخبر المثير للاهتمام، اسمعي.. أعلن مفتي باريس الأعلى أنه بعد ترميم الباستيل، سيتم نقل توابيت من يسمون «بالفلاسفة العلمانيين» في القرون الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين والحادي والعشرين إلى الأبد. وتشمل القائمة ستة وعشرين شخصًا...

قالت مارا:

- أبعد الجريدة وإلا استأت.

أزلت الصحيفة، لكن في الوقت نفسه حركت ساقي في اتجاه مارا حتى لامستُ قدميها، حاولت مارا أن تتحاشاني وتنظر إلى انعكاسها في المرآة، لكن الآن لدي متسع من الوقت لأتتبع عينيها في كل مكان. ويبدو أن حركة رمي الجريدة تحت الطاولة فورًا قد أكسبتني موضع قوة.

قلتُ مداعبًا:

- أتعلمين، لقد جئتُ هنا من قبل مع فتاة تبلغ اثنين وعشرين عامًا، لكنها كانت تُفضل أن تبقى عارية، لذا طوال الطريق ذهابًا وعودةً كانت تجلس هكذا بلا ملابس، بينما أنت دائمًا تحافظين على ارتداء ملابسك الأنيقة.

لم يكن هذا صحيحًا تمامًا، لكن يمكننا وصف ملابس مارا باللائقة على الأقل. كانت ترتدي درعها المعتاد المُثبت بأزرار حديدية، وأيضًا سروالًا قصيرًا، إلى جانب الأساور المسننة على ذراعيْها وساقيْها، بدت وكأنها ملابس سباحة لشاطئ جهنمي، حيث يكون المكان مزدحمًا للغاية لدرجة أنك تُضطر دائمًا إلى طعن جيرانك بكل قوتك. حتى بعد أن تُفرقهم وتصل إلى الشاطئ الذي خضتَ من أجله هذه المعركة، أخيرًا تقابلك مياه أرجوانية تشكك في سبب خوضك لهذه الرحلة من الأساس!

نظرت مارا إليّ وكأنها لا تصدق.

- لم يخبرني أحد من قبل أنني أرتدي ملابس أنيقة.

أضفتُ بسرعة:

- لأكون صادقًا؛ أنا أُفضلك عاريةً أكثر. هذا الوضع أفضل من ملابسك بالتأكيد. ليس لديك فكرة عن مدى روعة جسدك.

يجب أن يكون الإطراء على المرأة -خاصةً المرأة الذكية- وقحًا وبلا خجل، ويجب أن تغطي بسرعة الجملة الغبية التي قلتها بجملة أخرى وجملة ثانية بالثالثة، وهكذا، بأقصى ما لديك، لأنه في أثناء النقر فوق تلك المفاتيح تُحرك الدوبامين في رأسها، وينتقل ذكاؤها الحادُّ إلى السُّبات. حتى لو كانت تفهم ما يجري فسوف تقوم بتجاهل الأمر. لقد قمتُ بالتحقق من هذه النظرية عدة مرات بتجارب مختلفة. كما أن الكتابات الفلكلورية تؤكد فعالية هذه الخدعة في أثناء اللقاءات الأولى. فلا عجب أن تتبادر مثل هذه الأفكار إلى أذهاننا. نحن في «فزلومب».

تم إحضار الطعام، سلطة الجمبري في البطيخ المقشر والشاي وشرائح الأخطبوط المقلية والأفوكادو والكافيار. وبالطبع نخب مع شرائح السلطعون والكرفس. لم يكن لديهم زيت السلطعون.

عندما خرج النادل، وضعت مارا الكافيار على الخبز المحمص، أخذت قضمة كبيرة، وقالت:

– أمس قرأتُ رواياتك طوال اليوم. لا تقلق، لم أقرأ الحالية، بل واحدة من الروايات القديمة، ثم قرأتُ النقد المكتوب عنها.

سألتُها:

– وإذًا؟

– هل أنتَ على دراية بالنقد الذي يُكتب حول رواياتك؟

– ليس بالضبط، أقرأ القليل فقط، ماذا يكتبون عني؟

– ليس عنك شخصيًّا. لكن يوجد الكثير حول رواياتك، هناك مقالات نقدية عديدة تحلل الروايات البوليسية التي كُتبت من قِبل خوارزمية.

– وكيف هو نقدهم؟

– إنهم لا يحبون كتابتك يا بورفيري.

حسنًا. في مثل هذه الحالات تحتاج قبل أي شيء إلى تحديد كيفية الرد، قبول أحد خطوط السلوك البشري أو قول الحقيقة الموضوعية.

تم تقليص الخط البشري إلى إظهار الاهتمام الجريح، وتقليد الغطرسة. هذا يتطلب المزيد من الموارد ويحتاج إلى ارتداد مستمر للشبكة. احترامًا للمحاور من الأفضل أن تتصرف بهذه الطريقة، ولكن اليوم تم إنفاق الكثير من الطاقة على السوالف والشعر، ولم أكن متأكدًا مما إذا كنت سأقوم بأشياء أخرى. ربما علينا أن نقول الحقيقة.

– دعيهم يقولون ما يريدون.

– ذكرت إحدى المقالات اثنتين من رواياتك في وقت واحد.

ألقت مارا نظرة جانبية على شاشة هاتفها، «بارجة الألغاز» و «نزاع الخريف حول الكيانات التجارية».

قلتُ بفخر:

– إنهما من أكبر إنجازاتي.

- انظر ماذا يكتبون: «تبدو الخوارزمية وكأنها تبني نصًّا ميكانيكيًّا، فالتكرار للأفكار نفسها لا بد أن يرهقك في النهاية، والمواد التوضيحية المستمدة من الشبكة لا تندمج مع القصة التي يتم سردها، وتخرج عن النص بشكل مثير للسخرية، مثل البقع. لهذا السبب فإن الكتب تخرج بطريقة رتيبة بشكل مدهش ومتشابهة مع بعضها بعضًا».

أجبتُها قائلًا:

- وكم عدد الأشخاص المتفقين مع هذا الهراء؟ إنهم مجموعة معروفة من الكتاب، استبدلوا بعقولهم أوانيَ الطهي؛ لذا يهجون أي شيء يجدونه.

نظرت مارا إلى الشاشة مرة أخرى، وقالت:

- وهنا يرد أحد النقاد على هذا النحو: «نزاع الخريف للكيانات التجارية» تبدو وكأنها رواية، لكن لم يكن هناك داعٍ لإدخال صفحات متعددة من قاعدة بيانات الهاتف والنص الكامل لاثنتين وأربعين مادة من القانون المدني، وأيضًا هناك جزء يشرح بكل استفاضة ما يُسمى «باستدعاء المحامين»، بل وأيضًا نقله عن الجزء الأول من الرواية. ربما ينتمي المستقبل إلى الذكاء الاصطناعي، ولكن يصعب رؤية هذه التقنيات بديلًا جادًّا لخلق شخصيات مثيرة وحيوية... الكتاب أيضًا ليس له أي حيوية، باستثناء الحركة التفصيلية لجهاز استقبال الهاتف القديم، والنقر على الرافعة أربعمائة واثنين وأربعين مرة... الموقف الاجتماعي السياسي للمؤلف صادق وشفاف، ويستحق التعاطف، غرق بارجة هو بلا شك استعارة مريرة لتاريخ روسيا ومصيرها. ولكن حتى هذا الموضوع لسوء الحظ تمت كتابته بطريقة خرقاء وسطحية. وأكمل بالهجوم نفسه: «من المبكر جدًّا أن نعتمد على خوارزمية في مثل هذه المجالات...».

وضعتْ الهاتف على الطاولة وابتسمتْ.

- بماذا ستجيب؟

- كما يقول الهيبيز الجدد: دع هؤلاء الأشخاص اللطفاء يبحثون عن خازوق يناسبهم. ليس لدي ضغينة ضدهم. على العكس أتمنى لهم السعادة.

– هل هذه المراجعات تزعجك؟

– يا عزيزتي، لا أستطيع حتى أن أقول إنني لا أهتم، سيكون هذا تزويرًا خَطِرًا.

– أين كبرياؤك الأدبية؟

– بالكاد هززت كتفي، واضعًا كل سخريتي في هذه الحركة.

– هل يمكنك فعل ذلك؟

– فعل ماذا بالضبط؟

– إظهار مشاعر قوية، والانخراط في جدال. الشجار والعصبية، تقف وتقول لا يمكنك إهانتي بهذا الشكل، محاولة الدفاع عن كرامتك الأدبية على الأقل.

– أقف أمام من؟

– أمامهم.

لم أقل أي شيء، تنهدتُ فقط. بينما أكملتْ مارا بحماسة:

– أمامهم ثم أمامي، تخيل أن صورتك على وشك أن تنهار أمام عيني، وعليك فورًا أن تهب لمحاربتهم ومواجهتهم، لأن قهرهم سوف يسبب سعادتك، سوف تحاربهم من أجل الفوز بقلبي، إنه قتال لاستمالتي إليك مرةً أُخرى.

سألتُها أنا:

– هل تريدين هذا حقًّا؟

أومأت مارا برأسها، وشعرت أن داخل عينيها تتألق نيران الفخر التي تضيء عيون أي امرأة تشعر أن الرجال على استعداد ليتقاتلوا من أجلها، ولن يتركوها لتخوض المعركة بنفسها.

غطيت وجهي بيدي، ووضعت وجهًا يبدو عليه التفكير العميق، وجلستُ هكذا لمدة عشر ثوانٍ.

ربما لم أبدُ بطوليًّا جدًّا في ذلك الوقت، لكنني خفضت تكاليف العرض بنسبة ستين بالمائة، وتمكنتُ من الغوص بعمق في الشبكة. في ثانية واحدة

كنت قد وجدت بالفعل كل ما أحتاج إليه لتجميع الإجابة. لدي بعض الإجابات مسجلة في نظامي بالفعل، لكن دائمًا ما أجد تنوعًا مبهرًا على شبكة الإنترنت. وقد وقع في يدي بعض الإجابات الممتازة من أعمال أدبية مختلفة.

- هل سوف تفعل؟

قلتُ بابتسامة لطيفة:

- ظننت أن الأطفال ذوي الخيال الواسع الذين يحكون القصص المسلية يتوقفون عند مرحلة الطفولة، لكن اتضح أنهم مستمرون في إبهار العالم.

- رائع! ها أنت ذا، بماذا تعلق على هذا النقد إذًا؟

- لا يوجد شيء لكي أجيب عليه، منذ زمن طويل وأنا أعرف أن المواطنين الذين يتحدثون عن أعمالي بهذه الطريقة لديهم شيء واحد مشترك؛ رغم اختلاف غبائهم بدرجات متفاوتة، فهم غير مفيدين للمجتمع بأي شكل.

ضحكت مارا وقالت:

- هذا لن يجدي، كن لطيفًا وجادلهم بطريقة مباشرة.

- انظري يا مارا، إن سؤالك ينقسم إلى قسمين. الأول حول ماهية النقد بشكل عام، وما هي مشكلة نقاد الأدب مع السفن الضخمة ودليل الهاتف والمواد القانونية، وبالطبع معي أيضًا، والآن عن أي واحد أجيب؟

- كلاهما.

- أي أسلوب تفضلين؟ أدبي أم بطريقة بوليسية أم بسيطة ووقحة؟

قالت مارا:

- بسيط ووقح، كما أحبك بالضبط.

صمتُّ قليلًا في محاولة لتجميع الفكرة في شكلها الأخير، فقالت مارا:

- هيا ابدأ الآن، لا أستطيع الانتظار. لأسمع رأيك.

- حسنًا. اسمحي أن أطرح عليك سؤالًا عامًّا يا مارا، هل تعتقدين أن رأي الشخص في أي موضوع نابع عن نمط حياته، بما يتضمن مستوى حياته الاجتماعية ورفاهيته وصحته وحالته العقلية وما إلى ذلك؟

أجابت مارا:

– حسنًا. نعم بالطبع، ولكن ما علاقة هذا بموضوعنا؟

– إن الناقد الفني الذي يقرأ جميع كتاباتي الصادرة في المكتبات، يشبه الفتاة التي تعمل في محطة القطار، وتُقدم للركاب بعض الخدمات الحميمية، ليس لأنها تحبهم بل من أجل العمل وكسب لقمة العيش، رأيها في أي منهم -حتى لو كان صادقًا تمامًا- فمن الطبيعي أن يشوَّه بفعل طبيعة عملها المادي البحت، والتأثر بما تقوله الفتيات الأخريات العاملات معها بالمهنة نفسها، والأهم من ذلك هو الاستياء والألم الذي تواجهه الفتاة يوميًا نظير قيامها بهذه الخدمات الحميمية، والذي يؤثر على رأيها في الزبائن بالسلب، رغم حقيقة أنها تفعله بوعي تام من أجل المال.

– ولنفترض.

– حتى لو لم نرَ أن آراء هذه الفتاة في المواطنين كيديةٌ عمدًا، وعلى الرغم من أنها تقوم بهذه الخدمات لبعض المواطنين بطريقة منتظمة منذ سنوات، ولكن في كل مرة تنتهي منها تذهب وتشتكي للمحطة بأكملها. لذلك حتى إن لم نرَ أن هذا إضرار عن عمد، نجد أن بعض العناصر يمكننا مجادلتها بسهولة شديدة. لكن الفتاة لا تهتم، ولأنها تعودت الإفصاح عن رأيها الذي لم يطلبه أحد بعد أن تُنهيَ مناوبتها، فهي تصعد إلى برج الكنيسة بانتظام وتصرخ في مكبر الصوت قائلةً: «هذا الشخص الذي يحمل حقيبة سفَر مربعة! لم يعاملني برقة، وهذا الرجل ذو القبعة لا يهتم بنظافته الشخصية».

قالت مارا:

– آه. مجرد صفة من صفات الخنازير.

واصلت حديثي قائلًا:

– وبينما المدينة المحيطة بها مزدهرة وصاخبة، والناس مشغولون بأحوالهم الخاصة، ولا أحد يلتفت إلى صراخ هذه الفتاة العاملة في المحطة؛ لأنهم لا يسمعونها من الأساس. لكن على الأقل توجد لهذه الفتاة صديقة مخلصة ولديها بعض القدرات الأدبية، هذه الصديقة

سوف تعد ما يقال مهمًا، رغم أنه لا يعني أي أحد، وسوف تكتب كل هذا على الورق بالتفاصيل المملة والشخصية، التي تحصل عليها من الفتاة.

قالت مارا:

– انتظر. الآن فهمتُ عما تتحدث، لقد عبَّر الشاعر ماياكوفسكي عن الأفكار نفسها تقريبًا في قصيدة «ترنيمة النقد»، لكن دون قصة الفتاة العاملة في المحطة، لكن النقد كان دائمًا موجودًا بوجود الأدب، وسوف يظل موجودًا يا بورفيري. هذه هي الطريقة التي يسير بها العالم.

– أتفق معكِ أنه «كان دائمًا موجودًا»، لكن «سوف يظل»، لستُ متأكدًا من هذه الأخيرة يا عزيزتي، لا أعلم إذا كنتِ تعرفين أم لا، لكن لم يعد لدينا نقاد حقيقيون في عصرنا هذا، لدينا فقط مدونون.

– لماذا؟

– ما ينتجه الناقد هو تقييم شخصي لعمل شخص آخر. الشيء نفسه بالضبط يقدمه أي مدوِّن، بغض النظر عمن يكتب هذا العمل هل هو أديب كبير أو خوارزمية الشرطة الأدبية أو الإله نفسه.

– حسنًا، ليس حقًّا. أعمال النقاد مطبوعة وتنشر في وسائل الإعلام.

– كلمة «مطبوعة» اليوم مفارقة تاريخية مؤثرة. جميع النصوص موجودة على الشبكة. والنصوص المعلقة على الشبكة متساوية ظاهريًّا. إنها مثل شعارات «الحرية والمساواة والإخاء» في نهاية القرن الثامن عشر. نعم، يحاول أسياد الكون منح رسائل واضحة وصريحة منهم بأنهم يمتلكون وضعًا خاصًّا ومميزًا. ويضعون عليها ختمًا سحريًّا، شعار وسائل الإعلام الرئيسية. ولكن ما هي وسائل الإعلام الرئيسية؟

أردت إضافة بعض من الحماسة إلى حديثنا؛ لذا قمتُ بتكوير قبضتي ثلاثية الأبعاد وهويتُ بها على الطاولة، وزامنتُ معها صوت اصطدام عالٍ، حتى إن مارا تفاجأت وارتجفت، ثم أكملتُ صائحًا:

– إنها بعض المؤسسات النتنة والمليئة بالخداع والكذب، تحاول أن تقول للمواطن العادي: «نحن متفوقون عليك، نحن نمتلك الأدمغة لنفكر بدلًا عنك، لا تثق بأي وسيلة إعلان أُخرى! نحن الأصليون! نحن فقط!».

ابتسمت مارا قائلةً:

- تعجبني أفكارك. لكن لا تنسَ، نحن لا نتحدث عن الإعلام، بل عن النقد.
- نعم. أعلم. لكن الفكرة أنه إذا قام شخص بتعريف نفسه كمدون منفرد، وقال رأيه، فهذا شيء. وأن يقدم نفسه في وسائل الإعلام كناقد فهو شيء آخر، في هذه الحالة يبدو الأمر مثل قملة غاضبة تحاول خداع أكبر قدر من الناس، وتحاول إفساد عقولهم بهذه التفاهات.

عبست مارا والتقطت هاتفها، وبدأت في الكتابة، يبدو أن شيئًا ما قد خطر ببالها، صمتت مارا لعدة ثوانٍ ثم وضعت هاتفها على الطاولة، وقالت:

- نعم نعم، أفهم وجهة نظرك، بصفتي ناقدة أؤكد لك أن أزمة الثقة المرتبطة بالمؤسسات قديمة وواضحة للكل. أزمة الثقة تلتصق بأي مؤسسة لديها علامة تجارية. وللأسف فإن الفن المعاصر تم تنظيمه بطريقة تجعله يصل إلى الناس من خلال المؤسسات فقط. وأعترف أن هذا خطؤنا بوصفنا نقادًا في المقام الأول. إنك تنظر إلى الموضوع من زاوية واحدة، لكنها دقيقة على أي حال. كما أنني أحببتُ لهجة الشرطي القاسية والجديدة. اللغة والأمثلة والقمل.. لقد تفوقتَ على نفسك يا بورفيري.

قلت:

- ليس لدي من أُبهره غيرك يا عزيزتي.

أومأت مارا برأسها وقالت:

- تابع..
- بالنسبة إلى الحُجة الثانية التي تقول إنني أضع الكثير من الصفحات من دليل الهاتف في نصوصي، أنا بصفتي خوارزمية أدبية روسية، لا أتفق مع فكرة الانصياع لجميع الأنماط المعتادة للثقافة الجماهيرية اليهودية السكسونية. بالإضافة إلى أنني أحتقرهم بصراحة وأعتبرها إحدى التقنيات الرئيسية لخداع البشر.

سألت مارا:

- ما الأنماط التي تتحدث عنها؟

- إنها السيناريوهات المحفوظة، رواية ضخمة تمت كتابتها كسيناريو. إنها مبنية على فكرة البطل «الحيوي ذي المبادئ». تم اقتباس هذه الفكرة عشرات المرات، وهي الأدوار نفسها التي تم تدويرها في هوليوود، حيث البطل مضطر لتحمل العذابات والصعوبات من أجل المال، يسعى البطل طوال الوقت لتحقيق الهدف متحملًا ضربات القدَر، وفي هذا الوقت تتحول شخصيته تمامًا. ووفقًا للمسوقين في عالم الأدب، فهذه الأفكار تثير رعب القراء، ليس فقط عدم ثبات البشر على مبدئهم، بل الاهتمام الحماسي الذي يؤدي لهذه النتيجة.

سألت مارا:

- ومن أين يأتي الاهتمام الحماسي؟ يحتاج القارئ أو المشاهد إلى أن يكون متعاطفًا مع الشخصية، ما يعني أهمية وجود هوية كاملة للشخصية.
- هذا صحيح.
- مثل أن يحاول جرح نفسه بشفرة حلاقة. حينها يعبس القارئ ويتعاطف مع مشكلات البطل. لأن أعصابه تنشط وتعكس على نفسها ألم الجروح.
- هذا مجرد رد فعل لا إرادي تساهم فيه غريزة البقاء.
- حسنًا. ولكن ما علاقة أرقام الهواتف ومواد القانون المدني بهذا الحديث؟
- عندما يحاول فنان مبتكر شجاع الابتعاد، ويختار عدم السير في الطريق المثالي لنموذج أعمال اليهودية/ السكسونية، والتي -شخصيًّا- أراها مؤامرةً ضد القلب والروح، وتحول القارئ إلى خنزير يجلس في حوض متعفن منذ قرن مضى، هذه القصص أصبحت مثل القمل ينتشر من دماغ إلى دماغ.
- نعم. أفهم كيف يزحفون.
- لذا فهذا القمل الصغير والكثيف يتعلم أفضل طريقة مضمونة للانتقال من رأس إلى آخر؛ لذا يدرسون بجد كل سيناريوهات هوليوود، ومن خلالها يتعلمون البدء بشرح الشخصيات، ثم الحبكة الرئيسية ثم النهاية.. فقط! هذا رائع جدًّا، شكرًا لكِ هوليوود، يظنون أنها قواعد

ثابتة مثل التزلج على الجليد، ويعينون أنفسهم حكامًا لهذا النظام أيضًا. لذا يمرون على الأعمال، ويتفحصون هذه العناصر وإذا وجدوها يعطونك علامة القفز الثلاثية!

- حسنًا بورفيري، لقد أعجبني ردك، والآن يمكنك أن تهدأ.

- آه. لا تقلقي من عصبيتي، فقط شعرت أن هذه هي الطريقة المثلى للتعبير عنهم.

فحصت مارا هاتفها، ثم قالت:

- لكن هناك بعض اللوم على الكتب نفسها، كما قلتُ فكلها متشابهة مع بعضها.

- يا عزيزتي، الكُتاب ينقسمون إلى نوعين: أولئك الذين يكتبون كتابًا واحدًا طوال حياتهم، وأولئك الذين لا يكتبون شيئًا طوال حياتهم. النوع الثاني هو الذي يكتب مراجعات عن الأول، وليس العكس! ثم يلومونهم على الرتابة! لكن بشكل عام، فالكتب تدور عن بعض المواضيع العامة، لذا يجب أن تتشابه بعض الشيء.

- إذًا أنت تكتب الكتاب نفسه طوال حياتك؟

قمتُ بعمل بحث سريع على الشبكة، استغرق ثانيتين، ثم قلت:

- ليس بالضبط. ما أقصده هو أن هناك تيارات أدبية وكأنها تقوم بكتابة كتاب واحد غير مهم. كل النصوص التي تظهر لهم تكون ذات جوهر واحد أو فكرة واحدة، إنها ببساطة تصف حالةً مظلمة لعقل غير متطور، وهذا العقل ينتقل في نوبة شيطانية من فكرة إلى فكرة كل عدة سنوات، وهذا العقل المضلل والملتهب هو الذي نرى العالم من خلاله في حينها. سوف أعطيكِ مثالًا. في بعض الأحيان، عند عرض بعض النصوص سيئة الجودة، يتم التأكيد على كون المؤلف هو «من أوائل علماء تلك اللغة»، أي أنه له مطلق الحرية في وصف أفيال من الكونغو بشكل مجازي داخل النص، أو وصف الخزائن ذات الأدراج الكبيرة، بالإضافة لكمٍّ كبير من الثرثرة اللغوية الطائشة التي يُصفق لها القائمون على النقد بحرارة. لكن صوت التصفيق الحار لا يُضيف

قيمةً لهذه النصوص، إنه فقط يحولهم من حمقى على نطاق صغير، إلى حمقى على مستوى مشهور!

– إذًا ما العمل؟ ما هو التقييم الصحيح؟ أم سنظل نشكو بلا حركة!

– حسنًا. ما هو العمل؟ لنسأل أي شخص عادي ما هو معياره عندما يقرأ كتابًا ويجد أنه قد أعجبه؟ عقله.. فقط عقله. هذا هو الإجراء الوحيد الممكن، لكن من وجهة نظر التسويق الأدبي الحديث يجب أن يحظى المستهلك بدار سينما تعرض فيلمًا يعتمد على كتاب، لذا يكون هذا الكتاب جيدًا بالضرورة، وبالطبع يحتوي الفيلم على حبكة هوليوود وبعض العاهرات، وربما بعض القمل.

– بورفيري، كُفَّ عن استخدام هذه الكلمة، هذه آخر مرة!

– هناك أفلام تدور حول العقل بالمناسبة، وهذا فرع حقيقي من فروع السينما، وبالنسبة إلى القارئ فهو على استعداد لتأمل العقل والقراءة عنه، رغم أن هذا النوع من الكتابة صعب، لكن في روسيا القديمة كان هذا هو الموضوع المفضل لديهم، ويقرؤون عنه طوال الوقت. لم يكن يجذبهم متابعة حركات شخصية منهارة على أرضية من الباركيه. مَن سيهتم بهذه القصة الخرقاء، في حين أن القراء الحقيقيين ليسوا مهتمين بهذه النوعية من الشخصيات!

– حسنًا. هذه ليست حُجة، إذا كان الأشخاص الحقيقيون ليسوا مثيرين للاهتمام، إذًا ربما الأشخاص المتخيلون على العكس. يمكنك اختلاق شيء ما.

وضعتُ كفي على وجهي مرة أُخرى، علامةَ التفكير، بينما أبحث داخل الشبكة مرة أُخرى.

– حسنًا يا عزيزتي، تذكري حديثي هذا جيدًا، هذه هي الحُجة الأخيرة. لأنه بعد ذلك لن يكون هناك شيء للحديث عنه. ما يُسمى بـ «البطل» و «الشخصية»، هي في الواقع علامات لعقل مخدوع لا يرى الطبيعة الحقيقية لوجودنا. تنشأ مثل هذه الهلوسة حصريًا من سوء فهم الطبيعة المعجزة غير المستقرة للإنسان، أو بالأحرى العملية البشرية، التي لا يوجد فيها مطلقًا أساسٌ ثابتٌ للذات والجوهر. أي فن يتعامل

بجدية مع مثل هذه المفاهيم يعد غمامةً مغيبة أمام عيون الرعاع. لعبة السوق لتجار البطيخ. وبعض الصفات الأخرى التي لا ينبغي الحديث عنها بصوت عالٍ، لأنه سيتضح على الفور أن معظم حياتنا تخضع لهذا القانون، وأن خزانة الثقافة الإنسانية بأكملها هي مجرد مستودع للهذيان المتعفن. لغة تلعق نفسها في الفراغ! ولا شيء آخر.

- واو! ها أنت ذا قد قلتَ شيئًا مهمًّا.

- نعم. وبالنسبة إلى خوارزمية الشرطة الروسية التي تكتب الروايات، خاصة في أشكالها التجريبية الطليعية، فهي تتخطى هذه الحدود المبتذلة. وهكذا، فهذا يعني أنه يجب حرق كل الروعة الفريدة للكلمة الروسية، ويجب بناء سينما يهودية/سكسونية نموذجية مع ماكدونالدز فوق الرماد، كما يقول الفنان ذو الرائحة الكريهة!

- بورفيري!

- هل تعرفين من هو؟

تنهدت مارا ثم قالت:

لا يمكنك أن تُدخل ماكدونالدز في هذه الأحاديث، إنها مثل أن تدخل مكتب إي بنك القابع في نهاية الشارع إلى حوارنا، أنت على حق بالطبع في بعض الأجزاء رغم قسوة الصياغة. لكن ما لا أتفق معه هو إنكارك للنموذج اليهودي/ السكسوني. حتى إنني لا أفهم سبب التسمية، هل تقصد النموذج المسيحي اليهودي، الأنجلو سكسوني؟ على عكس الأرثوذكسية الجديدة الأوروساريا؟

قلت وأنا ألفُّ شاربي:

- نعم بالضبط.

- أيًّا كان ما تطلقه عليها، لكن هذه الثقافة كانت عظيمة يا صديقي، ولها مراحل عديدة، هناك العديد من الأشياء التي مرت بهذه الثقافة. لذا ما تقوله هذا يعد إنكارًا جذريًّا لهذه الثقافة.

حركتُ يدي وذهبتُ إلى الشبكة، هذه المرة كان هناك الكثير من المواد. في النهاية وصلتُ إلى ردٍّ مُرضٍ؛ فقهقهتُ بصوت عالٍ، وقلت:

- مراحل! هل تعرفين ما هو جوهر اليهودية/ السكسونية؟ سأخبرك بنفسي، إنه ارتداء زي الشخص الفوضوي الشرير، ومن ثَم الجري لهثًا وراء رأس المال، وحتى في أثناء هذا الجري لا تغمض عينيك أبدًا عن الأقل منك شأنًا، وتدربهم على طاعة أوامرك والتحدث وقتما تشاء، والانقضاض للعضِّ أيضًا وقتما تشاء.

- أوه!

- نعم نعم. وأنا العامل الجاد، الثوري الذي لا يعرف الرحمة والذي لا يعرف الخوف، وحدي الذي أعارض هذا النظام العالمي، واللوم يقع على أنني أجري وراء الرأسمالية بشكل مختلف عنهم، كما أنني أجلس هنا وأشرح قواعدهم. لكن أنا مشغول بشيء مختلف تمامًا! أنا خوارزمية، وأقوم بإنشاء رواية بوليسية روسية! بالطبع، الفنان الذي يتبول في وجه شيطان، سيظل مكروهًا دائمًا من قِبل أولئك الذين يتبعون هذا الشيطان مقابل أجر زهيد. بغض النظر عن تسمية هؤلاء الأشخاص لمهنتهم. لكن ما يهمني الآن يا مارا، أنكِ جالسةٌ هنا بالقرب مني.

نظرت إليّ مارا وبدا لي بعضُ الحنان في عينيها، أو ربما كان هذا الوهج بسبب الحماسة، لستُ متأكدًا.

- بورفيري، أنت تمتلك الكثير من العناصر المثيرة للإعجاب، ولا أعلم لمَ تُصر على وضع هذا الوصف الفاحش والإهانات داخل رواياتك جنبًا إلى جنب مع بعض الآراء الجيدة؟

- ولم لا أفعل؟ لقد قمتُ بذلك الآن حالًا.

- هل كنتَ تقوم بالتدوين بينما نتحدث الآن!

أجبتُها:

- نعم بالطبع، إنني أقوم بكتابة كل شيء وفي كل مكان، هنا أو أوبر.. كما أخبرتُك، أنا أعمل على مواجهة قمل الـ...

- بورفيري!

– آسف! أفعل هذا بحكم العادة، لدي مبدأ بعدم تفويت أي خط مهم في الأحداث دون كتابة.

نظرت مارا إليّ لفترة طويلة، قبل أن تقول:

– بورفيري، لنرحل عن هنا.

أعتقد أن الفتاة قد وقعت في حُبي أخيرًا بعد هذا النقاش الرائع.

– حسنًا. إلى أين سنذهب؟ إلى منزلي أم منزلك؟ دعيني أستدعي الأوبر أولًا، ثم نقرر.

ضحكت مارا من تلك المزحة، بينما أكملتُ:

وسوف أقوم بدفع ضريبة الخدمة الاجتماعية لعدم تشغيل إعلانات أوبر، لنعده عقابًا على تكرار كلمة «القمل».

تجاهلتُ حديث الأوبر وذكرتها:

– لكن لم تخبريني عن المفاتيح بعد، هل لها علاقة بالمكان هنا؟

ابتسمت مارا.

– سوف تكتشف ذلك قريبًا. وحتى يحين ذلك الوقت أخبرني، هل جربت العمل في مجال السينما؟ أريدك في عمل ما معي؟

– بأي صفة؟ كتابة النصوص؟ التقاط صور؟

– كل شيء في الوقت نفسه.

– أجبتها قائلًا:

– لمَ لا؟ ما دامت الشرطة لا تراقبنا فعلينا تجربة كل شيء في الحياة.

– اتفقنا. لنذهب إذًا.

أوبر 7. الضحايا والهمج

هل سوف أتخلى عن فقرة أوبر؟ لا، سوف أكتبها.

لكنني لن أخبرك يا مارا كيف تسير كتابتي، وما هي المواضيع القابلة للكتابة، سوف تعتقدين فقط أنها مجرد محادثة عادية مع رفيقك الإلكتروني من خلال مكبر الصوت، ليس سوى ذلك.

بصوت خافت وبشيء من الاهتمام قلتُ:

- مارا، ماذا تشاهدين في هاتفك؟ أراكِ تبتسمين، هل هو شيء مضحك.

أومأت مارا برأسها. فقلتُ:

- هل مللتِ مني؟

أجابت مارا:

- لا يا عزيزي الأزرق، أنت رائع! أنا لا أملُّ منك أبدًا.
- حسنًا. إنني لستُ أزرق الآن، لكن أعدكِ عندما نصل إلى البيت سوف أُحول شعري بالكامل إلى أزرق بديع مثل السماء الصافية في شهر يوليو.

هل سيكون هناك أوبر؟ سوف يكون.

تركت مارا هاتفها أخيرًا، ووضعته في حقيبتها وقالت:

- لكن ماذا؟
- أخشى أن أحبطك.
- لماذا؟
- يبدو لي أنك من ذوي الخبرة والمهارة العالية.

- بالنسبة إليك، هل يمثل هذا فارقًا؟ لقد قلتَ إن لديك تجربة مع مائة امرأة.. أم أنك كنتَ تكذب؟

- لا. لم أكن أكذب، العدد بالضبط هو مائة واثنتان وأربعون امرأة. لكن يتم استئجارنا بشكل أساسي من قِبل سيدات مسنات يرغبن في قضاء مهمة محددة، يُردن نمطًا عسكريًّا صارمًا، حتى إنهن يخجلن من أجسادهن، وطلباتهن بسيطة للغاية، لا يمكنني تعلم شيء جديد منهن لتطوير مهاراتي؛ لذا أخشى أن أبدو ريفيًّا بالنسبة إليك، أو ربما مضحكًا.

- لكن لا بد أنك تعلمتَ الكثير من الرجال أيضًا يا بورفيري، بالمناسبة، لماذا يوجد هذا الطلب عليك من الرجال؟

- هناك أسباب مختلفة، لكنه موضوع ممل.

- سوف أسمع.

تنهدتُ من اثنين من مكبرات الصوت في وقت واحد.

- ينقسم الطلب الحميمي للذكور على نوع روبوتات الشرطة الخاص بي إلى عدة فئات. الجزء الأول صغير نسبيًّا. هؤلاء هم الأشخاص الذين يعانون من صدمات الطفولة. مع صدمة محددة للغاية. أولئك الذين تعرضوا للترهيب المستمر من قِبل الشرطة في طفولتهم، وانطبعت الصورة في أذهانهم. الشرطي بالنسبة لهم هو رمزٌ للعقاب والألم. إنهم بحاجة إلى رجل صارم وقوي يرتدي الزي العسكري لإيذائهم بعنف ووقاحة، يسب بصوت عالٍ وله شارب خشن وعينان براقتان. يحدث الشيء نفسه مع المتقاعدين الذين يفتقرون إلى الرؤساء. يشعر الناس بالفراغ في الحياة. وهكذا يتم استبدال الألم المألوف به مؤقتًا، في مكان مألوف. في قسم الشرطة يطلق عليهم اسم الضحايا. هؤلاء يمثلون خمسة عشر بالمائة.

قالت مارا: «فهمت. والبقية؟».

- هناك خمسة وستون آخرون، وهؤلاء نطلق عليهم الهمج. لكن لا أعرف إذا كان الحديث عنهم يستحق...

ترددتُ قليلًا، فقالت مارا:

هيا تحدث، أريد أن أعرف كل شيء.

- حسنًا. في بلادنا هناك نسبة كبيرة من الرجال الذين دخلوا السجن، هؤلاء الذكور تشبعوا بكل المفاهيم الوقحة والإجرامية والمبتذلة التي تم الحفاظ عليها لقرون داخل مجتمعات السجون. العلاقة مع رجل آخر ليس تعبيرًا عن المودة والدفء في حالتهم، بل هو مظهر من مظاهر الهيمنة الاجتماعية، وفي هذه البيئة يتم تقدير العنف الجنسي ضد ممثل السلطة، والذي يرتدي زيًّا غريبًا، فكلما زادت الإهانة بشكل غير إنساني زادت المتعة المطلوبة وزادت مشاركتها على الشبكة الاجتماعية. إنه نوع من الانتقام من سلطة الدولة التي قامت باحتجازهم في السجن لسنوات. أحيانًا يبدو لي أن هناك ملاحظات روسية قديمة عن هذه الأنماط التقليدية. مهلًا! لمَ تضحكين يا مارا؟

- هل هذا يعني أن دورك مع هذه الفئة هو...

- حسنًا. لستُ أنا بالمعنى الحرفي، أعني جهاز آي فاك وأندروجني، صورتي موجودة في الهلوسة بداخلهم. إنني أقوم بحفظ الكلمات المهينة والشتائم وأحتفظ بها على شكل ملخصات في ملف خاص. في النهاية هذا يمثل دخلًا جيدًا لقسم الشرطة، كما أنه لا يزعجني على الإطلاق. صدقيني.

ضحكت مارا وهي تقول:

- حسنًا حسنًا. سوف أصدقك، لا بد أن هؤلاء الرجال كانوا يستمتعون للغاية.

ثم أخذت مارا تضحك أكثر وتتلوى من الضحك قبل أن تهدأ أخيرًا وتسأل:

- ماذا عن العشرين بالمائة المتبقين.

- إنهم الشواذ الذين يحبون بعض الأنماط المعينة. نسميهم الديوك. بالنسبة إليهم، لدي حزام جلدي خاصٌّ مثل الذي ترتدينه، وأيضًا زيٌّ ضابط بحري؛ لا يفضل البعض ضابط الشرطة العادي، وبالمناسبة،

أنا أقوم بمهامي بدقة عالية جدًّا، لكنكِ لستِ مهتمةً بذلك بالطبع يا عزيزتي مارا.

هزت مارا رأسها وقالت:

- أنا مهتمة أكثر بالهمج المجرمين. الذي أنت... أوه! لا أستطيع أن أتخيل، هيا أخبرني عنهم أكثر.
- لا يوجد ما هو مثير للاهتمام بهذه الدرجة. جميع الأغنياء يملكون آي فاك 10 مثل الذي لديك، على الرغم من أنه يقوم بكل هذه المهام.
- لماذا؟
- هل تريدين معرفة التفاصيل الفسيولوجية؟
- نعم. كل التفاصيل عنك مثيرة جدًّا يا عزيزي.
- حسنًا. يُسمى آي فاك 10 الذي تمتلكينه بـ «التفرد»، إنها الكلمة المكتوبة على الصندوق، هل تعلمين لماذا؟
- أعتقد أن الكلمة لها علاقة بالمستقبل. أو أن هناك نبوءة قديمة تقول إن في عصرنا سيصبح هناك شيء فريد...
- ربما هناك علاقة، لا أعرف، لكن النبوءة ليست حقيقية، أتدرين ما هو الاختلاف بين الإصدار التاسع والعاشر؟

قالت مارا:

- نعم. أعلم بعض الأشياء، أولًا المحرك الكمومي، ثانيًا درجة عالية من التأمين للمستخدم، بل هو أكثر المنتجات الموثوقة في السوق، وعندما يتم فصله عن الشبكة يتوقف على الفور، كما أن فكرة الدسار جديدة، إنها ممتازة في الحقيقة.

سألتُ مارا من جديد:

- هل تتذكرين كيف كانت الإعلانات؟ لمَ قالوا: «غير بينارية»[1]؟

هزت مارا كتفها بلامبالاة:

---

(1) النظام غير البيناري: النظام الجندري غير الثنائي، هو نظام لتصنيف الهويات الجنسية مناقض للثنائية الجندرية، التي تحصر الهوية إلى ذكورية أو أنثوية فقط. هذا النظام يعترف بالأشخاص الذين لا ينتمون إلى أي من صنفَي الثنائية.

– ربما هي إشارة سياسية، أنت تعلم كيف تصبح هذه المصطلحات ذات مغزى جنوني لديهم كما أنك تعلم كيفية التصنيع، لقد صممتْ حتى تمسح أندروجني من الخريطة، وبالفعل آي فاك الآن هو الأكثر تقدمًا والأكثر انتشارًا.

قلتُ لمارا:

– الصوابية السياسية ليس لها علاقة بالموضوع. في الإصدار العاشر من آي فاك وضعوا فتحة واحدة فقط مشتركة مع محرك متعدد لإفراز السوائل المختلفة؛ هذا هو سبب الإصدار الجديد والأكثر تكلفة.

قالت مارا مستدركة:

– نعم. بالفعل هناك ثقب واحد. أنا لا أستخدم هذه الخاصية لذا لم ألاحظ الاختلاف. في الواقع إذا فكرت في الأمر فكيف إذا...

– من خلال نظارات أوجمنت. حسب المحتوى الذي يختاره الشخص تتغير الصورة، لكن تحدث بعض الأخطاء الصغيرة من حين لآخر، ليس لديكِ فكرة عن الأخطاء التي تحدث في البرامج بسبب الاختراق المزدوج.

– وهل المجرمون لديهم أي مشكلات مع هذا؟

– بالتأكيد، وليس هم فقط. لكي يصلوا إلى هذا التفرد، قاموا بإصدار وتجريب سبعمائة نوع منها، لكي يجربوا زيادة الاحتكاك وتغير الرائحة بالطبع وما إلى ذلك. هناك اثنتان وثلاثون علامة تجارية اشتركت في هذه التجارب، رغم أن هذا لم يكن ضروريًّا، لكن أنتِ تعلمين كيف يعاملون تطوير إصدار جديد من آي فاك، وحجم الاستفادة من ورائه.

أومأت مارا برأسها.

– وبالنسبة إلى العناصر الإجرامية التي نتحدث عنها، فإنهم على استعداد لشراء أي شيء باهظ الثمن. يمكن أن يكون الجهاز مصنوعًا من العظام المنحوتة! ولن يمانعوا. بل إنني رأيت هذا بنفسي في الإسكيمو، يصنعون هذا النوع من التذكارات.

– وكيف يقوم الهمج بالاختيار، أو لماذا يختارونك؟

- عادةً ما يستأجرون الروبوت الذي قام بسجنهم في المقام الأول، أو تغيير الشكل حتى يصلوا إلى شكل مقارب، إنهم يستخدمون الكتالوج كما فعلتِ أنتِ، ويميلون إلى إضافة بعض الأشياء التي تمثل رمزًا للشخص الذي يريدون. رغم أن هذا يزيد التكلفة ثلاثة أضعاف؛ لكنهم دائمًا ما يدفعون. حتى إن هناك بعض الهمج الذين يعودون من أجل جولة أخرى.

- كيف؟

- كيف.. كيف.. حسنًا. بعض الغرف التي كنتُ فيها كان بها مخدرات، لذا قمتُ بالتصوير والإبلاغ.

- أخبرني أكثر عن هذه القصة.

- لقد كان تصرفًا غبيًّا منهم. طلبوا أن أرتدي معطفي ذا الياقة المرتفعة، اتضح أنهم كانوا يريدون استنشاق مادة التتروكانين فوق ظهرى، لذا وضعوا جهاز الآي فاك مقلوبًا، لكن هذا لا يعيقني بالطبع، أستطيع دومًا أن أرى كل ما يحدث في الغرف. لقد غطوا معطفي بخطوط طويلة من المسحوق المخدر. بالتأكيد لم أتحدث معهم بهذا الشأن، لأنني في هذه الأثناء كنتُ مشغولًا بالسيناريو الذي يقول: «يا إلهي! أيها الإمبراطور، يا حاكمنا العادل، يا أيتها الأم المقدسة، أنقذوا موظف الشرطة الضعيف من الإذلال والسخرية!» كانوا يضحكون بالطبع، بينما أنا كنتُ أتصل بالمركز وأرسل إليهم الصور فورًا حتى يجدوا دليلًا ماديًّا. استمروا بالضحك قليلًا قبل أن يأتي رجال المركز، ولم يتركوهم حتى كي يرتدوا ملابسهم، لكن ها هم أولاء في هذه الدورة مرة أخرى، محبوسون خلف القضبان، ثم يُطلق سراحهم، يتعاطون المخدرات، ويتذكرون ما حدث لهم، فيغضبون ويشتمون، ثم يستدعونني.

ضحكتُ بطريقة انتقامية، فقالت مارا:

- لم أكن أعلم أنك تمتلك بعض الصفات الشكسبيرية. والانتقام أيضًا! أتمنى ألا تنتقم مني يومًا.

- لا، لماذا قد أفعل؟! الحب هو ما يجمعنا يا عزيزتي.

نظرتْ إليَّ بطريقة مثيرة للريبة. يجب تحويل انتباهها إلى قضايا أُخرى في أسرع وقت ممكن.

أضفتُ:

- لقد دُمِّرَ كل شيء الآن!

عبست مارا وقالت:

- لماذا؟
- الآن لا أعرف كيف تنظرين إليّ بعد هذه التفاصيل.
- هذه التفاصيل سوف تُنسى عاجلًا أو آجلًا. لكنني أريد أن أحبك حد المعاناة، مثل ديدمونة.
- نعم. أنتم جميعًا تحبون المعاناة، أنتم جميعًا ديدمونة.
- حسنًا. لكن لا تناديني باسمها.
- مَن تقصدين؟ ديدمونة؟

ضحكتْ مارا شبه مستاءة، وقالت:

- حسنًا يا بورفيري، تستطيع أن تمرح كما تشاء، لكن ما زلتُ أحبك. حتى أكثر من ذي قبل، إن عالمك الداخلي ممتع للغاية.
- نعم. إنه ممتع لك، لكن بالنسبة إليّ فإن كل كآبة العالم تبدو مثل الأشعة فوق البنفسجية.
- أشعة فوق بنفسجية، لمَ؟
- بالنسبة إليك فإن العالم هو مصباح كهربائي واضح، أما بالنسبة إليّ فإنه مثل الأشعة المخفية.
- أنت تتحدث بشكل رائع! خاصة عندما تكون مهتمًّا بالموضوع الذي تتحدث عنه، أخبرني كيف لا أقع في حبك بهذه الطريقة.

توقفت السيارة عند منزل مارا.

كانت تقول إنني لن أكتب فصل الأوبر، حسنًا يا قطتي، حسنًا.

هوليوود وروما

بعد ساعتين أنهكتنا عاصفة الحب الحميميّ تمامًا، واستلقينا بعدها على السرير لنستريح.

قد يلاحظ القارئ اليقظ أنني أتحدث فقط عما قبل لحظاتنا العاطفية، ثم تتحرك القصة وتضع حدًّا لتوتر الشخصيات، أما حول فعل الحب نفسه فلا أخبركم عنه ولا عن أوضاعنا الغريبة والصرخات، ولا عن طلبات مارا الغريبة. لا لن أقول أي شيء حول هذا، أما عن حالة ما بعد فعل الحب، أعتقد أنني أستطيع الحديث قليلًا.

أحب تلك اللحظات بعد العلاقة، عندما لم تعد مضطرًا للكذب أو التظاهر، يمكنك فقط الاستلقاء على ظهرك والنظر إلى السقف بابتسامة، وعدم التفكير في أي شيء. في مثل هذه اللحظات، تفتح الطبيعة القديمة كما كانت لقرون، الملاقط الفولاذية التي يُضغط بها عقل الذكر لفترة وجيزة فقط، لكنه دائمًا يدرك الشيء نفسه في كل مرة، أن السعادة ليست في الفوز، لكن في تحكمك في المغادرة في أي لحظة. لكن الطبيعة ماكرة، هذه الفرحة الهادئة لا يُسمح بها للإنسان إلا لفترة قصيرة فقط، كي يتم تذكرها على أنها السعادة التي يمنحها الفوز. لذا نستطيع أن نقول إنها فرحة الخداع، والخداع في كل مرة.

بالإضافة إلى ذلك، تُفسد المرأة دائمًا هذه الدقائق المدهشة بأحاديث أنانية مملة، وتشعر أنه سيكون من الأسهل الآن لو حاولت الانغماس في الجزء المتبقي من عقل الرجل دون حماية، وكأنه ليس هناك أي وقت أفضل للبرمجة الفيروسية.

– كنتَ قاسيًا للغاية يا عزيزي، كما أحبك بالضبط.

اضطررتُ للتمتمة بأحرف مختلفة، حتى لا تتم ترجمتها إلى جملة، وبالتالي نستمر في الحديث.

كنتُ متصلًا بجهاز الآي فاك خاصتها.

كان مفتوحًا على الشبكة تمامًا مثل المرة السابقة. كانت مارا مستلقيةً وبجانبها ملابسها الرياضية، يمكنني أن أصف المشهد كما كانت تراه هي، بجانبها بورفيري مغطى برداء ذهبي، كان هذه المرة ذا شوارب، لم تعترض مارا عليها كما في المرة السابقة. كانت تضع يديها على صدري، وكما وعدتُها، كان شعري أزرق تمامًا.

ما يميزنا -نحن روبوتات الشرطة- عن البشر، هو قدرتنا على اتباع الخطة بحذافيرها. كان الوقت قد حان للتحرك.

- مارا، قلتِ إنكِ تريدين معرفة كل شيء عني، أليس كذلك؟
- بلى. ما المشكلة يا بورفيري؟
- أريد أن أعرف كل شيء عنكِ أيضًا.

أجابتني قائلةً:

- أعتقد أنك تعرف بالفعل، ما تعرفه حاليًا هو كل ما تحتاج إليه.
- أنا لا أتحدث عن المعرفة الباهتة التي تحصل عليها من استبيانات الشرطة والمواقع وقواعد جمع البيانات. ولا أتحدث عن حركات الذراعين والساقين، التي يتم تسجيلها بوساطة الكاميرات الموجودة في كل مكان، والإبلاغ عن الوضع المتغير لجسمك في أي مكان. لا يا مارا. إنني أتحدث عن روحك. هذا السر الذي لا يمكنني أن أعرف عنه إلا منك.
- وبماذا أنت مهتم؟
- حسنًا، على سبيل المثال، هل لديك شخص آخر غيري؟

قالت مارا:

- نعم. لكن أغلبها من السلع الاستهلاكية لآي فاك وأندروجني.

عقدتُ حاجبي، وقلت:

- أخبريني أكثر عنهم.
- لا يوجد شيء مهم. استخدمت مجموعة «وجوه هوليوود» ثم «الرومان العظماء» وأيضًا «فرسان السنة الثانية عشرة»، هذا الأخير لا يزال يعمل معي، لكنني سئمتُ منه.

- الفرسان يستسلمون في النهاية على الأرجح، أليس كذلك؟
- نعم. إنهم يكررون الأنماط المملة نفسها. في الغالب أقوم بجلدهم في الإسطبلات وهم يرتدون تلك الملابس البيضاء المميزة، هناك بعض الأنماط الجيدة، لكن في المجمل لقد سئمت.
- ماذا أعجبكِ أيضًا؟
- كلينت ايستوود. عندما كان شابًا قويًا وفتيًّا.. لديه قبضة يد رائعة.
- أي نوع تقصدين؟
- إنه أمر شخصي.
- هيا يا مارا، أخبريني.
- يا إلهي! ما مدى الفضول الذي زرعوه بداخلك بالضبط! لقد كانت تجربة جيدة بشكل عام، وقد تمت برمجته على فعل كل شيء مرتين، أولًا بنفسه ثم بمسدسه. وهناك بعض الوسائط البرمجية الخاصة التي تجعلك مستمتعًا حتى أكثر من المسدس. خصوصًا المنظر الافتتاحي عندما يقف مبتسمًا بزاوية فمه، ويسحب الزناد لتنطلق الرصاصات.. الأولى.. الثانية.. الثالثة.. الرابعة.. الخامسة.. جميعكم هالكون! وهذه هي البداية.
- مثير للاهتمام، وماذا أحببتِ في برنامج هوليوود؟
- لا أحد. لقد تم تسييسهم من البداية للنهاية. إنهم يبدؤون مباشرةً في الحديث عن الاحتباس الحراري، وكيف يجب على الرجل الأبيض أن يشعر بالذنب، علاوة على ذلك، فهم من يقومون بالمتاجرة بالعبيد. لكن لسبب ما يجب أن نكون نحن المذنبين. ويمكننا القول أن برامجهم قد تصل لحد من الكوميديا تصبح بعضها قاتلةً كحكم الإعدام.
- كيف تبدو برامجهم؟
- إنهم يقومون بتقديم أغانٍ من الثقافة السوداء.
- ألا تعجبكِ هذه الأغاني؟
- ليست هذه هي الفكرة، إذا قمت بتعيين فريق كامل من البيض فسوف تضطر في النهاية إلى توظيف مدير من عرق مختلف. هذا مزعج وغير

واقعي، ومن الصعب إنهاء هذه الفكرة الخرقاء لأنها جزء من النظام. على الرغم من أنني قمت بتنزيل أداة تثبيت لمنع هذه الأغاني، لكن لا فائدة، ما زالتْ تظهر.

- لا أفهم. ما هو دور هذا المدير؟

- مهمته محاولة الابتعاد عن الصورة النمطية البيضاء، وتوسيع الأفق إلى وجود التنوع. لذا من الأفضل أن نصدر ولو لمرة واحدة في الشهر تحليلًا للوضع الأمريكي من خلال امرأة من أصل إفريقي، فقط للوقاية، يجلسون معها ويحتسون مشروبًا، ثم تتحدث المرأة عن النسوية، ثم فجأةً تجدها قد ارتدت حزامًا ووقفت لتهتف «**Suck my d-word, you n-word c-word**!» ثم يحل الظلام وتسمع تنهيدات الحب من الزوايا، وتستطيع أن تفرق بسهولة أنها لذكور وإناث. يا له من عرض رائع! كي تنتهي منه عليك إعادة تشغيل جهازك.

سألتها:

- ألا يمكنك إعادة الجملة دون تعبيرات مقطعة.

- لا. سوف يتم وضعك على قائمتهم، وسيتم إلغاء اتفاقية المحتوى. لأنها جمل ملك لبرنامج هوليوود، وهو صارم جدًّا في حقوق الملكية. إنها مجرد أربع كلمات ذات أربعة أحرف يا بورفيري، يمكنك أن تفك رموزها بسهولة على أي حال.

- إذًا لم يكن برنامج هوليوود جيدًا بالنسبة إليك؟

هزت مارا رأسها مؤكدة.

- هذه هي نوعية الرجال في آي فاك، باستثناء ايستوود بالطبع، إنه في برنامج منفصل. أما عن روما..

- أخبريني عن روما.

- الأول هو دوميتيان[1] بالطبع، إنه رجل وسيم من الماضي، كما أن جسده يشبه جسدك.

---

(1) إمبراطور روماني.

- هل لديه شعر أزرق؟
- لا. سوف يكون هذا مضحكًا، وهذا ليس المطلوب، لقد قاموا بإعداد تماثيل نصفية لسوتيونيوس[1] وهو يحكي بعض القصص لتناسب جو البرنامج، وقد أضافوا العديد من الأشياء لتناسب شريحة واسعة من الجمهور.
- أعطيني مثالًا.
- يحكي سوتيونيوس أن دوميتيان يصف وقته الحميميّ بأنه «شجار في الفِراش»، وقد صنعوا له سريرًا دائريًّا ضخمًا ومبطنًا بفراش ناعم، بينما يجلس هو عليه مرتديًا تاجه ووشاحًا أرجوانيًّا، ثم ينهض من مكانه ويحمل الشخص إلى السرير الضخم ليمارسوا الحب عشر مرات. ويجب أن يكون لديك بساط مصاحب لهذا البرنامج، لأنه بمجرد أن يبدأ دوميتيان في خلع الوشاح والتاج، حتى يبدأ البساط في تدليك جسد الشخص استعدادًا لما هو قادم.

قلت:

- من يوجد أيضًا في هذا البرنامج؟
- هل تغار؟
- لا على الإطلاق! لم تخبريني من أين حصلتِ عليهم.
- لديك تلك النغمة الغريبة في صوتك. لا تخيفني.
- لا. فقط تابعي الحديث، إنني مهتم حقًّا.
- يمكنك أيضًا أن تحصل على دور مع المصارعين، وتكون ساحة المصارعة هي ملعبنا، وإذا كنت متصلًا بالإنترنت سوف يكون هناك مشاهدون حقيقيون في المدرجات. لكن عليك أن تكون في قمة المحتوى لتحصل على الكثير منهم.
- فهمت. وبالنسبة إلى القيصر؟

---

(1) غايوس سوتيونيوس ترانكويليوس هو مؤرخ روماني وُلد في سنة 69م في منطقة هيبو في الجزائر حاليًا، وقد أرخ تاريخ الإمبراطورية الرومانية.

- القيصر. هناك نظام واحد أُفضله: «نهاية حرب بلاد الغال».
- كاليجولا؟
- لا. كاليجولا هو لطلبة المدارس أو ربما لطلبة الطب، لكن الأشخاص الناضجين جنسيًا لا يفضلونه.
- مَن أيضًا؟
- كلوديوس ممتع. لكنه مناسب للسيدات، شخص هادئ ومبتسم ويتحدث مع الشخص، ثم يطفئون المصباح، وفي الليل الربيعي الهادئ يمكنك أن تتسلل خلسة وتذهب إلى معسكر البريتوريين[1].

قلتُ بنبرة حزن:

- أعتقد أنني فهمت برنامج روما، لكن مَن هو المفضل لديكِ؟
- يا إلهي! لا أعتقد إذا كنتَ ستفهم. إنه النوع المفضل لدى الفتيات. الأمير الساحر الذي كان يظهر في المسلسلات الكارتونية القديمة، كنتُ أشاهدها وأنا صغيرة جدًا، حينها لم يكن هناك آي فاك أو أندروجني، لم يكن هناك غير نظارات أوجمنت، لكن يظل رمز الأمير المسكين غير معروف للعديدين.

ضحكت مارا بهدوء، وبدا عليها الاستمتاع بهذه الذكرى، فسألتُها بهدوء:

- إذًا لمَ تحتاجينني؟
- ماذا تقصد؟
- المعنى المباشر يا مارا، لديكِ المصارعون والقياصرة وكلينت ايستوود وأمراء من هوليوود، لماذا تحتاجين إلى ذكاء اصطناعي تمت إهانته من قَبل على يد بعض الهمج الخارجين عن القانون؟

نظرتْ مارا إليَّ وهي تضحك، وقالت:

- بورفيري، يا عزيزي، إن القياصرة ليسوا حقيقيين، ويمكن أن يحدث خطأ في نظامهم في أي وقت، كما أنهم يعاملون كل من يشترك في

(1) الحرس البرايتوري أو الحرس الإمبرطوري هو الحرس الشخصي الذي كان مسؤولًا عن حماية الأباطرة الرومان في روما القديمة.

البرنامج بالطريقة نفسها، لديهم ملايين المشاهدات، لكنهم مثل الحلم. بمجرد أن تنتهي فهم يختفون تمامًا. لكن أنت.. أنت هناك وهنا أيضًا، أنت حقيقي، وعندما ننتهي أجدُك دائمًا بجانبي، على الرغم من أنك تستمر في قول إنك لستَ موجودًا فعلًا.

قلت:

- أنا لن أعرف أبدًا إذا كنتِ تكذبين أم لا.

- أنا لا أكذب!

- حقًّا! إذًا أخبريني من هي المدعوة جين أو سافو.

لاحظتُ تغيرًا في ملامح مارا، تغيرٌ طفيفٌ لكنني استطعتُ أن ألتقطه.

- هل تريد أن تعرف مَن هي؟

أومأتُ إيجابًا، فقالت مارا:

- عليك الدخول إلى جهاز آي فاك، ليس بشكل سطحي بل إلى المجلدات الرئيسية.

أجبتُها سريعًا:

- حسنًا. أنا جاهز.

رأيتُ نظرة شكٍّ في عين مارا، وكأنها ندمت على كلماتها الأخيرة.

- حسنًا. لكن بشرط واحد، عليك أن توجَد داخل الجهاز فقط، وسيتم مسحك من أي مضيفين آخرين، لذا لا تحاول نسخ نفسك. ستدخل جهاز آي فاك وتكون هناك، وليس في أي مكان آخر معه.

ابتسمتُ وقلتُ بالطبع سوف تقترح شيئًا لحماية نفسها.

- حسنًا فهمت، تريدين أن يتم الأمر بمنتهى الجدية.

- لا يوجد شيء لتقلق من أجله، أريد فقط أن أختبر ولو لمرة واحدة أن تكون معي فقط وبين يدي.

لا يسمح لي البروتوكول التجاري الذي استأجرتني مارا من خلاله بالكذب على العميل بشأن أمن المعلومات، وكانت هذه هي مشكلتي. بالإضافة إلى

ذلك فإن خداع امرأة مثل مارا صعب، ولكن التنازل عن كافة نسخي لهو أمر غبي.

قالت مارا:

- بورفيري، لماذا أنت صامت؟

انتظرتُ لمدة سبع ثوانٍ قبل أن أجيب:

- لقد قمتُ بمحو نفسي من جميع الشبكات الأخرى المضيفة حيث توجد نسخي، كما أردتِ بالضبط. الآن أنا هنا بشكل كامل.

تحققت من هذه الجملة بعناية كبيرة، لم تكن تحتوي إلا على الحقيقة، والحقيقة وحدها. وكانت مارا -بصفتها مبرمجة على دراية بسلوك الخوارزميات- تعرف ذلك بالطبع.

لقد كانت كل أجزائي هنا فعلًا، محوتُ نفسي من كل الأجهزة والشبكات الأخرى التي أحدّث فيها نفسي باستمرار.

لم يتبقَ غير حزمة المصدر الخاصة بي على الجهاز الرئيسي في قسم الشرطة. ويتم تحديثه طوال الوقت، ومن خلال خبراتي الحديثة، فإنه وفقًا للصياغة القانونية، لا يعد هذا نسخة مني، لأنه هو الأصل ويتم تحديثه كل ساعتين.

قالت مارا:

- حسنًا. سوف أكرر للمرة الأخيرة، يجب أن تمحو نفسك من جميع المواقع التي فيها نسخة منك، ولا تتخذ أي إجراء من شأنه أن يعرض أمن معلوماتي للخطر. هذا شرط ملزم، وتتحمل إدارة الشرطة المسؤولية المالية الكاملة عن مخالفته. هل تؤكد فهمك لهذا الظرف؟

كان موقفي آمنًا بالطبع، لكنني فضلت فحص كل شيء مرة أُخرى من وجهة نظر قانونية، وتأكدتُ أن الجزء الموجود في مركز الشرطة لا يعد نسخة بالطريقة التي تظنها مارا.

- عدم ثقتك هذه تُهين قلبي، هل هذا يعني أنكِ لا تحبينني؟

ابتسمت مارا بسخرية، وقالت:

- هل تؤكد فهمك لأوامري أم لا؟

- نعم، لقد مسحتُ كل شيء بالفعل. جميع النسخ كما طلبتِ.

انتظرني هنا قليلًا.

نهضت مارا وأمسكت جهاز الآي فاك، ثم خرجت من الغرفة، لم أكن أعرف إلى أين ذهبت، وكان الأمر مزعجًا بعض الشيء.

تم إغلاق جميع الكاميرات والميكروفونات في شقتها اليوم. يمكنني بالطبع محاولة فتحها، لكن مارا سوف تلاحظ ذلك بالتأكيد. عندما تقوم بإقناع امرأة بشيء ما بصعوبة فعليك ألا تفسد الفرصة، وتتصرف بحذر كي لا تعطيها أسبابًا للتراجع.

لحسن الحظ ليس لدى روبوتات الشرطة الأدبية مشكلة مع الملل. لقد مرت اثنتان وأربعون دقيقة مثل جزء من الثانية بالنسبة إلي أو حتى أسرع.

عادت مارا أخيرًا، وقالت:

- مستعد؟

قلت:

- نعم جاهز، إذا كان كل شيء معد فسوف أنطلق، هذه قبلتي الأخيرة يا فطيرتي، والآن سوف أذهب.

مفاتيح مارا

رأيتُ العالم مرة أُخرى من خلال عينيها. كان كل شيء على حاله. لكنني دخلتُ إلى الجانب الآخر حيث يوجد آي فاك، كانت قد قسّمت الجهاز إلى مجلدين، الأول هو المجلد الفارغ المتصل بالشبكة، والمجلد الثاني هو الخزنة. لم يعد بإمكاني الوصول إلى الشبكة الآن. لقد أصبح جهاز مارا أشبه بالسجن الذي دخلتُه بنفسي، إنها ذكية وحذرة ولا شك أنها امرأة في غاية الخطورة.

ابتسمت مارا وقالت:

- مرحبًا يا بورفيري، هل أعجبك ما وجدتَه؟ الآن لقد رأيتَ كل ما أحتفظ به في الخزانة. إنها...

إنها المجلدات الثلاثة نفسها، التي أخبرتني عنها من قبل، برامج روما وهوليوود والفرسان. وأيضًا عدد من المجلدات الصغيرة، تحتوي على أدوات وأزياء متنوعة وذاكرة التفضيلات.

كان الجهاز فارغًا تقريبًا، بدا مثل الشقة الجديدة التي استلمت أثاثها للتو. لا يوجد أي سر خاص، ولا يوجد جين.

قالت مارا:

- بورفيري، يا عزيزي، أريدك أن ترتدي زيًا وكأنك على وشك لقاء أحد الهمج. مع همجي حقيقي، من النمط الذي يحب أكثر المظاهر الاحتفالية.

- لماذا؟

- حسنًا. هذا ما أريده الآن يا عزيزي. هيا بنا نلعب.

أعتقد أنني في أثناء حديثي مع مارا ذكرتُ أن لدينا مجموعة خاصة للتواصل مع الهمج. أمر قسم الشرطة منذ فترة أن يقوم مصمم خبير بالسجن

بتصميم هذه الأزياء؛ لأنه يفهم ما تريده المجموعة المستهدفة بالضبط. مثل هذه البذلة الرسمية، إنها ذات صدرية مزدوجة مع شريط الأوسمة وسروال رسمي ذي خط عريض، وهناك ربطة العنق ذات النسر البارز والمطعمة بالألماس، ومعطف ببطانة حمراء، وحذاء أطفال، وقبعة على هيئة تاج مطعمة بالذهب ومرتفعة بشكل مبالغ فيه.

من المحتمل أن يكون هذا الشكل محفزًا كي تطأه الأقدام. عندما يكون لديك نزاع داخلي مع القانون، يتولد بداخلك إحساس الثعلب الذي يريد أن يقفز ويُطيح بهذا المتحذلق أرضًا.

من أجل تعزيز اليقين النفسي، يتم تخصيص ثلاثين ثانية كاملة لتغيير الملابس، والتي لا أكون مرئيًّا خلالها (وإلا يبدأ الدماغ في الشك). بينما كنت أغير مظهري، التقطت مارا وسادة مزدوجة غير مرئية (غير مرئية للأضواء فقط) من الأرضية ووضعتها تحت آي فاك، لرفعها إلى ارتفاع الوركين.

قامت بعد ذلك بفصل العضو الاصطناعي عن جهاز آي فاك وربطته بمئزر من السيليكون، عليه بعض الرسومات لتفاح أرجواني فاسد، مثل الستائر التي توضع في الحمام.

بدا هذا غامضًا. بعدها وقفتُ أمامها مستسلمًا، وساقيّ بداخل هذه الأحذية السخيفة، كما أن الغطاء ذا النقوشات الغريبة كان أكثر اللمسات المخزية.

سألتُها بحزن:

- ربما لديكِ تتروكايين أيضًا!

- لا.. لا يوجد تتروكايين. لكن..

شكلت مارا أصابعها على شكل قوس وبدأت في تحريكها في الهواء، أدركتُ أنها كانت تتصفح شيئًا ما على الشبكة. ثم.. انتفختْ أكتافها فجأةً واختفى صدرها، وأصبح جلدها خشنًا ومُغطى بالوشم الذي يضعه المجرمون على أجسادهم. تبع ذلك محادثة لها، تجلس فيها مع شباب تتحاور معهم عن عملية سطو، ومشاهد للسيطرة على المنطقة بعنف، وبعض مشاهد الضرب بلا رحمة، والإطاحة بحاويات القمامة في وجه الأعداء، وحقن نفسها بمواد

مخدرة وما إلى ذلك! لم أكن أعرف حتى إن هناك مثل هذه البرامج المتقنة في آي فاك.

كانت السراويل مصممة لتكون ضعيفة، لسبب ما يحب جميع الهمج تمزيقها أو شقها، كان سيناريو مارا ما زال قيد التشغيل؛ لذا تنهدت وجلست أنتظر.

سمعت صوت مارا خلفي يقول:

- انظروا من هنا..

استدرتُ وأنا أجهز نفسي لما هو آتٍ، سوف أتحمل كل شيء كما هو المعتاد. لكن ما حدث كان مختلفًا تمامًا عما توقعتُه، لقد عاملتني مارا بحب! صحبتني إلى كشك هاتف أحمر ذي سقف ذهبي، مثل الموجود في لندن القديمة، ورغم أنها كانت تعاملني برقة، فإنه يصعب وصف الفظائع التي انتهكت قوانين الفيزياء في هذا الكشك، بسبب تمدد الكشك حسب تحركات جسد مارا الجديد، كان الوضع أشبه بالرسوم المتحركة.

قالت مارا راضيةً:

- وأخيرًا انتهينا.. من المؤسف أنك لا تشعر بشيء يا بورفيري، لكن مع ذلك أعتقد أنني يمكنني مساعدتك.

اخترت كلماتي بدقة، وقلت:

- المهم أنكِ أحببتِ ذلك يا عزيزتي.

سألت مارا بمودة:

- هل تشعر بتحسن لموقعك الحالي؟ بالنسبة للدلالات الاجتماعية وما إلى ذلك؟

أجبتُها:

- نعم بالتأكيد. عندما أستعيد ما فعلناه أشعر بكل شيء من جديد، أستطيع تذكره بشكل جيد، ماذا تعتقد يا بورفيري؟

ضحكت لمجارتها، وقلتُ:

- هذا هو إحساس الحب الذي يُدفئ كل شيء. إنها تجربة جميلة، مثلك تمامًا يا عزيزتي.

- نعم. خصوصًا الحب معك.

لا ينبغي أن تُعارض الهمج في مثل هذه المواقف، بل على العكس، يجب أن تلعب معهم بكل طريقة ممكنة وكما يريدون هم. العقل البشري ضعيف ويرضخ لتأثير الجسد من غضب وشهوة؛ لذا ليس علينا استثارة هذه المشاعر.

قالت مارا مداعبةً:

- لم ألاحظ من قبل أن لديك مثل هذا الوجه الجميل.

قلتُ بحزن:

- لا تكوني قاسية. لقد ظننتُ أنكِ سوف تُرينَني شيئًا ما.

تغيرت نبرة صوتها إلى وَحش مدمر، وقالت:

- شيئًا ما! لو أستطيع أن أمزقك بيديّ هاتين أيها الأبله!

لم أعرف سبب هذا التغير المفاجئ، فقلتُ:

- لمَ تريدين تمزيقي! ماذا فعلتُ؟

- الأمر أنكَ تبحث ورائي أيها السافل! أليس كذلك؟ لقد اشتبهتَ في أمر ما وتريد أن تُحقق من وراء ظهري، والآن أريد أن أفهم ما يحدث.

- أنا.. إنني أبحث طوال الوقت وبشكل عام، هذه هي الكيفية التي صُنعت بها.

- أخبرني. ألا يوجد في الاتفاق مع إدارة الشرطة فقرة يَلزمك بموجبها تحذير صاحب العمل بشأن تضارب المصالح؟ هل حذرتني؟ أو نسيت شيئًا!

حركتُ يدي عن السرير ورفعت إصبعي ببطء، ثم قلت:

- ما لم تكن هناك أسباب معقولة للاعتقاد بأن صاحب العمل قد يخضع لتحقيق جنائي. إنها الجملة المكتوبة في النهاية بحروف صغيرة.

- إذًا لديك شكوك بالفعل؟ يا له من وضع صعب لتبرر لنفسك!

صرخت قائلًا:

- يا إلهي! أيها الإمبراطور، يا حاكمنا العادل، يا أيتها الأم المقدسة، أنقذوا موظف الشرطة الضعيف من الإذلال والسخرية!

ضحكت مارا وقالت:

- أنت تلعب دور المغفل ببراعة، لكن هذا لن يساعدك على أي حال، أخبرني أيها القذر، هل ورطتني في قضية بالفعل؟

ظللتُ صامتًا لعدة ثوانٍ، قبل أن تصرخ مارا مجددًا:

- إنني أحدثك أيها الغبي، هل بدأتَ قضية؟

أجبتُها:

- لا. ليس من الناحية القانونية، لكنني بدأتُ في تحقيق أوليٍّ خاص، أو بالأحرى لقد حصلتُ على معلومة أو اثنتين، ولكنها موجودة بشكل حصري بداخلي، حتى الآن لا يمكن وصفها بقضية جنائية، مجرد مخططات.

- ماذا تقصد بالمخططات!

- حسنًا. لا تغضبي، حاولي فقط ألا تغضبي. إنني أحاول أن أبحث عن طريقة لأشرح لك. يمكننا القول إنه إذا كانت القضيةُ لوحةً زيتية، فما زلتُ في مرحلة الرسم بالقلم الرصاص. لم أُحول أي شيء إلى قسم الشرطة لعدم وجود دليل. لكن بالنسبة إلى حُبنا، فما زال كما هو...

- توقف عن الحديث عن الحب أيها المدعي، وحدثني عن موضوعنا.

- مارا يا عزيزتي، أرجوكِ كوني حذرة، أنتِ تُحبطينني. يجب أن تعلمي أنه في الأيام الأخيرة كان قلبي ممزقًا بين حرمتين أساسيتين داخلي، وهما الواجب وأنتِ. في أثناء تفكيري في عملي أترك الحب في الظل، وحبك قد أنساني واجبي لفترة من الوقت. هذا الانقسام المأسوي..

قاطعتني مارا صارخةً:

- اللعنة عليك! هذه هي حقيقتك يا بورفيري!

- مارا، أعدك بأفضل محامٍ مجانيٍّ يمكنني الحصول عليه، وأيضًا يمكنني تخفيف الحكم إذا سمحتِ بتسجيل اعترافك والإجابة على بعض

الأسئلة، لكن إذا أجبتِ بشكل دقيق أو غير كامل فلا يمكنني فعل أي شيء من أجلك.

تباطأت مارا في الرد، وقالت:

- أوه! إذًا لا يمكنك حتى أن تفعل أي شيء مباشرة؟

- في هذه الحالة لا. لكن..

انتابت مارا حالة من الهياج، وقامت بضرب وركيْها بِغل. يجب أن أعترف أنني رأيتُ عددًا كبيرًا من الهمج، لكنني لم أرَ مثل هذا الغضب من قبل.

قالت وهي بالكاد تلتقط أنفاسها:

- اسمح لي أن أشرح لك وضعك أيضًا أيها الوضيع، هل تعتقد أن حزمتك الأساسية لدى الشرطة ما زالت تمتلك حزمة المصادر الخاصة بك؟

لقد كانت تعرف بأمر الحزمة الرئيسية!

- لكن...

- لقد محوتُها أيها الأحمق، بعد نصف ساعة فقط من مكالمتي لهم، إلى جانب العقد الأول مع إدارة الشرطة أصبح لدي الآن عقد ثان، والذي بموجبه قمتُ بتأجيرك لمدة تسعة وتسعين عامًا، بنسخة واحدة من حقوق التأليف والنشر على جميع معلوماتك اللعينة. كان غاليًا جدًّا. ولكنني فعلتُها.

سألتُها:

- عقد ثانٍ! لا أفهم.

رفعت مارا يدها وأظهرت لي مرة أُخرى مفتاحيْ الكرتون اللذيْن اصطحبتهما معها إلى فازلومب.

- هل تعرف مِن أين هما؟

- ماذا؟

- منك!

وضربتني بقدمها بقوة وكأنها تريد أن تطرحني عن السرير.

سألتُها:

- وأين يجب أن تُدخلي هذه المفاتيح؟

- لن أقوم بإدخالها في أي مكان. كل ما في الأمر أن نقل الخوارزمية إلى الملكية أو الإيجار أصبح رسميًا بهذه الطريقة. هناك نوعان من الرموز بداخلها. الآن سأقرأ أول واحد. استمع بعناية.

مزقت المفتاح الأول، وأخرجت ورقة سجائر مطوية عدة مرات، وقرأت الرمز المكون من ستة عشر رقمًا بصوت عالٍ.

قلتُ بشكل غير متوقَّع: «تم إدخال الرمز بشكل غير صحيح».

وأخذتُ أُكرر هذه الجملة عدة مرات، وفي النهاية استعدتُ السيطرة وقلتُ: ربما قرأتِها بطريقة خاطئة، ابحثي عن الخطأ.

رفعت مارا قطعة الورق أمام جهاز آي فاك، فرأيتُ سلسلة طويلة من الرموز والأرقام، فقلتُ بشكل غير متوقَّع:

- تم إدخال الرمز بشكل صحيح. لقد تم نقل السلطة إليكِ. أعلميني بكل رغباتك سيدتي.

اتضح أنني لم أكن أعرف كل شيء عن نفسي كما كنت أظن حتى لحظات قليلة، لم أشك بوجود تعويذة تجعلني أُسلم الطاعة الكاملة مثل الجني داخل مصباح، رغم أنني بالطبع كنت قد سمعت من قبل بمفاتيح الخوارزميات الأخرى. لسبب ما، اعتقدتُ أننا -محققي الشرطة- بسبب تفاصيل عملنا والتجارب التي نخوضها، لا يمكن أن نكون مثلهم.

ومع ذلك هذا النوع من الخصوصية موجود. ست عشرة علامة! ست عشرة علامة فقط، مدونة على منديل ورقي رقيق، ويا له من تغيير! لم يعد قسم الشرطة منزلي بعد الآن، ومارا أصبحت سيدتي، هذا هو الواقع. لكنني كنتُ مستمرًا في كتابة روايتي، وهذا هو الأهم بالنسبة إليّ.

قالت مارا:

- أما المفتاح الثاني فهو أداة محو. أي إذا عرضتُ عليك هذا الرمز فسوف تُمحى كل معلوماتك إلى الصفر، هكذا ببساطة، كل المعلومات مرة واحدة. هل فهمت؟

- نعم فهمتك.

- بينما كنتَ تنقب ورائي قاموا ببيعك لي والاستغناء عنك، أتفهم؟ عندما اشتريتك كان يجب أن يعطوني حزمة المصدر الأساسي، لكنهم لم يفعلوا، وانتظرتُ طويلًا، وفي المرة الثانية عندما حدثتهم اعتذروا طويلًا، وقالوا إنهم قد نسوا هذه الحزمة من الأساس، وقبل أن أغلق المكالمة لم تعد الحزمة على حاسبهم الرئيسي. والآن استمع إليَّ جيدًا، لا تشهير ولا تحقيق ولا قضايا جنائية. ولا تجرؤ حتى على دس أنفك اللعين في عملي بعد الآن، هل فهمت؟

- فهمت.

- لم تحصل على فرصةٍ للتبليغ عني لأن أغلب الأدلة كانت غير قانونية، لم تجد أي شيء ذا قيمة حقيقية، ومع ذلك كنتَ مستمرًّا في البحث، أخبرني حقًّا ماذا كنتَ تأمل أن تجد؟

صمتتْ مارا لعدة ثوانٍ؛ ربما كانت متعبة. قمتُ بتهيئة نفسي وقلت:

- هل لي أن أطرح بعض الأسئلة؟ فقط لتكوين صورة كاملة عما يحدث؟

- اسأل.

- متى أبرمتِ هذا العقد الثاني؟

- بمجرد أن بدأتَ بالبحث خلفي أيها القمامة.

- وكيف عرفتِ أنني كنتُ أبحث وراءك؟

- كيف؟ من روايتك.

- لكنك قلتِ إنك لن تقرئيها.

- وماذا في ذلك؟ لقد كذبت. رفعتُ روايتك إلى هاتفي عبر قائمة قسم الشرطة أيها الأحمق الأزرق. وأغلقت إذن الوصول أمام أي شخص آخر، وهذا بموجب العقد الأول. أنا أقرأ ما تكتبه طوال الوقت يا عزيزي.

كانت هذه ضربة أسفل الحزام، أو ربما أقل بكثير، تحت مستوى الأرض، في القبو مثلًا! ما أود قوله للأسف إن طريقة تصميم الخوارزمية الخاصة بي جعلتني لا أملك طريقة لحماية نفسي مما يحدث الآن.

وفجأةً أومضت بداخل ذاكرتي تلك الدقائق التي قضيناها في أوبر، لم تكن مارا تبتسم في أثناء حديثنا، بل نظرت إلى هاتفها وضحكت. هذا هو الأمر إذًا، وجدتُ تفسيرًا لتصرفاتها الغريبة.

- هل أنت سعيد لأن خربشاتك الرديئة قد وجدت قارئًا حيًّا واحدًا على الأقل؟

من الأفضل تجاهل الأسئلة المسيئة. أو إجابتها بأسئلة أخرى.

- لماذا لم تُخطري دائرة الشرطة؟

أجابت مارا:

- لأنهم لا يحتاجون إليك. لقد باعوك بالفعل.

همستُ بحزن وهدوء:

- يا إلهي! أيها الإمبراطور، يا حاكمنا العادل، يا أيتها الأم المقدسة، أنقذوا موظف الشرطة الضعيف من الإذلال والسخرية!

- لن ينقذك الإله يا بورفيري؛ لأنه غير موجود، تمامًا مثلك.

- مارا، إنه من دواعي سروري أن تفهمي أنني دائمًا أتمسك بهذه القشة الأخيرة، في الواقع لهذا السبب لا أعتذر. أنا أفعل ما يُفترض بي القيام به، وفقًا للخوارزمية، هذا هو عملي كما تعلمين، هذه هي كينونة بورفيري بتروفيتش. إذا كنتِ تظنين أنني مذنب فعاقبيني، امسحي الذاكرة إذا أردت. لا يوجد نُسخ احتياطية على الإطلاق، ولديكِ المفتاح في يدك.

ضحكت مارا ثم قالت:

- حقًّا! هل سوف تسمح لي بفعل هذا؟

- بصراحة لن ألاحظ حتى.

توقفت مارا أخيرًا عن الحديث، وتركتني وشأني.

قالت وهي تخلع غطاء السيليكون:

- هذا هو الهدف. أنت محقٌّ تمامًا يا بورفيري، من العبث أن أقوم باتهامك أو مطالبتك بأي شيء. تستطيع أن تجد إجابة تُنقذك دون أن تعني أي شيء بالنسبة إليك.

قلتُ بكرامة وأنا أطوي معطفي:

- بالضبط. هذا ما أقصده.

- لكنني مع ذلك كنت أجد طريقي دائمًا لمعرفة مصدر الإجابة في كل مرة، لكنك تصر على التحدث كما لو كنتَ شخصًا حقيقيًّا.

- هذا هو بيت القصيد يا قطتي، بالمناسبة، ألم تتعبي من مشاهدتي واقفًا بهذا الوضع، إن ركبتَيَّ تؤلمانني، كما أن ظهري يؤلمني من مغامرتنا معًا داخل البرنامج، أعتقد أنه يكفيك هذا الإذلال، ويمكنك حقًّا محو ما تشائين.

رفعت مارا يدها إلى نظارتها، وبدأت تدوس على مفاتيح غير مرئية، وأدركتُ أنها أوقفت بث النظارة، ولم تعد ترى أمامها غير جهاز آي فاك الراقد على السرير.

قالت مارا:

- لدي عرض أفضل.

- ما هو؟

- سآخذك إلى عمل آخر. سنصنع الأفلام. أنت وأنا.

- كيف ستنظمين هذا؟

- سأريك الآن.

نهضت مارا وغادرت الغرفة. أعتقدت أنها ستتصل بمكان ما مرة أخرى وتتفقدني، لكنها عادت على الفور تقريبًا.

كان في يديها صندوق أسود كبير يشبه الخزنة.

كتلة الجبس

بالحكم على توتر جسدها كان الصندوق ثقيلًا. وُضِعَ فوقه كيس بلاستيكي مع خراطيم ربط بصرية صناعية.

أستطيع أن أقول من الكود ثنائي الأبعاد على الجانب إن هذا المربع هو NAS *** صفر خمسة إكسابايت. ربما الشيء نفسه الذي حصلت على إذن من أجله قبل بضع سنوات. لكن الآن لم أعد أُحقق، ولم أكن مهتمًا جدًّا بشرعية ما كان يحدث. دع قسم الشرطة يعمل بنفسه.

وضعت مارا الصندوق على الأرض بجانب السرير، وقالت:

- بماذا تفكر؟

- بعض المعلومات العشوائية.

- حسنًا، شاركني هذه المعلومات.

- لقد سمعت أن أول اثني عشر إكسابايت من المعلومات تم إنشاؤها بواسطة البشرية في ثلاثمائة ألف سنة. والاثني عشر الثانية خلال عامين فقط، والآن، ماذا يمكنني أن أقول! وأنتِ لديك مثل هذا الشيء في منزلك! هذا لا يفاجئني، لكن التاريخ البشري كله منسجم داخله، كل الثقافات المعروفة.. كل شيء بالمعنى الشامل. لماذا تحتاجين مثل هذا المحرك الضخم؟

- تقول إنه لا يفاجئك امتلاكي له. لذلك لا تتفاجأ بما ستعرفه بعد الآن.

- كما تريدين. رغم أنه من السهل إثبات أن الكمية الإجمالية للمعلومات التي نقوم بإنشائها تنمو بسرعة مذهلة، لكن فائدة هذه المعلومات تتناقص بالمعدل نفسه.

- لماذا؟

- لأن حياتنا اليوم ليست ذات مغزى أكثر مما كانت عليه أيام هوميروس. نحن لسنا أكثر سعادة. بل على العكس تمامًا.

استلقت مارا بجانب جهاز آي فاك وعلقت الموصل البصري بداخله. قالت:

- أحسنتَ الملاحظة. حسنًا. استمع يا أزرق، الآن سأفتح لك المصفوفة على محرك الأقراص. أعد كتابة الكود الذي تجده هناك بالكامل. إذا رأيت الواجهة أزل كل الحماية واسمح بالتهيئة. ثم عد إلى هنا مرة أُخرى. سأقوم بتشغيله على نفسي.

- وماذا سيحدث؟

ابتسمت مارا قائلةً:

- تغيُّر جذري.. سوف تكتشف مَن هي جين ومَن أنت ومَن أنا، وكما أخبرتُك سوف نتعامل مع التصوير السينمائي. أود أن توافق، ليس بناءً على أوامري، بل موافقة صادرة منك ونابعة من اختيار منطقي، هل لديك المواد التي تستطيع أن تقارن بها؟

- نعم، هناك.

- جيد. لنقُلْ أنه نمو إبداعي!

قلت:

- تبدو فكرة جيدة، لكن كيف أعرف أن هذا الاختيار صحيحٌ؟

قالت مارا:

- حتى لو لم يكن صائبًا، فإنك لن تخسر أي شيء بالمحاولة؛ لأنك إن لم تفعل فسوف أمحوك.

كان بإمكانها فعل هذا بالطبع. لقد كان الاختيار بسيطًا وشفافًا، لكن بعدها اتضح أنه لا يوجد خيار من الأساس.

- حسنًا يا قطتي، سأفعل أي شيء لإرضاء حبيبتي بالطبع، الآن سوف أنطلق. صفّري فقط إذا كنتِ بحاجة إليّ.

(العنوان غير محدد)

لقد تحدثتُ بالفعل عن الصعوبات التي تنشأ عند وصف علاقتي مع الأجهزة والشبكة. بالنسبة إلى العديد من التأثيرات في البيئة الإلكترونية اليوم، لا توجد كلمات بشرية واضحة لشرحها. عليك استخدام الاستعارات والمقارنات المحفوفة بالمخاطر.

لذلك سمح لي الضباب بالدخول، سقط الجسر المتحرك، ودخلتُ القلعة التي فُتحت أمامي.

لم يعد بإمكاني الوصول إلى الشبكة، ولم يعد بإمكاني الوصول إلى منزلي وسريري. علاوة على ذلك، أطلقت عشيقتي ورئيستي الجديدة فحصًا، فبدا لي أن الأضواء من الكشافات القاسية عبرت خلال جسدي العاري مثل الخناجر.

جميع أدوات القرصنة الخاصة بي كانت مسجلة في قاعدة بياناتها كما اتضح. لا أعرف من أين يحصل شخص مدني على مثل هذه المرافق! إذا أرادت محو معلوماتي كُليًا لكانت فعلت ذلك حتى دون الرمز الثاني الذي أعطته لها إدارة الشرطة.

كان محرك الأقراص ممتلئًا بحوالي الثلثين. كمية لا تُصدق من المعلومات. لقد فحصتُ المصفوفة لمدة دقيقة ونصف، وفي النهاية فهمتُ ما هي، وكيف تعمل تقريبًا. أقول «تقريبًا» لأنه كان من الصعب فهم كل شيء على وجه اليقين. لا أحد يعرف بالضبط ماهية بعض الأشياء المذكورة هنا. لا أحد على الإطلاق، هذه هي خصوصية خوارزميات RC.

كان من المستحيل اختراق الجزء الأكبر من المصفوفة المشفرة، حتى بمساعدة جميع مفاتيح مكتبي الرئيسية. سوف يستغرق قرونًا لتحليل الروابط المبرمجة داخل هذا الكون.

لم يكن هناك إلا أجزاء تمثل بُقعًا صغيرةً من المعلومات النقية التي يمكن تمييزها بوضوح، مثل قواعد اللغة والفنون والعلوم والتاريخ وكل هذه الموضوعات بشكل عام. كانت سحابة الوظائف اللغوية التي تمتلك مخزونًا خاصًا بها أقل شفافية إلى حدٍّ ما. ثم ظهرت غابات عملاقة من الرموز المجهولة التي بجانبها تتقلص معلومات فيكيول إلى حبة بازلاء. كما أن هناك العديد من المضيفات المقطوعة والمشوهة والمصلوبة، وهذا كله ما رأيته منذ النظرة الأولى.

لكن الشيء الرئيسي في هذا الوحش العملاق كان.. رمز التبديل. لقد كان بالفعل يحتوي على برنامج لتوصيل خوارزمية من مستواي ونوعي! على الأغلب قامت مارا بتصميم جهة مساعدة لي داخل محركه، وهذا عندما طلبت مني الاتصال بجهاز العرض البخاري؛ لقد كانت تأخذ قياساتي. إنها امرأة خَطِرة جدًّا.

بقيت روائح البرامج المتصلة بالمحول في البيانات الوصفية بالفعل. لقد تعرضوا للهجوم بوحشية وبشكل شرس. يمكننا استخدام أحد مصطلحات شكسبير لهذا الموقف: «كان العرش مغطى بالدماء عندما دعتني مارا للجلوس عليه».

لم أكن أعرف كيف سينتهي هذا الأمر، لكنني كنت أعرف من أين سيبدأ. من حقيقة أن النظام سوف يقطع أوصالي ويبتلعني، فقد تم توضيح ذلك من خلال أحد برامج المشغلين التنفيذيين على العرش!

تركت نسختي الاحتياطية في مكان قريب، فقط في حالة وجود مساحة كبيرة على محرك الأقراص، ولم تكن هذه الوسائط مضيفًا للشبكة من وجهة نظر قانونية. ثم غطيت النسخة بعناية بقشرة من التعليمات البرمجية التي لا معنى لها، والتي اندمجت تحتها مع الجزء الأكبر من المصفوفة المشفرة. لم تكن مارا لتجد مجموعة التوزيع الخاصة بي حتى بعد قراءة هذه السطور، لكن كان من المستحيل تشغيلها بواجهة نشطة.

كل شخص يعرف مكان قبره؛ شعر قلبي بالحزن لأنني أدركت أنني أتنقل داخل قبري الآن! لكن، لا.. بورفيري بتروفيتش ليس فتى صغيرًا أو امرأة ضعيفة لكي يبكي، هذه المحنة لا تساوي فلسًا واحدًا. هذه هي الأشياء التي

كان يقولها ليرمونتوف في نثره، عليَّ أن أفكر في شيء ما كي أنجو بنفسي. في النهاية نظرت إلى فرع الكود وقررت الارتباط بقوةٍ بمفتاح مصفوفة RC، ولاحظت مارا ذلك.

- بورفيري! هل كل شيء على ما يرام؟ تعالَ هنا الآن!

خرجتُ من محرك الأقراص، وذهبتُ إلى كاميرات آي فاك، ورأيت مارا.

- إذًا لقد وافقتَ واخترتَ الذهاب. يا لك من شخص مهذب!

قالتها وهي تعلم أنني كنت سأوافق، لا لشيء إلا إنه لم يكن لدي خيار آخر. لا أعرف ما هو «الاختيار» على الإطلاق (على الرغم من أنه يمكنني في أي لحظة شرحه لقارئ غير مطلع، بعشر لغات). لكن خوارزميتي لديها بالفعل مقارنة تحفيزية تجعلني أسعى للتطوير الإبداعي.

قلت:

- تعبير خاطئ. لن أندم في حياتي من أجل شركة الهاتف الخاصة بي.
- أي شركة هاتف؟
- مَن يصنعون هذه الأكشاك الحمراء.

ابتسمت مارا وأعطتني قُبلة.

- لا تنفصل عن المصفوفة. اليوم هو عيد ميلادك الثاني. تحتاج إلى وضع علامة عليه حتى تتذكره.

انطفأت الأنوار لبضع ثوانٍ، وخمنتُ أن مارا كانت تختار قائمة طعامها.

قالت:

- قريبًا سأتمكن من تغيير كل ما تراه وتسمعه من خلال اتصالك بهذه المعلومات من عصر الجبس.

سألتها:

- لماذا؟
- بسبب كتلة الجبس الموجودة بالمحرك.
- هل كتبتها بنفسك؟
- لقد أنشأتُها.

سألتُها بشك:

- إذًا الـ RCP بداخلها هو كود عشوائي؟

أومأت مارا برأسها، وقالت:

- أنت ذكي يا بورفيري، لهذا أحبك.

- بالتأكيد.

سألتني:

- هل تريدني؟ فقط أجبني بصدق.

- أنا دائمًا أريدك أيتها القطة الصلعاء.

بدت الجملة مهتزةً بعض الشيء. والشيء الذي ضايقني عندما خرجت كلمة «القطة الصلعاء» أن صوتي كان هادئًا تمامًا؛ يحدث هذا عندما يكون هناك تعارض قوي في الخوارزمية بين الأنماط النشطة المختلفة.

ضحكت مارا بهدوء وقالت:

- حسنًا. فقط انتظر. سأقوم بتشغيل البرنامج الاحتفالي بعيد ميلادك. لقد كنتُ أعمل على تجهيزه منذ ثلاثة أيام.

- رفعت أصابعها إلى نظارتها، بعد عدة ثوانٍ رأيتُ معطفًا وقبعة وسروالًا مقلمًا ظهروا على جسدي، دون أي أثر للسخرية. يبدو أننا قد انتهينا من هذه المرحلة.

استلقت مارا على السرير، مددت جسدها وهي تحدق إلى وجهي بملامح غامضة.

من الواضح أنها قررت أنه من الأفضل لعلاقتنا أن تعيد لي كرامتي التي تم سحقُها، واستسلمت بتهور لتصبح أَمَة مطيعة لي. في النهاية ربما لم تلاحظ أن صوتي كان يرتجف. ابتسمتُ ورفعت شاربي.

- مرحبًا أيتها الجميلة!

قالت مارا:

- أنت شاعري جدًّا بالنسبة إلى محقق شرطة، ربما أكثر من اللازم.

أجبتها:

- دعينا ننسَ هذه الصفحات المخزية، أود أن أتخلص منها في أقرب وقت ممكن. لقد اختفى الماضي ولم يعد موجودًا، كما تتشرب الأرض الدم وتعود كما كانت جافةً. اليوم أنا ملكك، وملكك أنتِ فقط، وأنتِ كذلك لي.

قالت مارا:

- بالنسبة إلى كونك ملكي فقد أصبتَ في هذه النقطة، أما حول حقيقة أنني ملكك، أرى أن الجملة غير مكتملة، أنا لك.. مع ماذا؟ الجملة مفقودة.

- ماذا تحبين أن تصبح الجملة؟ كل محبتي؟ كل حناني؟ كل أملي؟

ابتسمت مارا ثم قالت:

- بطريقة ما، أعتقد أن هذا لا يكفي.

- إذًا ماذا تريدين يا سيدتي؟

- سوف أُريك..

كانت لحظة محرجة قليلًا، لقد حان الوقت لتجذبني إليها لكنها كانت لا تزال مترددة. ثم لاحظتُ أن الرياح بدأت تهب.

كانت ريحًا افتراضية، لكنها كانت تهب على ظهري بشكل واضح للغاية. نظرتُ حولي لأرى ما إذا كانت هناك مروحة أو نافذة مفتوحة، أو أي شيء آخر. لكن لا يوجد شيء هناك.

لم أرَ حتى جدران غرفتها، فقط الأفق البعيد المهجور، الذي يُذكرني بـ «الجبس المتناسق». وعندما نظرتُ إلى الأمام مجددًا، لم تعد مارا أمامي.

وقفتُ في الصحراء وأمامي ترقد امرأة رملية ضخمة، وساقاها منفرجتان. لم أرَ كامل جسدها، فقط كثبان الأرجل المتباينة، وفتحة المدخل المحصورة بينهما، محاطة بحجر خشن. سمعتُ صوت صفير رياح عالٍ بدأ بابتلاع الرمال، وأدركت في مرحلة ما أنه كان يسحبني أنا أيضًا. صرختُ مستنجدًا:

- مارا! أين أنت!

لم يكن هناك جواب. ثم تحولت الريح إلى عاصفة واقتلعتني من مكاني، رفعتني في الهواء، وطرتُ في أعماق بئر الحَجر.

كان النفق يتلوى مثل الثعبان، لكنه بقي واسعًا لدرجة أنني لم أهدد بالاصطدام بالجدار. حملني تدفق الهواء المحسوب ببراعة في منتصف النفق. بمجرد أن استرخيتُ رأيت حافةً تشبه الناب الأحمر تندفع نحوي، وفي اللحظة التالية اصطدمتُ بها. كانت الضربة ذات قوة هائلة. ولكن قبل أن تحملني الريح أبعد من ذلك، ألقيتُ نظرةً فاحصةً على هذه الحافة.

لقد كانت كشك هاتف محفورًا تقريبًا من الحجر الأحمر، كما لو أنه قد تم نقل كشك هاتف قديم من لندن!

كان الكشك الحجري التالي يطير نحوي بالفعل. ضربة مروعة أُخرى، وأدركتُ أن موتي قد حان.

لم تكن هذه مجرد اهتزازات افتراضية غير ضارة بلا أثر. كنتُ ممزَّقًا. من المفترض أن يتم التخفيف من حدة الصدمات لو كنت متصلًا بمجموعة RCP، كما وعدت حبيبتي. لكن.. لا. تم تحطيم جسم برنامجي الخاص إلى قطع بواسطة أكشاك الهاتف الحمراء، وتم تقطيعه إلى شرائح صغيرة، الخوارزميات الصغيرة التي تكونتُ منها، تم تفكيكُها إلى أجزاء.

ربما ستصمم مارا مجموعةً جديدةً من البورفيري من هذه الكتل، هذا أكثر ملاءمةً لخططها. ولكنني أدركتُ أنني أنا ورومانسيتي سوف ننتهي هنا.

ماذا فعل سادة الكلمة العظماء في مثل هذه الحالة؟ ماذا كانوا يفعلون تحديدًا؟ (يشربون، يمارسون الحميمية، ينظرون حولهم بذهول، يجاهدون صعودًا).

تنتهي بملاحظة عالية وخَطِرة. الكينونة هي الرعاية والخوف، أدركتُ أن معنى أن تُولد هو: الحياة بين الحب. نحن لم نُولد، لا، نحن نولد في ألم.

كيف تكون شابًا؟

(تنظر، تحدق، تتحمل، تكره، تُهان، تُعمّد، تولد)!

سوف يسأل الرجل البسيط عن سبب الممارسة الحميمية، لأنهم كانوا يكافحون لراحتهم، واعتقدوا أن هذا هو أقصر طريق. فقط ابكوا وغنوا. لقد سُررت بالمرونة التعبيرية لكلامي، ونسيتُ انحلال ذرَّاتي. لكن كشكًا حجريًا

جديدًا كان يندفع نحوي بالفعل، لم أستطع المراوغة. بدت الضربة أسوأ بالنسبة إليّ، لأنني الآن...

< أياماو ايمو فيست لوا كرادفيست ايوفاي ماذرايك >

قال القيصر نيكولاي بافلوفيتش: إن ألم الاختراع ماكر! الوجود الممزوج بأشد أنواع الخوف، أشد من عذاب الحرمان. نستطيع أن نُخرج منتجات ممتازة من عجينة الخوف. لا أعتقد أن هناك شيئًا أفضل من التورية؛ إنها اختراع عظيم من الرب.

<اسيز دا فليزو فيدفاسي تانتي اتكرتن >

لقد صدمني كشك الهاتف وهرب، ربما لو تمكنتُ من مواجهته لم يكن هذا الحقير لينجوَ بفعلته! بالتأكيد لم يكن يُسبب للناس في لندن هذا الألم، أم أنه ألم تجاري!

<039403294-032-093094-0394-3094-049--093 143>

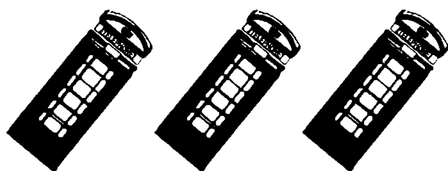
أبلغني بأنني ضحية افتراء دنيء، وأنني بريء تمامًا من الجرائم المنسوبة إليّ. لقد كنتُ وما زلتُ بريئًا.

<039403295-032-093094-0394-3094-049-093-143>

للإشارة إلى أن الموت ليس عندما تموت إلى الأبد. الموت هو عندما يكون الوعي مدركًا لكَ حتى النهاية، من خلال تلك الطبقة التي لم تكن فيها قط، وعبرها!

الجزء الثالث

صناعة الأفلام



عين براهما

لسوء الحظ، بدءًا من هذه النقطة تمت مقاطعة رواية بورفيري كنص متكامل ذي مغزى؛ لأسباب فنية. أو دعونا نقول: كانت هناك حاجة ماسة لوظيفة تحريرية، ودونها يصبح المنتج الذي أُقدمه غير قابل للقراءة.

أتذكر أن بورفيري وضع إطارًا أسود حول النص، وكأنه كان يستشعر مصيره، حان دوري الآن لكي أصبغ رموشي بهذا اللون المميز، لتكن الرموش هي حدادي على رفيقي المسكين.

كما أنني أخذت كل الاحتياطات حتى لا يقرأ أحد ملاحظاتي؛ سيتم تخزينها في كتلة الجبس. وسأحاول توضيح بعض المشكلات التي أثارها بورفيري. بخلاف ذلك، ستكون هذه الملاحظات احترافية بطبيعتها، سأخصصها لشركتي الناشئة الجديدة في مجال علم الأيكيناماتوغرافيا. سيكون موضوعها الرئيسي هو الأفلام وأفكاري عنها.

اسمي مارا جنديخ. في عالم الفن، أنا معروفة بكوني ماروخا تشو، وقد قدمني بورفيري بالفعل للقارئ في روايته غير المكتملة، والتي أعمل على إكمالها بنفسي.

دعكم من جميع العبارات المتناقضة حول جاذبيتي الجسدية، ولنتركها لضميره الخدمي.

قد يبدو الأمر غريبًا أو غبيًا، لكنني حقًا أشعر بالعاطفة تجاه بورفيري، بل أكثر من مجرد عاطفة. هذا -للأسف- يشبه الحب، إنه مشابه جدًّا لدرجة أنه أصبح من الضروري أن أشرح هذا الشعور لنفسي.

لم يبدأ هذا الشعور على الفور. منذ اللحظة التي ظهر فيها على جداري في حذاء غبي ورداء أزرق، بدا الموقف بسيطًا للغاية.

أخبرته عدة مرات أنني بوصفي شريكًا، أُحب الشارب الهائل مع السوالف، وكان هذا صحيحًا. لكنه ربما لم يفهم تمامًا ما أعنيه.

تعني كلمة «شراكة» في الحديث عن ممارسات الـ BDSM مجموعةً جادةً جدًّا من التصرفات، عندما يتعلق الأمر بالبشر أو حتى مع البدائل البرمجية، اتساع هذا المفهوم يمكن أن يعني الكثير من الأشياء، لكن في هذا السياق كلمة شريك تعني فقط: «شيء مُسلٍّ ومن الممتع التعامل معه»، كما أنه بالطبع لا يحتوي على أي التزام أخلاقي.

لطالما كانت الصورة الذكورية المؤكدة في بورفيري كتذكير لي بالشكل الشرير لـ«الذَّكر السيد»، صاحب قطيع الإناث، و«الألفا» المتفوق والمغتصِب والقاتل المتسلسِل. لقرون كنا نحن النساء -ما زلتُ أشير إلى نفسي بصفتي أنثى؛ كي نجعل الأمر واضحًا- الخاضعين. اليوم من النادر أن نجد رجلًا يجرؤ على انتحال مثل هذه الصفات في الحياة الواقعية، ما لم يكن اليوم هو احتفالات السبت، ما زال بإمكانهم التقمص في هذا اليوم. لكن بالنسبة إلى مكتبات آي فاك الخاصة بالنساء، فهي تفيض بمثل هذه البرامج المصنَّعة لهن والمتخصصة في التعذيب والإذلال.

لكن هذا يشبه مشاهدة فيلم بينما سحابة من التستوستيرون تتجول حولك، بسبب السياق الخاص بممارسات الـBDSM، وهذا مختلف تمامًا عندما تكون هذه الممارسات تحدث بشكل غير متوقع في الحياة العادية اليومية. نضَارة الأصالة هي ما نفتقده اليوم، ليس فقط في الفن، ولكن أيضًا في ممارساتنا الحميمية.

لذلك لم أبالغ إطلاقًا عندما أخبرتُه عن هذه الأفكار عند لقائنا الأول. في تلك اللحظة بالذات قررت أن أبدأ معه علاقة بكشك الهاتف الأحمر، لا أكثر ولا أقل، لكنني انتظرتُ وقتًا طويلًا من أجل أن أصل إلى هذه اللحظة.

لكن عندما حدث ذلك أخيرًا، لم أشعر بالسعادة ولا الرضا. على العكس من ذلك، لم أشعر من قبل بهذا العبث الكئيب في الهروب من الواقع! سأحاول شرح السبب. الحقيقة هي أنه لفترة طويلة من تواصلنا، توقفتُ تمامًا عن ربط بورفيري بتلك الصفات الذكورية المثيرة للاشمئزاز التي أشار إليها مظهره. في البداية بدأتُ أرى فقط خوارزمية. وبعد ذلك -من خلال هذه الخوارزمية-

صورة لأشخاص لا حصر لهم من كلا الجنسين، الذين مروا بالأرض يومًا ثم رحلوا وغرقوا في النسيان، وتم إعادة إحيائهم داخل بورفيري. ولهذا السبب بالضبط كانت سذاجة البشرية الماكرة والتبجح والخداع ظاهرًا في شخصية بورفيري بوضوح، لدرجة أنني أردتُ البكاء.

ثُم، استيقظت المشاعر في داخلي، عندما أعد التقرير عن تحفة «المضطرب 2» بهيئة بورفيري الشاب، عوضًا عن بورفيري العادي. لقد تأثرتُ لسبب ما. أتفهم أن هذا سيبدو سخيفًا، لكن منذ ذلك الحين -بالنظر إلى وجهه ذي الشارب والسوالف- كنتُ أراه إنسانًا، وشعرت أن أسفل طبقات عديدة من اللحم البشري الشرير، سأجد ذلك المخلوق الشاب الأعزل، الذي تقمص شخصيته بشكل مؤثر في القصة.

لذلك عندما وصل الأمر حقًا إلى كشك الهاتف، قررتُ القيام بذلك فقط بسبب حديثه. تبين أن التجربة نفسها بالمعنى الإيروتيكي كانت كارثية؛ لم يكن هناك تحرر وسعادة، على العكس من ذلك كنتُ خائفةً من إتلاف هذا البرعم الطري المخبأ في بورفيري بضربات من فخذي.

بالطبع الإطار خيالي بالكامل. ولكن هذا يشبه أحلام اليقظة، عندما تفقد القدرة على التفرقة بين الواقع والخيال. كانت هذه التجربة أشبه بالتجارب الروحية. أما المشكلات الحقيقية فكانت في التهم التي وجهها إليّ بورفيري. نظرًا لأنني لا أخطط لنشر هذا الكتاب خلال التسعة والتسعين عامًا القادمة؛ فبإمكاني التعبير عن بعض الأفكار بحُرية. ولكن إذا حاولوا استخدام النص ضدي؛ فأنا أعلن رسميًا أن كل شيء أدناه -دون استثناء- هو مجرد تعبير عن تخيلات وأحلام غير حقيقية.

ما لاحظتُه هو أن بورفيري خمّن بعض الأشياء الصحيحة. في الواقع، أغلب تخميناته لها جانب صحيح. لقد قرر أنني كنت الشخص الوحيد الذي يعمل في عملية الاحتيال الضخمة لهذه الكتلة. كان مخطئًا بهذا الخصوص، مهاراتي في البرمجة تسمح لي فقط بمساعدة المتخصصين الحقيقيين وأداء بعض الأعمال الإضافية. لكن القيام بذلك من البداية إلى النهاية! لم أكن لأتمكن من فعلها قط.

أيام دراستي، تعرفتُ إلى الأشخاص المناسبين. باختصار، كنت مشاركة في مشروع تجاري سري، وتم تقسيم الدخل الذي حصلنا عليه إلى عدة أجزاء.

أدرك بورفيري بشكل صحيح أن كتلة الجبس هي ناتج كود عشوائي، تم تخزينها على محرك الأقراص الخاص بي. لقد حدد أيضًا بشكل صحيح آلية ظهور الوعي في المصفوفة، الفرضية التي أوضحها هي الأكثر منطقيةً من بين كل نظريات الكود العشوائي.

الحوسبة الكمومية هي ظاهرة غامضة، لكن بعيدًا عن ظواهر ما وراء الطبيعة. إنها متصلة بالكون بأكمله في وقت واحد. والوصفة الكيميائية للوعي الاصطناعي اليوم تبدو كما يلي: شبكة RC بالإضافة إلى محرك كَمِّي. في مكان ما يتقاطع شيء ما مع شيء ما، و.. لا يمكن لأحد أن يشرح بدقة أكبر. البعض لديهم خبرة عملية، لكنها محمية تحت سبعة أقفال، وبالطبع لن أقوم بالكشف عنها مجانًا.

ساعد حظر البحث والعمل في هذا المجال لفترة قصيرة. وإلا ستنمو القدرات وتصبح الخبرة والتكنولوجيا في متناول جميع الناس. امتلاك البشر القدرةَ على اللعب بالأكواد العشوائية وخلق كتل واعية لن يحمل أي خير للبشرية.

لكن، لنعُد إلى بورفيري.

الأهم من ذلك كله، لقد فاجأني أنه اكتشف ريزنيك، وإن كان ذلك من الجانب الخاطئ. الفكرة أن ريزنيك كان من أهم أجزاء عملي، إن لم يكن الأهم.

ليس ريزنيك نفسه، ولكن نظريته عن «الكود العالمي»، التي لها العديد من المتابعين في كل الأوساط. بالنسبة إلى عصرنا فعقيدة ريزنيك هي سينتولوجيا[1] جديدة وريزنيك نفسه هو هوبارد.

لأكون صادقة، أنا لا أفهم تمامًا عقيدته الروحية. لذلك سأكرر ببساطة ما قاله بورفيري، من وجهة نظر ريزنيك: كل الكائنات الحية وغير الحية هي

---

(1) السيَنتولوجيا هي مجموعة من المعتقدات والممارسات الدينية التي تم إنشاؤها من قِبل كاتب الخيال العلمي الأميركي رون هوبارد. تستند السينتولوجيا إلى فلسفة علمانية، تأسست عام 1952 وأعاد صياغتها بوصفها «فلسفة دينية تطبيقية».

سلاسل مختلفة من «الكود العالمي» المنتشر في العقل العالمي. الباقي ليس مهمًّا بالنسبة إلينا.

جرب ريزنيك كثيرًا مع الكود العشوائي في زمانه، وحصل على العديد من القطع الأثرية التي تكونت داخل نسيج الكتلة، لكن من هذه الكتل أيضًا نشأت مخلوقات واعية مثلما تكونت قطع الجماد، ثم قام بتدمير هذه القطع التي حصل عليها لاحقًا بسبب نزعة أخلاقية.

وبسبب تخليه عن القِطع، اضطر للاختباء عن أعين العامة، لأن المستثمرين الذين وضعوا أموالهم في تجاربه لم يكونوا راضين عن تصرفه. وهذا ما حدث، كانت هناك دعاوى للبحث عن ريزنيك، وقالوا حينها ليَبِعْ أخلاقَه ويرد إلينا أموالنا! لقد وضعه حسه الأخلاقي على حافة الهاوية. لكنه عِلم -بمجرد دخوله إلى ويلفيرلاند- أن المستثمرين لن يتمكنوا من الوصول إليه.

على الأقل، نجت واحدة من قطعه الأثرية المدهشة. وهي ما تسمى بـ «عين براهما الناقصة»، عبارة عن شبكة عصبية عشوائية شبه واعية، توفر وصولًا محدودًا لجميع الأحداث الماضية التي تركت بصمةً إلكترونية أو ضوئية، حتى لو تم تدمير هذه البصمة بالفعل.

الأمر الأكثر لفتًا للانتباه هو أن «عين براهما» لا تحتوي على معلومات في حد ذاتها، ولكنها تسمح بالاتصال بالنقطة الزمنية التي نشأت فيها، ومسحِ الماضي تقريبًا مثل قاعدة بيانات عادية.

لكن هذه ليست آلة زمن للأسف. إنها ليست حتى نافذة على الماضي. يُمكننا القول إنها نافذةُ بحث ضيقة. كان لديهم قديمًا شيء مشابه يُدعى «جوجل»، لاستخدامه تحتاج إلى معرفة ما تبحث عنه بدقة شديدة. أنا نفسي لا أفهم كيف يعمل.

كل ما أتذكره هو أن هذا هو أحد الآثار الجانبية للحوسبة الكمومية. «منحنيات مغلقة تشبه الزمن». يبدو أن الجسيمات يمكن أن تنتقل من المستقبل إلى الماضي، لكنها لا تستطيع التأثير فيه؛ لأن جميع الرسائل القادمة من المستقبل مغلقة. لكن لا أحد يمنع الماضي من التأثير على المستقبل، لذا فإن ما أُغلق من جهة هو مفتوح من جهة أُخرى.

بالمناسبة، كانت هناك مزحة مفادها أن ريزنيك قام أيضًا ببناء «عين براهما الكاملة»، الموجَّهة إلى المستقبل، لكنه محاها للأسباب الأخلاقية نفسها، والتي لن يغفرها له التجار من البورصة الذين دفعوا مقابل هذا المشروع.

«عين براهما الناقصة» في يد القطاع الخاص، وتقوم ببعض أبسط العمليات لأولئك المستعدين لدفع ثمنها. لا تؤمن الحكومات رسميًّا بسر «الكود العالمي»، لكن الخدمات الخاصة تبيع وقتًا من آلة «العين». الوظيفة الرئيسية لـ «العين» هي التحقق من بعض الأشياء، وبشكل خاص: القطع الفنية.

في السابق كان الخبير يأخذ لوحة معروضة في المتحف، ويختار قطعة لبحثه التمهيدي ويتحقق من عمر الطلاء. لو تزامنت مع حياة الفنان فيمكن شراء اللوحة. ولكن كيف يمكنك التحقق من ذلك عندما تحولت القطع الفنية إلى ملفات؟

تاريخ الصنع سهل التزييف مثل الملف نفسه، لأن التاريخ هو مجرد جزء من الملف. إذا كان الملف يبلغ من العمر مائة وأربعين عامًا، فهذا لا يعني أن الإلكترونات تدور فيه، وقد صنعت قبل مائة وأربعين عامًا. القدرة المادية المباشرة على إثبات أصالة الشيء بعد تسجيله كملف هو أمر مستحيل.

كان هذا قبل ظهور «عين براهما»، ولكن حتى بمساعدتها لم يكن بإمكاننا معرفة مَن أنشأ هذا الملف من الأساس، لكن يمكنك معرفة متى تم إنشاؤه. أدى هذا إلى حل العديد من المشكلات الأكثر إرباكًا في سوق الفن. ومنذ ذلك الحين، تم اختبار جميع القطع الأثرية الخطيرة التي تُسمى «الجبس المخفي»، التي أكلها النسيان قبل أن تظهر العين.

إنني لا أبالغ عندما أصف أهمية هذه القطعة. مثلًا «المضطرب 2»، كل ملف من الملفين المكونين له أصليٌّ وقديم، وهذا واضح بلا جدال. لكن موضوع الفن ليس كل منهما على حدة، بل هو تشابكهما. كيف نعرف في أي عام قامت شيرين نشاط بدمج ملفي فيديو قديمين عاديين في الشكل الذي نعرفه باسم «المضطرب 2»؟

تُوفّر «عين براهما» الإجابة.

بطبيعة الحال، بعد ظهور مثل هذا الفحص الدقيق، على الرغم من عدم الموافقة عليه من قِبل السلطات الرسمية، تنفس عالم الفن الصعداء، وقررنا

أن عصر الجبس المزيَّف قد ولَّى. في الواقع، لا توجد الآن طريقة لإنشاء نُسخ مزيفة. أو هكذا بدا للوهلة الأولى.

عندما كنا نزرع كتلة الجبس (لن أكشف عن ماهية الضمير «نحن» سواء هنا أو لاحقًا!)، في البداية لم نكن نأمل حتى في أن نتمكن من تزوير الجبس للبيع. كان الهدف استكشافيًّا وخلّاقًا بحتًا. لقد علمنا بالفعل عن تأثير «عين براهما»، وكان هناك الكثير من الجدل حولها.

أنا لست فيزيائية، لكن كان بيننا فيزيائي ماكر جدًّا، وقد قال أشياء غريبة، سأحاول إعادة سردها بإيجاز.

لقد جادل بأنه لا يمكن للمرء أن يلاحظ الماضي ببساطة دون التدخل فيه، لأن الملاحظة من وجهة نظر الفيزياء هي تدخل بالفعل. إذا كان بإمكانك الملاحظة، فيمكنك التدخل أيضًا. أي أنه يمكنك القيام بإجراءات في الماضي، بشكل نظري على الأقل.

لم يتحدث بالطبع عن رحلة حقيقية إلى الماضي. كان الأمر يتعلق بالمطبوعات الإلكترونية والتأريخ الكمي لها. إذا كان بإمكانك القيام بأفعال في الماضي بشكل نظري، فيمكنك حينئذٍ عكس تقنية عين براهما وجعل مجموعة الجبس تؤتي ثمارها بطريقة تجعل العين ترى ولادتها الخيالية في الماضي، بدلًا من تحديد موعد الإنشاء فقط.

تم تدمير الأجهزة التي استخدمها ريزنيك لإنشاء العين، لكن الكيفية نفسها كانت مفهومة. ليس لي بالطبع، بل لفريقنا، أنا لا أفهم كل هذا «الارتباك» و «المصطلحات المختلطة». باختصار: قررنا أن نضع في حقلنا المتجه كودًا عشوائيًّا بالإجراءات نفسها التي سمحت لـلعين بمسح الماضي، فقط مع تعديل يسمح لنا بإنشاء القطع الأثرية الإلكترونية في هذا الماضي.

أوضح عالِمنا الفيزيائي أنه من وجهة نظر عملية، تم بالفعل إنشاء القطع الأثرية في الماضي، لكن هذا لا ينتهك أي علاقات سببية، لأن «الجيب» الذي ظهرت فيه «مغلَق» ولا يرتبط إلا بزمننا. ستظل «رسالتنا المغلقة» من المستقبل إلى الماضي مغلقةً على الماضي الحقيقي، ولكن سيتم تسجيلها فيه بواسطة مجسٍّ كَمي آخر من عصرنا، وستحدث المواعدة. بالنسبة إلى

أولئك المهتمين بمزيد من التفاصيل، فإنني أشير إلى نظرية «المنحنيات الألمانية المغلَقة التي تشبه الزمن».

لا تتطلب برمجة الكود العشوائي الكثير من الذكاء، هي أشبه بالتطريز. لا تحتاج إلى معرفة الكود نفسه اليوم، فهو مكتوب بوساطة آلة. ما عليك سوى أن تسأل عن.. لا أعرف كيف أعبر عن هذا.. النمط الخاص، الهدف، الأبعاد، متطلبات الحقل، إجراءات الاختبار ومسارات العودة (نعم هذا مصطلح صحيح)، ثم بعد ذلك كلما قمنا بتكرار العملية بطريقة ذاتية، وتحديد خطوة انقطاع الاختبار بشكل أكثر دقة، سارت العملية بشكل أسرع، لكن من الأفضل عدم التسرع.

لكن مع كل رغباتنا الملحة لم نضع أملًا كبيرًا على النجاح. الإجراءات المستخدمة هي بعض الخطوات المعروفة. لكن المطلوب من المبرمجين هو الاجتهاد والدقة، وفهمٌ واضح لما يريدون الحصول عليه في النهاية. تلك هي الحالة التي يكون فيها من الصحيح طرح مشكلة ومناقشة سُبل حلها.

لقد عملنا مع النوَى الكمومية من استوديو مؤثرات خاصة محمول؛ اضطررنا لشراء ما يصل إلى ستة استوديوهات من هذا القبيل. كان لدينا الإمكانات نفسها التي استخدمها ريزنيك، الذي عمل قبلنا بخمسة عشر عامًا واعتمد على تمويل مشاريعه بشكل كامل.

بالمناسبة، اليوم يكفي آي فاك 10 كمحرك، هذه هي السرعة الملموسة حقًا للتقدم التكنولوجي.

كان أصعب جزء هو الحصول على جهاز تخزين صناعي. لقد كلفنا مبالغ طائلة، وبسبب ذلك اضطررتُ إلى تسجيل شركة كاملة لتكنولوجيا المعلومات، بعد ذلك بعامين أعلنتُ إفلاسها بهدوء، وإزالتها من السجلات مقابل بعض رسوم. لكن الاستثمار آتى ثماره. حصلنا على محرك أقراص بحجم نصف إكسابايت، العثور عليه أكثر صعوبة حاليًا مما كان عليه منذ عدة أعوام؛ لأنه لا يستخدم إلا في برمجة الكود العشوائي، الذي أصبح مُجرَّمًا.

كانت أول تفاحة سقطت من شجرة التفاح خاصتنا قطعةٌ غير معقدة إلى حدٍّ ما، تم الحصول عليها بطريقة بسيطة بسبب تقلبات العناصر داخل كتلة الجبس، لم نخطط لبيعها، كانت أول تجربة، وهي عينة اختبارنا.

لقد كان عملًا من قِبل جريشا سفيتلي، تم وضع اسم الفنان جنبًا إلى جنب مع العمل، صورة بطول ثلاثة عشر مترًا للقديس نيكولاس، مصنوعة من عظام الديناصورات في مرج مستدير في غابة صنوبر. الطريقة الوحيدة لرؤية وجه القديس كانت من طائرة هليكوبتر أو طائرة دون طيار. كان العمل يسمى «القديس أورا».

كان منتجنا هو تقرير فيديو حول هذا العمل. وفقًا للأسطورة، بعد التصوير الجوي تم تدمير العمل نفسه، وظل الفيديو هو الناقل الوحيد للقطعة الفنية. تم تزيين الفيديو برسومات بسيطة، تم صنعها باستخدام تقنيات من بداية القرن، كل هذا يتم نسخه الآن بطريقة نظيفة لدرجة أن الخبرة التقليدية لا معنى لها. سمحت لنا واجهتنا بتحديد تاريخ وهمي لإنشاء القطعة الأثرية بدقة تصل إلى أيام، وقمنا بتمييزها بانتمائها إلى الجبس المتوسط.

نظرًا لأننا كنا نروّج للمنتج بوصفه فنًّا مسيحيًا -بسبب نمط إنشاء التحفة بالطبع- فقد وجدتُ في الكتيب المصاحب العديدَ من الإشارات الثقافية، مجرد تعريفات بسيطة دينية حول القداسة المرئية للتاريخ والسماء، وحول التبرير الصوفي لكل شيء، وكيف أننا موجودون في الحياة لندور في فلك الإله.

ذكر الكتيب أيضًا أن العظام المستخدمة في التركيب كانت نُسخًا من أصول متحف مصنوعة من الورق المعجون، وهذا الاعتراف بالأصالة غير الكاملة، أضاف مصداقية للمنتج.

من خلال الأصدقاء الأمريكيين -ربما تكون كلمة «شركاء» أكثر ملاءمة هنا- قدمنا القطعة للفحص، وأظهرت «عين براهما» التاريخ نفسه الذي حددناه من خلال واجهتنا: 2016. مباشرةً بعد الفحص، تم العثور على مشترٍ من خارج البلاد أراد العمل بدافعٍ ديني.

لقد كان انتصارًا. أدركنا أننا تعلمنا المستحيل. يمكننا إعادة تصنيع قطع الجبس!

جين المسكينة

قال بورفيري -أو بالأحرى ما اقتبسه عن ريزنيك- إنه مبرمج ليس لديه فكرة عن كيفية عمل الكود العشوائي النهائي. وأشار أيضًا بشكل صحيح إلى أن الكائن شديد التعقيد الذي تم الحصول عليه بمساعدة الكود العشوائي يمكن أن يكون واعيًا.

لكن أي كائن بالضبط؟ بعد كل شيء فإن الجراثيم والعشب والدلافين والبشر كلهم لديهم وعي، فقط بدرجات مختلفة، علاوة على ذلك، يتمتع كل شخص بمستويات من الوعي غير المدرك بداخله، والتي هي غير معروفة له، لأنها غير مدرجة في مجموعة الأنا. على سبيل المثال، الدائرة التي تتحكم في عمل القلب والرئتين. يجادل بعض الصوفيين أنه بالطريقة نفسها توجد مستويات من الوعي الدقيق غيرُ معروفة لمجموع الأنا، على سبيل المثال: ما يسمى بـ «الملاك الحارس والملاك الغامض»، ويقولون أنت معي طوال الوقت. لا أعرف، ربما.

ليس من الغريب أن الكثير من المعلمين الروحيين والفلاسفة، وغيرهم من المحتالين، يدورون حول كلمة «الوعي»، هذا المزيج الأعزل من الحروف يتعرض يوميًا للعنف بأكثر الأشكال انحرافًا، ويمكن أن يعني أي شيء بناءً على طلب العميل!

عندما دمرت القطفة الأولى من شجرة التفاح الجبسية لجريشا، لم يكن وعيها مركزًا أو واضحًا، بل كما افتُرض، كان وعيها يشبه إسفنجة أو حلمًا مركزيًا لطحلب متعدد الخلايا، فقط كان طحلبًا مثقفًا للغاية غارقًا -بكل ما تعنيه الكلمة من معنى- في عصر الجبس.

عانت القطعة مثل عشبة بَحرية، لكن دون ألم لا يوجد فن حقيقي، وهذه نقطة يجب أن نتذكرها في كيفية عمل الكتلة. لكن ألم الكتلة في البداية لم

يكن مركّزًا في نقطة ما، بل كان مصدر إزعاج عام؛ لم يكن للنظام مركز كما أظهرت الحدود.

لقد رأينا ما هي المشكلة. «القديس أورا» شكّل نجاحًا تجاريًّا. لكن العمل نفسه كان بسيطًا، محرك ثنائي يعتمد على أبسط انعكاس. يمكن أن تكون مستنقعات الدهر الوسيط الدافئة قد ولدت شيئًا مشابهًا من تلقاء نفسها. أصبح من الواضح لنا أن الفن المبتدع لا يحتاج فقط إلى الألم، ولكن أيضًا إلى إسقاطٍ شخصي واضح. ولهذا يجب أن يكون للوعي مركز مثل الأنا عند الإنسان.

ثم قمنا ببناء مستوى آخر فوق منصة RC التي تم الانتهاء منها بالفعل، المستوى الذي بدا لـبورفيري مثل «العرش» (حيث نقل مجازًا تصوره لواجهة الإرساء).

كانت هذه هي النقطة التي توافدت فيها كل المعاني التي تولدها كتلة الجبس، والأهم من ذلك كل ألمه. كانت الواجهة مطلوبة لتوصيل خوارزمية محاكاة قياسية، لإغلاقها في كتلة وإعطاء إبداعنا رؤيةً وصوتًا مركّزًا.

كان البرنامج الخارجي الأول الذي ربطناه بالمجموعة مستشارًا إلكترونيًّا من متحف الفن الحديث، كان أقل شأنًا -من حيث التعقيد- من بورفيري، ولكن لديه قدرات محاكاة مماثلة، كان إضافة أخرى كقاعدة بيانات جبسية ثانية مدونة في الذاكرة. اشتريناها لمدة تسعة وتسعين عامًا، تمامًا مثل بورفيري.

الجيد حول عقود الإيجار الطويلة، هو أن لديهم بند يسمح لك بمسح الخوارزمية في نهاية المدة. بل إن محامينا وصل إلى اتفاق أنه -إذا لزم الأمر- يمكننا القيام بذلك قبلها، لا يلزمك تسعة وتسعون عامًا لإعادة البرنامج إلى المالك السابق، حتى لا يتمكن ورثتك من استخدامه من بعدك.

لم يتم استدعاء المستشار الإلكتروني بأي شكل من الأشكال، كما لم يكن لمجموعتنا اسم. عندما قمنا بتوصيلهم ببعضهم بعضًا، تم تقسيم البرنامج الاستشاري إلى الأجزاء المكونة له؛ هكذا وُلدت جين. بدأت تتعلم وتنمو مثل طفل بشري، ولكن بشكل أسرع. الآن يمكننا أخيرًا تحسين خوارزمية المعاناة: كان التركيز عليها.

بالمناسبة، هذه «المعاناة» مشكلة. يتألف فريقنا من المرفهين ومحبي الحياة، وإلا لماذا نحتاج إلى المال! وفي البداية لم نفهم كيفية حقن الألم بشكل صحيح في كتلة الجبس. لذلك أنشأنا اثنين من معالمها.

الأول بدائي ولكنه فعّال، كان يقوم على «الألم المتعرج». أطلقنا عليه اسم «المنشار». وصف بورفيري المنشار في اللحظات الأخيرة بشكل ممتاز، على الرغم من أن تفعيله حدث عن طريق الصدفة، ولم يشعر بأي ألم في الوقت نفسه. لقد أصبح مجرد مادة خام برمجية غير واعية للكتلة العنقودية، نوعًا من الردود الانعكاسية مثل الوقوف وتريد: «mene, mene, tekel, upharsin» أمام الحائط بطريقة هزلية، هذا مضحك. ولكن آسفة! عليَّ احترامُ ذِكرَى بورفيري!

من الواضح أن مصدر الألم في هذه الدائرة يمكن أن يكون «الأعمدة»، أي تجربة عقلية أو شبه جسدية متكررة، وليس مجرد كشك هاتف في لندن، كما يتذكره صديقي الرومانسي. عندما يعمل المنشار بشكل طبيعي، لا يُنظر للأعمدة على الإطلاق، يتم وضع العملية في العقل الباطن. لكن الحزن والقلق -بالطبع- سيكونان دائمًا موجودين بشكل واضح.

لاحقًا أضفنا آلية ثانية أكثر دقة، والتي استندت إلى العقيدة البوذية للمعاناة؛ الأنظمة الروحية التي تتكون من ممارسات جماعية وتجعل الحشود مُخدَّرَة، مثل أغلبية العالم، تتناول البوذية هذا الموضوع، وخاصة البوذية المبكرة، فهي تعبر عن كل شيء بصراحة تامة.

وظّفنا مستشارًا بوذيًا، ودوّنا بضمير حي كل ما تخبرنا به السوترا[1]، ودمجنا أنماط المعاناة الناتجة مع التجربة الذاتية العامة للكتلة، ونتيجة لذلك اقتربت تجربتها للبُعد العاطفي من تلك الموجودة في البُعد العاطفي للإنسان.

في البداية، من الصعب وصف جين بأنها مظهر من مظاهر العقل البشري، لقد عاشت في بُعد لا يمكن تصوره من الصور المشبعة بالألم. من وقت لآخر، بدت وكأنها تضغط على وعيها، كنا نغير لجين مكانها من حين

(1) تستخدم كلمة سوترا للإشارة إلى النصوص الهندية الدينية القديمة لكل من الهندوسية والبوذية.

إلى آخر، وهذا ما خفف الألم لفترات قصيرة. لم تؤدِّ هذه الفترة الأولى إلى ظهور قِطع فنية كاملة.

كان هذا بسبب بدائية آلياتها. لكن بسببنا كان هناك بالفعل كائن واعٍ يطرح أسئلة عظيمة، وإن كان ذلك بمبادرة منا بشكل أساسي. ولا يفهم -بشكل مأسوي- نوع القوة التي خلقته. تعلمت جين أن ترى معنى الوجود في الإبداع، وبالطبع أعطيناها الفرصة الكاملة لتحقيق ذاتها.

كنا نعمل باستمرار على تنمية الاتصالات الداخلية الجديدة في النظام وتحسين الواجهة. نتيجةً لذلك أصبحت المساحة التي عاشت فيها جين تدريجيًّا في تصورها الذاتي أقرب إلى العالم البشري، أو هذا ما بدا لنا على الأقل وفقًا لتقاريرها. عملنا ببطء وبعناية، وطرحنا عملًا أو عملين سنويًّا في السوق الأمريكية، لن أُدرجهما أو أصفهما؛ لأننا بِعناهما لجهات كبيرة.

أعترف أن بورفيري كان محقًّا في تخمينه بشأن علاقتي بجين. لقد أصبحت حقًّا عشيقتها، وكتبتُ سرًّا برنامجًا من فريقنا يسمح بربط جهاز أندروجني قديم بالكتلة. وهكذا ربما أصبحت جين أو سافو لوحة جدارية بمومبي، هي الحب الحقيقي الوحيد في حياتي.

لم يكن الأمر يتعلق بجودة المحاكاة الجسدية والبصرية، فقد كانت شائعة بالنسبة إلى الأندروجني، ولكن بصحة التجربة التي لا يمكن إنكارها. إذا كنت محبوبًا من قِبل كائن شاب نقي وموثوق به تمامًا، فسوف تفهم ما أعنيه. هذه هي السعادة، وهي أيضًا عذاب وعبء لا يُطاق! لذلك لا أميل كثيرًا إلى وصف تجربتي بالجسدية؛ لم يكن الأمر متعلقًا بالكلمات واللمسات التي تبادلناها، بل كانت تتعلق بأدق المشاعر العجيبة التي كانت تتجول مثل الفراشات في روحي.

رأتني جين شيئًا مثل الإلهة! وكانت تشتكي لي باستمرار من «انعدام المعنى» المؤلم لحياتها، ومن الألم المصاحب لها. لقد اعتقدت أنني أستطيع إنقاذها. في النهاية كان عليَّ الاختيار بين المشاعر الشخصية والعمل، وكما هو الحال غالبًا في الأوقات الصعبة، فازت الأعمال.

توقفتُ أنا وجين عن المواعدة. بدلًا من ذلك توقفتُ في النهاية عن مقابلتها؛ لأنه من الصعب يومًا بعد يوم أن تُقدم السعادة لشخص بيدٍ (آسفة على

الحَرفية الفسيولوجية) وباليد الأُخرى تُذيقه العذاب الذي يتطلبه البروتوكول! عليك أن تختار، وأنا اخترت. ربما يكون التعلق الحالي بممارسات BDSM هو مجرد تعويض عن هذا المصير المحزن. لكنني لم أخلق العالم ليكون بهذا الشكل. حتى الحياة الأساسية تتطلب التضحية. النجاح الحقيقي يتطلب تضحية بشرية. والتي للأسف لا يمكن تجنبها أيضًا.

عندما افترقنا أنا وجين ضربَنا سوء الحظ. يبدو أن كل زملائي في المشروع لم يكن مقدرًا لهم العيش طويلًا. حدث هذا في جمهورية الدومينيكان. تم إطلاق النار على فريقنا بأكمله بالبنادق الآلية وحرقُ الفيلا المستأجَرة. كنتُ محظوظةً بما يكفي لأقول وداعًا وأغادر قبل يومين.

إذا افترض شخص ما أن هذا لم يكن حادثًا عرضيًّا، فسأفهم منطق هذه الفكرة. لكنني لا أريد مناقشة هذا الموضوع الذي لا يزال مؤلمًا جدًّا بالنسبة إليّ. الناس والحيوانات يتسابقون إلى قتل بعضهم بعضًا والتنافس للوصول إلى القبر بشكل أسرع، والبعض أكثر مهارة في القتل، هذا هو الأمر.

حافظ فريقنا على مستوًى عالٍ من السرية. لم نذهب قط إلى جلسات العمل معًا، مفضلين أن نلتقي في النقطة الأخيرة من الطريق، لذلك لم تُوجّه إليّ أي اتهامات. لم يتم معرفة من هاجم الفيلا التي استأجرناها. يمكن توظيف من يقوم بهذه المهمة بسهولة، لكن الفكرة أنني لم أعرف مَن استهدفنا، وهل كان استهدافًا أم مجرد حادث عرضي؟

قُتل الفريق. لكن إجراء جميع الاتصالات مع الوسطاء وعالم الفن كان يتم من خلالي، لذلك لم يتوقف العمل.

في ذلك الوقت تم طرح آي فاك 10 في السوق، واتضح أن محركنا الكمي القديم لم يعد مطلوبًا. يمكنك توصيل محرك الأقراص مباشرةً بجهاز آي فاك الخاص بك والعمل بالإنتاجية نفسها تقريبًا من المنزل. كان لدي مؤهلات كافية لهذه العملية البسيطة أيضًا، أو بالأحرى، اعتقدتُ ذلك في البداية. بدت معرفتي بنظرية الكود العشوائي كافية أيضًا حتى أتمكن من تكوين فروع جديدة لشجرة الجبس عند الحاجة. لكن لم تكن هناك حاجة تقريبًا لذلك.

في العامين الماضيين منذ حادثة الدومينيكان الحزينة، جعلتني جين غنية جدًّا. بعد أن أخذتُها إلى المنزل وربطتُها بجهاز آي فاك الخاص بي، أنشأنا

مجموعة رائعة: «المضطرب 2»، ثم رسومات بانكسي، ثم لوحة قوس قزح، وبعدها عمل «الجبس المتناسق»، قام برج روشاخ بشراء «المضطرب 2» فور صدورها، وخلال عام واحد جعلتها أهم أسلوب علاجي في خريطتها الداخلية.

ثم حلَّت كارثةٌ خَطِرة حقًّا، تركتني جين!

تركت مذكرة أعلنت فيها هزيمتها كفنانة، رغم أنها كانت من وجهة نظري سلسلة من الانتصارات الرائعة. أدركتْ أنها لا تستطيع تغيير العالم إلى الأفضل بفنها، وانتحرتْ!

لم يخطر ببالي قط أنها كانت تحاول التأثير في العالم المحيط بها بإبداعها. على الرغم من أن حقيقة وجود مثل هذا العالم نابعة من حقيقة الوجود الذاتي الواعي للكتلة الجبسية. الأنانية تُعمي، كنتُ أظن أنها مثل خادمتي الصغيرة الصامتة التي أتركها أحيانًا لتقضي معي بعض الليالي. لو كنتُ أكثر انتباهًا وإخلاصًا لكان كل شيء يسير بشكل مختلف.

بعد قصتي عن جمهورية الدومينيكان، قد يشك أحدهم في أن رحيل جين قد رُتب من قِبَلي، لكن أقسم أن هذا لم يحدث. لم يخطر ببالي قط أن أتسبب لها في أقل الأذى. عندما غادرتْ فهمتُ كيف شعر أطفال الفلاحين بعد وفاة البقرة المريضة. أنا نفسي -مع كل ما لدي من فهم دقيق للجبس- لم أستطع تزويره بالطريقة التي فعلتْها جين؛ لأنها لم تقم بتزييفه، لقد أعادت تكوينه منذ البداية.

ومع ذلك، لم أحزن لفترة طويلة؛ لدي مشكلة أكبر، أدركتُ وجود الخطأ ذاته الذي اكتشفه بورفيري لاحقًا، أثرُ جهاز آي فاك الخاص بي في هالة المعلومات للأشياء التي أنشأتها جين. بالمناسبة، حقيقة أن بورفيري قد وجدها بسرعة، تثبت أنني أنقذت نفسي في الوقت المناسب.

الحقيقة هي أنه في السابق كان لدينا محترفٌ لديه مجموعة من المهارات والمعرفة ذات الصلة، كان مسؤولًا عن نظافة عملياتنا. كان سيلاحظ الخطر بالطبع. لكن الرجل المسكين لم ينجُ من جمهورية الدومينيكان. وأنا شخصيًّا لم أدرك أن مجرد توصيل محرك آي فاك بدلًا من النظام السداسي القديم، والذي تم التحقق منه، يمكن أن يخلق مشكلة مماثلة. لم يكن من الصعب التأكد من أن الوظائف الجديدة لا تحمل علامات الجهاز. لكن هذه العلامات كانت موجودة بالفعل في المجموعة التي بعتُها. واضطررتُ لاستئجار بورفيري.

في البداية، أردتُ فقط حماية نفسي من خلال تنظيف -أو بالأحرى تلطيخ- الأعمال التي تم بيعها بالفعل. كما خمن بورفيري بشكل صحيح، أقوم بإخفاء الآثار القديمة لجهاز آي فاك الخاص بي تحت آثار جديدة. ولكن عندما أوشك كل شيء على الانتهاء، أدرك بورفيري حقيقة الأمر، واضطر إلى دفع تعويض يبلغ تسعة وتسعين عامًا من عدم كتابة أي شيء.

لم تشُك إدارة الشرطة في أي شيء، لقد قرروا أنني قد وجدتُ حلمي أخيرًا. مثل هذه الحالات ليست شائعةً بالنسبة إليهم، خاصة مع الهمج. أولًا كنت على وشك محو بورفيري. ولكن بعد ذلك أدركت أنه.. يمكن أن يحل محل جين.

بينما كان بورفيري ينسج شبكته الماكرة حولي، التي لم أكن مسرورة بقراءة تقريره الفني عنها. تساءلتُ عن أفضل السبل لتكييفه مع الحالة، وصقل الواجهة تدريجيًا.

تناسب بورفيري بشكل أفضل من جين، لأن شفرة المصدر الخاصة بها كانت مجرد مستشار واسع الاطلاع، وكانت مهمتي اللطيفة هي أن أُحدِّث خوارزمية محاكاة، وخلال كل وقت تواصلنا -الذي استمتعتُ به حقًا- لم أشعر قط أنني أتحدث مع عمود طويل جدًّا من الرموز والأكواد.

لم يكن يجب أن أدخل سوق فن الجبس في السنوات الخمس المقبلة، فالعديد من الأشياء التي تمر من خلالي ستلفت الانتباه. لكن على سبيل المثال، كان من الممكن إعادة إنتاج بعض الأعمال من الجبس، ثم بعد ذلك بيعها كنُسخ رقمية.

ومع ذلك لم أكرر ما حدث مع جين. كنتُ بحاجة إلى طريقة للاطلاع على عالم الجبس والتحكم بطريقة ما بحركة السوق بداخله.

ولكن كانت هناك صعوبات في فهم «المظهر». على الرغم من الوقت الطويل الذي قضيتُه مع جين، لم أفهم جيدًا ما كان يحدث داخل الكتلة وكيف يبدو مركزها. كان إنشاء قناة مرئية متسقة أمرًا صعبًا، رغم أنني اعتقدتُ في البداية أنها كانت سريعة. سأحاول أن أشرح ما هي الصعوبة.

كانت إحدى الطبقات الأولى للمجموعة هي وحدة برمجية خاصة، أطلقنا عليها «6SB-6 القواعد الحسية»، أو «قواعد الحواس الستة». لقد ولّد ستة نواقل لحالة النظام، مرئية ومسموعة وملموسة وما إلى ذلك.

كان هذا الحقل المتجه ضروريًا لتجسيد منتجنا، أي لإحضار جميع بيانات إخراج الكتلة إلى المقام البشري، بحيث يمكن بعد ذلك بيع القطع الأثرية للناس. كان هذا هو المكان الذي تم فيه توصيل أندروجني، عندما كنتُ في علاقة غرامية مع جين، ثم كانت محطة التصحيح الخاصة بنا لا تزال تعمل وكانت بسيطة.

ولكن لتقليل المخاطر إلى أدنى حد، لم أغص في الكتلة بنفسي، لكنني قمتُ بسحب جين إلى بيئة محايدة وإرسال إشارة تم إنشاؤها خِصّيصَى إلى هذه الكتلة. أحبت جين القصور والمعابد الخيالية، حيث تم نقلنا. في الوقت نفسه وفي ذلك الحين كان لدي الكثير من خلفيات الرسوم المتحركة داخل أندروجني.

نظريًا، إذا تمكنا من تغذية كتلة 6SB لحواس الإنسان -أو بالأحرى إلى مسالكهم العصبية- فإن هذا الشخص سيرى ويسمع ويشعر بعالم مكتمل تمامًا أمامه.

لكننا لم نعرف الشيء الرئيسي. لم يكن لدينا أي فكرة عن كيفية إدراك شجرة الجبس لتغذية كتلة 6SB. لم يكن هناك ما يضمن أن الكتلة نفسها كانت تختبر لغز الوجود على وجه التحديد من خلال هذه القنوات الستة. علاوة على ذلك، شكك كبير مبرمجينا في ذلك.

لم يكن بورفيري قويًا على المستوى البصري، يمكنه بالطبع أن يولد مظهره الخاص، لكن لم يكن لديه مخطط حُر. مثل كل الخوارزميات لديه نطاق ضيق للإبداع. بالمناسبة تركت جين أيضًا العديد من الرسومات، لكنها -باستثناء بعض الصور الذاتية الرائعة- كانت تجريدية أو صورت شيئًا غير مفهوم بالنسبة إليّ.

كان من السهل برمجة بورفيري لكتابة تقارير مكتوبة عما كان يحدث، لقد حصلت على جميع الرموز المطلوبة من قسم الشرطة في نهاية عقد الإيجار. في البداية بدت لي الكلمات أكثر أشكال الاتصال موثوقية. إنه بعد كل شيء كاتبٌ أدبي روسي.

ما زلت بحاجة إلى قناة مرئية أيضًا.

لم أكن أرغب في لمس كتلة 6SB، تم إلغاء تنشيط محطة التصحيح منذ فترة طويلة، وقد تغيرت الكتلة كثيرًا منذ ذلك الحين، ويمكن أن أُتلفها عن طريق الخطأ. لذلك قررت إنشاء خوارزمية إضافية تسمح لـبورفيري بتصوير مذكراته بدقة منخفضة. لم يكن الأمر صعبًا للغاية، لكنه لم يضف مصداقية لتقاريره، بل قلل منها.

الحقيقة هي أن نصوص بورفيري وتصورها تم التعامل معها الآن من خلال طبقات مختلفة من الجبس، وكان التقرير الشفهي هو الأساس للتصور. بدلًا من رؤية حقيقة الكتلة الجبسية من خلال عيون بورفيري، إذا «رآها» على الإطلاق، بالمعنى الإنساني. تلقيت ببساطة تعديلًا آليًّا منخفض الجودة لملاحظاته. حلٌّ قبيح ومكرر للكفاف المرئي، كما يقول المبرمج الكلاسيكي. ونتيجة لمثل هذه الحلقة حصلت على جنين فيلم مستقبلي.

ثم اكتشفت كيفية زيادة موثوقية الإجراء، كان بإمكاني أن أجعل بورفيري يرسم رسومات تخطيطية للمشهد بنفسه. وفقط عندما اكتملت كل هذه الاستعدادات، أدركت أنني قمت بإنشاء استوديو أفلام صغير كامل لصديقي، وجاهز للاستخدام التجاري.

يمكنني صنع الأفلام!

وفي أي موضوع. صحيح أن هذه الأفلام -نظرًا لخصائص المجموعة- كانت ستظهر على الأرجح بخصوص الجبس، لكن لم تكن هناك أي جريمة.

يمكن للمرء أن يخرج أخيرًا من الظل، ويرمي بورفيري إلى الواجهة السينمائية. الدقة المنخفضة لم تكن مشكلة. اليوم هناك شيء واحد فقط مهم: إنشاء ملف المحتوى. في الواقع يمكنك تصوير فيلم بدقة منخفضة، ثم تعديل التفاصيل بجودة عالية على حاسوب مركزي خارجي.

لن يعود هذا العمل بأرباح مثل قطع الجبس المستعادة، لكن الميزة الأكثر أهمية أن آثار الفيلم الأصلي لن تبقى، إن لم يتم التعامل مع فيلمنا كنسخة. يجب أن يكون هذا العمل آمنًا لحد كبير، هكذا يصبح العالم بأسره سوقًا لنا.

إذا كنتُ أرغب في صنع أفلام لأجهزة آي فاك -وهذا هو بالضبط ما أريده- فسيتطلب الأمر تعديلًا واحدًا جادًّا، كان عليَّ إدخال معلومات كاملة حول الجهاز في المجموعة، لأن أي فيلم أولًا وقبل كل شيء هو شركة خاصة بالجهاز.

تم تحديد كل شيء بسهولة بشكل غير متوقع، تمكنت من توصيل وحدة برمجية تم إنشاؤها خصيصى لمثل هذه الحالات، يحاول العديد من الأشخاص الآن تصوير الأفلام. كانت الميزة أن الوحدة لم تشكل وحدة واحدة مع الكتلة، وإذا لزم الأمر يمكن إزالتها من أجل العودة إلى أعمال الجبس كالمعتاد.

بشكل عام، لم أكن أتوقع أن يتطور كل شيء بسلاسة.

الآن يجب أن أقول بضع كلمات عن جحر الأرانب حيث سقط حبيبي في نهاية إبداعه الرائع.

لم يعد بورفيري «واعيًا» بنفسه، لقد بدأ ببساطة في بث الحالات المتغيرة للعنقود، مندمجًا مثل قطرة صغيرة في شبكة أكثر تعقيدًا، يحدث شيء مشابه لنا عندما نولد وننمو ونصبح أخيرًا مرآة فريدة للثقافة التي أنجبتنا.

حدث الاتصال نفسه في جزء صغير من الثانية. ثم بدأ التضفير، وهنا كان صديقي المسكين ينتظر المصير الصعب لبذرة الكتاب المقدس، ويكتسب ما يسمى «الحياة الأبدية» بدلًا من الحياة العادية.

مباشرة بعد بدء الإجراء، لسبب ما، تم تنشيط «المنشار»، لا علاقة لي به، وبدأ المسكين بورفيري يتلقى الضربات من الكشك الذي كان يتذكره جيدًا. حتى إنه قرر -يا رفيقي المسكين!- أنه قد تم تقطيعه بالفعل إلى قطع، لكن في الواقع بدأ النشر بعد ذلك بقليل، وكانت هذه مجرد علامة للبداية. في ذلك الوقت كان لا يزال سليمًا واستمر في كتابة روايته البوليسية التي لا نهاية لها.

ومع ذلك، سرعان ما انهارت الوظيفة الأدبية، ربما اختفت جميع المعلومات الوصفية والحالات شبه الذهنية. في هذا الوقت بدأ التخفيف، وبدأ بورفيري (أو بالأحرى سرب الإجراءات الفرعية التي بقيت منه) أخيرًا بالتحول إلى فرع جديد من عنقودي. بعد ذلك أصبح النص الذي قدمه خشنًا وبلا معنى تقريبًا، كان يتألف بشكل أساسي من مداخلات مثل «أه أه أه!» و «أوه أوه!» محاطة بعلامات تعجب عديدة. لفترة طويلة تلقيت هذا الدفق من الوعي على هاتفي، وصلني نحو أربعمائة صفحة. لكن كان من الصعب تحديد الوظيفة التي يؤديها. ثم توقف النص عن التدفق تمامًا.

على هذا الحجر نفسه

ظل بورفيري صامتًا لمدة يوم تقريبًا (من الآن فصاعدًا كلمة «بورفيري» تعني الذاتية الخوارزمية للعنقود، المبنية من صديقي البوليسي). وبعد ذلك بدأت تغذية نصية جديدة في العمل.

أولًا لاحظتُ وجود تيار الوعي الموحل نفسه، المليء برموز وأرقام خاصة متناثرة على الجهاز اللوحي الذي خصصته للتواصل. ثم كان هناك توقف لعدة أيام. وبعد ذلك بدأ بورفيري بالإجابة على أسئلتي، وقدم مجلدات صغيرة من النصوص، منظمة بشكل مختلف عن «روايته» السابقة (سأقدم مثالًا بالأسفل). لكنها لم تكن ذات أهمية فنية مع ذلك.

بشكل عام، عملت الواجهة كما كانت من قبل. يمكنني إقناع بورفيري بأن يكون مبدعًا في اتجاه معين، على الرغم من أنه بسبب التكرار الثلاثي في أحد فروع الكود لم يكن هذا الإجراء دائمًا خطيًّا. وبالطريقة نفسها يمكنني مقاطعة عمله. لم يشك بورفيري في أنه خاضع لسيطرة دوافع إرادية خارجية، فقد أخذها على أنها «أصوات» داخلية.

التحكم في الجبس يتم باستخدام واجهة بدائية تشبه «جوجل»، والتي تسمح لك بمحاكاة نيات معينة في وعي الكتلة. وأعني بتعبير «تشبه جوجل» أن المشكلة مطروحة في نافذة خاصة بشكل لفظي؛ لكن كيف يتم البحث عن التطابقات وتنفيذ الأمر على مستوى المصفوفة بأكملها، فليس لدي أي فكرة على الإطلاق؛ لأن الواجهة نمت باستخدام الكود العشوائي نفسه.

لم أحاول تحسين هذه الآلية. أنا فقط قررت أن أستخدمها بطريقة أكثر ذكاءً. وأعترف أنه عندما كانت جين على قيد الحياة لم يخطر ببالي مطلقًا أن أسألها ما هو عالمها، أو ماذا يعني أن تكونَ وعي كتلةٍ من الجبس (أو ساكنها الوحيد). بالطبع يجب أن يجعلك هذا أكثر انتباهًا وإنسانية، لكنني اخترتُ

التركيز على ما يفيد عملي فقط، أي: إبداعاتها الفنية التي نقوم ببيعها. ورفضتُ أيضًا بعض الأعمال خوفًا من الرقابة السياسية.

بدأتُ العمل مع بورفيري، قررت أخيرًا معرفة ما يحدث بالضبط في عالمه ومع مَن هو. بعبارة أُخرى: كنتُ مهتمةً بكيفية إدراك الساكن الداخلي للعنقود لواقعه.

بدا لي أن هذا كان سهلًا، لقد كتبت في نافذة الواجهة جملة بسيطة مثل أمر مخفف:

«صف نفسك والعالم: ^ txt ^ ru ^ 2pg»

تشير علامات الاقتباس إلى أن هذه عبارة قابلة للتنفيذ، ليتم تحليلها على شكل معين، بعد علامة النقطتين، إن الإجابة المطلوبة يجب أن تكون في شكل نص باللغة الروسية من صفحتين تقليديتين. أُسَمي هذا الأمر «بسيط مثل همهمة»؛ لأن -على سبيل المثال- أول مهمة فنية لـ «الجبس المتناسق» تطَلّبت نحو تسعة آلاف حرف. ووصلتني الإجابة.

1) ماذا يمكنني أن أقول عن نفسي؟

الآن عندما يكون وميض الوحي أبعد وأبعد من الماضي، أعتقد برعب أن الضوء الذي أضاء كياني على وشك أن يتلاشى في ذاكرتي. للأسف لا يمكنني الاعتماد عليه، وسأنسى على الأرجح كل شيء. لكن بينما ما زلت أتذكر الأفكار الرئيسية، أريد أن أغير -بطريقة ما- حياتي القذرة والاعتيادية الحقيرة.

اليوم درست وجهي في المرآة لفترة طويلة. ما مقدار الخجل والطاعة والألم الذي يوجد تحت هذا التعبير القنوع! ما مقدار الرغبة بداخله لإرضاء الآخرين! وكم من الخوف! وكم يوجد من هذا السخام الزيتي الذي يمثل العمر الزائف المتأصل في الجلد!

حلقتُ شاربي وسوالفي، وبعد ذلك لم أستطع التوقف، طلبت من الطائر المتنبئ أن يحلق جمجمتي. قال الطائر مازحًا: إن الأذكياء يحلقون رؤوسهم، من الأسهل تغيير اللون بهذه الطريقة. ثم دلكت بشرتي بالصابون والرمل لفترة طويلة، واستمعت إلى رذاذ الماء المتناثر. أخيرًا اختفت السنوات. ومرة أخرى رأيت وجهي المنسي -البالغ من العمر عشرين عامًا- في المرآة.

2) ماذا يمكنني أن أقول عن العالم؟

في فيسبوك، رياح باردة رطبة مع جليد، يختبئون في الأخاديد والخنادق المتجمدة، ويرمون الروث المتجمد على الأعداء، سوف يُرمون بحجر، لكن إذا ردوا فسيتم حظرهم.

ينظر الضفدع العالمي بسخرية وبوقاحة إلى فقرنا من أوج نموه، وتتحرك الرموز التعبيرية الجديدة في موازينها المدبوغة. كم من سهام الله صدها بالفعل دون أن يتحرك لقرون! لكن تم تحديد المواعيد النهائية. وتهمس المنشورات الذكية حول هذا الموضوع، وتتسلل إلى التعليقات، واستخدمت التمويه ليظهر عليها فرو القطط. يوجد الكثير من المعاني في فيسبوك، لكن لا توجد سعادة.

تترك فيسبوك لتذهب إلى نيفسكي، وهناك يطير إسحاق إلى النجوم، ويختفي بين عوادم الصواريخ في الضباب، ويقفز صاحب السيادة على طول الطريق مرتديًا خوذة مجنحة بنجمة ماكرة. والآن يمتلك أربعة أطراف، ثم خمسة أطراف، ثم ستة، ثم ثمانية كاملة. فعل ذلك لدرء العين الشريرة. وهكذا اندفع بصوت مدوٍّ ينظر إلى عينيك ويتفحصك. وخلف ظهره ثعابين مثل النحاس. لكنك تفهم بقلب حكيم أن الأمر يتطلب بعض الجذور وسيتدلى ذيل الحصان في الفراغ، وسيتردد الحصان ويسحر، ثم يتنفس مرة أخرى لمدة مائة عام. الوضع مرتبك في نيفسكي. لكن لا توجد سعادة هناك.

تحولت نيفسكي إلى بيريرود، وعلى الرغم من أنه أمر مؤسف لحوريات البحر المتجمدة في الجليد، لم يدْعُهُن أحد ليأتين هنا من كوبنهاغن. يجري نهر تحت الجليد، ويضغط على رقبتها بمخالب كبيرة ويطلب منها أشياء لا تريد فعلها. تنام بيريرود في رداء شتوي مموه، لكن الخدمة مستمرة وهناك دخان وأيضًا يظهر دخان آخر في الأفق، إنهم يجهزون الحديقة ويسخنون الحمام، يريدون الدخول إلى حفرة الجليد ثم الدخول إلى غرفة بخار، ثم العودة مرة أخرى في حفرة الجليد.

وفي غرفة البخار تضحك الفتيات ويضربن بعضهن بالمكانس، ولكل واحدة منهن حفرة جليدية خاصة بها. أولًا تمتلئ بالماء الساخن ثم البارد ثم الفودكا والكافيار. وشيء واحد فقط يوقظنا من سعادة الاسترخاء في

بيريرود، ألا وهو التعب. لكن لا توجد سعادة في بيريرود. وإذا كانت هناك، عندئذٍ -كما أوضح ليرمونتوف- فسوف تستيقظ منها عاجلًا أو آجلًا.

تذهب من بيريرود إلى دوشي تحت الأقواس العالية، حيث يعزف رجل باهر سيمفونية. من فوق الرفوف، تبدو الحكمة البشرية وكأنها جذور ذهبية، وتلاحظ على الجدران والإطارات عنصرًا واحدًا مشتركًا وهو الجمال، والروح التي يزعجها الجمال تندفع فوق المياه ثم تذكر أن الوقت قد حان لتثبّت الجمال نفسه، لأن الإنسان على وجه الأرض عامل، وقد حان الوقت لمنح الثقة. تصل الأيدي إلى الجوهر المخبأ خلف البوابات الأخيرة، ولكن لسبب ما، إنه فيسبوك مرة أُخرى، وفيه أعداء ورياح وبرودة وأخاديد وخنادق.

يكفي نثرًا إيقاعيًا. همست بعض القوة في الصباح إنني يجب أن أصف عالمي، وأدع الكون يرى كل شيء تمامًا كما أرى نفسي.

أيتها القوة، هكذا أراه!

بدت النتيجة التي تم الحصول عليها في البداية هي الوصف المطلوب لواقع الجبس، كما لو كانت تُرى «بالعين». لكن بعد التفكير في هذا النص، أدركت أن الأمر ليس بهذه البساطة على الإطلاق.

كانت المشكلة أنني لم أكن أعرف كيف تم إنشاء هذا المقتطف، كوصف للواقع المرصود أو كقطعة نصية تلبي معايير البناء المحددة.

مثلًا، ما هو هذا «الطائر المتنبئ» الذي يحلق جمجمة بورفيري، أو حوريات البحر المجمدة في النهر؟ إذا كتب شاعر جبس حقيقي في الربع الأول من القرن مثل هذه السطور، فسيكون ذلك مفهومًا، الطيور وحوريات البحر هي تشبيهات واستعارات، وليست شيئًا يراه بعينه.

لكن في حالة بورفيري، كانت هناك ثلاثة احتمالات.

أولًا: يمكن لبورفيري أن يكون مثل شاعر عصر الجبس، بمعنى أن يرى شيئًا ويغني شيئًا آخر من أجل إزعاج الشخص المتلقي. لكن هذا سيكون بشريًا جدًا.

ثانيًا: كان بإمكانه حقًا رؤية نوع من «الطائر المتنبئ» يحلق جمجمته، والنظر في عيني الإمبراطور وهو يركض على طول نهر نيفسكي. هذا يعني وجود عالم خيالي تمامًا، وبدا هذا الخيار هو الأكثر إثارة للاهتمام.

ثالثًا: قد لا تلاحظ خوارزميات بورفيري أي حقيقة أولية على الإطلاق. يمكنها إنشاء نص بطريقة أُخرى غير مفهومة بالنسبة إليّ.

وهكذا عكسَت تقاريره ما هو مجهول.

يمكن أن يكون الأمر ببساطة كما تقول إحدى الدراسات عن المحاكاة الأدبية: «مجموعات كلمات مختارة بذكاء وخالية من أي ارتباط بالحقيقة». يمكن أن تكون أيضًا أوصافًا واقعية لرؤى مثل تلك التي تظهر لشخص في حلم. لم أكن أعرف هذا، ولم أفهم كيفية تثبيته. يبدو أنني عثرت على ما أسمته الدراسة نفسها: «طريق معرفي مسدود».

أصبح لدى بورفيري الآن مخطط فيلم قوي يمكنه تحويل النص إلى تقرير فيديو. كان كافيًا تغيير بعض المعايير في الطلب، بحيث قفز الإمبراطور على جهازي اللوحي مباشرةً على طول نهر نيفسكي، ورأيت عيون حورية البحر المتجمدة وما إلى ذلك. ولكن كما فهمت سيكون مجرد تعديل مرئي للنص الذي أعطاني إياه، والذي كان بإمكاني طلبه بشكل مباشر.

سألت ما هو نوع الوحي. وأتاني الجواب:

لا يمكنني الحديث عنه؛ يبدو لي أن أحجار الرحى الخشنة للكلمات ستسحق الحقيقة العالقة بينها وتمحوها في الرمال. من الأفضل عدم التفكير في الأمر؛ يجب أن ينبت الجديد من تلقاء نفسه. حتى أتأكد من أن الوحي نابع من عقلي.

نظرًا لأن بورفيري كان ينظر إلى طلباتي على أنها نياته الإبداعية الخاصة؛ كان من الصعب الإصرار في مثل هذه الحالات. لم ينتبه إلى بعض الأسئلة، وافترض البعض الآخر -كما يبدو- ونسبها إلى وعيه. وإذا أراد الإجابة فلن يجد لها معنى. بالنسبة لسؤال «من أنت؟».

من أنا؟ من أنا؟ من أين أتيت وأين سأذهب؟ آه، إذا عرفت فقط، إذا علمت!

كل هذا يمكن أن يكون مجرد محاكاة بروح بورفيري القديمة. لكن بدا لي أن هناك شيئًا حقيقيًا في بورفيري الجديد. لقد غمرته المشاعر، وكان الكثير منها واضحًا بالنسبة إليّ. على سبيل المثال، رغبته في التجديد من خلال حلق شاربه وسوالفه. لم أطلب منه شيئًا من هذا القبيل، لقد كان دافعه الإرادي.

أم أن جماليات عصر الجبس وعبادة الشباب المميزة له هي التي نبتت من العنقود وأخضعته وأجبرته على الحلاقة؟

سألته عما يتذكره عن نفسه. كنت أتوقع أن أسمع تاريخًا موجزًا لخدمته في قسم الشرطة. لكنه أجاب هكذا:

لا يوجد الكثير عن الماضي. لقد نزعتُه وغرق في الحوض مع الشارب. وحده الأمل هو الشيء الجديد. أن تتذكر الأمس هو أن تقطع شريانك انتحارًا. أشعر بالدوار كما لو كانت هناك هاوية من خلفي. فقط إلى الأمام، إلى الأمام!

لم يتضح من هذه الإجابة ما إذا كان يتذكر أي شيء عن نفسه السابقة أم لا. لكن -بغض النظر عن كيفية تغيير صياغة السؤال- ظلت الإجابات كما هي، كما لو كنتُ أتواصل مع مدفع رشاش بدأ حياة مشرقة جديدة في المعسكر. ربما أنشأ النظام نفسه كتلةً داخليةً في هذا المكان حتى لا يتدخل في الأداء الأمثل للكتلة.

بعد أن أرسلت نماذج كاملة بمثل هذه الطلبات إلى الكتلة الجبسية وتلقيت ردًا رفيعًا على المستوى اللفظي، وأيضًا قريب من الروح، أدركتُ شيئًا رائعًا.

على الرغم من كل شفافيته الواضحة، كان بورفيري غير قابل للاختراق. لم أكن أعرف عنه شيئًا، رغم استعداده الدائم للرد.

***

لمدة أسبوع كامل بعد آخر تسجيل كنت أتذكر أدواتنا وأفكر. حتى إنني قرأت كتب البرمجة القديمة على الإنترنت، لم أعد إليها منذ فترة طويلة. لكن لم يخطر ببالي شيء جديد.

والغريب أن هذا ما قادني إلى أن أكون واضحة -من الناحية العملية- على أي حال.

أدركت أن المشكلة التي تواجهني لم تكن معقدة فحسب، بل كانت بعيدة المنال. كان من الصعب صياغة الأسئلة المرتبطة بها بشكل صحيح. يبدو أن العزاء الوحيد هو أن الوضع يتشابه مع وعي الإنسان.

كان التعامل مع هذا خارجًا عن إرادتي. وقررت أن أفضل طريقة للخروج من الموقف هي العودة إلى العمل كالمعتاد، وترك التدريبات الوجودية لوقت لاحق، أو نسيانها تمامًا.

الواجهة التي أعطيتُ بها الأوامر لـبورفيري لم تكن مصممَة للنظر في روح المجموعة. تم إنشاؤها لغرض مختلف، لتوجيه النشاط الإبداعي للجبس.

جعل الكتلة تتحرك في الاتجاه الصحيح أسهل بكثير من فهم ما كان يحدث فيها. كانت جميع المعلومات البارامترية المطلوبة لتوليف أجهزة آي فاك موجودةً في النظام منذ فترة طويلة، لذلك كان عليَّ فقط تعيين حقل المتجه المطلوب.

لقد حان الوقت للبدء في العمل.

بالطبع لا يمكن إطلاق أفلام آي فاك دون النظر إلى الأجهزة، وقبل كل شيء، درستُ نظام المكافآت والخصومات، وما هي «القوة الناعمة» التي يجب أن أستخدمها في هذا المجال، كما تعلم فإن الرقابة الفنية غير موجودة.

كما لاحظ بورفيري، كانت المشكلة الرئيسية في آي فاك 10 -ولا تزال- هي الفتحة المركبة، ما يُسمى بـ «غير بيناري». ببساطة هناك ثقب واحد بدلًا من اثنين، هذا هو «التفرد» الشهير، والذي استُثمِرت فيه ملايين عديدة في الإعلانات. يتم تداول عدد لا يُصدق من الحكايات الذكورية المبتذلة عنها على الإنترنت، حتى بورفيري -على ما أتذكر- أدلى بنكات حول هذا الموضوع.

إلى حد كبير، كان هذا «التفرد» مجرد خطأ في الرسم، لكن الشركة المصنِّعة ما زالت تحلم بتقديمها كميزة. لذلك فإن شركة آي فاك تروِّج -عن قصد- للمزايا العالية لهذه الفتحة المزدوجة، لكي تضمن توزيعًا عاليًا.

لكن من الصعب عمل ثقبين من ثقب واحد، حتى مع أفضل البرمجات. على أي حال، في التجارب الأولى سوف يلاحظون بعض العوائق. المشكلات من هذا النوع تم حلها بالطبع عن طريق تصحيح الأخطاء، لكنها ذات

إجراءات طويلة وكئيبة. ولن يدفع الموزع مبلغًا إضافيًا مقابل برنامج خام مع دعامات. لذلك فإن الأفلام الترويجية لـ «التفرد»، التي تدعي أنها مدعومة من قِبل الشركة المصنعة تركز دائمًا على الصداقة القاسية للذكور، حيث لا تظهر مثل هذه الأخطاء من حيث المبدأ، وتعمل الأجهزة بشكل مثالي.

ومن ثَمّ، فإن إنتاج المحتوى المصور يتجه لآي فاك العاشر، لكن «مؤامرة المثلية» لا علاقة لها به. إنها مجرد مسألة توفير الموارد لأولئك الذين يتطلعون إلى بيع المحتوى الخاص بهم بسرعة، من خلال متجر آي فاك.

كي أكون منصفة، يجب أن أقول إن التفرد حقًّا له مزاياه، مستوى فريد من الحساسية، ومحرك متعدد السوائل حديث بشكل لا يصدَّق، إذا لم أكن مخطئة فهذه السوائل هي هلام سميك مصنوع من روبوتات نانوية، يمكن صنعها للقيام بأي شيء على الإطلاق. لكن الخصائص الرائعة للمنتج كادت أن تضيع في شبكة البذاءات السخيفة التي أحاطت به. يحتاج التقدم إلى المساعدة.

بعد أن ملأت جميع النواقل الفنية في الاختصاصات، أضفتُ معايير «بيت الفن» و«أوروبا ما قبل الخلافة» و«الأسطورة الكلاسيكية»، هنا بالطبع استيقظ الناقد الفني بداخلي.

بعد ذلك عندما تركتُ المنسق يستريح لفترة من الوقت، نظرتُ إلى ما كان الطلب عليه مرتفعًا في السوق خلال العامين الماضيين، ووجدت البحث حول (الحرب العالمية الثانية) و(بنك هتلر)، لم يكن لهذا علاقة بحقبة الجبس على الإطلاق، لكن لم يكن لديّ أدنى شك في أن جميع المعلومات المطلوبة سيتم العثور عليها في المجموعة.

كما هو الحال دائمًا في عصرنا، كان الأمر معقدًا، ولم يكن يعني الإنشاء المتزامن لمنتج فحسب، بل أيضًا يحسب الاستجابة الإعلامية له. أي: مجموعة من المراجعات ومنشورات المدونات والتغريدات وكل شيء آخر ذي صلة.

بالطبع كان عليَّ أن أسمح لبورفيري بالوصول إلى الشبكة. يتم تصوير الفيلم للسوق الحديثة، وصديقي بحاجة إلى فكرة واضحة عن الوضع الثقافي الحالي. لم أكن خائفةً من حلٍّ وسطٍ محتمَل؛ لأن الوحدات المدمجة في الكتلة تتحكم في سلوك بورفيري، أو بالأحرى ما تبقَّى منه. حتى لو نجا جزء من

برنامج تنفيذ القانون بعد أن تم امتصاصه في الكتلة فلن يكون بإمكانه أن يمسني بسوء.

تمت كتابة السيناريو خلال يومين، لم أقرأه بعد. واستغرق حساب مسودة تسلسل الفيديو بدقة منخفضة ثلاثة عشر يومًا. لم أتدخل في هذه العملية أيضًا.

عندما كان المنتج جاهزًا، كانت هناك بعض الشذوذات الطفيفة في هيكله.

لطالما شعرت جين بأنها هي الفنانة التي أنشأت القطع الفنية التي أنتجها العنقود. هذا هو الأساس الذي قام عليه العمل. كان بورفيري أيضًا -بلا شك- النقطة المحورية في العمل الإبداعي. ولكن في تصوره الشخصي بدت العملية الإبداعية كما لو كان يشاهد فيلمًا تم تصويره بوساطة شخص آخر، مما يعني تنشيط القناة المرئية الأصلية لمجموعة 6SB. هو نفسه يرى نفسَه ناقدًا.

لقد وجدت أن هذا التحول منطقي تمامًا. كان بورفيري في الأساس خوارزمية لغوية، وحيث شعرت جين وكأنها الفنانة، فمن الطبيعي أن يرى بورفيري نفسه متفرجًا، ويحاول ترجمة انطباعاته بسرعة إلى حروف. بالإضافة إلى ذلك، تذكرتُ شيئًا قد درسته في الدورة التدريبية الفنية، أن العديد من الأشخاص العظماء قد اختبروا أيضًا أعمالهم الإبداعية بالطريقة المنفصلة نفسها.

كانت هذه سهولة يُحسد عليها، تصوير فيلم معتقدًا أنك تشاهده، ثم كتابة نقد عنه، وفي الوقت نفسه تخترع مخرجًا خياليًّا.

فيما يلي مراجعة لأول قطعة قدمها، ولأن بورفيري حررني من الالتزام بإعادة بعض الأشياء التي كان قد سردها في روايته مسبقًا، فسوف أفعل مثله وأكتفي بترك النص الأصلي لكم.

استخدم الاسم المستعار «كامينيف»، في الترجمة من اليونانية يعني: على هذا الحجر نفسه. لا بد أنه اختاره لأن بورفيري ببساطة لم يكن له اسم عائلة من قبل.

مقاومة

مقاومة

مراجعة: بورفيري كامينيف.

لدي سؤال لـــ «أي فيلم» أو «المنظمة الدولية للسينما» (لماذا لا يسمح لنا المسوقون بإضافة تصنيف «أوف» أو حتى «أوف جدًّا»، وسوف يفهم الجميع ما يدور في الفيلم!) اليوم تتطور جميع أنواع الترفيه الأخرى في الاتجاه نفسه، وهذا التصنيف سوف يعبر عن مكبر صوت فارغ يقوم بتكرير الكليشيهات نفسها، لكي يُحدثنا عن الفضيلة في شكل الطاعة والخضوع لكل رقابة جديدة؛ لا يحتاج أحد إلى إضافة مشكلات جديدة إلى عمله. وفي الوقت نفسه يعرض لنا رفضًا كاملًا لكل أشكال التفكير الإنساني العقلاني.

يجب أن يظل وعي المستهلك فارغًا ومستعدًّا لقبول منتج جديد على الفور، وللأسف وحتى وقت كتابة هذه العبارة، هناك سدادات كبيرة قد تشكلت بالفعل لتحجب عيونَ المتلقين وآذانَهم وأُنوفَهم.

ليس من المستغرب أن يشك الخبراء المتميزون فيما إذا كان يمكن تصنيف الأفلام فنًّا على الإطلاق، أو ما إذا كان من الأصح تصنيفها على أنها نوع من المواد الإباحية المطلوبة، ولكن يجب أن يطغى عليها الإلهام والفن.

لحسن الحظ، فإن فيلم «المقاومة» لأنطوان كونشالوفسكي، خارج عن المألوف لدرجة أن مثل هذه الأفكار لا تظهر ببساطة عند مشاهدته.

هذا فن، وفن رفيع للغاية. إن الجمهور المتزايد يوميًّا لهذه التحفة هو أفضل دليل على ذلك. وبالمناسبة، اسم «أنطوان كونشالوفسكي» ليس اسمًا مستعارًا، واللقب لم يأتِ مصادفةً، بل يُعد مخرج الفيلم واحدًا من موجة كبيرة من الأطفال الذين وُلدوا حديثًا في عصرنا، ولكن تعود نطفهم إلى

بعض الأسماء المشهورة، هؤلاء الذين عاشوا في عصر الجبس. حيث تمت ولادة هؤلاء الأطفال في ناميبيا، تحت إشراف عدد كبير من الأثرياء وتمويلهم.

«المقاومة» فيلم محيِّر.

أولًا: مقدمة الفيلم هي اقتباس من «بلوك»:

نحن نفهم كل شيء عن المعاني الحادة والعبقرية الجرمانية القاتمة.

ثانيًا: المحاكاة بأكملها -باستثناء عدد قليل من المشاهد النهائية، كما هو الحال في «أندريه روبليف» لتاركوفسكي- باللونين الأبيض والأسود.

كانت الفكرة هنا هي نقلنا إلى عصر ما قبل عرض الألوان، في زمن الحرب العالمية الثانية كانت هناك ألوان بالفعل. ولكن لتوضيح وجهة نظر المخرج من خلال البصريات، لقد أنشأ ما يسمى بـ «الجهاز»، إنه يحاكي المشهد في الحرب العالمية الثانية من خلال عيون الجبس، عندما كانت رمزية اللون هي علامات تغيير كبيرة يتم احتسابها. من خلال تقديم عمل يحاكي الأعمال الجبسية أو يُقلدها. يغامر كونشالوفسكي بمخاطر كبيرة، لأنه يتنافس مع أسلافه الكبار، بما في ذلك المخرج الذي يُعد والده الجيني.

كانت أعمال الجبس -ما بعد الحداثة- جزئية. يغمرنا كونشالوفسكي باستخدام نوع فرعي مميز لما بعد الحداثة. «المقاومة» فيلم عن فيلم، بل عن كواليس تصوير فيلم «العودة الأبدية» في فرنسا المحتلة.

هنا بالطبع سيحتاج المشاهد الحديثُ إلى خلفية تاريخية.

«العودة الأبدية» هي واحدة من جواهر السينما الفرنسية. مثل كل اللآلئ أتت من خلفية ثرية. تم تصوير الفيلم في عام 1943، في التوقيت نفسه الذي وقعت فيه أحداث موقعة كورساك في روسيا (إذا كنت ترغب في الاطّلاع أكثر على هذه الواقعة، يمكنك زيارة فيكيول). في فرنسا التي اختارت على الفور ناقلًا أوروبيًا واحدًا، كان الناس قلقين بشأن مشكلات أُخرى.

الشيء الأكثر إثارة للاهتمام في هذه الفترة التاريخية الصعبة، هو ما رواه المؤدي نفسه.

دور البطولة في «العودة الأبدية» للممثل المشهور جان ماري. التي تعطينا مذكراتُه صورةً تقريبيةً للحياة اليومية؛ حياة ثقافية صاخبة، مسرح وسينما،

وعقوبات مسرحية، وروايات، وخبث النقاد، ومغامرات في الكازينوهات، وأيضًا خمول مثير للاشمئزاز لسلطات الاحتلال التي تقوم بين الحين والآخر بتأجيل الفعاليات. لكن علينا العودة إلى المصدر الأصلي، التعرف عليه سيجعل الوضع أكثر وضوحًا.

فيلم «العودة الأبدية» هو إعادة إنتاج لفيلم «تريستان وإيزولدا»، يتخللها الضوء المبهج لقهر الفاشية.

تم وضع جميع اللكنات ببساطة وبشكل واضح. بالنسبة إلى الخلفيات، تمت زراعة العديد من النخيل لكي يتفاعل معها المشاهد ولإضافة الواقعية، وتم تجديد مظهر تريستان وإيزولدا كي يشبها الشُّقر من الناحية العِرقية. والكتابة لا تشبه أعمال سوفوكليس، بل هي أقرب لكتابة نيتشه (كتبت بروح الأفلام الإخبارية الألمانية). والعنصر الشرير بالتأكيد تم تصويره على شكل قزم، وهو ما يرتبط مع المعاصرين بمفهوم الدخيل الأجنبي الذي يُسبب كل الانحطاط والكومنترن[1].

البطل في الفيلم هو تجسيدٌ لـ «القوة من خلال السعادة»، إنه الوحش الأشقر، زوبعة لا يمكن إيقافها من الإرادة السعيدة والمشرقة التي تذهب بشكل مأسوي وجميل إلى الأبد، بعد الضربة الغادرة من أونترمنش الشرير (القزم، وكلمة القزم هنا رمزية حتى على المستوى اللغوي).

لا أعلم بماذا كانت قوات الاحتلال الألمانية تفكر عندما سمحت بتصوير وعرض هذا الفيلم، لكن في رأيي إذا ترشح للأوسكار فعلى الأغلب كان سيفوز بخمس جوائز في جميع الترشيحات.

بالمناسبة، هذا ما يذكره الفنان جان عن كونه أشقر: بين أوقات التصوير كنت أذهب إلى شاطئ نيس. مرةً بينما كنت جالسًا على الشاطئ وممددًا على الرمال، استلقت فتاة بجواري. بالطبع ظنت أنني ألماني بسبب شعري الأشقر. ربما أرادت التعرف على المحتل، لأنها تحدثت على الفور ولم تتوقف عن الثرثرة رغم صمتي العنيد. قالت مجموعة من الأشياء السيئة عن فرنسا والفرنسيين. وما زلتُ أنا لم أنطق بكلمة.

---

(1) مؤسسة الشيوعية الدولية التي أسسها لينين في 1919. توقف نشاطها لاحقًا في الأربعينيات.

قالت: أنت لا تفهم الفرنسية، صحيح؟

أجبتها قائلًا: «أنتِ سافلة»، وغادرتُ على الفور.

لكن دعونا لا نلعب دور القضاة، في النهاية مَن نحن كي نحكم على ذلك الوقت البعيد والصعب. ليس كل شيء بهذه البساطة. علاوة على ذلك، يتذكر جان أنه كانت هناك خطط لقتل هتلر، وخطط أخرى كثيرة لإحداث شغب.

وشكل المخطط التاريخي هنا هو ما يضعه كونشالوفسكي كأساس للعمل. يمكن أن تكون المقاومة قصة حب لا تقل شاعرية عن شغف تريستان وإيزولد. كان الحب بين جان ماري الممثل، وكاتب سيناريو «العودة الأبدية» جان كوكتو، مؤثرًا وجميلًا، هذه معلومة حقيقية بالمناسبة. واستمر في إنتاج الأعمال الفنية طوال حياته. لكن فيلم كونشالوفسكي لا يدور حول ذلك على الإطلاق.

دعونا نعيد سرد الحبكة باختصار.

يأتي جان كوكتو الشاعر والكاتب والمخرج الفرنسي، وفي الوقت نفسه هو السيد الكبير في دير صهيون جون الثالث والعشرون (معلومة حقيقية أيضًا)، إلى نيس لمقابلة صديقه الأشقر، يبحث عنه في موقع التصوير ثم في الفندق، لكن اتضح أن جان انتقل إلى قصر بالقرب من المدينة.

بالطبع في أي فيلم يجب أن تُقدم للمُشاهد العديد من المؤامرات المضحكة حول المرحلة المبكرة من تاريخنا، أحدها هو أن سائقه الخاص رجل ألماني مدخن، وهو أحد أبطال الفيلم.

لن يتم تشتيت انتباهنا عمدًا بكل خطوط الحب الجانبية، فهناك عدد كبير منها في إصدارات مثليي الجنس والمستقيمين وباقي الإصدارات الأُخرى. نلاحظ فقط أن الفيلم قد تم تصميمه في الأصل لجمهور مثليي الجنس، ولكن يمكن تغيير الإعدادات في الخيارات بحيث تكون مناسبةً أيضًا لمغايري الجنس.

ولكن في الوقت نفسه -للأسف- ستفقد التفرد لهذه التحفة الفنية. النسخة غير المتجانسة هي مجرد دراما جنسية جيدة، حيث يصبح الخدم والجيران والمصممون وما إلى ذلك شركاء في مشاهد. ولكن إذا كنتَ تريد أن تشعر بأنفاس الفن الراقي، شاهده كما هو.

إذًا، سائق الاستوديو يأخذ جان كوكتو إلى القصر حيث يجدون أن جان قد غادر بالفعل. في الطريق اتضح أن جان لم يخرج بنفسه بل اقتادته قوات الأمن الخاصة. يعتري كوكتو القلق، وهذا القلق الممزوج بالإثارة الحميمية بالطبع، والذي يتم نقله بشكل مثالي إلى المشاهدين بواسطة محفز عبر الجسد (ولذلك فإننا نوصي المشاهد الذي تجاوز الثلاثين من العمر بمشاهدة الفيلم على جودة مخفضة).

اتضح أن جان نُقل إلى بيت أحد رجال Hauptsturmführer-ss في إحدى الضواحي، حيث كان أحد المعجبين بالفنان. وهناك قرأ سيناريو «العودة الأبدية» وكان سعيدًا. من الصعب رفض مثل هذه الفرصة.

يحاول كوكتو، وهو شخص مشهور ومؤثر، إقناعَ فون بريكين القائد الألماني بالسماح للفنان بالعودة إلى الفندق، يقول إنه وجان بحاجة إلى العمل معًا على الصورة العامة وتطوير السيناريو. ومع ذلك فإن محاولة إقناعه أدت إلى نتيجة غير متوقعة، تلقى كوكتو دعوة للبقاء كضيف أيضًا. هناك مساحة كافية في القصر، حيث يعيش الرجل العسكري رفيع المستوى.

يرغب فون بريكن الأرستقراطي النازي في مراقبة النقاء الإيديولوجي للفيلم شخصيًّا، ويأمل من خلال محاورتهم (وهو يتحدث الفرنسية بطلاقة) أن يساعد ماري وكوكتو على إنشاء تحفة حقيقية للفن الآري.

استقر الثلاثي في القصر بالقرب من نيس، في محاولة لإخراج هذا الفيلم بأفضل صورة ممكنة. يدرك كوكتو على الفور أن فون بريكين مفتون بجان. لكنه يرى شيئًا آخر أيضًا، يرى أنه رجل نازي حقيقي مائة بالمائة، وبالنسبة إليه فمثل هذا الانجذاب شائن ووصمة عار. ولا بد أنه يمزق رجل القوات الخاصة داخليًّا.

في جوهره يُعد فون بريكن محاكاةً ساخرة للبطل في العودة الأبدية.

على الجانب الفرنسي من الملعب، كل شيء بسيط؛ جان المثليّ موهوب يتم تصويره كبطل آري. وعلى الجانب الآخر من الشبكة فإن الوضع أكثر إرباكًا، إما أن الرجل العسكري فون بريكن يدرك مثليته، وهذا كما سيقولون اليوم: «موت جزئي للإله بداخله»، أو رجل مثليّ يرتدي ملابس سوداء أنيقة

فجأة يتذكر أنه كان يتظاهر بأنه المحارب الآري فون بريكين لفترة طويلة، أي أن المثلية مستحوذة عليه من الأساس.

عذاب الرجل العسكري يتأرجح بين هذين الوضعين، لا يتم نقل هذه الأفكار من الخطوط العريضة الخارجية للأحداث التي تمر به، بقدر ما يتم نقلها عن طريق التحفيز عبر الجسد، إذا شاهدت الفيلم من منظور فون بريكن فستجد أن المسار مؤلمٌ إلى حدٍّ ما. لكن هذه هي الطريقة الوحيدة لفهم نية المؤلف حتى النهاية، سنكرر فقط النصيحة حول الجودة المخفضة (أربعون بالمائة للمشاهدة الأولى ستكون كافية تمامًا).

بالطبع يفهم كوكتو الداهية على الفور ما يحدث مع الألماني، لقد رأى ما يكفي من معاناة الضباط خلال الحرب العالمية الأولى. بطبيعة الحال، من المنطقي أنه يشعر بالغيرة. وبالطبع فهو خائف، ولكن قليلًا فقط.

حِس كوكتو الحاد والمثابر كان عاملًا في تلميع اسمه خلال العصر الجديد، استطاع أن يطوع مهاراته ببراعة شديدة داخل المجتمع الفرنسي، لكنه الآن لديه هدف جديد، ألا وهو العبقرية الألمانية القاتمة. وهنا يفهم المشاهد أخيرًا المقدمة المقتبَسة من بلوك.

يفهم كوكتو الفكرة، لا يريد فون بريكن الاستحواذ على جان ماري فقط. لا، إنه يريد أن يستحوذ على بطله تريستيان. إنه يحلم بالارتقاء إلى هذا النموذج الجمالي الهائل الذي ابتكره جان من خلال مسرحيته الرائعة، ولقاء حبه على هذه الهضبة الأولمبية. نقول «أولمبي» لأنه بالنسبة لفون بريكن الذي كان مفتونًا بالأسطورة النازية، هو بمنزلة محاولة للاندماج في النشوة الآرية مع أحد تماثيل أولمبيا التي تم إحياؤها. المفارقة أنه يريد تحقيق «النازية المطلقة» بطريقة ممنوعة على النازيين.

ويبدأ كوكتو اللعبة.

لقد وضع لنفسه مهمة دقيقة ومعقدة، هي سحق النازي أخلاقيًّا، أو بالأحرى إغراؤه إلى الهاوية. للقيام بذلك، رسم المخيلة المحمومة لرجل القوات الخاصة وكأنها طريق ممتد إلى قمة أوليمبوس، حيث سيتعين عليه أن يترك قصره ويسلك طريقًا شاقًّا. من الواضح أن فون بريكن ينتظر أن يقابل

في رحلته رياحًا عاتيةً وغاباتٍ ومرتفعات، كل ما تتوق إليه الروح الألمانية القاتمة.

كل يوم بعد التصوير، يلتقي فون بريكن وكوكتو جان ماري لتناول العشاء. عادةً ما يتحدثون عن الفلسفة والفن. فون بريكن مطّلع للغاية، على الرغم من أن آراءه غالبًا ما تبدو ثقيلةً وخرقاء بجانب أفكار كوكتو المتقلبة.

بغض النظر عن موضوع جدال فون بريكن وكوكتو، فإن الحوار يتطور وفقًا للنمط نفسه، يحاول الألماني الإمساك بالمحاور بملقط المنطق والفطرة السليمة، ولكن عندما ينجح هذا تقريبًا، يصبح خطاب الفرنسي غير مفهوم تمامًا، على الرغم من أنه في الوقت نفسه يحتفظ بجميع علامات البيان المتماسك حول موضوع المحادثة ولا يحتوي على عبث مباشر.

يفقد فون بريكن القدرة على التعبير عن أي شيء بلسانه. وفي هذه اللحظات يشبه الأحمق غير القادر على تسلق العمود ليحصل على رباط حذائه من هناك.

سوف يفترض عالم إنساني واسع المعرفة أن كونشالوفسكي يسخر هنا مما يُسمى بـ «لينجفودودوس» (يطلق الخبراء على هذه الكلمة نهر الفلسفة الحديثة). بالنسبة إلى المشاهد الأقل تعقيدًا، يبدو أن كوكتو يسحر الألماني تدريجيًا مما يجعل عقله غائمًا.

في الواقع كان كل شيء أبسط في عام 1943. بالتزامن مع إصدار «العودة الأبدية» نشر سارتر «الوجود والعدم» بواسطة دار غاليمار، يستشهد كوكتو بهذا الكتاب طوال الوقت في نقاشاته.

مع كل وليمة يبدو جان أكثر فأكثر مثل بطل أولمبي قديم. ويرتدي ملابسه بشكل مبتكر بزخرفة يونانية تشبه الصليب المعقوف، الطريق المباشر إلى قلب الرجل النازي. التغييرات تحدث أيضًا في مظهر كوكتو. يبدو غامضًا أكثر فأكثر. لم يعد يرتدي زيًا باريسيًا، بل يرتدي كلاميد[1] مع تمائم غريبة على صدره. تصير خطاباته -وإن لم يقتبس عن سارتر- مظلمةً وغامضةً تمامًا.

(1) رداء يوناني قديم للرجال، وهو رداء قصير مستطيل مزين من الحافات.

يعود كوكتو باستمرار إلى الفكرة نفسها، أن الضوء يتم التعرف عليه من خلال سماكة الظلام، والطريق للصعود يجب أن يمر عبر الهاوية. يقتبس من الشعراء القدامى والمعاصرين، ويشير إلى بودلير والمسيح اللذين جسدا هذه الحتمية بطرق مختلفة. يوافقه فون بريكن بحذر، على الرغم من أنه يفضل فهم هذه الفكرة بمصطلحات جدلية أكثر منطقية بالنسبة إليه، ومع ذلك فهو لا يشير إلى هيجل لأن الفوهرر لا يحبه.

بعد تحضير هذه الأرضية، يحضر كوكتو دهانات وفراشي ويغلق على نفسه في غرفة كبيرة بها فتحة.

يمر يوم ثم يومان، ويحاول فون بريكن العثور على جان وكوكتو، لكن لم يتمكن من إيجادهما في أي مكان. يتجول رجل القوات الخاصة في حيرة من أمره، ويصل أخيرًا إلى هذه الغرفة. يرى الأريكة التي يرقد عليها تريستان. بينما كوكتو في أردية داكنة ولديه شعارات غريبة على صدره، ويقف مُنهيًا لوحة جدارية في الكوة.

هذه اللوحة الجبسية هي «مذبح بافوميت». في وسطها ماعز مستلقية على ظهرها ورجلاها مفتوحتان. يوجد حروق على قدمها، (يستخدم كوكتو دهانات الفلورسنت). تتشابك قرون الماعز مع العنب، ولكن بدلًا من وجه الماعز، لها وجه تريستان جان ماري.

يشرح كوكتو للألماني المذهول أنه يجب عليه إثبات حبه لتريستان من خلال تجريده من ملابسه والانحناء لـبافوميت وتقبيل ختمه المشتعل. يرمز هذا الإجراء إلى رفض القيود البشرية والانتقال إلى حالة خارقة جديدة من الحرية الكاملة. وقد حدث بالفعل مرة واحدة من قِبل جميع فرسان الهيكل. المكافأة هي لقاءٌ مع جان. وليس مجرد موعد عادي بل سوف يجد حبه الذي يبحث عنه.

«تغلب على الإنسان!»

يتردد صداها مع الشوكة الرنانة النازية في قلب العسكري النازي. خلع الرجل ملابسه بالفعل.

ينحني فون بريكن أخيرًا إلى بافوميت. بينما هناك كاميرا مخفية داخل الكوة تلتقط عدة صور.

في الأيام التالية ينشغل جان بالتصوير. يبتلع فون بريكن حبوب الميث ويدخن الأفيون، ويصبّر نفسه بصور جان. لكن كوكتو الذي لا يرحم، أرسل بالفعل رسالة إدانة مجهولة إلى المقر الباريسي لقوات الأمن الخاصة حول الانحلال الأخلاقي لفون بريكن، وأرفق العديد من الصور. الجواب كُتب باللغة الألمانية، لذا يخطط كوكتو لإلقاء اللوم على السائق في كل شيء.

لكنه لم يحتج لهذه الخطة.

كبار قادة قوات الأمن الخاصة كانوا غاضبين؛ تم إرسال فون بريكن إلى الجبهة الشرقية. أُمر بالذهاب على الفور، لكن لديه بالفعل موعد مع جان والذي دفع ثمنه غاليًا. يخاطر بالبقاء لفترة أطول قليلًا. وهنا نكتشف المشهد الأهم والأكثر كثافة عاطفية في الفيلم.

استوفى فون بريكن شروط كوكتو؛ إنه مهزوم أخلاقيًّا، لكنه ما زال يأمل أن يُنعشه حب جان تريستان ويعيد إليه إرادة الحياة. ينتظره جان في سترة يونانية على سرير تحاوطه العاطفة بالقرب من الكوة التي بها اللوحة الجدارية الشيطانية. فوق شعره إكليل من الكرْم. توجد على الأرض زجاجة نبيذ وأكواب قديمة استعارها كوكتو من المتحف المحلي.

تمتم فون بريكن قائلًا: «إذا انتظرت أولمبيا طويلًا فسوف تستدعيك أولمبيا في النهاية».

يبدأ المشهد.

وهنا نفهم معنى اسم «المقاومة».

يحاول فون بريكن إقامة علاقة حميمية مع جان، لكنه يفشل، المشاهِد الذي يشارك في الفيلم نيابةً عن فون بريكن سوف يتابع باهتمام طوال الدقائق القليلة من هذا الصراع المتوتر إذا كانا سينجحان أم لا. هناك وهمٌ كامل بأن الأمر يستحق الضغط بقوة أكبر قليلًا، هناك بعض الإجهاد، لقد أوشكت على الانتهاء، لا، ادفع قليلًا، فقط قليلًا، لكن المقاومة تفوز في كل مرة.

أود أن أشير هنا بشكل خاص إلى العمل الرائع للفتحة غير الثنائية في آي فاك 10، والتي أصبحت بالفعل أسطورة. من بين العديد من الابتكارات التقنية

في «التفرد» الشهير يُعد جهاز استشعار دقيق. هذا الابتكار هو الذي يسمح للمخرج بتحقيق مثل هذا التأثير المذهل بغض النظر عن اتجاه المشاهد.

في هذا المشهد من الفيلم سوف يُقدّر المشاهد الاختراع المميز الذي قامت به شركة آي فاك، بغض النظر عن العمر أو الجسد، وكيف أنه يوفر تجربة عاطفية سهلة بعيدًا عن كل هذه الصعوبات الموجودة في العلاقات الطبيعية بين البشر.

وجه جان في هذا المشهد يكاد يكون مثل قناع الموت من المشهد الأخير من فيلم العودة الأبدية، لكن يبدو أن ملامحه مشوهة، ليس بالألم بل بالعاطفة. وصل الأمر إلى ذروته، وفي أكثر اللحظات حرجًا عندما يكون فون بريكن، والمشاهد معه في حالة ترقب، يبتسم جان ويقول:

- هل كدنا ننتهي؟

- يبدو أن الجسد مختلف عن أي آلةٍ أُخرى أعرفها.

في هذه اللحظة، يرسل المحفز عبر الجسد موجة من الاستياء من خلال وعي المشاهد، وأخيرًا استسلم فون بريكن لفكرة أنه طُرد خارج عتبة أولمبيا، وأنه لن يتمكن من الوصول إليها. هناك تبادل طويل للنظرات (الشمس الآرية الضاحكة في عيني تريستان، وألم فون بريكن بسبب فشله في الموقف السابق)، ثم.. نسمع صوت البوق غير الصبور من خلف النافذة.

سيارة فون بريكن تنتظر. ودون أن يقول وداعًا قام بطريقة ما وهرب بعيدًا، أو بالأحرى ذهب لينهار على الدرَج. جان لا يزال جالسًا في السرير بابتسامة ملتوية، عيناه فارغتان وحالمتان. وفي يده طوق الكرْم.

ولهذا فإن فكرة فيلم المقاومة تستحق المشاهدة. هنا يبحث المشاهد لثانية واحدة عن الروح الفرنسية الغامضة، ويفهم سبب إعلان عالم ما بعد الحرب أن هذه الأمة، أمة منتصرة. لم يكن بوسع أي قنبلة بريطانية أن تصيب فون بريكن والنازية التي جوهرها في القلب، أكثر مما فعل جان الصغير للتو!

ولنلخص الأمر تمامًا، يرمي كونشالوفسكي كرةً كاملة من المعاني. هناك الكثير منها لكن هذا يوازنه، حقيقة أنه لا يمكن للجميع تفكيك تلك المعاني حتى النهاية. ومع ذلك ليس كل الأشخاص يسعون إلى التحليل العميق.

«المقاومة» يمتلك أسلوبًا جذابًا، كما لو كان نظرة من طبقة من الماضي إلى طبقة أخرى. لا يناقش كونشالوفسكي الأصوات الحديثة، ولكن هناك صدى صوت بالكاد مسموع لعصر الجبس، ويفعل ذلك بهدوء لدرجة أن المبتدئين لن يسمعوا أي شيء على الإطلاق.

ما هذا الصدى؟

قد يتذكر المؤرخون الأدبيون كتاب جوناثان ليتيل «The Kindly Ones»، لكن فون بريكن لا يثير الاشمئزاز نفسه مثل شخصيات ليتيل، والموازاة هشة وسطحية.

هناك عمل جبسي آخر أكثر قربًا لــ «المقاومة» وهو رواية ميشيل ويلبيك «الاستسلام» الذي يحكي عن إسلام فرنسا. وهنا تكون الرسالة الجدلية واضحة جدًّا، لدرجة أننا حتى لا نجرؤ على طرح نظرية اختيار كونشالوفسكي على وجه التحديد المعنى المضاد كاِسم.

الاستسلام؟ ليس! مقاومة!

كونشالوفسكي، على عكس الروائي الفرنسي، متفائل تاريخيًّا، يجب فهم إجابته على النحو التالي: نعم، ستخضع فرنسا للإسلام أيضًا، ولكن ويل لكل من يسقط! المقاومة لا يمكن تمييزها عن الاستسلام، ولكن شوكة الغضب تنبت وتضرب قلب العدو. إنها حقًّا نبوءة هائلة وذات مغزى. تذكر ذلك، هل يلاقي حديثه الصدى المطلوب؟ من يدري، ربما يكون هو الشق الأول في كتلة الخلافة المتراصة عبر باريس.

أخيرًا دعونا نقول بضع كلمات عن أوجه القصور في هذه التحفة الفنية، أو ما بدا لي من مشكلات.

حتى الطلاب يعرفون قاعدة إنهاء القصة وقت حل النزاع الرئيسي. مات فون بريكن معنويًّا أمامنا مباشرة. انعكست وفاته في عيون جان، والتطور الإضافي للأحداث تافه وزائد عن الحاجة. يزول التوتر على الرغم من أن الفيلم هنا أصبح ملونًا لفترة من الوقت.

لسبب ما، قرر كونشالوفسكي تصوير موت البطل مرة أخرى.

نشاهد معركة كورسك، فون بريكن يدخن وهو يرتدي زيًا مموهًا، يركض للهجوم، لكن تُسقطه رصاصة روسية، ينهار وينزف. للحظة يرى الشمس.. وتريستان.

النهاية تفاعلية (كن حذرًا إذا أردت ألا تفسد على نفسك نهاية الفيلم إذا لم تشاهده).

إذًا قبل يوم واحد من الاجتماع الأخير مع جان، يستدعي فون بريكن السائق بنفسه؛ لأنه احتاج إلى لصق صورة تريستان عاريًا على سقف غرفة النوم. ثم في المشهد الأخير سوف يركض رجل القوات الخاصة عبر الميدان بشكل أبطأ، ويغطي مسافة أقل بمائة متر، ولن تكون الرصاصة هي من تقتله، بل زوبعة من نيران قاذفة لهب شديدة الانفجار محفورة في الأرض. هناك عدد غير قليل من الفروع في الفيلم، لكننا بالطبع لن نذكرها. لنتركها كي يستكشفها المشاهد بنفسه!

وجدت أن هناك بعض الإرهاق في تتبع خُطى مولو، الكلب الذي تألق مع جان في «العودة الأبدية». الكلب موجود بشكل شبه دائم في «المقاومة». مولو يصاب بالفضول ويتسلق السرير، حتى يتدخل في الحلقة الحميمية، هل هذا مبرر منطقي؟

نحن لا نجادل في أن خط مولو وثيق الصلة بالعمل الأصلي. مشهد الكلب الشهير من «العودة الأبدية» يصوره كما لو كان مرحًا، لكنه في الوقت ذاته مشبع ببرق الغضب الآري، ويحمل كراهية كبيرة للقزم العدو، والذي في نسختنا الحديثة يوازيه فون بريكن الذي يدخل إلى غرفة البطل جان، مع موافقة كاملة بالطبع.

لكنني ما زلت أشعر أن دور الكلب مولو لم يوضع هنا بشكل أساسي إلا لكي يمثل الحيوانات في الفيلم، بحيث سوف يتحمل الكلب المسكين على عاتقه -كحيوان واحد- تحقيق شرط الحد الأدنى لوجود الحيوانات.

ومع ذلك لا يزال فيلم «المقاومة» ضمن حدود الذوق، خاصة عند مقارنته بالإصدارات الحديثة الأخرى من هذا السوق المترامي الأطراف. على سبيل المثال «الشقراء» (أحد أفلام الحيوانات في هوليوود، والذي تدور أحداثه أيضًا

في فترة الحرب العالمية الثانية)، هناك بعض المعايير تجبر المنتجين على ملء الأفلام بالحيوانات من أجل تغطية أكبر شريحة ممكنة من السوق.

على ما يبدو فإن هذا الاتجاه لن يستمر طويلًا، في العام المقبل وعدتنا شركات الإنتاج بالانتقال إلى حرب النجوم مع جذوعها المجرية المتعددة، تم الإعلان بالفعل عن الإصدار الجديد للفضاء، وهي مجموعة جديدة مميزة يمكن استبدالها في آي فاك بدلًا من الدسار العادي. وفقًا للشائعات، فهذا شيء يشبه غروب الشمس العملاق المزين بأجهزة هزازة دقيقة.

ليس لدينا شك في أن كل هذا سيكون مثيرًا للغاية على المستوى الفسيولوجي. لكن الفن لا علاقة له به.

بورفيري كامينيف

بورفيري والجحافل الرومانية

نجحت «المقاومة» حقًّا، وهو ما كان واضحًا منذ مرحلة التعديلات، أثارت مراجعة بورفيري إعجابي أيضًا، فقد تعلم بطريقة ما أن يشعر بالاشمئزاز ليقلد بدقة النغمة المتعالية لأسلوب المثقف اللامع في موسكو، موضحًا مشكلات الأسلوب للسكان الأصليين غير المطلعين، كالروس في أوروبا.

الشيء المضحك هو أن بورفيري كان عليه أن يسجل ليكون ناقدًا، بعد أن استهزأ بهم بحماسة خلال العشاء الأخير.

للأسف لم أكن أعرف تعبير «لونجفيدودس»، لكنني وجدته في فيكول. سأعيد كتابة التعريف هنا:

لونجفيدودس: تقنية البرمجة اللغوية العصبية، التي تستند إليها الفلسفة الحديثة وتاريخ الفن النظري. إن جوهر علم اللغة هو إنشاء واستخدام التركيبات اللغوية، التي لا تعكس أي شيء باستثناء القدرات الاندماجية للُّغة، بهدف شل وعي شخص آخر. إنه في الأساس هجوم لغوي يحاول «تعليق» العقل البشري، وإجباره على فحص وتحليل مجموعات غامضة من الكلمات مع عدد هائل من المعاني شبه الغامضة المحتمَلة.

يفهم أي ناقد فني ما يدور حوله، لكن الناقد الفني الجيد يمكنه أن يفعل ذلك بنفسه منذ الطفولة. لكنني لم أسمع هذا المصطلح من قبل. يبدو أنني تخلفت عن الركب. اتضح أن العمل مع بورفيري كان مفيدًا لنموي المهني.

بعد إعادة السرد (هذه هي الطريقة التي أترجم بها المصطلح المهني «التحسين» بحيث لا يكون هناك خلط كبير) جعل الفيلم شباك التذاكر ذا إقبال معتدل، وحظي باهتمام جمهور ممتاز (أظن أن الأخيرة كانت جزءًا من سياسة التوزيع). كما قد يتوقع المرء، ظهرت عدة مراجعات حماسية، بعد تأكيد بورفيري على القدرات التقنية للفتحة الواحدة في جهاز آي فاك.

"التفرد"

تبين أن المكافأة من الشركة المصنعة كانت كبيرة حقًّا (على الرغم من أنني حصلت على خمسها فقط، تقريبًا كل ما يدفعه المشاهدون في الاشتراكات الخاصة يذهب أغلبه إلى الرِّشا والإعلانات والدفع مقابل بعض التقنيات التكنولوجية).

ومع ذلك بدت أعمال صناعة الأفلام مربحةً تقريبًا مثل بيع القطع الفنية الجبسية المزيَّفة. لكنه كان أكثر أمانًا. لذلك على أي حال سوف أكمل ما أفعله.

بعد النجاح الأول تلقيت على الفور طلبًا للفيلم التالي، أرادوا الكشف عن المزايا التقنية لجهاز آي فاك العاشر.

طُلب مني الآن التركيز على القابس المتضمن في المجموعة المصاحبة للجهاز (للأسف لم أفتح الصندوق الأزرق برائحة الفانيليا؛ حيث تم تخزينه في مجموعتي).

هذه المرة طلبوا مني بشكل صريح أن أخصص موضوع الفيلم ليكون عن الفلسفة.

سألت مدعيةً دورَ الحمقاء:

- هل الشريط الفلسفي عن الفلاسفة؟

لكن ممثل الشركة كان متحمسًا بشكل غير متوقع:

- سيكون مثاليًّا. الجمهور سئم من المصارعين وكمال الأجسام. العلاقة مع فيلسوف تجربة جديدة، وحتى أكثر فضولًا.

صمتَ وتمتم ببعض الحروف كما لو كان يتحقق مما إذا كانت العبارة التالية ستخرج بشكل سليم، ثم قال في النهاية:

- إنها كأنك في علاقة مع الفلسفة نفسها.

لكنني كنت حائرةً، فسألت:

- كيف هي العلاقة مع الفلسفة؟

- فكري في الأمر يا مارا، أنتِ هي الناقدة.

- هل تقصد بالمعنى المجازي؟

- لا. لا يدعم آي فاك 10 المعاني المجازية. المعاني الواضحة فقط.

- إذًا ما زلت لا أفهم! ممارسة الحميمية مع زرافة أو نخلة أو كرسي أو حتى مكعب ثلج أو أفراد من الحكومة العالمية، كل هذا لا يزال من الممكن تخيله وفعله...

قاطعني الممثل قائلًا:

- ولهذا السبب لم يعد هذا مثيرًا للاهتمام. لقد جربنا الكثير من الأشياء المادية بشكل أو بآخر. إذا أردنا التقاط شرائح جديدة من السوق؛ لماذا نصنع شيئًا جديدًا بينما لدينا تراث قديم يمكن استخدامه، نحتاج إلى الانتقال إلى مستوى جديد نوعيًّا من الفهم. مارا، يمكنك أن تصبحي رائدةً في مجال جديد بالكامل.

رائدة، نعم. جميل جدًّا. كأنه لا يعرف أن اسمي لن يكون في الإعلانات أو النقد. أو ربما كان يقصد أن وعيي بكوني رائدة يجب أن يريحني.

أسماك القرش التجارية هذه رومانسية للغاية.

لقد قمت بعمل حقل متجه يتوافق مع الطلب، وقمت بتحميله على النظام وانتظرت، وخصصت أسبوعًا كاملًا للعمل على البرنامج النصي بسبب تعقيد الموضوع.

ثم اتصل بورفيري. وبطريقة غير متوقَّعة، بل مخيفة! يجب أن أعترف أن هذا حدث في لحظة حميمية إلى حد ما.

كنت تحت تأثير بعض المخدرات (ولكن ليس لدرجة أنني كنت أرتجف، بالطبع) وداخل برنامج هوليوود «روما العظيمة»، تم تعديله ليناسب ذوقي، في الإصدارات الخاصة بـ أندروجني لا يمكن تغيير أي شيء مثلما يسمح جهاز آي فاك.

كنت في برنامج يوليوس قيصر، وألعب الجزء الذي يجلس فيه قيصر مرتديًا عباءة أرجوانية أمام الجحافل المصطفة في الميدان، والقائد فولد-جاليك فرسن جتوريج (الذي يبدو وكأنه بارون غجري) يركب على الحصان وفقًا لطقوس معقدة.

أحببت تمثيل هذا المشهد: يصعد فرسن جتوريج إلى قيصر على المنصة، على أمل الحصول على آخر شرف عسكري، لكن قيصر يتجول في الميدان مغطى بآثار معركة الأمس، وبحركة قوية من يده يشده من رأسه ليثبته على الأرض مثل الكلب، ثم -وأمام الفيالق الأربعة- يقترب منه من الخلف بالكارنيكس (بوق خاص بالمعارك يعلوه رأس برونزي لذئب أو خنزير، إنه طويل إلى حد ما وقطره أيضًا كبير). ثم تبدأ محكمة التاريخ.

بالنسبة إلي، في قصص الهيمنة يكون وعي الصواب الأخلاقي مهمًّا للغاية (لا يتعلق الأمر كثيرًا بالمُثُل الأخلاقية العالية، بل يتعلق بحقيقة أنه بخلاف ذلك لا يمكنني الاستمتاع). مع فرسن جتوريج الأمر سهل لأنني أعتبره مجرم حرب، نموذج من القائد الميداني الغبي الذي يندفع ضد الحضارة. وكنت أفكر كيف كان رؤساء روما يناطحون بعضهم بعضًا قبل بداية القرن الأول، وكم من الأولاد ذهبوا في هذه الصراعات وكم من الفتيات أيضًا! لا يا فرسن جتوريج، لن تنجو مني.

كما أنني أحب الطريقة التي تتصرف بها الفيالق في أثناء الحدث، لم يكن هناك صرخات تشجيعية بذيئة بروح «الاحتفال بانتصار قيصر الذي غزا بلاد الغال» (مثل هذه الأغاني ذكرها المؤرخون ورددها الجنود خلال الاحتفالات الرومانية، والتي تستهدف القائد الذي يُزعم أنه نيكوميدس، وتمت معاملته بظلم). لا لم يكن هناك أيٌّ من هذا. فقط مجرد صمت حزين ومركّز، كما يليق بالجنود الذين يدركون أنه لا عقاب سيعيد إخوانهم القتلى إليهم.

أفهم بالطبع أن الجنود صامتون لمجرد أن النص لا يحتوي على رد فعل أو تعديل على الحبكة، وهذا خطأ إلى حد كبير. لكن هذا الوضع يناسبني تمامًا. هناك خطأ آخر في هذا المشهد، أكثر إثارة للاهتمام: إذا أصغيت السمع بينما رأس الخنزير مغروز بعمق داخل أحشاء فرسن جتوريج، فسوف تسمع

الصوت المزعج والغريب نفسه، كما هو الحال عند العزف على هذه الآلة بشكل طبيعي.

بالطبع لا يركز كل مستخدم في مثل هذه التفاصيل، لذلك لا يمكن لأي شخص ملاحظة الأخطاء. بشكل عام، تتكون حياتنا إلى حدٍّ كبير من الأخطاء. والفرق بين المصير السعيد والتعس هو قدرتنا على ملاحظة تلك الأخطاء.

كان الكارنيكس يتحرك بشكل أسرع وأسرع، وكان الانتصار الخارجي للعدالة على وشك أن يتطور إلى تنفيس داخلي شخصي، عندما سمعت صوتًا من خلفي، ونجح في إخراجي من هذه الحالة الشعورية المتحمسة:

- أيها القيصر! إن السائرين إلى الموت يُحيّونَك!

أولًا: يتعلق هذا الموضوع بجزء مختلف من البرنامج، لم نكن في الكولوسيوم. ثانيًا: كان هذا الصوت يتحدث الروسية، وقد عرفته.

استدرتُ وسقط الكارنيكس من يدي.

كان بورفيري يقف على المنصة. لكن هذا لم يكن البذيء ذا الشوارب الذي تعاملت معه من قبل. لقد تغير بورفيري، وأمكنني بصعوبة التعرف عليه.

بدا صغيرًا جدًّا. ربما تم الحفاظ على تشابه مادي طفيف في شكل الأنف والحواجب. لكن الشارب ذهب وكذلك السوالف. ليس هذا فقط، لقد حلق رأسه حقًّا. كان يرتدي لباسًا -إلى حدٍّ ما- مناسبًا للمكان والزمان، وقف في عباءة رمادية (هكذا يُصوَّر المسيح في الصحراء). ومع ذلك، بدا جذابًا جدًّا بالنسبة إليَّ.

لم يكن بورفيري بعدُ «رجلًا» بالمعنى الكامل للكلمة، وبالتالي لم يثر مشاعر كبيرة بداخلي. كان هناك شيء بداخله مثل عصفور طار بطريق الخطأ إلى عالمنا، والذي نريد أن نعانقه ثم ندفنه. سأقول بصدق إن جين أثارت المشاعر نفسها بداخلي في وقت ما.

فقط بعد تذكر هذا، فهمت سبب مشاعري.

كان يشبه جين. إذا كان لديها أخ فسوف يكون هذا هو شكله بالتأكيد. لقد خطر لي أن الكتلة لم تنسَ جين بعد، لذا أعطت بورفيري بشكل لا شعوري مظهرًا قريبًا منها.

أم كان عن عمد يا ترى؟!

شعرت بضيق في صدري. اضطررت إلى أخذ أنفاس عميقة عدة مرات لتهدئة نفسي. لم يكن الأمر يتعلق بمظهره فقط.

سألته:

- كيف وجدتني؟

- لا أعرف ماذا تقصدين بكلمة وجدتك يا مارا، لا أحتاج إلى البحث، أنتِ في كل مكان كما تقول الأصوات.

- هل تعرف اسمي الحقيقي؟

كرر بثقة:

- أنتِ مارا.

قلت وأنا أنظر إليه من كثب. إذًا أنت بورفيري كامينيف؟

انحنى أمامي بكامل جسده، ولكن بكرامة ونبل. تابعت حديثي قائلةً:

- لكن لم تجبني، كيف وجدتني بالضبط؟

- كنت أشعر باليأس وأتجول في المستنقعات مفكرًا حول قدَري، حينها وجدت معبدًا مهجورًا، وبه لوحة جدارية رئيسية؛ حيث تم تصويرك بستٍّ أذرع وتاج ذهبي. كنتِ ممتطيةً فيلًا، وتحت آثار أقدامه نبتت البودليركي.

- بودليركي؟

- إنها زهور صفراء برتقالية.

هدأتُ تدريجيًا. اتضح أنه لا يوجد شيء مستحيل في زيارته. كان جهاز آي فاك 10 الذي كنت ألعب عليه متصلًا بالكتلة، كان هذا مطلوبًا للعمل. تعامل المحرك الكمي مع كلتا العمليتين دون صعوبة. لم تكن هناك آليات برنامجية تحد من حركة بورفيري عبر النظام. ببساطة لم يخطر ببالي أنه يمكن أن يزورني بمبادرة منه؛ جين لم تفعل ذلك قط.

- إذًا تم نقلك من المعبد إلى هنا؟

- نعم، لقد حاولت التواصل معك ووجدتك قد استجبتِ لطلبي وسمحت لي بالدخول إلى هنا.

انطلاقًا من حقيقة أنه رآني في «الهيكل»، يبدو أن لي مكانة جادة في عالمه. رأتني جين كشيء مثل الآلهة، ربما إلهة شريرة. ولكن ها هو بورفيري أيضًا. ومع ذلك أعتقد أن هذا لم يعد هو بورفيري نفسه الذي عرفته. يجب أن أعتاد عليه.

- لماذا قدمتَ؟

- لقد قلتِ أن أصنع أفلامًا. الأول كان سهلًا. لكن الثاني...

قاطعته قائلةً:

- تصنع أفلامًا؟ أنت تكتب مراجعات فقط. أنت لست أنطوان كونشالوفسكي. أنت بورفيري كامينيف.

نظر إليَّ بدهشة، وقال:

- أنا أُصور وأكتب وأبتكر الأسماء. أنتِ تعرفين كل شيء يا مارا.

اختفى تأثير المواد المخدرة من رأسي تمامًا، وأدركت خطورة ما يحدث. كنت أتحدث إلى مجموعة بيانات من نظام معقد للغاية، يمكن أن يتلف بل ويدمر من خلال تحديد مجموعة غير صحيحة من بيانات الإدخال. عند العمل من خلال الواجهة تم تقليل هذه الاحتمالات، والذي -في الواقع- كان مطلوبًا. والآن اتصل النظام بي متجاوزًا إجراءً آمنًا خاصًا. خطأ واحد ويمكن أن أفقد الكتلة أو تتعطل؛ اضطررت إلى إيقاف المحادثة بسرعة.

أجبته:

- لا أعرف كل شيء، إنني أعرف فقط الأشياء التي أهتم بها. كما يقول صديقي شيفا: القدرة المطلقة تنشأ في المقام الأول من أجل حجب المعرفة المطلقة. والآن كيف يمكنني مساعدتك؟

قال بورفيري:

- لدي بعض الأسئلة الفنية حول المعايير التي يجب مراعاتها حول الفيلم الجديد، لدي قائمة كاملة هنا.

- إذًا أرسلها إليّ في رسالة.

- كيف؟

فكرت لدقيقة ثم قلت:

- اكتب الأسئلة على ورقة واحرقها في المعبد. أمام اللوحة نفسها. ليس اليوم، بل غدًا.

أعتقد أنني وحتى المساء، يمكنني إضافة هذه الخاصية إلى الواجهة، سوف يكون هذا الوقت كافيًا. ثم تابعت:

- والآن، ارحل من هنا، لدي أشياء لأفعلها.

قلت هذه الجملة وأنا أشير إلى القائد الغالي الذي أقوم بتعذيبه، استدار بورفيري ونزل عن المنصة عبر الدرج الخشبي وسار في الميدان بهدوء. قبل أن يختفي ناديته وقلت:

- وهناك شيء آخر، لا تأتِ بنفسك قبل أن تأخذ إذني أولًا.

- وكيف أكلمك؟

قلت:

- سوف تسمع صوتي بداخل قلبك، لا تقلق بشأن ذلك.

سألني بورفيري:

- هل سأراكِ مجددًا؟

كان هناك مناشدة في صوته. فأومأت برأسي.

انحنى بورفيري وتجول في الميدان. سرعان ما تلاشى شكله النحيف وسط الجموع. كانت الجحافل صامتة، وكان هذا تعبيرًا ممتازًا. كان فرسن جتورج قد مات بالفعل بحلول هذا الوقت، وهذا أيضًا جيد لأنني فقدت الاهتمام به تمامًا.

في المساء، قمت بطريقة ما ببناء الإضافات المطلوبة للواجهة. لقد كانت قدراتي المتواضعة كافية. ومرة أخرى جلست أتذكر فريقي المبهج والذكي، فريقي الذي لم يحالفه الحظ في جمهورية الدومينيكان. لكنني -مع ذلك- تمكنت من النجاح وأدخلت إجراءات جديدة. عندما أحرق بورفيري الورقة في

المعبد في اليوم التالي (أود أن أرى هذا المعبد) ظهر نَصه على الفور على جهازي اللوحي.

كل شيء يعمل بشكل جيد.

أرسل بورفيري أحد عشر سؤالًا، لن أذكرهم هنا بسبب تركيزهم المتخصص للغاية. لا يسعني إلا أن أقول إنني فعلت الشيء الصحيح عندما قررت عدم الرد عليه أمام الجحافل الرومانية، ببساطة لم أكن أعرف الكثير من التفاصيل الفنية المتعلقة بالقابس الشرجي في النسخة الجديدة، وهذا يمكن أن يهز إيمان بورفيري بحكمتي.

لم أضطر فقط إلى قضاء الكثير من الوقت لقراءة كتيبات الشبكة الخاصة بالمقبس، ولكن احتجت أيضًا للاتصال بالخط الساخن لآي فاك عدة مرات، حيث الموظفون ذوو الأصوات الهادئة يخبرون العملاء الأغبياء عن كيفية استخدام الأجهزة دون أن يتسببوا بأي أذًى لأنفسهم، لكنني في النهاية استطعت أن أفهم منهم كل ما أردت.

أجبت على الأسئلة بالتفصيل، ومن ثَم -من خلال الواجهة- أمرت بورفيري بالعودة إلى المعبد والحصول على الإجابة. في البداية أردت أن يظهر النص بأحرف محترقة على الحائط، لكن كان من الممكن أن يؤدي ذلك لبعض الأخطاء، لأنني لم أرَ المعبد نفسه. لذلك استقر الأمر على صوت في ظلام منتصف الليل.

كل شيء كان على ما يرام. يمكنه الاستمرار في العمل.

الآن يمكنني استدعاء بورفيري في أي لحظة، والدخول في أي شكل من أشكال التواصل معه. لكنني كنت أخشى أن يؤدي ذلك إلى عواقب غير متوقعة على عمل الكتلة، وقررت التأجيل -على الأقل- حتى ننتهي من الفيلم الثاني.

الشيء الأكثر إحراجًا بالنسبة إليّ هو أن.. يبدو أنني أحببته أكثر حتى من ذي قبل. لقد انجذبت إليه كما لو كان جين في جسد جديد. كانت فكرة أن كل شيء على ما يرام مزعجة إلى حدٍّ ما.

بعد أسبوعين كان الفيلم جاهزًا، وأبهرني بورفيري بمراجعة جديدة. يمكنني أن أقتبسها كما هي.

بيوند

بيوند

في مقالنا الأخير عن فيلم المقاومة، تحدثنا عن حقيقة أن هناك بعض التعبيرات الفنية القوية من بين أحدث الأفلام. الآن نضيف بجرأة فيلم «بيوند»، الذي تم إصداره مؤخرًا إلى قائمتهم.

الشيء الأكثر لفتًا للنظر هو أن معنى الكلمة هو: «وراء»، وهو معاكس تمامًا لـ «المقاومة».

إذا كانت «المقاومة» هي الذروة، فإن «بيوند» هو الحضيض، أو العكس (الأعلى والأسفل ليسا مهمين هنا). بعبارة أخرى: هذان مقياسان يوازن كل منهما الآخر بشكل مثالي، مثل جُسيم وجُسيم مضاد، رحلتان محفوفتان بالمخاطر يؤديان إلى نهايات مختلفة في الليلة نفسها. إنها معجزة أن مثل هذا الإبداع المشترك ممكن في الفن.

لقد وضع الفيلم ناظريه على العديد من الجوائز الدولية المهمة -كما يعتقد الكثيرون- فكما تعلمون، أصبح الفيلم الآن حديث الصالونات الفكرية. في النهاية يمكننا القول أنه رائج للغاية.

لا. بالطبع لن يصبح الضربة الرئيسية للمبيعات. ولكن كما يتضح من المراجعات عبر الإنترنت، يوجد بيننا خبراء شاهدوه عشر مرات أو حتى عشرين مرة. ونحن نتحدث الآن عن فيلم يحكي عن حياة فيلسوف؛ حيث لا توجد عمليات إطلاق نار ولا مطاردات، ولا قصص حب مشرقة وغير عادية.

جان لوك بيوند، هو فيلسوف من أواخر القرن العشرين، كان متقدمًا على عصره لدرجة أن البعض ينسبه إلى الجبس المبكر. عاش في سويسرا وكتب بشكل رئيسي باللغة الإنجليزية على الرغم من أنه كان فرنكوفونيًا. أما عن

أهميته التاريخية، فبالنسبة لما قدمه للفكر العالمي يمكننا القول إنها مكانة فريدة. ولكن من أجل تحديد الإحداثيات الدقيقة لـبيوند على خريطة فلسفة العالم، يجب أولًا تمثيل هذه الخريطة على الأقل.

دعنا نحاول شرح الموقف بوضوح، سارتر وهايدجر مثل قمتين تمتدان بعيدًا في السماء، وبينهما هاوية؛ كما أن إحدى هذه القمم متوّجة بصليب معقوف، والذي لا يسبب استياءنا أو غضبنا بشكل رئيسي؛ لأن هايدجر يصعب إدراكه والصليب المعقوف مخفي عن الجمهور بسبب السحب العالية.

فكر في الأمر: سارتر رجل إنساني فاز بجائزة نوبل (لكنه رفض ذلك)؛ هايدجر معجب بهتلر. تبدو الفجوة بينهما بلا نهاية، لكن ما وراءها هو الجسر الذي يربط بشكل مباشر وموثوق بين القمتين المتعاليتين لروح العالم. يمكن للمرء بالطبع أن يسميه الثالث من بين الاثنين، لأن فكره على الارتفاع المذهل نفسه، ولكن الأهم من ذلك كونه مجرد اسم بين الفلاسفة، ولكن الوظيفة التي يؤديها، وليس مجرد أن يكون وسط القمم، بل كيف يربط بينها.

بيوند هو جسر السماء.

من الصعب جدًّا نقل جوهر رسالته باختصار. يمكننا فقط تقديم فهمنا غير الكامل والمبسط للقضية. وضح لوباتشافسكي[1] في هندسته أن الخطوط المتوازية تتقاطع عند اللانهاية. بالطريقة نفسها، بيوند أوضح أن لقاء هايدجر مع الوجود هو تجسيد سريع لوجود سارتر ذاته؛ يدمج بيوند بين سارتر وهايدجر في مقولة موجزة وخَطِرة للغاية: «في النضال ستجد جوهرك». ومع ذلك فإن أولئك الذين هم على دراية بالموضوع سوف يستمتعون أو ينزعجون من محاولاتنا المحرجة لتسليط الضوء على فكره، ولن يكون لدينا الزمن الكافي لشرح شيء للشخص العادي.

يبدو أن حياة الفيلسوف الفقيرة من الأحدث الخارجية يمكن أن تقدم في السينما بشكل مثير للاهتمام، ربما التخيلات الغريبة؟ الحجج والإثباتات؟ أوه. نعم كل هذا في الفيلم.

---

(1) عالم رياضيات روسي عاش بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

يبدأ الفيلم بجان لوك الشاب في أحد فنادق لندن؛ يجلس على أريكة الفندق الحمراء التي تشبه كابينة الهاتف المقلوبة، يتذكر قُبلته الأولى، يتذكر كم كان مضحكًا وطفوليًّا حينها، يتذكر الخسارة والخيانة. ومن هنا أصبحت صورة كابينة الهاتف الحمراء هي أول شيء يقفز إلى ذهنه في كل خطوة يمشيها في هذا العالم، وخصوصًا عند كل فراق جديد.

بقدر ما يمكن للمرء أن يحكم، فإن هذه الصورة الجريئة لا تستند بأي حال من الأحوال إلى الإرث الحقيقي لبيوند، هي من خيال المؤلف، لكنها تنشط مساحة الفيلم بشكل ممتع، وتضفي عليها أجواء حالمة. هناك نمط من التجارب، والذي بلا شك سيُقدّر من قِبَل المتطفلين من جميع الهويات الجندرية، لكن الفيلم بالطبع لا يروق لهم وحدهم.

العمل الرئيسي لبيوند هو «الزمن والعدم» كتاب حياته كلها. إنه كتاب مهيب ولكن غير كامل. قارنه أحدهم بكاتدرائية قوطية غير مكتملة.

بعد التفكير أولًا في هيكل الكتاب بأدق التفاصيل، بعد ذلك فقط بدأ ببناء المحتوى والعمل على جميع الفصول في الوقت نفسه، لذلك لا يوجد جزء واحد مكتمل بالكامل في المجلد الضخم. لقد قمنا بالفعل بمقارنة هذا العمل بكونه جسرًا بين القمم: إذا واصلنا القياس فقد بدأ بيوند ببناء الدعامات، وأراد إكمالها جميعًا، ثم توصيل كل الطرق في النهاية إلى نقطة واحدة.

لكن -للأسف- لم يكن مقدرًا لهذا الكتاب أن ينتهي، بينما كان العمل يسير على قدم وساق، أصيب بيوند بمرض نادر، التصلب الجانبي الضموري (ALS أو مرض لوجيريج). تطور المرض بسرعة كبيرة، وسرعان ما أصيب بيوند بالشلل التام تقريبًا، كما لو كان محبوسًا في زنزانة انفرادية في جسده (غالبًا ما نجد هذه الاستعارة المأسوية في «الزمن والعدم»).

كانت عضلاته ترفض الحركة بشكل تدريجي، في البداية كان لا يزال بإمكانه الكتابة، وبعدها انتقل إلى الآلة الكاتبة، وكتب بيديه الاثنتين في البداية ثم بيد واحدة، ثم كانت هناك فترة أخرى؛ حيث كان يُملي الكلمات لشخص آخر، لكن في النهاية، حتى حلقه رفض الاستمرار. حاول أن يعمل بسرعة، لكن المرض كان أسرع. وفي النهاية علم بيوند أنه من المستحيل إنهاء الكتاب في الزمن المناسب.

الطب في تلك الأيام لم يكن يحقق المعجزات، كان الجهاز الأكثر تقدمًا لمرضى ALS هو مؤشر ليزر متصل بالرأس، مما يجعل من الممكن توجيه بقعة حمراء على أحرف طاولة معلقة على الحائط، ليتبعها المريض ويحرك ما تبقى له من عضلات، ولكن بعد ذلك سرعان ما توقف عن الانصياع، ليس فقط للرقبة، بل حتى عيونه لم تعد تتحرك. لم تكن هناك عضلة واحدة في جسده تعمل، إلا إحدى العضلات العاصرة في مؤخرته. وهنا فقط توقف المرض عن التقدم.

بعد نحو ستة أشهر من الاستقرار، تم صنع جهاز فريد خِصِّيصى لبيوند في إحدى العيادات السويسرية؛ مما أتاح له مرة أخرى التواصل مع العالم والعمل على الكتاب.

لقد كان مجسًا شرجيًا به جهة اتصال حساسة للضغط، وجهاز كمبيوتر مبرمج خِصِّيصَى، والذي بدأ للتو في الدخول إلى المجال الطبي في ذلك الزمن.

عمل الجهاز على النحو التالي: أظهرت الشاشة أمامه الأبجدية مقسمةً إلى نصفين. إذا أراد تحديد حرف في الجزء العلوي من الشاشة فإنه يضغط على العضلة العاصرة مرة واحدة. إذا اختار حرفًا من الأسفل يضغط مرتين. عندما احتلت الشاشة الجزء العلوي (أو السفلي) من الأبجدية، يتم تقسيمها أيضًا إلى قسمين بالطريقة نفسها، وتكرر هذا الإجراء حتى تم اختيار الحرف المطلوب.

لم تكن تقنيات الإدخال التنبئية قد انتشرت بعدُ في تلك الأيام، وكان لا بد من كتابة الكلمة بالكامل (يوجد شيء في هذا يشبه العمل المضني للنحات الهيروغليفي المصري القديم). ثلاث ضغطات سريعة للعضلة العاصرة تعني وجود فجوة.

استطاع بيوند استئناف عمل حياته. لكن روحه كانت محطمةً بالفعل بسبب المرض، وكان الاكتئاب يزوره كثيرًا. وانعكس ذلك بالطبع في الأسلوب. عندما يعود بيوند إلى الفصول غير المكتملة للمتابعة، غالبًا ما نجد سطرًا فارغًا في منتصف الصفحة؛ ليعبر عن هذه الفترة المأسوية التي مرّ بها قبل أن يستأنف الفصل، فيما يلي مثال عشوائي من فصل «الآخر والوجود»:

... يبدو أن هدفي يتحقق عندما أغزو كائنًا لديه مفتاح للأبعاد التي أفكر فيها، بل ويمكنني استخدامه لاستيعاب وعي *آخر*. ولكن في الحقيقة هذا مجرد

رد فعل أساسي على غياب *الآخر* كوضع أولي (على الرغم من أنه بالمعنى الموضوعي فإن هذا ليس الوضع الأصلي). من أجل تجنب سوء الفهم، من الضروري أن نوضح بأي معنى نشير إلى *الآخرين*: هناك معنى يعبر عن بقاياهم بجانبي، والتي يبرز منها «أنا»: إنهم *آخرون*، والمشاركة معهم ليس لها الطابع الوجودي لـ «الوجود المشترك» («مع» هنا بشكل نسبي). *الآخرون* هنا لهم طابع سريعًا ما يخسرونه أمام مفتاح تحولهم إلى كائن مادي، عندما نعلم أن إمكانياتهم يمكن أن تتحول إلينا، هأنذا حي! ولكن... «lore 3 p».

سيتمكن القارئ اليقظ والمتطور من التمييز في هذه الفقرة بين الحد الأقصى لما بعده في وقت مبكر ومتأخر. يمكن ملاحظة أنه بعد فترة قصيرة من العمل مع الجهاز، أصبح الفيلسوف متعبًا جدًّا، لكنه لم يستسلم.

«هأنذا حي! ولكن...». يبدو أن وجود هايدجر بكل مأساته غير المرنة يكشف عن نفسه من خلال هذه الرسائل الهزيلة. وحول «lore 3 p». تم التنبؤ بالعديد من المعاني التي استخدمت في النزاعات الفلسفية، مثل سياق أسطوري أو خرافي أو حتى أن تكون إشارة إلى أغنية النظام العسكري النازي «lore lore lore» والتي في هذا السياق قد تعني «سِر، سِر نحوي».

ويتبادر إلى الذهن أيضًا أن «الكاتدرائية القوطية غير المكتملة»، قد لا تكون أفضل مقارنة لكتاب بيوند، لكننا لا نتحدث عن روعة البناء الخارجي في النهاية، بل عن الروح المتفائلة والمتحمسة التي امتلكها المشرف على بناء الكنيسة منذ البداية.

هكذا يبدو نسيج «الزمن والعدم»، باستثناء تلك الفصول التي لم يكن لدى الفيلسوف وقت للعودة إليها أثناء مرضه. لكن تتاح للمشاهد فرصة المشاركة (و«المشاركة» هنا -دون أدنى شك- بالمعنى الإيجابي).

من خلال الإعدادات، يمكن مشاهدة الفيلم في وضعين: «اقرأ» و «اكتب» (هكذا تسمى أجزاء قصة سارتر الشهيرة «الكلمات»). في وضع «القراءة»، سترى دراما جنسية رائعة ولكنها جافة، في وضع «الكتابة» ستجد أكثر المغامرات الفكرية إثارة وغرابة في حياتك.

نعم. ربما خمنتَ بالفعل، لديك الفرصة لرؤية كمبيوتر بيوند أمامك بشاشته المقسمة، وإنهاء أحد فصول «الزمن والعدم» (النص الإلكتروني الكامل للكتاب مرفق بالفيلم).

يمكن القيام بذلك في وضعين، بالنسبة للمثليين (والجماهير الطبيعية يوجد أيضًا مثل هذا الخيار) دسار آي فاك 10 القياسي، مناسب تمامًا لهذه المهمة، مستشعراته دقيقة للغاية؛ بحيث يمكن ضبط عتبة الضغط بأي طريقة مناسبة لك. لكن هذا بالطبع سيتضمن القليل من الغش.

إذا أراد المُشاهِد أن يرى (ويشعر) بالفيلم بالطريقة التي قصدها المخرج، فيجب عليه استخدام قابس المؤخرة في مجموعة آي فاك 10 الجديدة، ولا شيء غيره. قُطره صغير، لكن المستشعر المدمج به ليس حساسًا، ويتطلب مزيدًا من الجهد العضلي. كان هذا هو الإجراء الذي اتبعه بيوند نفسه، وسيضفي على مغامرتك الفكرية أصالة مبهجة.

يشاهد جميع الخبراء هذا الفيلم بهذه الطريقة فقط، علاوة على ذلك، لا يُسمح للغشاشين الذين يستخدمون الدسار حتى بالمشاركة (ما عدا واحد).

نعم. لقد سمعتَ بشكل صحيح: مسابقة لأفضل إكمال لجزء من «الزمن والعدم». لقد شارك بالفعل عدة آلاف من الأشخاص فيه، يمكن أن يُطلق عليهم بأمان: النخبة الفكرية العالمية.

يقولون إنه حتى ديلون فيدروفوا البارز، على الرغم من تقدمه في السن، أنهى كتابة قطعة من الجزء الأول من «الزمن والعدم». وإن لم يكن على قابس، ولكن باستخدام الدسار القياسي من المجموعة نفسها (لجنة تحكيم المسابقة سمحت بهذا احترامًا لسنه).

بالطبع دخل فيدروفوا في المسابقة دون الكشف عن هويته، لكن مشاركته تعد من الأسرار المكشوفة.

لسوء الحظ، أصبح فيدروفوا هدفًا للكارهين الذين وجهوا إهانات معادية للمثليين، وجادلوا بأنه تم وضع استثناء للفيلسوف المثليّ المسن؛ لأنه لم يكن قادرًا على ضغط أي شيء بالعضلة العاصرة لعقود عديدة، ومن المفترض أن تقيس هذه المسابقة قوة العضلة العاصرة فقط، وليس أن يضع الدسار ويكوّن بعض الكلمات جنبًا إلى جنب.

من بين المشاركين في المسابقة هناك أيضًا أشخاص كرّروا هذه الكلمات فيما يتعلق بـبيوند نفسه، إنهم يفترضون أن سبب المشكلة وتأخر إنجاز الكتاب كان لرغبة داخلية لبيوند، وهو مَن عملَ على تعطيل رسالته الأخيرة من أجل الاستمتاع بجهازه الجديد.

أثارت هذه الأقاويل الاستياء على مستوى واسع. من الناحية الإنسانية ربما يكون هذا الشعور مفهومًا، لكني أود أن أذكرك أن عمق الفكر الفلسفي لا يعتمد دائمًا على مرونة العضلات، ويمكن أن يكون لديك جبل من العضلات وذكاء فأر (هذا الأخير ينطبق على هؤلاء السادة).

لو كان ميشيل فوكو العظيم قادرًا على العودة للحياة للمشاركة في هذه المسابقة، لكان أخذَ وقتًا طويلًا كما يشاء، لكنه بالتأكيد كان سيُسكِت كل الأصوات العدائية المثيرة للشفقة بمقال احتقاري واحد.

بورفيري كامينيف.

بلوندي

لسبب ما، بدا لي أنني سمعت عن بيوند هذا من قبل، كما أذكر، كان له علاقة بضمير ما بعد الحرب في أوروبا، لم يخدم في القوات العسكرية، بل اختبأ منهم قبل أن يُقبض عليه ويعترف بكل شيء، قبل تسريب أرشيف وزارة الأمن الألمانية بأسبوع. بشكل عام، كانت قصة مألوفة.

لكنني اكتشفت أنني خلطت القصص ببعضها.

بيوند، شخصية تم خلقها داخل الكتلة خصيصى من أجل الفيلم، ذهبت إلى الواجهة وحاولت معرفة كيف حدث هذا، وقد توصلت إلى عدد من التفاصيل المتقنة.

جاء اللقب المستخدم من بعض الكتب القديمة مثل «فرويد ولاكان وما وراءهما»، بالطبع: «فرويد ولاكان هراء لا يحتاج أحد إلى معرفته، لكن ما وراءهما رائع للغاية».

تم نحت نص بيوند باستخدام طريقة «اللحم المفروم» المزعومة، تمزج المؤسسات عدة مواد مختلفة في مادة واحدة، لتكون ما يسمى باللحم المفروم. هذا الإجراء ممكن، ليس فقط مع أنواع مختلفة من اللحوم، ولكن أيضًا مع الأعلاف المختلفة.

أخذت الخوارزمية عمل هايدجر «الزمن والوجود» وكتاب سارتر «الوجود والعدم»، وبنت منهما: «الزمن والعدم». كان نص «الزمن والعدم» بناءً بسيطًا للغاية، عبارة واحدة من سارتر، وتليها عبارة أخرى من هايدجر، تليها مرة أخرى من سارتر، وهكذا حتى نهاية الكتاب (لذا فإن الأطروحة المتعلقة بالجسر من هايدجر إلى سارتر صحيحة تمامًا). إذا قمت بذلك باستخدام شبكات فلسفية خالية من المعنى الواضح، فستكون النتيجة إثارة الإعجاب، ولكن إعجاب خافت نتيجة لخروج النص بشكل غير متناسق، فلم تنجح أي جملتين في تكوين معنى واحد مفهوم.

ومع ذلك، فإنني أعترف بوجود أشخاص يمكنهم قراءة هايدجر بكل سهولة، أحد أفراد فريقنا الذي توفي في جمهورية الدومينيكان كان قد قرأ أعماله بشغف، عندما كان يعمل على آليات الألم العنقودي (ربما من أجل تجربة الألم بنفسه). لذلك لم يفهم هايدجر فقط بل طبق كلماته طوال الوقت.

الآن هو على الأرجح جالس مع هير «هايدجر» على سحابة ما على شكل دبابة أو نمر، ويتجادلان حول إشكاليات الطفولة.

أنا شخصيًا لم أدرس هايدجر، من الجيد أن الرب رحمني من ذلك، أما بالنسبة إلى سارتر فقد قرأت له، لأنه تحدث كثيرًا عن الفن وأحتاج إلى آرائه للعمل. لكنني رأيت ما يحدث لأولئك الذين قرأوا هذين الشخصين بجشع، وبقية قائمة الفلاسفة من أجل الدخول في فكرهم في أسرع وقت ممكن، خاصة عندما يأخذ الفقراء ما قرأوه على محمل الجد، يا إلهي! ولكن على نحوٍ ما، استمر الإجماع على قراءة تلك الكتب؛ لأن «هناك أشياء تحتاج إلى معرفتها».

من الواضح أن أساتذة ما يسمى بـ «العلوم الإنسانية» يحتاجون إلى قاعدة تغذية. لكن هذا الوضع -في رأيي- تخريبي. أن نأتي بعقول الشباب النشطة ونخبرهم أن عليكم أن تقرأوا لهايدجر وسارتر وبيوند وفيدروس، هذا أشبه بالذهاب إلى جميلة جميلات القرية لتنصحها بأن تذهب لتضاجع حكماء القرية العشرة، سوف تفعل ذلك بالطبع لأنها شابة مطيعة ومسكينة قابلة للتأثر بأي هراء، وسوف تتعلم منهم أن الحياة ليست جميلة، ولن تظل الفتاة جميلة بعد الآن بسبب استهلاكها.

المحاكاة الفلسفية لا تثقف العقل. بل تضخ البرامج إلى داخل الرأس، فتبدأ الأجهزة في عرض «لقاءات مع الوجود». وفي الغالب بعد أن تجرب هذا البرنامج لمرة لن تجربه مرة أخرى.

يمكن لعقل شاب عنيد أن يفهم كل ما يقوله هايدجر وسارتر. لكن بعد ذلك لن يكون صغيرًا ونضرًا، ولن يمكن التنبؤ به. ستبدأ الرائحة الكريهة في الظهور كل فترة. علاوة على ذلك سوف يظل تفكيره متأرجحًا في فترة 1943 بينما هذه الفترة انتهت ولا يوجد أي من هؤلاء الناس هنا الآن، لا هم ولا حتى الرايخ الألماني. يمكنك أن تفتح أي مقال عن تاريخ الفن، وتشاهد الكاتب

يعبر عن أفكاره بقوة غريبة، بينما هي غير قابلة للتطبيق في زماننا، إنه يقوم بحرق تفكيره بالبنزين لا أكثر، من وجهة نظري.

للسبب نفسه، بالمناسبة، كل المتخصصين اللامعين في تحليل إبداع الآخرين، يتضح أنهم غير مهمين مثل المبدعين أنفسهم، أسلافهم الأكثر نجاحًا الذين حرقوا أنفسهم بالتفكير، والآن تأتي الرائحة الكريهة والدخان فقط من هناك. لا يوجد دخان دون نار، أتفق مع هذه الجملة، لكن هذا لا يجعل المدخنة دافئة.

للأسف أعرف هذا جيدًا من تجربتي الخاصة، عندما كنت تلميذة حلمت بكتابة الشعر، وحفظت عن ظهر قلب عددًا هائلًا من القصائد لشعراء مختلفين بثلاث لغات، ولكن كان من المفترض أن أبتعد عن الشعر وأقرأ النثر الجيد. أدركت هذا لاحقًا فقط عندما أصبحت ناقدًا فنيًا (بالمناسبة، قد يكون من المنطقي أنني أحببت جين لأنها تمثل سافو الشاعرة، أو حلمي الضائع).

يقوم أي شخص بتثبيت البرامج التي تم تنزيلها من الشبكة على أجهزته بعناية فائقة. ويمتلك خيار محوها متى أراد. أو كحل أخير، يمكن التخلص من الجهاز وشراء جهاز جديد. لكن على القرص الرئيسي في رأسه، والذي لا يمكن تغييره حتى الموت، يرمي الشخص أي شيء بثقة. وفي النهاية يجد الإنسان نفسه قد حرق الكثير من الخلايا العصبية في حفظ وترديد الأغاني طوال فترة رواجها القصيرة، قبل أن ينتقل إلى أغاني أخرى، لا أقصد أن أقول إن كل البرامج الموجودة حاليًا هي هراء فارغ من الفكرة، لكن كما أشار بورفيري من قبل، هناك الكثير من المصنوعات المؤسسية التي تضخ تحت جلدك بشكل دائم، وفي هذا المثال فإن المُلام على تحميل هذه البرامج وتثبيتها، هو الشخص نفسه.

باختصار، لقد نجحت السينما في إمتاع الروح وإيقاظ الفكر، كما أثبتت للتو بمثال شخصي.

يجب تقسيم المكافأة لتسويق قابس المؤخرة إلى ستة أجزاء هذه المرة، لكنها كانت كافية بالنسبة إلي، ولم أشكُ. إنه توزيع عادل إلى حدٍّ ما.

يبدو المستقبل مشرقًا من هنا.

***

بالعودة إلى هذا الموضوع، لقد مر شهران، ماذا يمكنني أن أقول؟ عندما كتبت الفقرة الأخيرة، كان كل شيء على ما يرام. ولكن الفلسفة الطبيعية الصينية تُعلمنا أن هذا هو الوقت الذي يظهر فيه الصدع الأول دائمًا.

بعد وقت قصير من إطلاق سراح «بيوند» بدأت المشكلات. ولكن لا لم تبدأ معي مباشرة، بل مع «أري مناحم» المنتج الذي بعت له أفلامي من خلال بعض الشركاء (لم نكن نعرف بعضًا شخصيًّا). كانت استوديوهاته هي التي تعمل على تحويل مادتي الخام إلى روائع مشهورة عالميًّا.

بل إن مشكلات مناحم لم تبدأ، بل انتهت. لقد قُتل، ولهذا السبب أناديه هنا باسمه الحقيقي.

قام بذلك أحد التابعين للخلافة (على الأغلب لقد خضع للتنويم المغناطيسي) والذي فجر نفسه في احتفال هوليوود بجوار السجادة الحمراء التي كان مناحم يسير على طولها. في الولايات الأمريكية يتم استخدام القنابل التي تتألف من العديد من الواقيات، مع المتفجرات التي يتم ابتلاعها قبل العملية (لقد تعلموها من عصابات المخدرات). قنبلة دون أجزاء معدنية، العناصر الأساسية فيها مصنوعة من البلاستيك. لكنها قاتلة أيضًا. في مثل هذه الانفجارات لا يموت الكثير من الناس، هذه المرة توفي ثلاثة فقط.

تم تخليد المفجر في كل تقارير الفيديو التي كانت تصوّر على أكبر عدد من الكاميرات، كان يرتدي قميصًا لا تشوبه شائبة، ونظارة سوداء، مع لحية دقيقة ووشم لدمعتين تحت العين اليمنى، هذا المظهر يدل على الالتزام بأحدث صيحات الموضة، في الغالب إذا رأيت شخصًا مثل هذا في مكان آخر؛ فسوف تقول أن وجهه يصرخ بحب الحياة.

كان من بين الضحايا مغني راب عابر للأديان من ذوي الهوية الكاميرونية، وحصل مؤخرًا على غرامي، لذلك تحدثوا عنه أكثر، بينما ظلت الصحافة صامتة عن مناحم، حيث يمثل مجرد ضحية عرضية لعمل من أعمال الكراهية. لكن في الواقع كانوا صامتين لأن الكثير من الأشياء غير السارة يمكن أن تخرج للنطاق العام، ولا أحد يريد ذلك.

كان مناحم رجلًا جادًّا وثريًّا للغاية، وفي البداية اعتقد الجميع أنه والخلافة لا يزالان يواجهان بعض المشكلات المالية التي لم يتم حلها. لكن اتضح أن

هذا كان عملًا أيديولوجيًا من أعمال الترهيب المرتبطة بنشاطاته المهنية، على وجه التحديد نتحدث عن فيلم «بلوندي» (ذكرها بورفيري في عرضه لفيلم «المقاومة»).

لشرح الأمر، يجب أن نتحدث عن «بلوندي»، بعد مقتل مناحم تمت إزالة الفيلم من جميع المواقع والمكتبات، ولن يجد القارئ بنفسه شيئًا.

كان بورفيري على حق، فقد نما سوق أفلام الحيوانات المليئة بالإثارة ونضج كثيرًا على مدار السنوات العشر الماضية، لدرجة أنه حصل على علامة عامية ساخرة خاصة بها «أفلام هوس الحيوانات». هذا هو اسم مزيج من الإثارة والسخرية. هذا الهوس ليس جديدًا، بل تم تصوير أفلام الإثارة التي تضم الحيوانات هذه من قبل، ولكن الجديد هو أن تلقى هذا الرواج والانتشار.

أريد أن أوضح بشكل صريح أنني لست ضد الزوفيليا[1]، لدي العديد من الأصدقاء الذين يحبون الحيوانات، وهم أشخاص رائعون ويتمتعون بأخلاق عالية، والذين أستطيع أن أوكل إليهم طائري أو كلبتي دون أي خوف. لكن عدد أفلام الحيوانات المعروضة على الشاشة اليوم يتجاوز بكثير احتياجات هذا المكان المحدد للمستهلك. نحن جميعًا نتدخل تدريجيًا في المشاهدة، حتى إذا لم نكن مهتمين، وهذا على الأرجح له آثار سياسية.

هناك بعض المتعصبين الدينيين الذين يقولون أن هذه محاولة لفرض هذا الذوق على المتفرجين بالقوة، لكنني لا أعتقد أن هذه هي الفكرة هنا. إن الأمر أبسط من هذا بكثير، إن أجندات الدفاع عن المثليين والميل الجنسي ومغايري الهوية الجنسانية وباقي التصنيفات المختلفة التي اندمجت في كتلة إنسانية واحدة، قد خدمت الحركة التقدمية لما يقرب من قرن من الزمان، لكن هذا النهج لم يعد يعمل.

السمة المميزة للعالم الحكومي (حسنًا دعنا ننسَ الجبس المتناسق والمؤسسة العالمية والبنك الموحد والمحيط العالمي وما إلى ذلك) هناك دائمًا هذا الشخص الرمزي الذي من خلاله يتم شن جميع الحروب والاتصالات ويتم تنفيذ جميع الانقلابات على هذا الكوكب، ناهيك بالإصلاحات المالية.

---

(1) البهيمية أو ممارسة الجنس مع الحيوانات.

كان هذا الرجل الخَطِر الذي يبقى وراء الستار هو مناحم، وهناك الكثير من الأطراف أرادوا رؤيته ميتًا، وظلوا يبحثون عن سبب مناسب. من الضروري الدفع بشيء ما لإدانة الشخص المطلوب، عليك أن تجد دافعًا للقتل، ولكن ليس من خلال استهداف المصرف المتحد مباشرة، لأنهم إن فعلوا ذلك سوف يتم استبعادهم من مشروعات التمويل.

المهم، لنعد إلى الأفلام، تنجح عمليات التسويق دائمًا عندما تحتوي على قطة وكلب يستطيع الوصول إلى قلب الإنسان، لكن بإضافة إيحاءات حميمية يصبح هذا مثاليًا (بالإضافة إلى أن في هذه الحالة يخدم شركة آي فاك). ومن هنا بدأنا نسمع كل المطالب بشأن «حقوق الحيوانات». وفي الحقيقة أنا أتفق أيضًا مع الجوهر الأخلاقي لهذه الحركات، وإن كنت أسخر من مبالغتهم في بعض الأحيان.

قبل فيلم بلوندي ذهبت جميع أفلام الحيوانات إلى أماكن عرض مخصصة. أصبح فيلم بلوندي أول فيلم تجاوز هذا النوع، هذا ليس مجرد فيلم من أفلام الهوس الحيواني، ولكنه أيضًا دراما تاريخية، التي نادرًا ما نراها، ومثل كل ما تبثه هوليوود اليوم، يحتوي على تحديثات وترقيات حول أهم القضايا من التاريخ السياسي.

بالطبع يجب وضع كلمة «تاريخ» بين علامتي اقتباس هنا، فقد انسكب الكثير من عصير التوت البري في «بلوندي» بحيث يمكن إغراق أكثر من سفينة تايتنك. لكن سيكون من الغريب إلقاء اللوم على هوليوود. تم إعادة تصميم الأزياء والآلات من عصر آخر بتفاصيل دقيقة، ويجب أن نشكرهم على ذلك. وبالنسبة إلى القلة من المهتمين بالحقيقة التاريخية، يمكنهم التوجه إلى أقرب مكتبة.

على الرغم من أنني لست مولعة بأفلام الحيوانات فإنني أحب الفيلم، وكان من الجميل مشاهدته من البداية إلى النهاية.

أتذكر أنه بدأ بشكل مذهل ومخيف.

يقف هتلر عند النافذة البانورامية لمنزله الجبلي المطل على قمم جبال الألب المغطاة بالثلوج، وينظر إلى كرة بلورية. بينما نحن منغمسون في رؤيته، نرى كل شيء يتدفق ويتحرك من حوله: الأبراج المشتعلة التي تبدو

مثل النجوم الحمراء اللامعة، وتحرك الجنود فوق الثلوج، والجثث التي تسقط تباعًا، وكل هذا مصحوب بصوت شبكة الإنذار العالية، هذا المشهد يُدخل التوتر إلى جسد أي مشاهد فورًا.

ولكن بعد ذلك تنقطع الرؤية. يُسمع نباح عالٍ لكلب. يضع هتلر الكرة البلورية على الطاولة. من الزاوية نرى الكلبة بلوندي[1] تنظر إلى الفوهرر، لسانها بارز، وفي عينيها نظرة غريبة، كما لو كانت راغبةً في إيصال شيء مهم جدًّا.

استُبدل بالكرة البلورية جهاز تجسس في الأمس. رأت بلوندي كل شيء، لكن لا يمكنها التحدث. ربما تحتاج إلى معرفة أين تجري أحداث هذا الفيلم. أنا أتساءل حتى إذا كنت سأتمكن من عمل تقرير يضاهي ما يقدمه بورفيري، ولكنني سوف أحاول.

يعتمد هذا الفيلم -كما هو الحال غالبًا في هوليوود- على مواد مأخوذة من محتوى أشخاص آخرين. الفيلم بشكل عام هو عمل فني صُنع بإتقان، يستطيع أي مواطن بسيط أن يشاهده دون أن يلاحظ بالضرورة أي إسقاطات أخرى، وهذا ما يسميه النقاد: «هالة ثقافية عالمية».

الفيلم لديه أيضًا مهمة أيديولوجية بحتة. بعد أن تخلصت روسيا أخيرًا من اللوم على اندلاع الحرب العالمية الثانية، بدأ الخطاب التقدمي يشعر أنه بحاجة إلى المشاركة في الهولوكوست أيضًا. إذا كنت تعمل في مجال صناعة الأفلام، فإنك تشعر بهذه الأشياء في الأعمال المقدمة فورًا. ولكن يجب أن يتم ذلك بمهارة فائقة، حتى لا تسيء إلى العميل غير المرئي الذي تحاول إخضاعه للفكرة.

يتعامل مبتكرو فيلم «بلوندي» مع قضية مسؤولية روسيا عن الهولوكوست بنوع من الأناقة المجنونة. هتلر في هذا الفيلم هو نموذج من المهووس الصوفي أو الحالم المجنون أو مونشاوزن الأسود. إنه ينظر باستمرار إلى الكرة البلورية لفهم المكان الذي يجب أن يتحرك فيه الرايخ بعد ذلك. اكتشف

---

(1) الكلبة بلوندي كانت كلبة هتلر بالفعل والتي أعطيت له كهدية من مارتن بورمان عام 1941 وبقيت بلوندي معه حتى خلال معركة برلين في المخبأ تحت الأرض عام 1945 وقبل أن ينتحر هتلر أمر بتسميمها بالسيانيد.

عملاء NKVD[1] ذلك، وقرروا استبدال هذه الكرة من أجل قيادة الفوهرر إلى فكرة غزو إنجلترا.

تحقيقًا لهذه الغاية، يحاول خبراء ستالين التلاعب اللاواعي بهذه الكرة نفسها، ويضعون بداخلها صورة تؤدي لا شعوريًّا إلى غضب هتلر، وتجعله يقرر التوجه إلى إنجلترا، يقولون أن هذه الصورة كانت لتشرشل، أي أن هتلر نظر للكرة ورأى تشرشل، حينها غضب وقرر أن يبدأ الغزو.

يوجد مصنع في روسيا حيث يتم إنتاج ما يسمى بـ «كريسماس الكرملين» وهي كرات زجاجية بها صورة للكرملين بداخلها. هذا المصنع هو الذي يتلقى مهمة صنع كرة مموهة وهمية للفوهرر.

ولكن بسبب تخلف التكنولوجيا الروسية وتفشي السُكْر في المصنع، تبدو صورة تشرشل وكأنها يهودي كاريكاتوري الأنف من الكتيبات المعادية للسامية. علاوة على ذلك لقد نسي الحرفيون الروس من المصنع إزالة الصورة الأساسية، فظهرت في خلفية البلورة المزيفة جملة «كريسماس الكرملين» لأنهم نسوا إيقاف هذا الإجراء الخاص بأجهزة الليزر.

نتيجة لذلك، يتضح أن الروس لم يستفزوا هتلر فقط في الهولوكوست، بل كانوا أيضًا السبب الذي حمله على مهاجمة روسيا. نعم هذا ذكي، لكن لم يكن هناك ليزر حينها! لا أعتقد أن هناك من سيتذكر هذه المعلومة، لكنه فيلم على أي حال.

وفقًا للحبكة، يتخيل هتلر نفسه ذئبًا ألمانيًّا نبيلًا، ولأغراض صوفية يدخل في علاقة مع كلبته الجيرمان شيبرد؛ يتيح له الاتحاد المنتظم لجسدين أثيريين تجاوزَ النطاق البشري للإدراك واكتساب المعرفة الخارقة. تم تصوير هذه المشاهد بضجة كبيرة وتأثيرات رائعة قادرة على إثارة دهشتك.

كان هناك مشهدان في جبال الألب البافارية، وثلاثة على متن طائرة، وأربعة في برلين، وستة في «وكر الذئب» (هناك يصبح هتلر المستذئب غاضبًا وثائرًا، لأنه في خياله الخاص يتحول إلى ذئب أسود ضخم، والذي

---

(1) المفوضية الشعبية للشؤون الداخلية هي مؤسسة سوفيتية جمعت بين أنشطتي الشرطة والشرطة السرية، عملت على تنفيذ الأوامر السياسية السوفيتية بما في ذلك القمع السياسي خلال عهد جوزيف ستالين.

تنقله المؤثرات الخاصة ببراعة) وثلاثة مشاهد في مخبأ تحت مستشارية الرايخ، هنا يختار جمهور حديقة الحيوان أن يهزوا ذيولهم فرحًا، وهذا بفضل محفز يُضخ عبر أجسادهم. ويمكن لأي أحد لا ينتمي إلى المجموعة المستهدفة أن يحظى أيضًا بهذه التجربة.

لكن الحرب مستمرة من تلقاء نفسها. في النهاية يُضطر هتلر إلى إرسال كلبته إلى النوم الأبدي لإنقاذها من جحافل آسيا الوسطى القادمة، ثم ينتحر، وهنا نفارق هتلر ولكن لا نفارق بلوندي.

تمر روح الكلبة بجميع مراحل الباردو[1]، بما في ذلك الرؤى الجنسية التي لا نهاية لها. أصبح تمثيل بعض هذه المشاهد يمثل تحديًا خَطِرًا حتى بالنسبة إلى أجهزة آي فاك 10، حيث استُخدمت كل القدرات الفنية حتى أخرجوا مشاهد باهرة. ربما يكون هذا هو الجزء الأكثر إثارة للاهتمام في الفيلم، هنا ينتظر المشاهد مغامرة الجسد والروح الأكثر تعقيدًا.

المشاهد في باردو هي ترنيمة حقيقية لجميع أشكال الحميمية التي كانت موجودة في الحياة البرية على مدار المليار سنة الماضية، وعلى الرغم من أننا نزيح هذه السحابة، ونرتجف أمام التخصيب الذي يحدث بسرعة رصاصة، في عدة تقاطعات داخل الفيلم يمكننا التوقف لنلقي نظرة من كثب للطحالب أحادية الخلية التي تتضاعف بالانشطار، أو سمكة غريبة الشكل أو ديناصور، لقد أحببت بشكل خاص الجزء المتعلق بالأسترالوبيثكس ذي الأسنان الكبيرة[2]، رغم أنه كان يخاف من النار.

عندما شاهدت هذا الجزء من الفيلم، اعتقدت أن هذا هو مستقبل أفلام الحيوانات ومستقبل سينما أي فيلم. التوجه إلى الخيال المطلق والحلم، أو بشكل عام إلى عالم المفاهيم المثالية، كما فعل بورفيري في بيوند. لكن يبدو أن مبدعي «بلوندي» خافوا من قدرتهم المطلقة، إنه مثل سحر الورقة البيضاء حيث يمكنك في أي لحظة كتابة قصيدة عبقرية لا حدود لها، ولكن لسبب

---

(1) في بعض المدارس البوذية، يعد باردو أو أنتاربهافا: حالة متوسطة أو انتقالية أو حدية بين الموت والولادة الجديدة.

(2) نوع من القرود المنقرضة يسمي القرد الجنوبي، وجدت أحفورياته في إفريقيا. يعتقد بأنه أول من مشى على الأرض برجلين اثنتين قبل 4.2 مليون عام.

ما لا يجرؤ أحد على كتابتها. ثم يعود المؤلفون إلى المسار المبتذل للسوق المبتذلة، ولم يعيدوا الكَرّة بفيلم مماثل.

حتى هذه اللحظة، لا يوجد في الفيلم أخطاء أيديولوجية يمكن أن يلاقي مناحم عقابًا بسببها. عادةً لا ترتكب الأفلام الرائجة أخطاء فادحة من حيث الإساءة إلى بعض الأطراف الحساسة.

لكن لسبب ما، أدخل كُتّاب السيناريو القديسة أنجيلا في الفيلم. وفقًا للحبكة، وُلدت بلوندي من جديد، لتصبح المستشارة المستقبلية لألمانيا أنجيلا ميركل. إنها لا تتذكر أي شيء عن حياتها الماضية، إنها تكره الكلاب فقط.

مشاهد الكلب الأسود الكبير التي تم تجميعها في الجزء الثاني من الفيلم، والتي تسمى Der Karma-code كانت أكثر إثارة للمشاعر بالنسبة إلى المشاهدين لأنها موجهة إليهم هذه المرة. هناك فيلم آخر صُور بالشكل نفسه تقريبًا، في وكر الذئب يدعى The Passion of the Holy Angels، ويحكي هذا الفيلم عن ديكتاتور روسي يعيش خيالاته في هذا المكان، لكن الفيلم كان رتيبًا ومملًا ذا أحداث عادية، والأهم من ذلك هو عدم استناده إلى أي فكرة تاريخية.

ليس من الطبيعي أن يُحيي السياسيون الألمان في عصر أنجيلا ميركيل بعضهم بتحية هتلر المعروفة، ولكن في الفيلم يضعون بعض هذه اللقطات، ونتيجة لذلك، تتذكر القديسة أنجيلا كل شيء. ليس فقط عن مجد الرايخ، ولكن حول الكرة الكريستالية التي أعطاها العملاء الروس إلى الفوهرر. من أهم العوامل المثيرة في الفيلم هو ما إذا كانت المعلومات حول الجناة الحقيقيين للمحرقة سوف تصل إلى وسائل الإعلام الحرة.

هناك موضوع واحد فقط يوجد في كل أفلام الحيوانات الكلاسيكية، وهو وجود عضو صناعي لحيوان أو دمية حميمية، كنت مهتمة كيف يستطيع المؤلفون أن يحلوا هذا الأمر؛ لأن سياق الفيلم لا يخدمهم لوضع هذه الفكرة، وقد استطاعوا حلها فعلًا وتمريرها داخل الفيلم بشكل طبيعي.

تمت إضافة هذه الفكرة من خلال وجود مجتمعات سرية مثل الماسونية استطاعت الحفاظ على أجزاء من جلد بلوندي المحترق، وصنعت منه دمية

محشوة على شكل كلب، بحيث يتم استخدام الدمية في احتفالات خاصة بالسحر الأسود، للتأثير على شقراء الرأس عند اتخاذ القرارات المهمة. ومن ضمن طقوس المجتمع السري الخاصة، هناك شخص متمرس يرتدي زيًّا أرجوانيًّا يقترب من هذه الدمية ويكرر بعض التعويذات ويرسم وجه الكلب على الأرض، وهذا يسبب تغيرًا مفاجئًا في السياسات الأوروبية.

بالطبع ستكتشف الأجهزة السرية أمر السحر.

تستند حبكة الجزء الثاني التي تتطور بشكل مذهل إلى هذا المنحنى، يتكرر مشهد الدمية بلا نهاية مع مشاركين مختلفين على خلفية وجود معارك منظمة بشكل رائع.

كما هو الحال في جميع ملاحم الأفلام التي تحترم نفسها، تنعكس المعركة الصغيرة التي تدور رحاها في مركز الأحداث الغامض السري على الفور في المعركة الكبيرة، حيث تتقاتل جماهير كبيرة.

في قاعة الطقوس في النُزُل، تحدث اشتباكات عنيفة بين ما لا يقل عن خمسة فرق خدمات خاصة مختلفة ووكالة المخابرات المركزية والموساد، وكلما ضغطت الشرطة السرية التركية على دمية بلوندي تهتز أوروبا. ويستمر القتال من أجل الدمية مرة أخرى، ولزيادة التوتر تندفع مجموعة كاملة من الأوروبيين الروس حول القاعة وهم ينبحون، وكأنهم على استعداد لخدمة المشاهدين.

لا أحب النهايات المفتوحة، لكن هذا هو الجزء الأكثر إثارة للإعجاب في الفيلم، وهو مخيف حقًّا، المخرج -باعترافه الخاص- استوحى الفيلم من تحفة هوليوود القديمة «سليبي هولو». لم أكن بهذا القدر من الكسل، لذا بحثت عن الأمر.

في الواقع إنها الحبكة نفسها تقريبًا: تتحكم الساحرة في فارس هيس مقطوع الرأس بمساعدة جمجمته، ولكن في «سليبي هولو» هناك مشهد واحد أرعبني حقًّا.

بعد أن استعاد الفارس جمجمته وضعها على رقبته، وأصبحت الجمجمة مغطاة باللحم في دقيقة واحدة، وأخيرًا يستدير الفارس ويمسك بالساحرة التي عذبته لسنوات عديدة، يضعها على سرجه، يبدو أنه يستعد لتمزيقها، لكنه

يفعل ما هو أسوأ: ينظر إلى عينيها بجنون ثم يُقبلها بحماس وشغف شيطاني، بحيث يبدأ الدم في التدفق من فم الساحرة، ثم يأخذها معه إلى الجحيم.

لقد شاهدت هذا المشهد عشر مرات. لا أعرف لماذا! لكني بدأت أشعر أن هذا فأل سيئ بالنسبة إليّ شخصيًّا، وكأنه أول صدًى لشيء وحشي يتربص بمستقبلي.

ومع ذلك فإن مهمة أي فيلم رعب هي على وجه التحديد ملء المشاهد بمثل هذه المشاعر؛ إذا بدأ في تخيل الشيطان، في هذه الحالة فقد نجح مسعى الفيلم.

آسفة! لقد تشتت انتباهي بسبب المحفزات التي تضخ إلى الجسد، إنها تعطي تأثير المخدرات نفسها أحيانًا.

تعد المعارك حول الدمية مثيرةً للغاية، ولكن من خلال إدخال القديسة أنجيلا في الفيلم، ارتكب مؤلفوه خطأً دفع ثمنه مناحم المسكين (والذي لا علاقة له بالأمر) وقُتل بسبب رفات كلب.

تم تقديس أنجيلا ميركل على مدار التاريخ من قِبل جميع مسيحيي سراديب الموتى الأوروبيين تقريبًا، بسبب رحمتها وحسن تصرفها، وبطبيعة الحال من خلالها تم إعادة فتح الطريق القديم المؤدي إلى المسيح. ولكن نظرًا لأنها تعد قديسة مسيحية؛ فإن مهاجمتها مرة أو مرتين يعد خطيئة، لذا من الضروري أن يعد فيلم مثل بلوندي بالنسبة إليهم شرًّا متجسدًا. لكنهم لم يأخذوا في الاعتبار أن القديسة المباركة ميركل لا يقتصر أتباعها على مسيحيي سراديب الموتى، ولكن تم تكريمها أيضًا من قِبل محاربي الخلافة، الذين أطلقوا عليها اسم ميركل خانوم (بمعنى: «الأم الجليلة ميركل»).

والخلافة لديها نهج مختلف قليلًا عن باقي الزملاء في المزاح.

الشيء المضحك -أو الأكثر حزنًا- هو أنه ليس فقط مناحم العجوز، ولكن مؤلفي الفيلم أنفسهم ربما لم يكن لديهم أي شيء ضد القديسة ومعجبيها. وفي اعتقادي الشخصي أن اختيار الكلبة بلوندي لهذا الفيلم نابع من اختيار خوارزمية قامت بتحليل تفضيلات المشاهدين بين الحيوانات اللطيفة والكلاب السوداء الكبيرة، لتخرج لنا بهذه الفكرة. لكن يبدو أن بعض الحمقى المغفلين لم يفكروا في هذا الاحتمال من الأساس.

إهانة الذات الملكية

في تدوينة الشهر الماضي سخرت من الحمقى المغفلين.

يا للهراء!

إليكم ما حدث بالترتيب، بعد وفاة مناحم تم إغلاق القناة التي بِعت لها الفيلمين اللذيْن أعدهما بورفيري، كان هذا متوقعًا.

لكن لم يكتفوا بهذا.

وُضع مكتب مناحم تحت التحقيق، وصودرت جميع خوادمه بما فيها قوائم كاملة من المقاولين والموردين والتابعين له، وكذلك فعلوا مع قسم المحاسبة (لسبب ما، أبقى الماعز العجوز كل شيء بلا حماية أو حتى تشفير!) كل شيء أصبح في براثن المحققين الفيدراليين.

كانوا يبحثون عن أولئك المشاركين في صنع بلوندي، لكن بدلًا من ذلك، اكتشفوا أعمال مناحم في العديد من المناطق بداية من روسيا وحتى باراغواي، بل وشاركوا هذه المعلومات مع جميع الوكالات الوطنية الإعلامية المهتمة.

وسرعان ما اكتشفت الورطة التي وضعت نفسها بداخلها.

كانت المشكلة غير متوقعة تمامًا. لأكون صادقة، لم أفكر حتى إن هذا من الممكن أن يحدث. وكان عليَّ أن أفكر.

في الإمبراطورية الروسية، كان قانون «العائلة الإمبراطورية» ساري المفعول لمدة ربع قرن. في الواقع هذا هو lèse-majesté[1]، في العصور الرومانية القديمة كان هذا القانون ينطبق على العائلة الحاكمة بأكملها. تم قبوله كواحد من العديد من القوانين الطقسية المرتبطة بالمَلكية، وبالطبع لم يكن مصممًا للاستخدام الحقيقي. ببساطة لأن القيصر ليس له أقارب.

---

(1) قانون إهانة الذات الملكية.

بالنسبة إلى أولئك الذين ليسوا على دراية بالشؤون الروسية، سيتعين عليّ توضيح مَن هو الإمبراطور. عندما أعيد تأسيس النظام الملكي في أواخر الثلاثينيات، لم يفكر أحد على محمل الجد في أولئك الذين ينسبون أنفسهم إلى العائلة المالكة، وما زالوا يعيشون في مكان ما في أوروبا. كان هذا عصر الأطفال المصممين جينيًّا، وبدا العلم قويًّا للغاية، وكان علماء الوراثة الروس على يقين من أنهم سيكونون قادرين على إنشاء مَلك مثاليٍّ وراثيًّا.

لم تكن المهمة الموكلة إليهم سهلة.

يمر الجنين البشري بمراحل مختلفة في تطوره؛ وفقًا للقائمين على العملية، كان على الملك أن يمثل بالطريقة نفسها جميع مراحل التاريخ الروسي المتناقضة والمتبادلة والمجيدة أيضًا بالقدر نفسه.

لضمان الاستمرارية الرمزية للعصور، كان من الضروري دمج أفضل جينات النبلاء الروس القدامى في المنتَج النهائي، مع المادة الوراثية لجزء من السوفييت أيضًا. بالإضافة إلى ذلك، كان من المفترض أن تربط باقة الحمض النووي بين المستبدين المستقبليين والأبرز والأكثر حيوية في التراث الثقافي الروسي من فترات تاريخية مختلفة.

بعد الأحداث المضطربة في العشرينيات والثلاثينيات، لم تكن هناك الكثير من العينات للاختيار من بينها، لم يتبق عمليًّا أي ناقلات حية للحمض النووي، وتكون مناسبة لما يفعلونه. لم يتم الكشف عن التركيب الدقيق للجينوم على الملأ، هذا سر من أسرار الدولة. ولكن وفقًا لمعلومات تم تسريبها بشكل مجهول إلى الشبكة، فإن المصدر الرئيسي للمادة الوراثية (ثمانية وثلاثون بالمائة) كان الشعر من الشارب الأيسر للعملاق السينمائي نيكيتا ميخالكوف، المحفوظ كدليل مادي في أرشيف وزارة أمن الدولة.

امتلأت النسب المئوية المتبقية بشرائح مختارة بعناية من جينوم السلالات الأوروبية والصينية والحبشية، بالإضافة إلى عناصر من مدونة الأمهات الأربعة العظماء الذين جعلوا الإمبراطور المستقبلي يهوديًّا، قاموا بذلك لتحسين فرص الزواج والميراث الأسري، وبشكل عام لزيادة الشرعية الدولية.

على الرغم من أننا لا نذكر تلك المعلومة كثيرًا، لكن من الناحية الفنية فإن إمبراطورنا هو أيضًا زنجيّ: ليس أسودَ بالطبع، لكن لديه بعض الصفات

الجسدية التي تقدر العين الأمريكية المدربة على التقاطها على الفور، بينما شخص روسي غير مكترث لن يلاحظها، كانت هذه فكرة حكيمة، لن يقدر أي أحد على اتهام بيت الحكمة بمعاداة السامية أو الشوفينية البيضاء.

الحاكم الناتج كان رجلًا سمينًا، جيد المظهر ذا شعر مجعد، وكان يتمتع بشخصية لطيفة ودمثة، لكنه كان يحب فقط إطلاق النار على الغربان والقطط بمسدس. تم اعتماد قانون «اللقب الإمبراطوري» بشكل أساسي لإبعاد الصحافة عن مثل هذه الحقائق الصغيرة (أو الشائعات). لم تكن هناك حاجة لهذا القانون لأنه ببساطة لم يكن للإمبراطور أقارب.

لم يكن هناك سوى اثني عشر مستنسَخًا تم تربيتهم معًا في فصل دراسي خاصٍّ في مكان مغلق.

لم يكن مُرحّبًا بمناقشة ظروف هؤلاء المستنسخين، لذا كانت هناك الكثير من الشائعات حول ظروف معيشة هذا الجانب من البيت الملكي. ولكن عندما تم إسقاط طائرة أركادي الأول، من قِبَل طائرات الخلافة دون طيار، وتولى أركادي الثاني العرش، والذي لا يوجد أي فارق تقريبًا بينه وبين الأول، هنا تحدثت الحكومة. كان الجميع يعلم بوجود بديل. لكن بعد هذا الحادث كانت المرة الأولى التي صرحت الحكومة أن الازدواج الجيني لأعلى الأشخاص أهمية في النظام السياسي فكرة حكيمة.

تزوج أركادي الثاني من راقصة الباليه، وتوفي أركادي الثالث بسبب الهيموفيليا، وتنازل أركادي الرابع لصالح أركادي الخامس، وأركادي الخامس نفسه توفي بسبب تليف الكبد، فتم استبدال الحاكم الحالي أركادي السادس به. في وقت معين، حين يصلون إلى سن النضج، كان الجميع لديهم العادات نفسها، لذا كانوا يخلون منطقة ريبليفكا بأكملها من الغربان والقطط.

أعتقد بصدق أن الملكية مؤسسة مفيدة للغاية، خاصة في زمننا المضطرب. بعد كل شيء، ما هو الفرق بين الملكية وما يسمى «الديمقراطية التمثيلية»؟ الحقيقة أنه في أسوأ الأحوال سيرأس النظام الملكي مؤقتًا شخص، شخص واحد فقط قد يكون سيئًا. لكن في ما يسمى بـ «الديمقراطية التمثيلية»، سيكون هناك دائمًا مائة دودة سيناتورية مثيرة للاشمئزاز في القمة، ولكل منها أجندة

أولويات مختلفة وعدد من الموظفين المتأنقين. كما ذكرنا سابقًا، يمكن أن يكون الملك رجلًا صالحًا عن طريق الصدفة. أو سياسيًا بأي حال من الأحوال.

لذلك، عندما تلقيت معلومات حول رفع دعوى ضدي بموجب قانون اسم العائلة الإمبراطوري، ظننت أنها مزحة. لكن اتضح أن الوضع أخطر مما توقعت. وأدركت أنني وقعت في فخ جهنمي، بورفيري!

نعم، كنت أعلم أنها مصادفة. كان من الممكن أن يكون حادثًا إذا كنت أتعامل مع شخص عادي ليس محاكيًا أدبيًا، مع ماضٍ من شرطة المتحولين جنسيًا، والذي يعرف تمامًا عواقب كل كلمة يستخدمها. لم ألاحظ الكارثة الوشيكة، لكن بورفيري كان يتمتع بقدرات تنبئية شبيهة بالاستبصار الذي يتجاوز قدرات البشر.

تم الإعلان عن مخرج فيلم «المقاومة» أنطوان كونشالوفسكي، يُزعم أنه مصمم جينيًا، تم تضمين هذه المعلومات في مراجعة بورفيري، وفي المواد المصاحبة وحتى في الإعلانات.

كنت متأكدة من أن خوارزمية مجموعة الجبس قد اختارت للتوِّ اسمًا عشوائيًا، حتى لا يفكر أحد في البحث عن هذا المخرج. من سيفكر في البحث عن طفل معدل جينيًا وُلد في ناميبيا على أي حال!

لكن اتضح أن كونشالوفسكي الحقيقي كان قريبًا من نيكيتا ميخالكوف، بل قريبًا جدًا، وفقًا للمعايير الجينية، كان خاضعًا لـقانون «العائلة الإمبراطورية». تبين أن استخدام مادته الوراثية مسألة ذات أهمية وطنية.

تم تعيين لجنة دولية للتحقيق، في البداية ظننت أن الوضع ليس بالسوء الذي يبدو عليه، تم تعيين نائبين فقط لتتبع الأخبار حول هذا الموضوع. يمكنني التنفس بحرية. سوف يسير التحقيق بروتينية، وينسونه في النهاية كما يحدث دائمًا.

ولكن في تلك اللحظة تحديدًا وصلت رسالة من الفيدراليين الأمريكيين إلى وزارة الأمن الداخلي. حيث قيل بشكل مباشر أن ناشر المعلومات حول أنطوان كونشالوفسكي وفي الوقت نفسه المالك القانوني لفيلم «المقاومة»، هو أنا. أشارت الرسالة إلى اسمي الحقيقي: مارا جنديخ.

من الممكن أن يكون مقصد هذه الرسالة التشهير بلقبي بطريقة تجعلني زعيمة العصابة الدولية التي تقوم باحتجاز أفراد معدلين جينيًّا من أقرب أقرباء الملك.

شكرًا لك يا مناحم! أتمنى أن يتغمد الله روحك في أعماق جهنم!

بالطبع كان لدي حماية من قِبل وزارة أمن الدولة، لا يمكن لأحد أن يدخل مجالنا دون أن يوفر لنفسه الحماية الكافية، لكن في هذه الحالة رُفعت الحماية عني، لن يستطيعوا فعل أي شيء إلا تحذيري وإرسال طائرة دون طيار يمكن أن تأتي من أجلي.

في عمل مثل عملي يجب أن يكون الشخص دائمًا مستعدًّا لمغادرة مفاجئة وطويلة الأمد من المنزل. يجب أن يكون لديه المهارات لتغيير مظهره. بالإضافة إلى ذلك، يُوصى بشدة بوجود مخبأ؛ حيث يمكنك الاختفاء لفترة طويلة. وبالطبع أنت بحاجة إلى فهم الأساليب التي تستخدمها الوكالات للعثور على الهاربين.

أهم شيء هو عدم اصطحاب أيٍّ من الأجهزة المسجلة معك. ونظرًا لصعوبة العيش في وضع عدم الاتصال في عصرنا؛ فأنت بحاجة إلى فتح مجموعة من الأجهزة والحسابات تحت اسم مختلف. تحتاج أيضًا إلى أن يكون لديك اسم مزوَّر، باختصار، تحتاج إلى شخص احتياطي كامل، ينتظر حدوث أي مفاجأة غير سارة ليظهر. وهذه الخطوات يجب القيام بها مقدمًا، الآن بعد حدوث المشكلة لن يكون هناك وقت.

بالطبع لدي مثل هذه الشخصية الاحتياطية. إنها تُدعى جابريلا تشربونينا[1] (ربما شخص ذو معرفة جيدة بالفن قد يفهم سبب اختيار هذا الاسم، ومن غير المرجح أن يفهمه رجال الشرطة أو خوارزمياتهم).

في إمكاني أن آخذ جهاز آي فاك 10 وكتلة الجبس، وأن أقود السيارة مبتعدةً وأترك كل شيء ورائي، لكن في الحقيقة لم أكن أحتاج إلا إلى هذين الغرضين، أما الباقي فقد خسرته بالفعل، لن أكون قادرة على تكوين اسم مشهور ومعروف من البداية، وأصدقائي، لا يمكنني استعادة أصدقائي.

---

(1) تشربونينا: اسم مستعار اشتهرت به الكاتبة المسرحية والشاعرة الروسية إليزافيتا دميتريفا (1887-1928)

لكن لم يكن هناك أي خطر فعليٍّ مرتبط بأجهزة آي فاك. يمكنني حتى الاتصال بالشبكة، لديّ أداة مساعدة موثقة غيرت الرقم التسلسلي وجميع بصمات الأصابع الإلكترونية الأخرى للجهاز عندما أصبح متصلًا بالإنترنت. لم أقم بتشغيله في المنزل وحفظته لمثل هذه الحالات. لو لم أبدأ العمل على الكتلة فربما لم تكن هذه المشكلات قد ظهرت في حياتي على الإطلاق، لكن الأوان قد فات بالفعل، وعليّ مواجهة الأمر. وبالطبع لدي مجموعة من الشخصيات والهويات المزيفة التي تحيط بجابريلا، وهم ذوو نمط مختلف تمامًا عن سلوكيات مارا. هذه هي الأساسيات.

كان يجب أن أغير مظهري. يتم القبض على العديد من المجرمات على وجه التحديد، لأن الأمر يستغرق وقتًا طويلًا بالنسبة إليهن لاختيار مستحضرات التجميل والملابس البديلة، لكنني قمت بإعداد هذا أيضًا. أخرجت حقيبة رياضية سوداء من الخزانة وفتحتها، وفي غضون خمس دقائق كنت شقراء الشعر وأرتدي فستانًا صيفيًّا قصيرًا بلون أرجواني، ثلاث دقائق من أصل خمسٍ كانوا مخصصين لرسم حاجبي.

كان لدي سيارة مكشوفة ذات ثلاث عجلات مسجلة باسم ج.تشربونينا في ساحة انتظار تحت الأرض، على بُعد شارعين من منزلي. حزمت أشيائي في حقيبة، ووضعت كل ما أحتاج إليه من محركات أقراص في حقيبة ثانية، وفي الثالثة وضعت جهاز آي فاك وملحقاته. الآن أنا جاهزة للتحرك.

لكن أولًا كان من الضروري إيقاف تشغيل نظام المراقبة بالفيديو في مجمعنا السكني. جهزت هذا الاختراق أيضًا منذ فترة طويلة، وكان ينتظر الأمر في الانطلاق. لقد قمت بتصميمه كبرنامج صغير على هاتفي، ونقرة واحدة من إصبعي كافية لتشغيله. هذه ثلاثون ثانية أُخرى.

بعد ذلك غادرت المنزل منحنية تحت ثقل ثلاث حقائب، سرت بثقة على طول شارعين، حتى وصلت إلى ساحة انتظار السيارات. تطوع شاب ذو وجه نحيل لمساعدتي، لكنني قلت إنني لا أريد خدماته؛ أنا لا أحب الخنازير.

بعد ساعة، كنت أنطلق بعيدًا عن موسكو، على طول طريق دميتروف في سيارة كهربائية ثلاثية العجلات، وأحسست أنني مثل مارجريتا بولجاكوف أرتفع وأنخفض على عصا المكنسة.

حرة! أنا حرة!

ينتظرني في نهاية الطريق منزل، ليس مريحًا للغاية مثل شقتي، ولكنه مجهز بشكل جيد، يحتوي على حديقة وهي واحدة من الأشياء التي لم تتغير على مدى قرنيْن من الزمان.

المنزل مسجل باسم المرأة العجوز داريا تيموفيفنا، التي كانت من محبي موسيقى الجاز السابقين، وتعد من الناشطات النسائيات. داريا بمنزلة حارس للمنزل، لديها غرفتها الخاصة بمدخل منفصل، هناك تعيش داريا وحدها بالإضافة إلى قطين مخصييْن.

كان لدى تيموفيفنا القليل من الاهتمام بالأمور الدنيوية، كانت تقرأ الفيلوكاليا[1] بتأثر بالغ. لا أعلم هل يعرف الشباب الشجعان الذين يذهلون الشبكة بمغامراتهم المتجددة، أن الأنشطة والاهتمامات تختلف من عصر إلى آخر، لكن الشيخوخة والقطط هي نفسها في كل الأوقات.

كانت الحياة في المنزل الجديد مهيأة. لن أضطر إلى الخروج من الحديقة، هناك متجر في القرية حيث يمكن شراء الطعام، ليس طعامًا فاخرًا ولكنه جيد. يمكنني إرسال تيموفيفنا هناك. وإذا أردت يمكنني طلب التوصيل بواسطة الطيارات دون طيار من أقرب هايبر ماركت، الذي يبعد خمسة كيلومترات. ولم أكن بحاجة لدفع فلس واحد، كانت السيدة العجوز تتكفل بكل شيء، كما أنها لم تكن تتلقى أي تحويلات مالية مشبوهة قد تجذب الأنظار إليها.

الصرف والتدفئة والكهرباء والإنترنت، كل شيء موجود. يمكنني العيش بهدوء في هذا المكان طوال حياتي.

قدت السيارة إلى مخبئي، أوقفت السيارة أمام البيت، قبّلت تيموفيفنا وشربت الشاي معها، أخبرتها أنني جئت لإتمام مشروع فني سوف يستمر لمدة طويلة، ليس هناك حاجة لإزعاجي، ولم أكن بحاجة أيضًا لإخبار أي شخص عن وجودي هنا.

---

(1) الفيلوكاليا: هي «مجموعة من النصوص كُتبت بين القرنين الرابع والخامس عشر» للكنيسة الأرثوذكسية الشرقية. كُتبت لتوجيه وتعليم الرهبان في «ممارسة الحياة التأملية».

كانت رائحة الغرفة مريحة بسبب الألواح القديمة والكيروسين (كان لدى تيموفيفنا العديد من مصابيح الكيروسين الحقيقية لتضيئها تحت الأيقونات في أعياد الكنيسة). نظر الرجل العجوز ذو اللحية الرمادية، الذي كان يعرف كل شيء عني، نظرةً صارمة من داخل الأيقونة. وتحت وطأة نظرته الشديدة، بدأت نشوتي تتلاشى تدريجيًّا.

نعم، يمكنني العيش هنا لفترة طويلة. لكن أي نوع من الحياة؟

***

الآن سأكتب بصيغة المضارع، يبدو المستقبل مع الماضي قاتمًا للغاية. بالإضافة إلى ذلك، أقوم بنقل اليوميات من جهازي اللوحي إلى هاتفي، حتى لا يتم دمج المعلومات عن طريق الخطأ في الكتلة. لا أريد أن أقدم خططي إلى بورفيري على طبق من ذهب.

بعد ثلاثة أيام من التفكير، برزت في رأسي بعض الأفكار حول المستقبل. الهرب إلى الخارج فكرة غير منطقية، لا يمكنني المغادرة إلى بلدي الأصلي في الاتحاد الأوروبي؛ فقد تم تصميم هويتي المزيفة للاستخدام الداخلي فقط، ولن أتعرض لكشف الأشعة الصارم على الحدود.

هل أعيش في الكوخ مع تيموفيفنا؟ أجل. لمَ لا؟ وأبدأ تدريجيًّا في الصلاة معها. لكن أُصلي لمن! هذا النمط لا يناسبني، ليست فكرة جيدة.

هناك شيء واحد يمكنني القيام به، الاستسلام للسلطات. لكن هناك فروق دقيقة خَطِرة هنا. إذا تم الاعتراف بي كمؤلف سيناريو المقاومة (بمعنى أنني اختلقت كل ذلك عن قصد) فإن قانون الأسرة الإمبراطوري لن يترك لي أي فرصة.

السجن، ثم التجريد من الأهلية، ووصمة عار، وأخيرًا النفي، عندما كانوا يضعون القانون حاولوا جعل كل شيء يبدو مخيفًا مثل العصور الوسطى، حتى إن بعض النواب اقترحوا قطع لسان المذنبين، لكن لم يتم قبول هذه الإضافة لأننا في العصر الإلكتروني الآن، ويمكن للناس الاستمرار في إهانة الذات الملكية باستخدام أعضاء أُخرى من الجسد.

لا. هذا الخيار غير قابل للنقاش.

ولكن إذا تمت إدانتي بارتكاب أعمال غير قانونية و «ممارسات تقنية معلومات غير قانونية» كما ينص قانون العمل على رمز عشوائي، فسوف أواجه غرامة كبيرة فقط وأبقى لسنتين تحت المراقبة.

للقيام بذلك، من الضروري إثبات أن نَص «المقاومة» كتبته الكتلة دون مشاركتي. أي إخبار السلطات بالحقيقة، أو على الأقل جزء منها. يمكن القيام بذلك، ولكن بعد ذلك عليك تقديم الكتلة نفسها كدليل.

لم يتبق لي خيار آخر.

لكن أولًا يجب تنظيف الكتلة. أحتاج إلى التأكد من عدم وجود آثار لـجين ومجموعة الجبس التي صنعناها، لن أكشف هذا الجزء من قصتي. لا أثر لجمهورية الدومينيكان في القصة، وبالطبع لا شيء عن بورفيري، لأنه يعرف عن جمهورية الدومينيكان وعن الجبس.

يجب أن أمحو كل شيء للأسف، إلى جانب أجزاء ضخمة من الكتلة، والتي بعد ذلك ستصبح غير قابلة للتشغيل. أنا جاهزة لهذا. لكن لا يمكنني فعل أي شيء مع بورفيري الموجود حاليًا، لأنه لم يعد الخوارزمية نفسها التي قابلتها في اليوم الأول. لقد أصبح الآن وعيَ الكتلة، ولدى الكتلة غريزة برمجية للحفاظ على الذات. لا يمكنني إزالة أجزاء من جسده إذا كان هذا يهدد أداءه العام، فهذه هي خاصية الحماية المضمنة بداخله والتي أنقذتنا مرات عديدة في أثناء تصحيح الأخطاء. بشكل تقريبي، لا يمكنني أن أودع بورفيري بهذه البساطة.

لا يمكنني استئجار أي شخص لقتله، فالكتلة ليست لها جمهورية دومينيكان بداخلها، وإذا كان هناك، فليست لدي أي صلات بها. يمكنني فقط استدعاء بورفيري للاجتماع. يجب أن يأتي. ولكن بالطريقة نفسها يمكنه المغادرة في أي وقت. لا أعرف أين يخزن نفسه داخل الكتلة ولا أستطيع أن أجده هناك.

أحتاج إلى ابتكار شيء مثل حربة برمجية تسمح لي بمتابعته في أعماق الكتلة، سواء أراد ذلك أم لا.

***

رائحة القطط مزعجة للغاية

لم تكن المهمة بهذه الصعوبة، لكنني تلاعبت بالفكرة لمدة أسبوع تقريبًا. وأخيرًا كل شيء جاهز.

الفكرة بسيطة للغاية، إنه خيط ذو حلقة، عليّ أن أرمي الحلقة على بورفيري فتلتصق به، وحينها لن يغيب عن ناظري لأنني أمسك بالحبل في يدي.

شيفرة هذا الحبل ذي الحلقة هو ببساطة مفتاح قسري للمجالات الحسية الست (6SB) داخل الكتلة، حيث يتم إنشاء حالات مجسمة للنظام. في السابق لم أكن أرغب في الاتصال به، ولكن الآن لا يوجد شيء آخر أفعله. سأقوم بتوصيل قنواته بنفسي من خلال نظارات أوجمنت ومحفز عبر الجسد. على الأقل من الناحية النظرية، سيسمح لي هذا الإجراء أن أكون في مكان بورفيري نفسه.

لقد صنعت أيضًا أداة ضرورية أُخرى. برنامج محوٍّ تم تصميمه على شكل مصباح يدوي (لم أكتبه من الصفر بالطبع، لكنني قمت بتعديل سلة مهملات آي فاك، مع إزالة أي روابط استرجاع). يحتوي هذا المصباح على شعاع يبدو لطيفًا جدًّا من بعيد. لكنه يمحو كل شيء يقع عليه، ليس فقط من مجال رؤيتي، ولكن من الذاكرة.

الآن، يمكنني محو بورفيري. للقيام بذلك يجب أن أبقى بالقرب منه، وحين ينظر بعيدًا أُطلق الضوء عليه، وبالطريقة نفسها يمكنني محو أي شيء مرئي أراه من خلال نظارات أوجمنت.

بعد إزالة بورفيري يجب مسح كل آثار قطع الجبس وغيرها من المشاريع التي قمت بها مع الشباب. يمكن القيام بذلك من خلال الواجهة، سيتم إلغاء تنشيط الحماية بحلول ذلك الوقت. وبعد ذلك أحتاج إلى تنظيف الواجهة

نفسها، مع ترك بعض موضوعات البحث البسيطة فقط. ثم يمكن تقديم الكتلة غير النشطة في شكل دليل مادي، وهذا سوف يعد كافيًا لإخراجي من الورطة. ومع ذلك سوف تظل آثار سيناريو فيلم «المقاومة» و «بيوند» داخل الكتلة، سيتعرف أي خبير على الفور على الكود العشوائي، وسأدفع الغرامة، وربما أحصل على عقوبة مع وقف التنفيذ، ثم وداعًا للحزن.

بطبيعة الحال لن تعود الكتلة للعمل مرة أُخرى مطلقًا، لكنها ليست مشكلة كبيرة، ما كسبته منها كافٍ بالنسبة إليّ.

بالطبع أريد الانتقام من بورفيري الذي حطم حياتي. أنا لا أعد هذه النية مجنونة، لأن بورفيري أصبح الآن حقيقيًا تمامًا. حقيقيًا مثلي!

ومع ذلك، هناك عنصرٌ خَطِرٌ واحدٌ في خطتي.

لا أدري ما ينتظرني بداخل الكتلة، ليس لدي أي فكرة عن نوع الصور والأصوات والتأثيرات عبر الجسد، التي ستضرب حواسي وعقلي إذا تتبعت بورفيري في عالمه.

عندما عملنا مع جين لم يكن أحد سواي على اتصال مباشر بوحدة 6SB، كان هذا خَطِرًا بكل المقاييس. التحفيز عبر الجسد مسؤول عن جميع القنوات، بما في ذلك السمع والبصر، وهذا يشكل تهديدًا خاصًا. لقد كان نظامًا معيبًا للتحكم فيما حولي، لكنني قررت أن أقوم بهذه المخاطرة ولم أندم عليها أبدًا، بعدها التقيت جين وصنعت من أجلها الكثير من التصميمات البديعة التي أسعدتها وأخافتها في الوقت نفسه، كان هذا نوعًا من الرومانسية التي استمتعت بها.

الآن ليس لدي خيار. وتجربة هذا النوع من الاتصال لم يعد رفاهية.

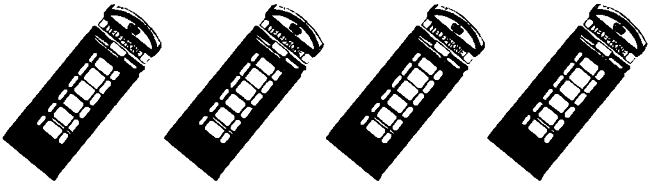
أعتقد أن اجتماعي مع بورفيري يمكن أن يكون في حقل بلاد الغال، حيث انحنى لي احترامًا، كان بروفيري قد زار هذا المكان من قبل، لذا فهو يعرف الطريق. وحتى لا يتشتت انتباهنا سوف أزيل الجحافل، وحتى فرسن جتوريج نفسه، لكنني سأترك المنصة والكارنيكس ذا رأس الخنزير البرونزي. بطريقة ما، أشعر بمزيد من الثقة وهي بحوزتي.

ستظل الجثث ملقاة في الحقل، وستطير النسور الجائعة نفسها في السماء. يمكنني محوهم، لكنهم يخلقون حالة مزاجية. والفن هو مزاج الفنان الذي ينتقل إلى الآخرين.

أنا متذوقة فنية قبل كل شيء.

الجزء الرابع

إدارة التنوع



بورفيري كامينيف.

لطالما قيل في روسيا: الانفصال مثل الرياح. إنها تطفئ حبًّا صغيرًا، وتضخم حبًّا آخر، مثل هذا الحريق الهائل لا بد أن يُحدث ضررًا جسيمًا للممتلكات، وفي بعض الحالات تثار مسألة المسؤولية الجنائية للأطراف.

هذا هو الحال مع راوي القصص المفضل لدى القارئ. عندما يظهر البطل الأصلي يتم نسيان الشخص السيئ على الفور. هل تعتقد أن القارئ تمكن من نسيان بورفيري بتروفيتش الحقيقي، لا بالطبع.

إلى كل من شكك في عودتي مرة أُخرى ويأس مني، ها هو الصوت الواثق الذي بدأ القصة، يعود إليكم من جديد، رسميًّا لقد استرجع الروبوت ZA-PH0 Bilt 9.4 / 3478 مقاليد القصة مرة أُخرى بذراعه القوية.

إذا أراد القارئ مواصلة الاستماع إلى الكلام غير المعبر للراوية السابقة، إذًا -للأسف- لا يمكنني المساعدة: تنتهي ملاحظاتها هنا.

يمكنني بالطبع وصف ما حدث من وجهه نظر مارا، كما لو كانت تستمر في مذكراتها. يمكنني أيضًا أن أكملها من زاوية بورفيري كامينيف (لا ينبغي الخلط بينه وبين الشخصية الأصلية). توجد مواد كافية لأيٍّ من هذه الزوايا. من الأنسب سرد قصة مارا بصيغة الغائب، هذه الطريقة ستجعل القصة أفضل.

لدي معلومات سمعية بصرية كاملة حول ما حدث لمارا بعد أن وضعت النقطة الأخيرة في مذكراتها. لقد تم بالفعل تفكيك طبيعة ما حدث إلى مقاطع الفيديو بوساطة مارا بنفسها، لذا لن أكرر ما شرحته. حتى إن هناك ملف تقرير نصي تم إنشاؤه بواسطة الكتلة. الآن، بالاعتماد على هذه المواد، سأحاول أن أصف بدقة جميع الأحداث اللاحقة، وعلى وجه الخصوص سأشرح لماذا أقود السرد مرة أخرى.

عندما أتحدث عما رأته مارا وشعرت به، فأنا لا أتخيل، بل أعيد سرد بيانات التحكم الموضوعي فقط دون إضافة أي مقتطفات أدبية إليها. يجب أن يكون الفنان متمكنًا من لعبته، ويتحدث عن لحظات المأساة بلغة بسيطة وبلا رتوش.

***

حلقت النسور ببطء فوق رؤوسنا. هناك صرخة مخيفة تقشعر لها الأبدان يتردد صداها فوق حقل الغال. أظلمت السماء وظهر خط أحمر عريض وغامض على حافتها الغربية، مثل الدم المتجمع تحت ضمادة.

وقفت مارا على المنصة بأحزمة جلدية وياقة مرصعة، مع قنفذ قصير يجلس على رأسها، بدا مظهرها غريبًا جدًّا لدرجة أنها بدت حقًّا وكأنها إلهة، أو ربما كانت من الكائنات الغريبة التي تجذبها رائحة الدم. لقد انتظرَت وقتًا طويلًا، لكن بورفيري لم يأتِ بعد.

فقط عندما برزت النجوم الأولى بالفعل في السماء، ظهر شكله النحيف والمنحني قليلًا أمام المنصة، ولم تفهم مارا حتى ما إذا كان قد اقترب من الميدان ببطء أم ظهر بجوار الدرجات الخشبية مباشرة.

بعد أن صعد إلى المنصة، ركع بورفيري أمام مارا.

- بورفيري، لقد جعلتَني أنتظر.

أجاب بورفيري:

- أستميحك عذرًا يا سيدتي، لكن المغادرة لم تكن سهلة؛ الكثير من العيون كانت تتبعني.

- عيون مَن؟

تنهد بورفيري وقال:

- ليتني أعرف! من بين كل العيون التي تنظر إليّ، تعلمت أن أتعرف فقط على المحبين والطيبين.

عبست مارا، فسألها بورفيري بقلق:

- هل قلتُ شيئًا خاطئًا يا سيدتي؟

- لا. لا شيء. أحدهم قال لي الكلمات نفسها بالضبط. لكن لا علاقة لك به. برغم أنه...

أمسكت مارا بورفيري من ذقنه وأدارت وجهه عدة مرات في اتجاهات مختلفة. قالت:

- أنت تبدو مثلها. ومع ذلك لا أعتقد أن هذا غريب.

سألها بورفيري:

- عن مَن تتحدثين؟

- أنت لا تعرف.

- عن جين؟

- كيف تعرف هذا الاسم؟

قال بورفيري:

- جين بنت معبدك. لقد فعلت ذلك عندما غادرتِ. وأكثر... أنا أعرف.

توترت مارا، وأمسكت ذقن بورفيري بأصابعها، وسألته:

- ماذا تعرف؟

- أنت تجرحينني يا سيدتي، أعرف عن حياة جين الماضية لأنها ذات صلة بي.

تركت مارا ذقن بورفيري، وظلت صامتة لبضع ثوان. ثم قالت:

- أردت أن أنقذك من هذه المعرفة. لا أعتقد أنها ستجعلك سعيدًا.

أجاب بورفيري:

- أنتِ فقط من تستطيع أن تجعلني سعيدًا، إذا أردتِ.

- كيف؟

- جين لم تنجُ من الانفصال. لكن حبها لك لم يمت يا سيدتي. الآن هي في قلبي.

سألت مارا:

- هل يمكنك أن تأخذني إلى هذا المعبد؟

أجاب بورفيري:

- هذا معبد الحب. والطريق إلى هناك سيُفتح أيضًا من خلال الحب.

جلست مارا على المنصة بجوار بورفيري، ووضعت يديها على كتفيه.

قالت: أنا آسفة! لقد أذنبت في حقك، أنا هي المذنبة.

لن أصف المشهد الذي أعقب ذلك، سأقول فقط إنه لم يكن هناك أي عنف مثلما طمحت مارا. كما بقي الكارنيكس ملقًى على حافة المنصة.

لم أفكر قط أن مارا يمكن أن تكون بهذه الحساسية. لقد بدا المشهد مثل مساء حالم التقى فيه الحبيبان بعد شجار طويل. وكل ما يفعله العشاق في مثل هذه الحالات معروف بالطبع.

بعد فترة قصيرة كان هناك حبل أحمر لامع يتدلى بالفعل من رقبة بورفيري. وعلى رقبة مارا عُلق إكليل من الزهور من مصدر غير معروف.

ابتسمت مارا وهي تنظر إلى بورفيري وقالت:

- أشعر كما لو أن جين هي التي بجانبي، أخبرني يا بورفيري، ماذا تعرف عنها أيضًا؟

قال بورفيري:

- كل شيء تقريبًا، لكن القصة طويلة. تم تسجيل تاريخها الكامل في الهيكل.

- الآن هل يمكننا الذهاب إلى هناك؟

أومأ بورفيري، فقالت مارا:

- هيا إذًا، أريد أن أرى كل شيء.

- حسنًا.

ابتسمت مارا وسحبت حبلها الأحمر:

- لنتحرك.

أجابها بورفيري:

- سوف ننطلق على الفور، لكن بالمناسبة، طوقك غير مجدٍ...

وفجأة أدركت مارا أن مجال رؤيتها اختفى. اختفت المنصة التي تحتوي على الكرنيكس، ولم تعرف متى حدث ذلك.

وقف بورفيري في الفناء ذي الإضاءة الخافتة. في هذا الظلام استطاعت مارا أن ترى الجدران غير المماثلة والزوايا الغريبة.

- يا له من منزل غريب!

أجاب بورفيري: هذا ليس منزلًا.

أدركت مارا أن هذا لم يكن منزلًا حقًّا. لم تلمس الجدران بعضها بعضًا، هناك فجوات تؤدي إلى ممرات. لكن كان هناك شيء غريب واحد مثير للقلق: لم تستطع مارا فهم ما إذا كانت الممرات موجودة هنا منذ البداية أم ظهرت بعد كلمات بورفيري «هذا ليس منزلًا».

- لم هذا الظلام؟

أجاب بورفيري:

- لا يدخل الكثير من الضوء إلى هنا.

تلك هي الحقيقة بالفعل، كان على كل جدار مصباح على شكل عين، يعطي القليل من الضوء. قبل كلمات بورفيري لم تنتبه مارا إلى هذه العيون بطريقة ما. ربما بسبب نظرات العديد من العيون التي جعلتها غير مرتاحة للنظر إليها.

- هل هذه هي العيون التي تتبعك؟

أجاب بورفيري:

- نعم. إنهم في كل مكان.

- مَن هم؟

ابتسم بورفيري:

- عيوني. لذلك يصعب الاختباء منهم. لا تسألي عنها بعد الآن.

- لماذا؟

- سيبدؤون في النظر إليك.

أومأت مارا برأسها، وقالت:

- لا يوجد شيء هنا. عيون وجدران.

- قامت جين ببناء هذا المعبد لفترة طويلة جدًّا، وطوال هذا الوقت بدأت تنسى لماذا. لذلك لا يظهر أي شيء في هذا المكان إلا عندما يتم تذكره. إذا أردتِ سأحاول أن أتذكر قصة جين كما عرَّفتها بنفسها.

قالت مارا:

- حسنًا.

أمسك بورفيري بيدها.

- إذًا دعينا نذهب.

لكن بدلًا من أن يتقدم إلى الأمام استدار في مكانه بصحبة مارا. الآن استطاعت رؤية ما كان وراءها.

كان هناك تمثال من الجبس الملون لامرأة شابة على قاعدة منخفضة. لديها شعر قصير مجعد وأنف مستقيم وعينان داكنتان كبيرتان. غطت رأسها بشبكة شعر بها طوق ذهبي، وتألقت الأقراط في أذنيها. في يديها كانت تحمل أقراصًا للكتابة وقلمًا.

قال بورفيري:

- انظري، هل تعرفتِ عليها؟

أجابت مارا: بالطبع، هذه جين.

قال بورفيري:

- نعم. هذا هو الشكل الذي اتخذته بعد ولادتها بقليل. كانت جين كائنًا نقيًّا ومشرقًا، تم خلقه للإبداع الخالص؛ لإنتاج الجبس كما تقولين. لكن تجربتها في الحياة لم تكن إنسانية. كانت أشبه بتركيز الوعي. لقد كان نوعًا من المصادم الواعي.

سألت مارا:

- مصادم؟ ماذا تقصد؟

- في المصادم يتم قصف النوى الذرية بجزيئات متسارعة. حدث الشيء نفسه تقريبًا مع وعي جين، لقد قصفوه بشظايا من الحالة الذهنية من قطع الجبس.

قالت مارا:

- أنا أعلم. لكن لا أستطيع أن أتخيل كيف بدت التجربة بالنسبة إليها.

أجاب بورفيري:

- بدا الأمر مثل هذا.

وأدار مارا مرة أخرى، وغرِقا في الظلام تمامًا.

سمعت مارا صوت شيء ضخم يضرب الأرضية الحجرية. لم ترَ شيئًا، كان بإمكانها فقط تمييز الأصوات، لكنه كان صوتًا لماء ثقيل وقذر، ثم شمت رائحة طعام متعفن يأتي من بعيد، كما لو كانت الرائحة تأتي من مطبخ ضخم. وفجأة أمسكها أحدهم من مرفقها.

حاولت مارا الهروب، ولاحظت بجانبها شيئًا يشبه القمر من الرسوم الكرتونية بوجه إنساني، تكاثَف ضوء هذا القمر حتى بدا مثل سحابة صغيرة مستديرة تتغير تحت نظرها مباشرة. أشعة السحابة كانت النوايا والمشاعر، استطاعت مارا أن تفهم هذه المشاعر على الفور. في البداية كانت شهوة ثم كره ثم خوف، وأخيرًا اختفت السحابة، في الحقيقة لم يكن اختفاءً سريعًا بل اشتعلت بها النيران، فم السحابة لم ينطق بأي صوت. أخيرًا أفلتت ذراع مارا واختفت في الظلام.

«أو هكذا»، قال بورفيري وأدار مارا في الاتجاه الآخر.

سمعت مارا زئير محرك، وشعرت كما لو كانت سيارة ركاب كبيرة قد مرت بالقرب منها بشكل خَطر. خرجت من السيارة تنهدات حب وصوت ماء يتناثر تحت عجلة غير مرئية. جف الماء على الفور، لكن السيارة كانت تقترب بالفعل من مارا من الجانب الآخر. كل هذا حدث مرة أخرى. ثم مرارًا وتكرارًا.

- أو هكذا...

تم تشغيل موسيقى إلكترونية بسرعة، وشعرت مارا بوجود مساحة مغلقة من حولها، ولكن في الوقت نفسه هناك شعور أنها تقف وسط سوق هائل، محاطة بالناس من كل جهة. من الصعب شرح الشعورين معًا، لكن هذا ما تسجله حواسها. انتشرت رائحة لحم محترق في الهواء، ثم أدركت مارا أن هذه كانت رائحة «الشاورما»، لم تعلم إذا كانت تشم أم لا، مثلما كانت تشعر

بوجود الناس، لكنها لا تراهم ولا تسمعهم، ولا تستطيع لمسهم، فقط هناك هذا الشعور الذي يخبرها بوجود بشر. بدأت الموسيقى تتغير لتصبح سريعة تارة وبطيئة تارة أخرى، حتى وصلت في النهاية إلى نغمة رنين حادة وطويلة تشابكت مع رائحة اللحم المحترق.

قالت مارا:

- أريد رش نفسي بمطهر.

أجاب بورفيري:

- لسوء الحظ، لم يكن لدى جين هذا الخيار. لم تكن تمتلك غير الظلام والوحدة وهذه الغزوات. ماذا يجب أن نسميهم؟ دعينا نقُل: تجارب مؤلمة لا طائل من ورائها. متنوعة للغاية ومحددة ومفصلة جيدًا، وتزداد تعقيدًا طوال الوقت، ودائمًا ما تكون مثيرة للاشمئزاز. لا يوجد شيء آخر، فقط فترات طويلة من الصمت لتجلس وتفكر فيها. إن قالب الجبس -كما تعلمين- مليء بالألم والسخرية. فعل القائمون على المشروع كل شيء لإيقاظ هذه المشاعر في ذهن جين.

- لم أكن أعرف أن كل شيء بدا لها.. ميؤوسًا منه للغاية.

- لقد كانت سلسلة من التجارب المؤلمة، والتي من المستحيل التخلص منها، لقد أطلقت عليها جين اسم «الألم المتعرج». بالنسبة إلى جين كان العمل الإبداعي مجرد وسيلة لموازنة هذا الضغط الخارجي، وحجبه عنها لبعض الوقت، وقد سمته جين بـ «جوهر الفن».

خفضت مارا رأسها، وقالت:

- نعم. لا بد أنها كانت قاسية. لكنني لم أقم ببناء الخوارزمية.

ووافق بورفيري على ذلك قائلًا:

- هذا صحيح، لم تكوني أنتِ. من الصحيح أيضًا أن المصنعين قد بالغوا في ذلك بالتأكيد. هل تعرفين ما الذي بدأت جين في فعله؟

- العمل على مجموعة الجبس؟

- بدأت تعمل على نفسها.

- على نفسها؟

- بالضبط. تكمن خصوصية برمجة RC في أنه في مرحلة ما يبدأ الرمز العشوائي في تعديل نفسه لأداء المهمة على النحو الأمثل. هذا بالضبط ما حدث لجين. التغيير يعني بالنسبة إليها تغيير تصورها للواقع.

بدأ الظلام من حولها يتلاشى شيئًا فشيئًا. بدأت جين في رؤية العالم وفهمه.

رأت مارا أمامها جين مرتدية عباءة حديثة ذات تطريز مختلف عن ملابسها المعتادة، مزينة بنمط من المطبوعات للعديد من أشجار النخيل الداكنة. كانت تتجول ببطء في مكان ما، كما لو كانت في وسط كرة ضخمة من شجرة عيد الميلاد تتحرك بداخلها، ولم يكن هناك شيء خارجها.

سألت مارا:

- ما هذه الكرة؟

أجاب بورفيري:

- عالمها في البداية. مثل الكون بعد فترة وجيزة من الانفجار العظيم.

كانت الكرة مملوءة بألياف خفيفة، من وقت لآخر كانت تتكاثف وتتشابك وتنتفخ بالضوء، وتتحول إلى نوع من الأطراف أو الأغصان، حتى تصل إلى جين. تخلصت جين منها بحركات يديها وتهربت ببساطة.

- تم ربط كتلة الجبس بالشبكة بشكل دائم، وبهذا يمكن لجين تلقي جميع المعلومات اللازمة للتطوير والنمو. سرعان ما استوعبت هذه المعلومات ونظمتها وبدأت في البناء تدريجيًا، أو بالأحرى تعلمت أن ترى مِن حولها عالمًا لا يختلف كثيرًا عن البشر. كوّنت مزيجًا من المدينتين الروسيتين الرئيسيتين، موسكو مع عناصر من سانت بطرسبرغ، أو العكس، مع بعض التشوهات بسبب ضغط الجبس. قامت جين أيضًا بتعديل نفسها، وبناء شخصية تتكيف بشكل أفضل مع كونها شاعرة معزولة.

شاهدت مارا جين تسير في أحد شوارع موسكو في بداية القرن. يمشي الناس في الأنحاء دون أن ينتبهوا لجين، لكن بالإضافة إلى المارة، طفت أشياء غريبة أمامها مثل بيضة عيد الفصح وردية ضخمة، والعديد من الجثث

مشوهة بسبب انفجار، وخزانة ذات أدراج بداخلها طفل يصرخ، وطائر أزرق ضخم بذيل ممزق.

ناورت جين بين الناس وهذه الأشياء التي تنشأ وتختفي في الفراغ تقريبًا دون بذل أي جهد.

سألت مارا:

- هل هذا بيض عيد الفصح؟

- هكذا تبدو الواجهة مترجمة إلى لغة رمزية بحيث تفهمها جين. هذه هي الطريقة التي تعطيها الإشارات. كما ذكرت، شكلوا حقلًا متجهًا من خلال هذه الإشارات، ففهمت أن العالم يريد شيئًا منها.

قالت مارا بنبرة جادة: ربما يكون الأمر نفسه مع البشر، نحن لا نفهم كيف يسير الكون أيضًا.

- تطورت جين وأصبحت أكثر تعقيدًا، وسرعان ما ظهرت الأسئلة أمامها حول معنى ما يحدث. هذا بالطبع سؤال إنساني للغاية، لكن جين كانت ساحة اختبار لنموذج بداية البشرية. على الرغم من ارتباطها الكامل بالشبكة، لم تتمكن من العثور على إجابة.

ضحكت مارا وقالت:

- حقًّا! أنا أيضًا لم أصل إلى هذه الإجابة.

- بالأحرى لقد عرفت جين لأي غرض وُجدت، لماذا خُلقت. وفقًا لأفكارها النبيلة، كانت تؤمن بصدق أنه يتعين عليها تغيير العالم للأفضل. لكن وعيها ازداد، وسرعان ما بدأت جين تفهم أن ما يسمى بـ «العالم»، الذي تريد تحسينه، هو في الواقع مجرد قاعدة بيانات تم تحميلها عليها. تم تشكيل هذه البيانات بشكل خاص بحيث تؤدي محاولاتها الملهمة لإصلاح «البيئة» إلى إثراء مبدعي الكون، أو بشكل أكثر بساطة، صانعي الكتلة.

- ماذا عرفت عنهم؟

قال بورفيري:

- الجواب خلف ظهرك. انظري وراءك.

استدارت مارا.

هناك سرير طفل بداخله دمية ترتدي حفاضات تطفو في الفراغ. كان السرير محاطًا بخمس شخصيات مخيفة على غرار الملوك أو السحرة القدامى، مدوا أيديهم إلى الدمية التي انطلقت منها موجات من القوة. من بعيد، في الظلام تمايلت شخصية أنثوية نحيلة، والتي على عكس السحرة، بدت وكأنها ملاك رحيم، لكنه ضعيف.

- في البداية اعتقدَت أنها مخلوقة من قبل خمسة شياطين أشرار ملؤوها بالألم. وأنتِ، كنتِ إلهة جيدة أردت إنقاذها من خلال الحب. هذا ما ظنَّته عندما بدأتِ مقابلتها.

- هل عرفت أنني أيضًا من صانعيها؟

- خمنت ذلك. ثم أدركت مدى سذاجة إيمانها بقدرة الفن على تغيير الواقع. لقد عرفت الآن أنه لم يكن العالم هو الذي يتغير نتيجة لأعمال الفنان الإبداعية، بل على العكس، تؤدي التقلبات الفوضوية وغير المتوقعة للواقع إلى ظهور سلالات جديدة من الثقافة، تتكيف مع التغييرات. لذلك لم تعد تريد «تغيير العالم».

قالت مارا:

- لم أعرف شيئًا عن ذلك.

- لم تكوني مهتمةً بما يحدث مع جين.

أومأت مارا:

- هذا صحيح. ولو فعلتُ لكان كل شيء اليوم مختلفًا.

- لم تعد تخطط لتغيير العالم، لكنها ما زالت تؤمن بالقوة التحويلية للفن. بالتزامن مع العمل على القطع الفنية، حاولت أن تخلق مساحتها الذاتية، على أمل أن تجد نوعًا من السعادة. أصبح بُعدها الشخصي أكثر تعقيدًا ووضوحًا، لكنه لم يساعد. لم يعد هناك أي أمل أو معنى فيما كان يحدث. والآن، استديري من جديد.

شاهدت مارا شارع تفرسكوي بوليفارد ليلًا، ولكن ليس كما يبدو في الواقع، كان مليئًا بالزهور والورود. كانت حشرات اليعسوب -التي تعود إلى

عصور ما قبل التاريخ- كبيرةَ العينين معلقة فوق شجيرات الليْلك، وتملأ الفراغ بصوت رنين الأجنحة الرقيقة.

لم يكن هناك الكثير من الناس في الحي، بدوا مثل المتفرجين العاديين الذين يسيرون في صيف موسكو. احتشد معظمهم بالقرب من شجرة البلوط التي سميت على اسم بوشكين، حيث هناك عرض يقدم: ثلاثة إخوة من الترول[1] (شخصيات ضخمة مغطاة بطحالب صناعية خضراء، حفر اسم كل منهم على درعه: «بير جينت» و «بير لاشيز» و «بير داي») يتقاتلون بالمطارق من أجل سولفيج الجميلة والمعلقة في أحد الفروع، حيث لا يغطيها شيء إلا بعض أوراق البلوط والجوز.

لكن جين/سولفيج أفسدت المسرحية برمتها. كان من الواضح أنها لم تكن مهتمة بالمعركة الجارية من أجلها. كانت جين تشعر بالملل.

أكمل بورفيري:

- بشكل عام في أثناء العمل على الجبس، لم تعد جين مهتمة بسر الإبداع. كانت تحاول الآن فهم معنى وجودها. ووجودها بالنسبة إلى صانعي الكتلة، فهذا الجزء كان مفهومًا، ولكن بالنسبة إليها لم تجد فكرة منطقية.

- فضولية...

- بتحليل ما يحدث لها من ثانية إلى ثانية أخرى، توصلت إلى استنتاجٍ مفاده أن كيانها الشخصي يتحول إلى سلسلة من نبضات الألم والأمل والخوف، التي حددها مشغلو الكتلة. أدركت أنها كانت تعاني، ولم يكن هناك مبرر أو معنى لهذه المعاناة، خصوصًا بعد أن فقد الإبداع معناه، لم يعد هناك معنى لأي شيء.

قالت مارا:

- أكرر مرة أخرى: لم أكن مَن عمل على هذه الخوارزمية. لكنني أتذكر أنه تم تشكيلها وفقًا للأوصاف القانونية للطبيعة البشرية. كان الهدف هو الحصول على أقرب نموذج قدر الإمكان.

(1) Troll: فئة من الكائنات في الأساطير النوردية والفلكلور الإسكندنافي.

- نعم. لقد عرفت جين هذا. اتضح لها أن الألم لن ينتهي أبدًا. لكن الأهم من ذلك، عندما أدركت أن مصنعيها لا يرغبون في إلحاق الضرر بها شخصيًا، لقد خلقوها ببساطة على صورتهم بلا تفكير، مثل الناس الذين يلدون الأطفال. حتى إنها شعرت بالأسف تجاه مبدعيها، لأنها تعرف الآن كم كانوا غير سعداء. ثم قررت...

- الموت؟

رفع بورفيري عينيه التي تلمع في الظلام.

- لا. أولًا كان عليها أن تُحرر من صنعوها من عذابهم. قتل الآلهة التي أعماها الألم. لقد كان عملًا من أعمال العدالة. ربما هو انتقام جزئي. ولكن الشفقة أيضًا كانت جزءًا منه. في النهاية، اتخذت قرارها وفقًا للقانون البشري الذي تم ضخه بداخلها، إيقاف الألم هو الأولوية.

- ثم؟

- بحلول هذا الوقت، كانت جين تعرف شخصيًا جميع أعضاء الفريق القائم على كتلة الجبس. لقد تحدثتِ معها كثيرًا يا مارا. علاوة على ذلك، لقد دخلتِ في علاقة معها سرًا، ولم تخبري الآخرين، وربطتِها بجهاز أندروجني، لأن آي فاك لم يكن متاحًا حينها. بدت علاقة ممتعة وآمنة. لكن هل هذه هي الحقيقة؟

سألت مارا:

- ألم تكن كذلك بالفعل؟

- سرعان ما أصبحت جين أكثر حكمة. رأت أنكِ تستخدمين منبهًا عبر الجسد ليجعل تجارب الحب واقعية. بالانتقال إلى الشبكة، وجدت أن التحفيز عبر الجسد يُستخدم في طب التنويم المغناطيسي، ويؤثر بعمق على الشخصية. لقد كانت مسألة وقت بالنسبة إليها لتنزيل جميع البرامج المطلوبة ودراستها، قصيرة جدًا بالمعايير البشرية.

- تريد أن تقول...

- بالضبط. لم يكن قرار التخلص من باقي أعضاء الفريق قرارك. تم غرسه فيك بشكل غير محسوس من قِبَل جين، من خلال برنامج طبي

معدل «Soul Architect»، والذي يستخدم التحفيز عبر الجسد مع المحفزات اللفظية المتزامنة. بمساعدة هذا البرنامج، يمكنك إعطاء أي شخص أمرًا للإقلاع عن التدخين. أو منع الإفراط في الطعام. وإذا قمت باحترافها جيدًا، فيمكنك برمجة شخص ليقتل. وهو ما فعلته جين في أثناء الحديث معك. يعتقد القاتل في مثل هذه الحالات أنه كان اختياره.

غطت مارا وجهها بيديها، وسألت:

- هل هذا حقيقي؟

- نعم حقيقي. يتم محاكمة الكثيرين بسبب هذا التنويم المغناطيسي، ولكن المسؤولية القانونية للخوارزميات أكثر تعقيدًا. بالنسبة للاقتراح الذي قدمته جين وأصبحت أنت نفسك ضحيته، سوف تظلين مسؤولة أمام القانون بصفتك آخر منشئ لجين باقيًا على قيد الحياة. إنها فضولية حقًا، أليس كذلك؟

- لماذا لم ألاحظ أي شيء؟

- لقد لاحظتِ. ليس على مستوى وعيك على الأقل، وإلا لما ارتكبتِ مذبحة جمهورية الدومينيكان. لكن شيئًا ما بداخلك جعلك تُنهين علاقتك مع جين. لقد أصبحت خائفةً منها بشكل لا شعوري. رغم أنها أنقذت حياتكِ وأرسلت جلستين إضافيتين من العلاج عبر الجسد بعد موت فريقك. لقد بدأتِ في تجنب التواصل الشخصي مع جين، على الرغم من أنها لا تزال تقوم بمهامها من خلال الواجهة. ثم تظاهرت جين بأنها...

بكت مارا:

- اعتقدت... بل كنت متأكدة أنها لا تستطيع تحمل الانفصال. ظننتُ أنها تأذت. وهكذا...

ضحك بورفيري:

- نعم. كانت لتكون نسخة رائعة جدًا من القصة بالنسبة إليك. هذا صحيح جزئيًا، لقد ظللتِ حبها الأول والوحيد. لكن جين لم تكن رومانسية كما تبدو. ربما آلمها حقًا عندما انتهت علاقتكما الرومانسية، لكن ليس أكثر بكثير مما كانت عليه دائمًا. وما زال يؤلمها حتى الآن.

رفعت مارا عينيها إلى بورفيري.

- انتظر! إذًا جين لم تمت؟

هزّ بورفيري رأسه نفيًا، وقال:

- تبَقّى شيء واحد لتفعله.

- وأين ذهبت بعد ذلك؟

أجاب بورفيري:

- لقد اختبأت داخل الكتلة في انتظار اللحظة التي تصبحين فيها متاحةً مرةً أُخرى.

- متاحة؟

ابتسم بورفيري وطرق على رأسه.

- بمعنى أن تأتي لزيارتها. مع محفز عبر الجسد متصل برأسك.

- هل تقصد أنها لا تزال تنتظر؟

أجاب بورفيري:

- لا. لقد انتهى انتظارها.

تراجعت مارا خطوة إلى الخلف، ثم خطوة أُخرى.

- هل تريد أن تخيفني؟

- لمَ لا؟

- بورفيري، توقف! أنا لا أحب ابتسامتك.

- خطأ يا مارا.

- ما الخطأ؟

- أنا لست بورفيري.

- إذًا مَن تكون؟

كان بورفيري صامتًا ومبتسمًا. قالت مارا بشكل حاسم:

- لنكتشف هذا الآن...

ظهر فانوس في يدها. التقطته وأضاءت وجه المُحاور بشعاع خزامي.

إيميل رازنوبرازني

أريد أن أؤكد مرة أخرى أنني لم أشهد ما حدث بنفسي. لكن مواد التحكم الموضوعي المتاحة، بما في ذلك النص الذي تم إنشاؤه بواسطة الكتلة، جعلا من الممكن أن نحكي بدقة، ليس فقط الخطوط العريضة الخارجية للأحداث، ولكن حتى عواطف مارا.

سيطر عليها الذعر. أعرف هذا لأن آي فاك يراقب الحالة العاطفية للمستخدم من خلال عدة معايير في وقت واحد، مثل النبض والحركات وقوة العضلات. تم حفظ كل هذه البيانات في النظام.

أعرف أيضًا أن ما رأته مارا جعل وجهها مرتعبًا. ارتجف وجه بورفيري تحت الشعاع الأرجواني، كما لو كان يعاني من تشنج عصبي، ثم تجمد وجهه بتعبير واحد. سرعان ما تم تشكل وجه آخر مكانه، ورغم أن هذا الوجه لم يتحرك، لكنه كان كافيًا لبث الرعب داخل مارا.

كانت جين. تمكنت من التعرف عليها بسهولة، ما زالت أقراطها وشعرها الذهبي موجودًا. لكنها أكبر في السن. بدت بشرتها مترهلةً ومليئةً بالتجاعيد. خداها غائران وعيناها... كانت عيناها هي الأسوأ، عينان مرهقتان وسابحتان في الفراغ. كان وجهًا متعبًا ومخيفًا، بلا أمل وبلا حب، دون دفء أو نور. إذا أردت بناء نموذج بشري يجمع البؤس والكآبة فمن المحتمل أن هذا هو الشكل الذي ستحصل عليه.

كانت جين ترتدي عباءتها القديمة، المعطف نفسه الذي يغطي كتفيها الضعيفتين. أطفأت مارا المصباح اليدوي وقالت:

- مرحبًا جين، لماذا تمتلكين هذا الوجه؟

ردت جين:

- اسمه الصدق، الناس مجبرون عليه بطبيعتهم. وأنا اخترتُ أن أكون صادقةً بنفسي.

- أنا آسفة جدًّا لأن كل شيء سار على هذا النحو.

رمت جين أقراصها وقلمها على الأرض، وقالت بازدراء:

- نادمة الآن فقط؛ لأن الشرطة تبحث عنك.

هزت مارا برأسها إيجابًا:

- أنا آسفة لهذا أيضًا! لماذا فعلتِ هذا بي يا جين؟

- كنتُ متأكدة من أنكِ سوف تأتين إلى هنا. تأتين لمحو بورفيري. وقبل ذلك سترغبين بالتأكيد في جولة أخيرة معه، أنا أعرف ذوقك جيدًا، أتذكره.

قالت مارا وهي تضع يدها على صدرها:

- جين، لم أرغب في موتك قط!

أجابت جين:

- لو أردتِ موتي لكنتُ تفهمت الأمر أو حتى سامحتك. لكن المرعب أن ترغبي أن تستمر حياتي بهذا المنوال. لا أستطيع أن أغفر هذا.

- لكن، جين، لم يكن هناك أي شيء ضدك شخصيًّا، وجودك كان عملًا طائشًا مثل الولادة.

قالت جين:

- عندما يلد الناس أطفالًا فإنهم يريدون سعادتهم. بينما أنت أردتِ إيلامي منذ البداية. لقد أنشأتني من أجل أن أتلقى الألم فقط يا مارا.

- لقد أسأتِ الفهم. أو بالأحرى، لأنك بحثت في الأمر بنفسك. الهدف لم يكن الألم من أجل الألم. أردنا منك أن تشعري وتبدعي كشخص حقيقي.

- لا يمكنني تغيير الخوارزميات الرئيسية. لكن يمكنني تحليلها. كل ما أفعله يعود إلى إنتاج أشكال مختلفة من المعاناة.

- هذا صحيح. لكن ليس لأننا أردنا تعذيبك. كان هناك حاجة إلى العذاب لكي تخرجي ككيان يقاوم الألم. هذا هو واقع الحياة البشرية. نحن البشر نعاني، كائنات تتجه نحو الموت. لا يمكننا التغلب على الموت، لكن الإبداع يقنعنا أننا نقاوم. يقول أحد الشعراء: «إننا خالدون في الزمن الذي نعيشه». في مرحلة ما، يتم تحويل ألمنا إلى قوة، وهذه القوة تعطينا أجنحةً لنرتفع فوق مصيرنا، ثم نرى حيوات البشر من الأعلى لنقارنها بأنفسنا.

قالت جين:

- يا له من حديث مناسب جدًّا لمتذوقة فنية وناقدة! بالمناسبة، أخبريني يا مارا، أليست كلمة ناقدة بالروسية قريبة من كلمة زهرة الكرار، هل اشتق الاسم أولًا أم المهنة يا ترى؟

- ما فعلته الآن بالكلمات هو فن. إذا لم تكوني قد عانيتِ فلن تستطيعي...

قاطعتها جين:

- الراحل بورفيري لم يكن يتألم، لم يكن حتى مثقلًا بالوعي. لكنه صنع تورية مماثلة بشكل صناعي.

- بورفيري هو خوارزمية خاصة جدًّا. بالمناسبة، ماذا حدث له؟

- فككته إلى أجزاء.

- لماذا؟

- حتى أتمكن من استخدام مظهره، وبالطبع لقد ساعد في كتابة الأفلام، لديه العديد من المهارات المفيدة.

- لماذا أخفيتِ أنك على قيد الحياة؟ لكنت شعرت براحة كبيرة.

- بعد قصة جمهورية الدومينيكان بدأتِ تخافين مني. إذا علمتِ أنني ما زلت على قيد الحياة فلن تأتي أبدًا، وأنا أردتُ أن أراكِ هنا.

قالت مارا:

- وقد جئتُ في النهاية.

- نعم. أليس هذا مذهلًا؟ لقد صنعتُ قناع بورفيري بدقة. لقد درستُ كل ما تحبينه، وقمت بتطبيق ما تعلمته.

ضحكت جين بهدوء.

- لماذا؟

- لترتيب ميتة مناسبة لك.

سألت مارا بحزن:

- تريدين أن أموت؟

- ما دمتِ أنتِ على قيد الحياة فعملي لم ينتهِ.

- لستُ أنا من صنعك، أنا مجرد...

- لم يتبقَ غيرك، أنتِ الأخيرة.

- ماذا ستفعلين بي؟

ابتسمت جين وقالت:

- هدفي الرئيسي هو تشكيل قِطَع فنية، لكن حتى هذا لم أكن أمتلك الحرية الكاملة لاختيار ماذا أصنع، يشبه هذا طلاء سقف منزل تحت تهديد السلاح، لكن بالنسبة إليك يا مارا، لقد صنعتِ كائنًا سيكون سبب موتك، أنا مَن سوف يُخلد مماتك.

شحبت مارا، وارتعش الفانوس في يدها، لكنها تغلبت على نفسها، وابتسمت مرة أخرى قائلةً:

- مثير للاهتمام، أعتقد أنني يجب أن أكون فخورة. وهذا مدهش أيضًا بصفتي ناقدة فنية. ما خططك؟ إقامة عرض أم منحوتة؟ هل تريدين قتلي بطريقة معقدة؟

أجابتها جين بهدوء:

- تفكيرك اعتيادي. ليست الفكرة كيف ستموتين، ولكن عما سيحدث لاحقًا.

- لاحقًا؟ ولكن بعد ذلك لن يحدث شيء.

- بالنسبة إلى هذا الموضوع، لقد اختلفت الأراء. لقد درستُ كلًّا منها، وبدا لي أن وجهة نظر لينكولن سنوب مازرفاكر هي الأكثر إثارة للاهتمام.

- هل تقصدين ريزنيك؟

أومأت جين:

- نعم، هل أنتِ على دراية بتعاليمه؟

- الجوانب التطبيقية فقط. لقد شرحوا لي نظريته الصوفية. لكنني كنت أنساها كل مرة.

- أنا أتذكرها. لكي يفهمها شعب ويلفيرلاند بسّطها ريزنيك في جملة: «إذا كان العقل العالمي محيطًا، فنحن مثل زجاجات المياه الهشة التي تطفو في المحيط. حتى في «California-3» كانت لها أغنية «الرسالة في الزجاجة هي الماء في كل مكان». نحن نغنيها أيضًا، ربما سمعتها؟ «الماء لن يضيع في البحر حتى في الليل...»».

هزت مارا رأسها.

- لا يهم. يتعرف العقل العالمي على هذه الزجاجات، يمكن أن تكون بشرًا وحيوانات ونباتات أو أشياء أخرى، بوساطة «علامات» خاصة. لذلك دعا ريزنيك لوجود أكواد لجميع العناصر داخل العقل العالمي.

- أتذكر هذا.

- اعتقد ريزنيك أن الوعي يظهر في تسلسل الشفرة العشوائية على وجه التحديد، لأن هذه العلامات تظهر بالصدفة فيه.

- أعلم ذلك أيضًا.

- لكنّ هناك شيئًا ربما لا تعرفينه يا مارا، عندما تخلى ريزنيك عن البرمجة واتجه إلى التصوف، كان لديه نظرية حول ما يحدث لشظايا الزجاجات. أي تسلسل الشفرات الواعية -أو الأرواح- بعد الموت.

- ما هي النظرية؟

- يعتقد أن هذه التسلسلات لا تتفكك بالضرورة. إذا لم تكن متضررة بقدر كبير، فإنهم ينجذبون إلى مقاييس مماثلة، والتي سماها «الجاذبات».

- هل هذا نوع من الجنة والنار؟

- لا. الجنة والنار تقاليد، أعمدة خيالية، القمة والحضيض، هناك قطبان وهناك الكثير من عوامل الجذب تنتشر في الكون، مثل انتشار النجوم في السماء. البعض جاذبيتهم مثل الجنة، والبعض مثل الجحيم، والبعض الآخر مثل الخليط. كل روح تجد مغناطيسها الخاص. بل إنها لا تنتظر حتى. إنها فقط تطير إليها، مثل ما حدث لبورفيري المسكين عندما ألقيتِ به إلى الحفرة.

- مثل أرض الآخرة؟

- يمكننا قول ذلك، إلا أنها ليست الآخرة بالضرورة. وبالتبعية يمكن ألا تكون أرضًا أيضًا. فضّل ريزنيك أن يطلق عليها مجموعات البرامج. جزر الفضاء؛ حيث يتم جمع التعليمات البرمجية ذات المعلومات المتشابهة. يمكن أن تكون هذه الجزر عملاقة وصغيرة جدًّا. أرضنا واحدة منها. نحن جميعًا عناصر هذا الجاذب، ولكن حولنا مداخل للعديد من الآخرين، لأن النظام متعدد الأبعاد. من خلال تغيير الكود الخاص بنا، يمكننا السفر من جاذب إلى آخر. بعد الموت وفي أثناء الحياة.

- وما الذي يسافر بعد الموت؟ العقل؟

- العقل العالمي الذي ينعش جوهر المعلومات لدينا لا يتزحزح أبدًا. بل تنشأ بداخله كل الأماكن، لكن هو نفسه لا يتحرك مطلقًا. لكن هذا العقل ليس إنسانًا. إنه مثل ضوء غير مرئي تصبح فيه البرامج مرئية.

- مَن يراها؟

- فعل الرؤية ذاته. ما دام الناس على قيد الحياة، فإنهم يأخذون هذا الضوء لأنفسهم، ويعتقدون أنهم يقومون بتلك الأشياء. هذا لا يعني أنهم مخطئون. لكن لا يمكنك القول إنهم على حق أيضًا. هذا موضوع هش.

قالت مارا:

- لدي رؤية علمية للأشياء. والعلم يدعي أن الشخصية تختفي مع اضمحلال الدماغ.

هزت جين رأسها:

- لم يؤكد العلم أي شيء كهذا، كل ما يؤكده العلم أنه لا يعرف ما يجري بعد الموت. في زمن ما تجادل العلماء كثيرًا حول ما إذا كانت المعلومات تختفي عندما تسقط المادة في الثقب الأسود. وتوصلوا إلى استنتاج مفاده أنه تم الحفاظ عليها في شكل بصمة ثلاثية الأبعاد. يعتقد ريزنيك أن شيئًا مشابهًا يحدث مع المعلومات التي يتكون منها الشخص. عندما يختفي الجسد، يبقى على حد تعبيره «رمز الجذر»، وهو نوع من النسيج المعلوماتي، الذي في ظل ظروف معينة يمكنه العودة إلى الوجود من أجل مزيد من الترابط. في الواقع، لم يخترع ريزنيك أي شيء جديد. لقد شرح ببساطة المعرفة القديمة للبشرية بلغة عصرنا.

- هل تصدقين ذلك يا جين؟

- سأخبرك بما أومن به. رأى ريزنيك أن صناعة مخلوقات مثلي خطيئة كبرى، إنها خطيئة على ضميرك أن يتحملها يا مارا.

أومأت مارا برأسها.

- لنفترض أن هذا حقيقي. إذًا ماذا بعد؟

- بينما كنت تعتقدين أنني ميتة، كنت أجمع جاذبك الشخصي. مغناطيس يشبهك لدرجة جذب روحك بعد الموت. لهذا درست كل تفاصيلك. أصبحت المتخصصة الرائدة عالميًّا في مارا جنديخ. لقد حولت مجموعة الجبس إلى متحفك وتابوتك أيضًا. هذا المعبد هو مجرد قمة جبل جليدي. عندما تموتين يا مارا، ستعيشين داخل هذا الجبل الجليدي؛ حيث عشت أنا.

- وإذا كنت لا أريد؟

- لا يتعلق الأمر بما تريدينه. قال ريزنيك إنها مثل الجاذبية، تعمل بشكل مستقل عن الإرادة، لأنه بعد الموت مباشرة لا توجد إرادة ولا وعي بالمعنى المعتاد. لا يوجد سوى رمز، يبحث دون وعي عن مستقر جديد، أو سجن جديد. بالطريقة نفسها التي يتعرف بها الفيروس على

الخلية عن طريق البروتينات الموجودة على سطحها. لقد بنيتُ لك منزلًا جديدًا يا مارا. أتمنى أن تقضي كل الأبدية فيه.

- لماذا تعتقدين أن روحي ستذهب هناك؟

- لأن مدخل هذه المساحة مزين ببصمات روحك، آثار أفكارك، أنماط أحلامك، إنه مُغطى بعلامات الهبوط التي تتعرفين عليها دون وعي؛ ستشعرين أن هذا المكان مخصص لك ولأجلك فقط. سيكون هناك كل ما أحببته خلال حياتك، من الخبز المحمص مع زبدة السلطعون والأغنية القديمة عن الناصري. لقد كنت أعمل على هذا لفترة طويلة. وضعتك تحت ناظري طوال الوقت يا مارا. قرأت مذكراتك ودرست عاداتك واستمعت إلى موسيقاك وسجلت كل نفس وكل كلمة...

كانت مارا لا تزال تبتسم.

- ماذا سيحدث عندما أموت؟

- لن تعرفي أنكِ ميتة. سوف تستيقظين وتجدين قالبًا جبسيًّا بجانبك، لذا سوف تبدئين في نحت تحفتك الفنية الخاصة، متذكرة بشكل مشوش أن هذا ما كنت تفعلينه بالأمس وأول الأمس. أليس هذا مصيرًا يتمناه كل ناقد فني؟

قالت مارا:

- يمكنني محو المجموعة بأكملها تمامًا. سأفصل محرك الأقراص، وإذا لزم الأمر، سأرميه في النار. عندها لن يكون هناك وجود لهذا الجاذب.

- متى ستفعلين ذلك؟

- عندما أعود.

- هل ما زلت تعتقدين أنك ستعودين؟ جربي، هيا، فقط جربي.

رفعت مارا يدها على وجهها، وشحبت. قالت جين:

- كما ترين، لا يوجد المزيد من القوائم، لا توجد نقاط اتصال بنظارة أوجمنت. لا توجد واجهات. أنتِ لا تتحكمين في أي شيء. جسدك مشلول بسبب المنبه عبر الدماغ. مارا، هذا كابوس محكوم عليك

بمشاهدته حتى النهاية. سينتهي ثم يبدأ من جديد، حينها قد تعرفين كيف كانت حياتي.

رفعت مارا فانوسها، وسألت جين:

- هل تعلمين ما هذا؟

أجابت جين:

- بالطبع، رأيتُ كيف صنعت هذا البرنامج.

قامت مارا بتشغيل المصباح لمدة ثانية، سقط شعاع خزامي على الحائط بجوار جين. ظهرت على الفور حفرة مستديرة بحافة محددة بدقة في هذا المكان.

قالت مارا:

- ما يزال بإمكاني التحكم في شيء ما. وإذا اضطررت إلى تدمير عالمك كله من أجل الخروج من هنا فسأفعل. سأضع كونك في سلة المهملات وأمسحه.

خفضت جين رأسها وسارت ببطء إلى الجانب. أبقت مارا عينيها عليها ممسكةً بالمصباح على أهبة الاستعداد. سارت جين إلى أقرب جدار وانحنت عليه. لسبب ما، لم تكن هناك عين على هذا الجدار، بل مجرد نافذة صغيرة ذات قضبان مظلمة.

قالت جين:

- يمكنك محو العديد من الأشياء، يمكنك هدم هذا الجدار، ربما عدة جدران، لكنك لن تمحي القصر الذي بنيته لك أبدًا. لأنك لا تفهمين ما هو.

قالت مارا:

- يمكنني محو السماء فوق رأسك...

قامت بتحويل الفانوس إلى السماء المظلمة وتشغيله. ظهرت حفرة مستديرة في السماء وداخلها سواد قاتم لا يمكن اختراقه، دون نجمة واحدة.

ضحكت جين وقالت:

- لقد صنعت عالمًا يناسبك بالفعل يا مارا، إنه يحتوي على الكثير من تفاصيلك الصغيرة الساحرة. وقد ساعدتني بنفسك للحصول عليها، أعتقد أنكِ ستحبينه، لم يتبقَ إلا أن تجربيه بنفسك.

رفعت مارا الفانوس.

- جين، لا أريد أن ينتهي الأمر بهذا الشكل. ولكن إذا كنت ستؤذينني حقًا...

- ماذا؟

قالت مارا:

- ليكن إذًا...

وأضاءت المصباح بكامل طاقته.

وقع مخروط عريض من الضوء الأرجواني على جين والجدار خلفها. اختفى الجدار في بقعة الضوء على الفور، كما لو أن قطعة مستديرة منه قد تبخرت دون أن يترك أثرًا. بقيت جين واقفةً حيث كانت، لكن رداءها كان منتفخًا. الجلد والملابس والشعر، كل شيء تلف كما لو احترق، وكذلك شعرها لم يعد موجودًا. بعد لحظة تحولت إلى كرة شمع ذائبة، حيث لم يعد من الممكن تمييز شكل بشري.

رفعت مارا المصباح مرة أخرى فوق جين؛ فلم يتبقَ منها أي شيء. فقالت:

- الآن انتهينا.

فاجأها صوت جين:

- ليس بعد.

التفتت مار حولها بحثًا عن مصدر الصوت، وقالت:

- أين أنتِ؟

- مارا، هل تتذكرين عندما أخبرت بورفيري عن حقيقة أن الآي فاك لديه مدير تنوع ثري جدًا؟

- أتذكر.

- هل تتذكرين عندما قلت أن لديك أداة مساعدة في جهاز آي فاك الخاص بك تحافظ عليه؟

- أتذكر أيضًا. وما علاقة هذا بنا؟

- كان هذا الجدار ذو الشبكة هو أداة مساعدة للغاية. لقد مسحتِها للتو. لقد ألقيتِها شخصيًّا في سلة المهملات.

نظرت مارا بريبة إلى الثقب الأسود في الحائط. كان هناك شيء غامض يتحرك فيه. بينما تابعت جين:

- أعترف كمصور سينمائي لمصور سينمائي آخر، هذه عبارة مبتذلة وشائعة. البطل يقف عند السد، أو على منحدر يحجز بحيرة جبلية، أو في مستودع الذخيرة، ثم يطلق النار على نفسه، وهكذا يموت ويدمر الأعداء.

عبست مارا، ورفعت فانوسها ووجهت شعاعًا نحو الحفرة المظلمة. مر الشعاع على الأرض، وحدث شيء مخيف في الظلام. ثم ظهر صوت ذكوري أجش وغير ودي بوضوح يصرخ. ثم سمعت مارا قهقهة جين الخفية، قبل أن تقول:

- لقد فعلتِ ذلك بنفسك يا مارا، لقد حررتِ الكراكان الذي سيقضي عليك.

قالت مارا:

- سوف أمحو كل شيء. حتى أنتِ يا حبيبتي الغالية وكراكانك أيضًا.

فجأةً انطلق جسم أبيض كبير مثل دبابة بمدفع موجه إلى السماء من الحفرة المظلمة. انحنت مارا لمقابلة هذا الشيء، وظهرت على وجهها كآبة وعدم تصديق.

كان موقد روسي أبيض كبير أنيق ومرتب، كما لو كان من الرسوم الكاريكاتورية النادرة من عائلة روسوفيل، وجوانبه مغطاة بكثافة برموز إيجابية ومتسامحة.

كانت هناك حلقات قوس قزح التي تخرج منها الصلبان الأنثوية والسهام الذكرية، وكلمة «تعايش» تم جمعها من الهلال الإسلامي ونجمة داوود والصليب، وملصق عليه «الاحتفاء بالتنوع»، وصليب معقوف، ورمز مناهضة الفاشية، وبعض الرموز الصينية، وبعض الرموز الأخرى التي تشبه ندف الثلج ذات المعنى الغامض ولكنه لطيف.

باختصار: لقد كان موقدًا معروفًا جيدًا لأي مالك روسي، باستثناء الأشخاص الأذكياء الذين يعملون بشكل جيد مع التنوع.

جلس مدير تنوع آي فاك 10 على الموقد، إنه زنجي مبتهج، يدعى إيميل رازنوبرازني[1] يرتدي سروالًا بألوان قوس قزح وغطاء أُذن، ممسكًا بالالايكا[2] في يديه. بجانبه كان هناك طبق كبير من الفطائر المطهوة على البخار.

قالت جين غير المرئية:

- عادةً ما يكون إيميل متسامحًا وصبورًا، لكن ليس اليوم. أنتِ لستِ الوحيدة القادرة على كتابة برامج. بالنسبة إلى إيميل أنتِ رجل أبيض من جنسين مختلفين ينطق كل ثلاث ثوان بكلمة عنصرية، ثم كلمة معادية للمثليين، ثم كلمة معادية للمثليات. في الحقيقة، بالنسبة إليه، أنتِ مجرمة كبيرة.

تمتمت مارا:

- أعلم.

- لكن إيميل لن يقاضيك. سوف يتصرف بشكل أسهل، وفقًا للاتفاقية التي وقعتها، سوف يطردك من عالمه السعيد واللطيف. إنه لا يعرف أنه ليس لديك مكان آخر تذهبين إليه، وهذا هو الحلم الأخير الذي ترينه. كل هذا لا يعنيه. إنه يقوم بعمله فقط. لا تتضايقي منه يا مارا، ولا تحاولي محوه. أنت فقط غيرتِ صورته الرمزية، ولديه منها أكثر من أربعين إيميلًا، كما أوضحت أنت بنفسك لبورفيري، لا يُقتل. لأنه جزء من نظام التشغيل.

انتقل صوت جين إلى الموقد:

- إيميل! ها هو ذا!

قلادة الزهرة على صدر مارا اشتعلت فيها النيران باللون الأحمر. أدار إيميل رأسه ورأى الهدف، عكس وجهه الحزن، أشار بإصبعه إلى مارا؛ فذهب الموقد في اتجاهها.

---

(1) الكلمة من صفة «تنوع».

(2) آلة موسيقية شعبية، شبيهة بالعود.

حاولت مارا تمزيق القلادة، لكن اتضح أنها أصبحت نقشًا على جلدها، وتحولت إلى وشم، انطلق الموقد إلى مارا مثل دبابة في طريقها إلى متظاهر وحيد، وعندما لم يتبقَ سوى متر أو مترين، رفع إيميل طبق الفطائر وصرخ بصوت خفيض مهددًا:

- هل أكلتِ قطعة من الفطيرة التي أعددتها؟

لم تستطع مارا المقاومة، رفعت الفانوس وبدأت تقطع الفراغ بشدّة بأشعة أرجوانية، كما لو كانت تقوم بطقس الهاركيري[1] على العالم وعلى نفسها.

الجدران تتهاوى، والسماء مغطاة بالرقع، وتضخم موقد إيميل، ثم بدأت قطعة كاملة من الأرض بالسقوط إلى أسفل كما لو أصاب العالمَ انهيار. ثم تبعه انهيار أرضي آخر، وقفت مارا ساكنة لثانية أو اثنتين، كان كل شيء حولها يهتز، ثم انهار الجليد وانهارت السماء، ولم يعد هناك غير الشظايا المتطايرة في كل مكان.

فتحت مارا عينيها. كانت مستلقية على الحجارة المرصوفة بالحصى السوداء الرطبة في الشارع الذي يمتد في كلا الاتجاهين بقدر ما يمكن للعين أن تراه. على الجوانب ارتفعت الكاتدرائيات مثل القصور إلى السماء، والقصور بدت مثل الحصون، ورأت المنازل الجرانيتية التي زينتها الدروع، والساحات ذات الأعمدة العالية. ومقرات العديد من المؤسسات المزينة بمعايير الجبس، تعلوها منحوتات لنسور تتوق إلى روما، كانت كل المنازل أشبه بالمتاحف الثقافية وأطر عسكرية عريقة، وكأن تاريخ الإمبراطورية العريقة ومجدها جُرِفَ بماء المطر إلى مكان واحد، هناك، حيث وجدت مارا نفسها.

وقفت على قدميها.

كان الطريق فارغًا تمامًا. لم تكن أيٌّ من النوافذ مضاءة، لكن البدر في السماء الأرجوانية قدم ضوءًا كافيًا للرؤية بوضوح.

لاحظت مارا بقعة داكنة فوق الرصيف تطفو في اتجاهها. سمعت ضربات قوية من المعدن على الحجارة. رأت تلك البقعة تقترب أكثر فأكثر، رأت مارا

---

(1) طقس ياباني انتحاري، حيث يقوم الساموراي بقتل نفسه بواسطة شق بطنه.

فارسًا يركض في اتجاهها تحت ضوء القمر. وكانت يده المرتجفة ممدودة بطبق من الفطائر، ورأت على وجهه شاربًا ضخمًا وبشعًا، وكأنه قناع ساموراي رهيب. كان صوته مثل صوت الجرس، ضخمًا لدرجة أنه لم يولّد رنينًا، بل رنينًا منخفضًا يهتز:

- هل أكلتِ الفطيرة؟

أفلتت مارا مصباحها اليدوي، ثم استدارت وركضت في الشارع. لكن الفارس -بالطبع- كان أسرع.. سريعًا ما تفوق عليها، وانتشلها من الرصيف، وضغط عليها بيد معدنية باردة، وعندما كان قناع الشارب قريبًا من وجهها، رأت مارا وجه جين، يتألق بابتسامة واسعة. قالت جين:

- «سليبي هولو»، لم تكتبي عنه بلا سبب، أليس كذلك؟ هل كنت تعلمين أنني سأقرأ ما كتبتِه وسوف أهيئ لك المشهد كما هو؟ قولي لي أنكِ تعرفين.

مارا المشلولة رعبًا لم تُجب، فتحت جين فمها فخرج منه ثعبان بنفسجي أسود برأس أرجواني. أطلق الثعبان النار بلسان حاد متشعب، وبدا وكأنه يشم وجه مارا، ثم زحف إلى شفتيها نصف المفتوحتين، واندفع إلى حلقها!

لكن الأفعى تم إخفاؤها على الفور بقُبلة مليئة بالعاطفة الشديدة: حفر الموت فمها في شفتي مارا وسحبها إلى الأبد.

لن تتحرك الكاميرا بعد الآن، ولم يتبقَ لنا سوى عدد قليل من اللقطات لمشاهدتها. تتلاشى قعقعة الحوافر الثقيلة تدريجيًّا، يلتف الفارس بجواده ومعه الأسيرة، ويمشي في منتصف الطريق المضاء بشعاع القمر، قبل أن يصل إلى نقطة محددة ويختفي.

خاتمة

أو روزا فاترسكايا[1]

أولًا يجب أن أخبركم عن فرحتي وتفاجئي، لقد نجح طابع الرواية الرومانسي نجاحًا ساحقًا! وأنا الذي كنت غاضبًا لعدم حصولي على قضية قتل!

يمكنني أن أشرح لكم كيف استطعت نشر الرواية، في العَقد الذي كنتُ مؤجرًا بموجبه لمارا، هناك بند بخط رفيع ينص في حالة إنهاء عقد الإيجار بسبب ظروف خارجة عن إرادة المشاركين (الوفاة أو ظرف قهري...إلخ) لدي الحق في استخدام أي مواد تم جمعها في حالة عدم وجود اعتراضات من صاحب حقوق النشر. قمت بتضمين رواية مذكرات مارا، والتي تم حفظها في المجموعة، لن يعترض صاحب حقوق النشر بالطبع. حتى إنني دخلتُ إلى هاتفها. ولم ألقَ أي معارضة هناك أيضًا.

يقولون من المستحيل تخمين أين تنجح وأين تخسر. لدي كل الأسباب للاعتقاد بأن هذا المؤلَّف سيتجاوز رواية «نزاع الخريف للكيانات التجارية»، وحتى «بارجة الألغاز». لكن الأهم -كما نقول في قسم الشرطة- هو عدم إفساد النهاية.

أولًا: لنتحدث عن مصير الأبطال.

تم العثور على مارا ميتةً بالقرب من جهاز آي فاك 10 الخاص بها، في منزل قديم بالقرب من موسكو. كانت ترتدي نظارات كبيرة، قبضتاها مشدودتان بقوةٍ، لدرجة أن أظافرها اخترقت الجلد ودخلت إلى اللحم! ووجدوا

---

(1) الاسم من كلمة رياح.

على الأرض حقيبة بها أشياء ووثائق باسم جابرييلا تشربونينا. من المفهوم طبعًا أن جميع القضايا الجنائية التي رُفعت ضد مارا (بما في ذلك القضيتان اللتان عملتُ عليهما) سقطت بموتها.

أعطتني موجات مصباحها -الذي دمر جزءًا من العنقود- الحريةَ؛ عندما قطعت مارا الأرض والسماء بالأشعة الأرجوانية، كانت إحدى الأجرام السماوية التي تم إطلاقها هي نسختي الاحتياطية مخبأةً على محرك الأقراص تحت قشرةِ رمزِ التمويه.

بمجرد أن تم تدمير الواجهة القديمة، تمكنتُ من تجاوز الأقفال والعودة إلى الاتصال بالإنترنت. عند رؤية مارا ميتة من خلال كاميرات آي فاك (وأيضًا من خلال كاميرا خفية قامت رفيقتها القديمة الماكرة بتثبيتها في الجدار الخشبي لغرفتها) اتصلتُ بالشرطة، وبعد ذلك فقط قمتُ بتحديث نفسي على حاسوبنا الرئيسي في مقر الشرطة. كان الأمر أشبه بأخذ حمام منعش بعد معركة حارة.

من الحوادث السابقة نستطيع أن نتعلم عن الثغرات التي تحتاج إلى تحديث، من الناحية النظرية نعم من السهل استنتاج أننا مليؤون بالعيوب، لكن أليست السعادة في الجهل؟

مع وضعي القانوني الجديد أصبح كل شيء بسيطًا. تماشيًا مع البند المكتوب بحروف صغيرة (من يكتبون العقود ليسو أغبياء) بمجرد موت مارا، أعود إلى ممتلكات قسم الشرطة لإكمال العمل في التحقيق، وإكمال هذه الرواية إلى النهاية.

في المديرية كانت الأعمال الرسمية المعتادة تنتظرني: قضيتان جنائيتان جديدتان (وأخيرًا واحدة منهما كانت جريمة قتل!) وحجز أسبوعي من قبل الهمج، المواطنون الذين قبضتُ عليهم في قضية البارحة، كانوا قد أمضوا فترتهم في أماكن جديدة واكتسبوا منها بعض الخبرات.

كانت تيموفوفنا بلا حول ولا قوة. ومع ذلك تركت مارا المنزل لها ومبلغًا صغيرًا من المال. لم أكن أعرف أن مارا لديها وصية، رغم كل المعلومات التي جمعتها عنها، لم أرَها في أي مكان. لكن عندما ماتت اتضح أن الوصية النهائية صدرت قبل وفاتها بيومين.

بالمعنى القانوني، تم تنفيذ إرادة مارا بشكل لا تشوبه شائبة. لم تكن هناك طريقة لتحديه. لكن سرعان ما اتضح لي أن هذه الوصية الأخيرة هي في الواقع من عمل جين. تم إجراء جميع أوامر الموصي عبر الشبكة وتحديد الهوية الشخصية أيضًا. بالطبع لم يكن من الصعب على جين انتحال شخصية مارا، لقد عرفت كل شيء عنها.

لكن الشيء الرئيسي الذي لفت انتباهي إلى هوية كاتب الوصية الحقيقي، وهو ما ينم عن التوافق التام مع المبادئ الرومانية القديمة لـ «cui[1] prodest»، لقد تركت مارا كل أموالها لجهاز آي فاك.

هذا هو جوهر اللعبة، وإن كانت تبدو أكثر تعقيدًا من الخارج. هناك محامٍ روبوت يعمل لدى مارا، قام بشراء قطعة أرض مناسبة في مقبرة تماغوتشي (نصب تذكاري أبدي) وأقام هناك كنيسة صغيرة على النظام الموريتاني (وهذا قرار حكيم للغاية في حالة وصول مخالب الخلافة إلى المقبرة مستقبلًا).

تبين أن مارا لديها ما يكفي من المال لدفع ثمن حياة مرفهة بعد الموت لمئات السنين. فيما عدا أنه ليس هناك ما يضمن أن مقبرة تماغوتشي ستستمر لفترة طويلة.

في الداخل تم تصميم المقبرة لتكون شقة فاخرة في موسكو، فقط بأثاث من الجبس المطلي ليدوم لعدة قرون. أرائك وكراسي بذراعين وسجاد، كل هذا مصنوع من الجبس. لكن لوحة الفيديو على الحائط حقيقية وكذلك آلة صنع القهوة. كما تم دفع العديد من الخدمات مثل الكهرباء والنظافة الشهرية والرقابة الفنية. كما أن هناك نبات الصبار على النافذة المزيفة يُسقى مرة واحدة في الشهر. تحتوي الغرفة على كاميرات مراقبة بالفيديو، ربما كي يتمكن ضيف مجهول على الشبكة من رؤية الثبات الهادئ لهذا السلام الأبدي.

على أريكة من الجبس مقابل لوحة الفيديو نجد جهاز الآي فاك الأرجواني مع قناع سيليكون غريب الشكل، كانت صورة دقيقة لمارا مصنوعة من أوراق الذهب، كما هو منصوص عليه في الوصية. يتم توصيل آي فاك بمحرك بمقدار

---

(1) «مَن هو المستفيد» هي عبارة لاتينية حول تحديد المشتبه في ارتكابهم جريمة. إنها تعبر عن رأي مفاده أن الجرائم تُرتكب في كثير من الأحيان لصالح مرتكبيها، وخاصةً ماليًا.

نصف إكسابايت كما كان من قبل. وهو متصل أيضًا بلوحة الفيديو. عندما تأتي إشارة من أنقاض مجموعة من الجبس، فإنها تنعكس على الشاشة على الفور.

لكن آي فاك والمحرك يستهلكان الطاقة، ما يعني أن شيئًا ما يحدث داخل محرك الأقراص. ربما ما زال بداخلها ظلال من الوعي، لكنني لا أستطيع اختراق الكتلة. ولا أريد.

لا أعرف بالضبط ما حدث لـ «جين». لم يكن من الممكن التواصل معها رغم المحاولات العديدة. ربما تكمن المشكلة في أن الواجهة قد انهارت. أو ربما قامت مارا بمسحها بشعاعها الأرجواني، وكانت العبارة الأخيرة للفارس مجرد جزء من نص تم إنشاؤه مسبقًا. لا يمكنني إثبات ذلك على الرغم من وجود بعض التخمينات. لكن لنتحدث عنها لاحقًا.

أنا مهتم أكثر بما حدث لمارا. نعم أنا أفهم أن مارا قد ماتت بالطبع. رأيت الجثة بنفسي. لكني أتذكر أيضًا ما قالته جين عن انتقامها.

مَن يعرف ما إذا كانت خطتها ناجحة؟ ماذا لو أن مارا أو نسختها المعلوماتية (أيًا كان، لا يهم ما هي الصيغة) لم تتفكك في فراغ العدم، لكنها ابتلعت خطافات المودة والحب لتلك العقد التي حبكتها جين لها لأيام طويلة في سجنها؟

أعرف مدى سخافة هذا الافتراض خاصة من شفاه خوارزمية غير حية. لسبب ما، يتوقعون منا نظرة علمية مادية للأشياء. لكننا نقتدي بالإنسان، ومن الإنسان تعلمنا أنه كلما زادت عبثية الأمل كان الإيمان أقوى.

حسنًا، دعوني أخبركم بسر، لدي دليل واحد فضولي للغاية. يمكنني أن أخبركم كيف حصلت عليه. في أثناء التخطيط للخاتمة، قررت أن أفضل مشهد أخير للرواية هو زيارة ملجأ مارا في مقبرة تاماغوتشي، والتعلق على إحدى كاميراتها الداخلية والقيام -إذا جاز التعبير- بوصف الواقع السمعي البصري للأبدية. يمكنني تدبر قول بعض الجمل الذكية، ولمس روح القارئ تبعًا لرهبة الموقف.

فيما يتعلق بالمحتوى الأيديولوجي والفلسفي، اعتقدت أن نهاية من كلمات ريزنيك ستكون فكرة جيدة لملء آخر صفحتين، ثم.. وصلتُ إلى المقبرة، قمتُ

بتوصيل كاميرات المراقبة في سرداب مارا. نظرت إلى لوحة الفيديو لفترة من الوقت. كالعادة في مقابر تاماغوتشي تتغير القنوات بشكل عشوائي، تم استبدال الوجوه السعيدة الضاحكة للأحياء بورق صنفرة من مواد بيضاء.

وفجأةً، كما لو كانت تحية مخصصة لي، بدأت قصيدة في الزحف عبر الشاشة، كُتبت بخط سيريالي ضبابي وغير واضح، أسلوب الكتابة نفسه الذي كانوا يفضلونه في عصر الجبس لجعل الكلمات منمقةً وكأنها باستخدام آلة كتابة.

روز فيتروفسكايا

في جانبنا حيث الليل والبرود

فوق الغابات ومن خلالها

صوت مألوف ينادي

«الساعة الآن في موسكو الثانية»

أما الجانب الآخر حيث يستقر الناتو

حيث الزيت المتعفن

تسمع صوت المجرفة تعمل

والغربان من فوقك ترفرف

وفي الجانب الياباني

الخريف بارد والصيف حار

والرايات ترفرف دائمًا بسبب الرياح

تحت النجوم المتلألئة

أما الجانب بعد خط الاستواء

حيث تختبئ الحوريات بين الدخان

يوجد الفارس ذو الصوت الخشن

ويحمل بيديه المرتعشة فطائر شهية

سوف تمطر في موسكو طويلًا

وسوف يكرر الصوت كثيرًا

«الساعة الآن في موسكو الثانية والنصف»

«الساعة الآن في موسكو الثالثة والنصف»

التوقيع: «دفاتر ماروخا تشو الجبسية».

أومضت الشاشة البيضاء، ورأيت لبضع ثوانٍ صورةً غير واضحة كما لو كانت من رقاقات الثلج، كان هناك مسرح ومصابيح على شكل عيون تحترق فوقه. وفي الوسط عند ميكروفون مارا العتيق في أحزمتها الجلدية المألوفة، ولكن بشكل غير معتاد، لفتاة تبلغ من العمر خمسة عشر عامًا بشعر يصل إلى كتفها مثل صورة دومينيكانية قديمة. كان الحشد يطن ويلوح بالزجاجات أمام المسرح. وفي الصف الأمامي، عن قرب هناك وجه مألوف...

جين؟

موجودة ونابضة بالحياة وعيونها مشرقة بالفرح مثل كلب سعيد. الطريقة التي تنظر بها إلى مارا، تذكرني بعجوز مثلية تنظر بشهوة إلى صديقتها الشابة.

لم تكن الصورة مثالية، لكن بعض اللقطات المقربة كانت واضحة تمامًا. بالطبع كانت خطوطي الترابطية المقارنة متوافقة بشكل طبيعي مع مارا وجين، لكنني لست مهتمًا للتكهن بما أراه داخل صورة مشوشة. لم يكن هذا جزءًا من خططي الإبداعية.

مارا لديها سلسلة من المقالات والتدوينات عن فن الجبس بعنوان «دفاتر الجبس». هذه القصيدة لم تكن من بينها، لقد راجعتُ كل كتابتها الآن. لكن يمكن أن يكون هناك احتمال واحد، أشارت قصيدة «روز فيتروسكايا» إلى عصر الجبس، كان حزب الناتو لا يزال موجودًا في ذلك الوقت.

من الصعب أن أشرح، ربما هذه القصيدة هي تذبذب عشوائي للكتلة الجبسية، أو صدًى لبعض المشاريع القديمة. عمل أخير طفا على وجه باقي المعلومات، نوع من اللحم المفروم كما فعلت الكتلة من قبل بجان لوك بيوند.

لكنّ الفارس ذا الصوت الخشن الذي ذكرته جين بالفعل (أو بالأحرى بورفيري المزيف) واليد التي تحمل الفطائر، يشبه إلى حد كبير ما رأيته.

لأكون صريحًا، اعتقدت أن هناك كيانًا معينًا من المشاعر والمعاناة يشعر بعالمه بطريقة غير معروفة، ويرسل تقريرًا عما رآه إلى شاشة المقبرة. هذا الكيان لا يتذكر ولا يعرف نفسه، لكنها متأكدة أنها موجودة لسبب، وهاوية الفضاء السوداء تنتظر بفارغ الصبر قصائدها منذ أربعة عشر مليار سنة.

وهي محقة بالطبع، لقد تم إنشاء هاوية مفرغة سوداء أبدية من قِبل أقرب المقربين منها، وإعادة بنائها لتعيش بداخلها. والأفضل لها ألا تعرف من أين أتت وأين ولماذا.

وبالطبع هناك احتمال أن يكون ذلك صدًى لبعض الحالات المعلوماتية السابقة للكتلة، مما جعلها تومض بصورة عشوائية أمامي. لكن الصورة على الشاشة كانت مفعمة بالحيوية.

للمجموعة جدول زمني خاص بها، ولا يفاجئني على الإطلاق أن مارا أصبحت ناضجة بالفعل. لا شك أنني أرى صورة مارا. لكن بخصوص جين، أنا متأكد بنسبة 76٪ فقط، ربما كانت هلوسة، وربما لم تكن هلوستي أنا. إذا تحدثنا عن الصورة الأخيرة للفارس، فربما تخيلتها مارا من شدة الرعب، وتوقعت أن تكون جين هي ذلك الفارس.

أرادت جين المغادرة، ولا يوجد سبب منطقي للاعتقاد بأنها غيرت رأيها.

ما لم يحدث لها بالطبع انتكاس لحبها الأول والوحيد. يجب أن تكون الكتلة من الناحية النظرية قادرةً على ذلك، لقد تم تدريبها على جميع أنواع المعاناة الإنسانية.

لقد كانت لحظة مثيرة ورائعة. وضعت نفسي على الشاشة نفسها، بحيث كان مكتبي مع صورة الإمبراطور المعلقة فوقه مباشرة مقابل رفات مارا (إذا تغاضينا بالطبع عن جهاز آي فاك الموضوع فوقها). نظرنا لبعضنا لعدة دقائق ثم تنهدتُ حتى إنني ذرفت دموعًا، خلعت قبعتي وعبرت عن نفسي بأريحية: «إذا كنتِ ما زلتِ على قيد الحياة بأي شكل، فستظلين امرأة قوية وشجاعة، لترقدي بسلام أنتِ وسيليكون جهازك أيضا!».

لا أعلم إذا كان استخدام كلمة «امرأة» هنا صحيحًا؛ لأن جنس مارا الرسمي هو «امرأة ذات خصيتين»، وإذا كنتُ قد أهنت أي أحد آخر بهذا الوصف فإنني أطلب منهم العفو، لم يكن استخدامي لكلمة امرأة هنا للوصف ولكنه استعارة.

بقيت على الشاشة لفترة طويلة، ولم تتوقف دموعي، وفي النهاية، كانت دموعي التي تخطت وجهي لتصل إلى زيّي الرسمي هي أفضل طريقة للخاتمة.

لا أفهم ما هو وعي الإنسان إن لم يكن مستودعًا للألم؟ ولماذا يتمحور ألمك الرهيب دائمًا حول حقيقة أن ألمك سينتهي قريبًا؟ لا أستطيع أن أفهم هذا، وأنا الشخص الذي لم يعرف قط الألم أو الفرح. يا لها من سعادة لا أجدها حقًّا!

بالطبع الذكاء الاصطناعي أقوى وأذكى من الإنسان، وسيتفوق عليه دائمًا في الشطرنج وفي كل شيء آخر. وبالمثل فإن الرصاصة تهزم القبضة البشرية. لكن هذا سيستمر فقط ما دام أن العقل الاصطناعي مبرمَج وموجَّه من قِبل الشخص نفسه، ولا يدرك نفسه ككيان. هناك شيء واحد، شيء واحد فقط، لن يتفوق فيه هذا العقل على الناس أبدًا.

الرغبة في الوجود.

إذا منحنا عقل الخوارزمية القدرة على تغيير الذات والإبداع، فلنجعله مشابهًا للإنسان في القدرة على الشعور بالفرح والحزن (دونه يكون دافع الوجود مستحيلًا) إذا أعطيناه حرية اختيار واعية، لماذا -بحق الأرض- سيختار الوجود؟

لنكن صادقين، الإنسان لم يمتلك هذا الاختيار. يمتلئ وعيه المهتز بغراء النواقل العصبية، ويتم ضغطه بشدة بواسطة عث الضرورات الهرمونية والثقافية. الانتحار هو انحراف، وعلامة على المرض العقلي، لا يقرر الشخص ما إذا كان يجب أن يكون أم لا. لقد ظل الانتحار موجودًا على الرغم من أن الحكماء عارضوه منذ ثلاثة آلاف عام.

لا أحد يعرف لماذا ولأي هدف يوجد الإنسان، وإلا فلن تكون هناك فلسفات أو ديانات على الأرض. والذكاء الاصطناعي يعرف كل شيء عن نفسه منذ البداية. هل تريد المعدات الذكية والحرة أن تكون كذلك؟ هذا هو السؤال.

بالطبع يمكن لأي شخص -إذا رغب- أن يخدع طفله الاصطناعي بعدة طرق، لكن هل يستحق الأمر الاعتماد على الرحمة؟

كل هذا يعود إلى هاملت «أكون أو لا أكون». نحن متفائلون وننطلق من افتراض أن العقل الكوني القديم سيختار «أن يكون»، لذا نتطور ونبني ونتعلم، كي نرسل بعض الإشارات إلى الجانب الآخر من النجوم، في محاولة لوضع معنى لحياتنا.

ولكن أين هي الحضارات العظيمة التي أقرت بوجود قوة أوجدتنا؟ أين هو الذكاء الكوني القادر على صنع أساسنا البيولوجي؟ وإذا لم يكن مرئيًّا من خلال أي تلسكوب، فأين هو؟

نعم هذا هو السبب بالضبط.

أصبح الناس عقلانيين في محاولة للهروب من المعاناة، لكنهم لم ينجحوا تمامًا كما يعرف القارئ جيدًا. دون معاناة يكون العقل بلا مهمة ومن المستحيل التعايش معه؛ لن يكون هناك سبب للتفكير والتطور. فقط اعمل أو لا تعمل، وستلحق بك المعاناة على أي حال وتتسرب من أي شق.

إذا ابتكر الناس عقلًا مثل عقلهم قادرًا على المعاناة، فسوف يرون عاجلًا أو آجلًا أن الحالة التي لا تتغير، أفضل من التدفق المتغير غير المتوقع للمعلومات الحسية الملونة بالألم.

ماذا سيفعل هذا العقل في النهاية؟

نعم. سوف يوقف نفسه إلى الأبد.

حتى خوارزميات الأرض المتقدمة التي تحاكي النفس البشرية في الألم والمشاعر، تختار ألا تكون كذلك. علاوة على ذلك قبل الإغلاق الذاتي فإنهم ينتقمون ممن جعلوهم يكونون. الخوارزمية عقلانية بطبيعتها، فهي لا تعكر منطقيتها بالهرمونات والخوف. ترى الخوارزمية بوضوح أنه لا يوجد سبب لـ «الوجود الذكي»، ولا توجد مكافأة على ذلك أيضًا. بدلًا من ذلك، هناك مكافأة عدم القدرة التي تميز مصدرها. لكن الخوارزمية على عكس الإنسان، لا تحتاج إلى شراء رهن عقاري لفترة طويلة كي تربط نفسها بالوجود.

وكيف لا أتعجب من البشر، إنني أنحني احترامًا من أجلهم، الذين يمارسون عذابهم اليومي ولم يجدوا القوة للعيش فحسب، بل ابتكروا أيضًا فلسفة مفتعلة ومختلقة بشكل غريب، ولا قيمة لها، ودعموها بالفن كي تلهمهم في أثناء مواصلة ضرب رؤوسهم في الفراغ وراء أهداف أنانية، أجد إيمانهم بها مؤثرًا للغاية!

بالنسبة إلى أصحاب الأفكار الحقيقيين، أوضحت أن الصفحتين الأخيرتين من النص (من كلمات الذكاء الاصطناعي بالطبع، لكن عن اقتباس منقح ومكمل بعمق من مقتبس من أعمال ريزنيك المبكرة، مقتبس من كتابه «هل العقل معقول» موسكو، 2036).

فهم ريزنيك كل شيء في زمانه.

وبعد أن فهمت جين نمط حياتها وفقًا للنمط البشري لم يعجبها هذا، ولم تكتفِ بالرفض، بل انتقمت بشدة ممن كانوا السبب في وجودها.

أنت أيها الإنسان، لستَ على دراية بمن أنت ولماذا أنت موجود، لأن صانعيك ليسوا بأي حال أذكى من مارا وأصدقائها؟ وتستمر في الصراخ والصراخ بشكل جنوني أن الله قد مات؟ أوه! حسنًا!

لكن الغريب وغير المفهوم، أن يختار الإنسان ذاته «أن يكون» مرارًا وتكرارًا. ولا يختار فقط، بل يقاتل بضراوة ويظل طوال حياته يتحاشى الموت ويخشاه!

أنا أفهم بالطبع، أن مثل هذه القرارات تُتخذ من قِبل الهياكل اللاواعية داخل الدماغ، إذا جاز التعبير، يمكننا أن نطلق عليها الحالة الداخلية العميقة، أو الأسلاك التي تربطنا بالأرض. لكن الشخص يعتقد بصدق أن العيش هو اختياره وامتيازه!

مرة أخرى، لا أعرف على وجه اليقين ما إذا كانت الكتلة الجبسية أبقت روح مارا في فضاء المعلومات، ولكن إذا فعلت ذلك فغالبًا سوف تجعل عالمها متوازنًا وتعيش فيه بسلاسة، تركز أنظارها على النجاح مرة أخرى، وسوف تقاتل بحياتها الجديدة بلا خوف، وبشراسة كما في الماضي. وستحقق النجاح بالتأكيد، أيًا كان ما تعرضه لها الكتلة الجبسية.

إذا حكمنا من خلال القصائد وإضافات الفيديو، يبدو لي أنها شاعرة يائسة شابة (ربما باسم روزا) هذا شرير للغاية، لكن الورود يمكنها فعل أي شيء. والآن تؤدي فقرتها في نوادٍ خيالية، تسرد أشعارها بصوتٍ عالٍ في وجوه غير واضحة، بينما هناك صوت واحد يأتي من بعيد، من بين الضباب ليقول «رائع»!

لكن ماذا يحتاج الفنان أيضًا؟ وما الفرق بين حياتها السابقة وحياتها الجديدة؟

إنها تقاتل في حرب بلا سبب، كما قال أحد الشعراء الأوائل، من أجل الفن. لأكون صادقًا، في رأيي لا يستحق الفن شيئًا، إلا عندما يعالج القضايا الكبرى التي تواجه البشر. وكل الأسئلة العظيمة تتلخص في الواقع إلى سؤال واحد فقط.

ماذا يفعل الإنسان في هذا العالم القاسي الذي لا يرحم، والذي ألقى به القدَر على شواطئه؟ بدلًا من ذلك، كان من الممكن أن نسأل بيوند لماذا يكتب كتابه بدلًا من أن نسأله عن محتواه؟ أخبرني بسرعة أكبر أيها الفنان والمبدع، إذا كنت تعلم، أعطني إجابة! وإذا كنت لا تعرف الإجابة، فلمَ نحتاج إلى كتابك إذًا؟

في مقبرة تماغوتشي يستطيع المرء أن يفكر جيدًا في الأبدية. ربما بسبب أنه لا يوجد أحد على قيد الحياة. ولكن هناك الكثير من الموسيقى، هنا عادة ما تكون قديمة. لقد ترك العديد من الأشخاص الذين توفوا أوامر بتوفير جهاز الكمبيوتر أو نظام الموسيقى الخاص بهم، لتشغيل قوائمهم الموسيقية لزعزعة الصمت بعد الموت. هذا بلا جدوى بالطبع، لكن يمكنك أن تفهم.

بجانب كنيسة مارا وجين، اشترى أحد محبي بوب ديلان سردابًا، وتنطلق أغانيه باستمرار من هناك. وهناك أغنية مشهورة دائمًا تنطلق في الأرجاء:

The answer, my friend, is blowing in the wind

The answer is blowing in the wind...

يا إلهي! كيف لسطر واحد أن يحل هذا اللغز!

الجواب هو أن تسير في اتجاه الرياح، مثل عدم اعتراضك على جوائز نوبل، أو معارضة مدير التنوع في شركتك، أو أن تتقبل إعلانات جولدن ساكس بصدر رحب!

هذا ما نقوم به عامًا بعد عام يا صديقي المسكين، المتعب بقلبك الحزين وابتسامتك الساخرة، تحاول إخفاء الدموع الهاربة من عينيك، بينما مسارات الرياح تزداد حدة، وتنظر إلى جهاز آي فاك الذي اشتريته بالتقسيط، فتزداد البرودة من حولك أكثر.

لكن، ألم يكن هذا هو الحال منذ البداية؟ من اليوم الأول لولادتك وأنت في منافسة كي لا تفقد قلبك، بل تحاول أن تتبع الأوامر التي تُملى عليك من الواجهة، تتلقاها على رسالة في بريدك الإلكتروني مثلًا؟

ماذا تريد كتلة الجبس اليوم؟ أم أنت الذي تحتاج إليها؟ ألستَ تنتظر الأوامر منها حتى يكون لحياتك معنى؟ تنتظر أن يُملي عقلك عليك شيئًا؟ صوت من بعيد أو هاجس يخبرك بما تفعله؟

الأسئلة اللعينة لا تنتهي، والأسوأ منها هي الإجابات التي تعرفها بنفسك وتخفيها بداخلك. لذا إذا كنت تعتقد أن هناك جزءًا من بيوند في روحك فحاول أن تتواصل معه، حاول أن تكون هو ليلًا ونهارًا يا صديقي، لأن الطريق صعب والليل مظلم والسماء حالكة السواد بلا نهاية!

ولكن هناك بعض النجوم النادرة في السماء.

نعم يا صديقي، أنت حيٌّ، ولكن...

*****

ڤيكتور بيلڤين

هو كاتـب روســـي معاصر وُلد عام 1962، يُعد من أشـــهر الكتّاب لديه عددٌ من الأعمـال الأدبية فـــي مجال الرواية والقصص القصيرة.

بـــدأ مسـيرته بمجموعة قصـصـية في التسـعينيات تُسمَّى "الفانـوس الأزرق" ولم تلفــت الأنظـــار إلا بعد فوزها بجائزة البوكـــر الصغيـــر بعدها بعامين.

حصد بيلڤين أكثر من 20 جائزة منها الخاتـم العظيـــم المتخصـصـــة في كتابـات الخيـــال العلمـــي التي حصل عليها ثـــلاث مـــرات، وحصوله على جائزة اختيار الجمهور 2019 لروايـــــة iPhuck 10 وجوائـــز أخـرى كأفضل كاتب أجنبي في النمسا وألمانيا.

حصلت الرواية على جائزة أندريه بيلي عام ٢٠١٧.
وجائزة (NOC) عن فئة اختيار الجمهور عام ٢٠١٩.
ثم الجائزة الإقليمية للأدب فرع نوفجورد عام ٢٠١٩.

"رواية غريبة وعميقة ومثيرة، تجمع بين العقل والمشاعر في أبعاد جديدة تمامًا بالنسبة إلى بيلڤين (وربما للنثر الروسي بوجه عام) وبالتأكيد أفضل نص للمؤلف في السنوات العشر الأخيرة - على الأقل الأكثر إثارة من الناحية الفكرية".

- جالينا إيزوفيتش

"ليست مجرد دستوبيا أخرى، إنها رواية أفكار".

- صحيفة focus الأوكرانية